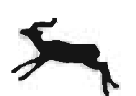
تحرير:
كوركين ميكيليان، ودوروثيا ديبوس، ودينيس بيرين

الاتجاهات الحديثة في فلسفة الذاكرة

ترجمة: رضا زيدان





الاتجاهات الحديثة
في فلسفة الذّاكرة

تحرير

كوركين ميكيليان، ودوروثيا ديبوس، ودينيس بيرين

الاتجاهات الحديثة في فلسفة الذّاكرة



ترجمة

رضا زيـدان

منشورات نادي الكتاب

الاتجاهات الحديثة في فلسفة الذاكرة

تحرير: كوركين ميكيليان، ودوروثيا ديبوس، ودينيس بيرين

ترجمة: رضا زيدان



الطبعة الأولى - 2024

978-603-92037-3-5

رقم الإيداع: 1444/10743

هذا الكتاب ترجمة لـ

New Directions in the Philosophy of Memory

Edited by Kourken Michaelian, Dorothea Debus, and Denis Perrin



منشورات نادي الكتاب

المملكة العربية السعودية - الرياض

طريق الملك عبد العزيز - مجمع الفناء الخلفي

publications@club-book.com

(جميع آراء المؤلف الواردة في هذا العمل وخلافه تُعبِّر عنه وحده وليست مسؤولية دار النشر أو أي جهة أخرى متصلة بها من الجهات والهيئات الثقافية التنظيمية أو المانحة وغيرها)

المحتويات

فلسفة الذَّاكرة اليوم وغدًا

مقدمة المحرِّرين

كوركين ميكليان Kourken Michaelian
ودوروثيا ديبوس Dorothea Debus
ودينيس بيرين Denis Perrin

1. فلسفة الذَّاكرة اليوم:

كما أوضح بيرنيكر Bernecker وميكيليان Michaelian في مقدمتهما لـ: "دليل روتلدج لفلسفة الذَّاكرة Routledge Handbook of Philosophy of Memory" الذي صدر حديثًا (2017)، فإنَّه ليس من المُفاجِئ، في ضوء أنَّ الذَّاكرة هي واحدة من أهم قدراتنا المعرفانية cognitive الأساسية وهي مصدر لجزءٍ هائل من معرفتنا، أن يعود الاهتمام الفلسفي بالذَّاكرة إلى فجر الفلسفة وأن يتواصل بقوة طوال تاريخ هذا التخصص، ما تُثير الدَّهشة هي حقيقة أنَّ فلسفة الذَّاكرة لم تظهر إلا مؤخرًا كمجالٍ بحثي مُعترَف به. وأيًّا ما كان تفسير تأخر ظهور هذا المجال، فإنه قد ظهر الآن بالتأكيد، ودليل روتلدج المنشور ليس سوى العلامة الأوضح لهذا التطور، وتشمل العلامات الأخرى التكاثر السريع لورش العمل والمؤتمرات والقضايا الخاصة المتعلقة بموضوع الذَّاكرة، وإنشاء "منظمة فلسفة الذَّاكرة Philosophy of Memory Organization" في مؤتمر "قضايا في فلسفة الذَّاكرة Issues in Philosophy of Memory" الذي عُقد في كولونيا في العام 2017. باختصار، هناك عمل مستمر في فلسفة الذَّاكرة اليوم، وفي حين كان القصد من تجميع أبواب لذلك الدليل هو تقديم نظرة عامة منهجية للبحث الفلسفي التاريخي والمعاصر حول الذَّاكرة، يقدم المجلد الحالي، "الاتجاهات الحديثة في فلسفة الذَّاكرة" لمحةً سريعة عن بعض المناطق الأكثر نشاطًا وديناميكية في البحث الحالي.

2. نظرة عامة على الكتاب:

يتألف الكتاب من سبعة عشر فصلًا (جانب المقدمة)، وجُمعت هذه الفصول في ستة أجزاء، نقدم هنا لمحات موجزة عنها.

1.2 الجزء الأول: تحديات وبدائل النظرية السببية للذاكرة:

على الرغم من أنَّ النظرية السببية التي منحها صياغتها الكلاسيكية مارتن ودويتشر Martin and Deutscher (1966) كانت لفترة طويلة النظرية الفلسفية السائدة عن التذكر (انظر مثلًا، Bernecker, 2010؛ Cheng & Werning، 2016)، إلَّا أنَّها تعرَّضت في السنوات الأخيرة لضغطٍ مُتزايد، وتدرس مقالات الجزء الأول الثلاثة تحديات وبدائل هذه النظرية. وفق النظرية السببية الكلاسيكية، فإنَّ حدوث التذكر الحقيقي يفترض مسبقًا وجود نوع محدد من الارتباط السببي بين ذاكرة الشّخص الظاهرية واختباره السابق للحدث المتذكَّر، أي: ارتباط سببي مُستدام ببقية ذاكرية تولّدت في تلك الخبرة، كما أوضح ميكيليان Michaelian وروبينز Robins في فصلهما، فإنَّ الاعتراف المُتزايد بين الفلاسفة بالطابع الترميمي reconstructive للتذكر (على سبيل المثال: روبينز Robins، يصدر قريبًا، وسالفاجيو Salvaggio، يصدر قريبًا) أدى إلى صياغةٍ ليست فقط لنسخٍ من النظرية السببية تحاول الاستغناء عن البقايا الذاكرية، وإنَّما أيضًا لنظريات ما بعد سببية ترفض ضرورة الارتباط السببي للتذكر الحقيقي رفضًا تامًا. وقد طوّر بيرين Perrin نظرية من النوع السابق بإلهام من كل من العمل الفلسفي لساتون Sutton (1998) حول تخزين الذّاكرة التوزيعي والمقاربات الإسنادية attributionalist للذاكرة في علم النفس (Whittlesea، 1997). ووفق نظرية بيرين، السببية الإجرائية procedural، فإنَّ خاصية الارتباط السببي للتذكر لا تكون بين الذّاكرة المُستَرَدَّة والخبرة السابقة، وإنَّما بين العمليَّة التَّرميميَّة التي تُنتِج الذكرى والعملية البنائية التي أنتجت الخبرة. وعلى الرغم من أن نظرية بيرين بعيدة كل البُعد عن النظرية التي دافع عنها مارتن ودويتشر، إلَّا أنَّها عُدَّت نظرية سببية. على النقيض

من ذلك، تنضم النظرية الوظيفية التي طوَّرها فرنانديز Fernndez إلى النظريات ما بعد السببية، مثل: نظرية المُحاكاة simulation (Michaelian, 2016; cf. De Brigard، 2014)؛ لأنها تدعو مثل هذه النظريات إلى الرفض الصريح لضرورة الارتباط السببي للتذكر. ويجادل فرنانديز، من خلال تطبيق مقاربات وظيفية طُوِّرت في فلسفة الذهن، بأن الحالة الذاكرية memory state يجب أن تُفهم على أنها حالة من النوع الذي يميل إلى أن يكون مسبَّبًا عن الخبرة السابقة المناظرة، ولكن لا يلزم في الواقع أن يكون مسبَّبًا عن هذه الخبرة.

2.2 الجزء الثاني: النشاط والسلبية في التذكر:

إنَّ حُجة بيرين لصالح النظرية السببية الإجرائية وحجة فرنانديز للنظرية الوظيفية تستندان إلى مفهوم التذكر كعملية نشطة وترميمية.

تشترك الفصول الثلاثة التي يتألف منها الجزء الثاني في هذا المفهوم، لكن بدلًا من أن تقترح نظريات عامة للتذكر الترميمي، فإنها تركز بالخصوص على بُعده النشط. إذ يجادل أرانجو مونيوز Arango-Muñoz وبرموديز Bermúdez، بناءً على العمل الحديث عن المعرفانية-الفوقية القائمة على الشعور feeling-based metacognition (انظر Proust, 2013; Dokic، 2014)، بأن التذكر ليس أبدًا تخزينًا واستردادًا سلبيًا للمعلومات، وإنَّما هو ترميم للماضي، وإن هذا الترميم يُعد بحُكم الدور الذي تؤديه فيه المشاعر المعرفانية-الفوقية metacognitive feelings، شكلًا من أشكال الفعل الذهني كامل الاستحقاق. ومثل: أرانجو مونيوز وبرموديز، يتخلى هوتو Hutto وبيترز Peeters عن التصور السلبي والتخزيني-الاستردادي للتذكر، من أجل تصور التذكر على أنه ترميم فعال للماضي. ويجادلان، بناءً على مجموعة من الأبحاث التجريبية، ومنها البحث المتعلق بالذّاكرة الاستطرادية episodic كشكل من أشكال السفر الزمني الذهني mental time travel (Perrin & Michaelian، 2017)، بأن التفاعلية enactivism الجذرية (مثلًا: Hutto & Myin، 2013، 2017) توسِّع وجهة نظر عن التذكر، بما

يشمل الأشكال الغنية خبراتيًا للتذكر الاستطرادي، تتخلص تمامًا من فكرة المحتوى المخزَّن، تُوجَد روابط مُحتملة هنا مع كل من النظرية السببية الإجرائية التي دافع عنها بيرين في فصله التي ترفض أيضًا الادّعاء القائل: إنَّ التَّذكُّر يتضمن محتوى مُخزَّنًا، والتقرير العلائقي عن الذَّاكرة الذي دافعت عنه ديبوس Debus في عمل آخر لها (2008) الذي يرفض الرأي الذي مفاده أنَّ الذكريات المُستردَة لها محتوى تمثيلي. ومع ذلك، ربما تتعارض مقالة ديبوس في هذا المجلد مع مقالة هوتو وبيترز ومقالة أرانجو مونيوز وبرومو ديز؛ لأنها تشدد على أنَّ الذكريات الاستطرادية أو الاسترجاعية recollective لها سمات مميزة تجمع بين النشاط والسلبية. تجادل ديبوس، باعتماد منظور إبستيمي ما، بأن الذَّاكرة قادرة على العمل كمصدر وأساس للمعرفة؛ لأنَّه عندما يتذكر الفاعل يؤثر الماضي فيه كمستقبِل سلبي. ومع ذلك، ربما يُوجَد هنا تعارض أقل مع وجهات النظر الترميمية أكثر مما قد يظنه المرء في البداية، حيث تجادل ديبوس أيضًا بأن النوع ذا الصلة من السلبية متوافقٌ على الأقل مع بعض التَّدخُّل النشط من الفاعل، مثل: التدخل المُتضمَّن في التحول من منظور الميدان field[1] إلى منظور المُراقب observer (انظر McCarroll، يصدر قريبًا).

3.2 الجزء الثالث: البُعد الانفعالي للذاكرة:

كحال غالبية كُتّاب الجزء الثاني، يفهم غيرانز Gerrans الذَّاكرة على أنَّها شكل من أشكال السفر الزمني الذهني إلى الماضي، تقوم به الأنظمة العصبية ذاتها المسؤولة عن السفر الزمني الذهني إلى المُستقبَل. وبينما تتعلق مقالات الجزء الثاني بالبُعد النشط للتذكر الذي يُفهم على أنه السفر الزمني الذهني الموجه نحو الماضي، فإنَّ مقالة غيرانز في الجزء الثالث تتعلق ببُعدٍ خاص آخر للسفر الزمني المُوجَّه نحو الماضي والمستقبل، ألا وهو البُعد الانفعالي. إذ يجادل، على نهج التقرير السردي ذاته لغولدي Goldie (2012) والتقارير التي تُشدِّد على الشعور

(1) وهو أن يرى المتذكِّر الموقفَ الذي كان فيه كما كان يراه عندما حدث (المترجم).

بالملكية المتضمن في الذّاكرة (Fernández، يصدر قريبًا)، بأن السفر الزمني الذهني يمكن فهمه على أنه ينطوي على التشارك الوجداني من الشّخص مع ذاته الماضية أو المستقبلية. وبالتركيز على حالة الذكريات المؤلمة، يجادل بأنه عندما يتذكر المرء، يمكنه بمعنى حرْفي جدًا مشاركة المشاعر مع ذاته السابقة. ويزعم أن المرء لا يقوم بذلك بمحاكاة خبرته الماضية بالكامل، ومنها شعوره بالألم في الماضي، وإنما بمحاكاة شعور كونه الشّخص الذي يمر بخبرة الألم. تهتم أركانجلي Arcangeli ودوكيتش Dokic بالمثل بالبُعد الانفعالي للتذكر الذي يُفهم على أنه السفر الزمني الذهني الموجه نحو الماضي. وفق إحدى وجهتي النظر عن العلاقة بين الذّاكرة والعاطفة، يمكن أن تكون ذكرى ما متعلقة بعاطفة سابقة. ووفق وجهة النظر الأخرى، يمكن للذاكرة أن تسبب عاطفة حاضرة. ولكن على كل من الرأيين لا يمكن أن يكون للذاكرة ذاتها عنصر عاطفي.

تحاجج أركانجلي ودوكيتش، بالاعتماد، مثل غيرانز، على تقرير غولدي، من أجل وجهة نظر جديدة للعلاقة بين الذّاكرة والعاطفة، وجهة نظر تشير إلى أنه يجب علينا الاعتراف بمنظور السارد narrator للحدث المتذكَّر (فضلًا عن منظور الشّخص المتذكَّر ومنظور الشّخص المتذكِّر)، وأن القيام بذلك يمكّننا من الاعتراف بإمكانية وجود ذكريات ذات عنصر عاطفي أصيل، والفكرة هي أن الذكريات المؤثرة في نحو أصيل تحدث؛ لأنَّ المنظور العاطفي للسارد يؤثر بشكل مباشر في المنظور العاطفي للشخص المُتذكِّر.

4.2 الجزء الرابع: الذّاكرة في المجموعات:

إنَّ البُعد الانفعالي للتَّذكُّر هو أيضًا محل بحث في فصل ساتون Sutton، لكن في حين أن مقالات الجزء الثالث تُصنِّف مجموعاتيًا بصورةٍ عامَّة البُعد الاجتماعي للتذكر، فإن ساتون يسعى إلى الجمع بين هذين البُعدين معًا في معالجة للذاكرة على مستوى المجموعة. وبالتركيز على المقاربات الحديثة للتذكر كعملية جماعية (Michaelian & Sutton، 2017) والحجج الحديثة لإمكانية

الانفعال الموزَّع distributed affectivity (Krueger & Szanto، 2016)، يجادل بأن كلًا من التذكر والشعور يكونان أحيانًا أنشطة متشاركة اجتماعيًا، وليس داخليًا أو فرديًا بصرامة. ومع ذلك، فإنه يؤكد، انسجامًا مع حجته السابقة لمقاربة تكاملية للمعرفانية الممتدة (extended cognition Sutton، 2010)، أنَّ العلاقات التكاملية بين الأشخاص في الحالات الانفعالية المختلفة غالبًا ما تكون أكثر أهمية من التلاقي بين الأفراد الذين في الحالة الانفعالية ذاتها لحدوث التذكر الجماعي.

يتعلق فصل دي بريغارد أيضًا بالبُعد الاجتماعي والجماعي للتذكر، ولكن في حين ينصب تركيز ساتون على الانفعال، يركز دي بريغارد على القدرات اللازمة للمشاركة في التذكر الجمعي. وهو يعتمد على الاقتراحات السابقة لهورل ومـاكـورمـاك Hoerl and McCormack (2004) وكـامـبـل Campbell (2002) لاستكشاف القدرات التي يعتمد عليها هذا الشكل من التذكر الجماعي، وتحديد ثلاث من هذه القدرات. يقوم التأشير الذهني Mental ostension على الانتباه الداخلي لعنصر محدد من المحتوى الذاكري. والتأشير الذهني المُرحَّل deferred هو انتباه غير مباشر من خلال الإذعان للمحتوى الذهني الحالي.

أخيرًا، التأشير الذهني المُرحَّل المُوزَّع هو القدرة على توجيه انتباه شخصٍ آخر داخليًا نحو الجانب ذي الصلة من المحتوى الذهني.

5.2 الجزء الخامس: فشل الذَّاكرة: المفاهيم والآثار الأخلاقية:

تسعى العديد من الفصول في الأجزاء السابقة من الكتاب إلى فهم كيفية عمل الذَّاكرة عندما ينجح التذكر، وفي المقابل، تسعى فصول الجزء الخامس إلى فهم كيفية عمل الذَّاكرة عندما تفشل.

يتناول فصل فرايز Frise موضوعًا ظل مهملًا حتى يومنا هذا في فلسفة الذَّاكرة، على الرغم من أهميته الواضحة للمجال، وهو طبيعة النسيان. ومن خلال استعراض مجموعة واسعة من المناقشات المتعلقة بالنسيان في الأدبيات

الفلسفية والنفسية عن الذَّاكرة، يدرس فرايز نظريات طبيعة النسيان المتضمنة في هذه المناقشات ويرفضها على أساس أنها فشلت في اختبارين: فهي لا تستوعب وجود شعور النسيان (انظر Arango-Muñoz، 2013)، ولا تستوعب حقيقة أن بعض حالات فشل الذَّاكرة المستقبلية prospective memory (انظر، Szpunar, Spreng, & Schacter، 2016) تُعد حالات نسيان. ولذلك يقدم نظرية جديدة، وهي نظرية التعلم Learning وفشل الوصول Access failure، والنزوعية Dispositional (LEAD)، ويزعم أنها تجتاز هذين الاختبارين. يهتم فصل بيرنيكر Bernecker أيضًا بالنسيان، ويركز على أخلاقياته وليس على طبيعته. لقد ادعى كثيرون أنه لا يمكن تحميل المرء مسؤولية النسيان؛ لأنه لا يقع في نطاق تحكمه. وجادل البعض (مثل: Matheson، 2017) بأن النسيان يكون أحيانًا في نطاق تحكم المرء، وعندما يكون كذلك يمكن تحميله مسؤوليته. يوافق بيرنيكر على ذلك، لكنه يذهب إلى ما هو أبعد، مُجادِلًا بأنه يمكن أحيانًا تحميل المرء مسؤولية النسيان حتى عندما لا يقع في نطاق تحكمه. يركّز فصل كريفر Craver وروزنباوم Rosenbaum أيضًا على الجانب الأخلاقي، لكنهما معنيان بالآثار الأخلاقية لنوع أكثر دراماتيكية من حالات فشل الذَّاكرة الذي يتجلى في حالات فقدان الذَّاكرة الاستطرادية. وحيث إنَّهما يكتبان من وجهة نظر الباحثين الذين يعملون مع الأشخاص الذين يعانون فقدان الذَّاكرة، فهما يبحثان قدرة هؤلاء الأشخاص على منح موافقة ذات معنى للمشاركة في التجارب، وبينما قد يُعتقد أن الذين يعانون فقدان الذَّاكرة الاستطرادي محاصرون في "زمن المضارع المستمر" (Corkin، 2013)، فإن كرافر وروزنباوم يناقشان أدلة أنه من المرجح أن يتمتع المُصابون بفقدان الذَّاكرة بالقدرات اللازمة لموافقة ذات معنى (على سبيل المثال: Craver et al، 2014)، ويجادلان بأن الشّخص لا يحتاج إلى أن يكون قادرًا على تذكر لحظة الموافقة حتى تستمر موافقته.

6.2 الجزء السادس: محتوى وفينومينولوجيا الذَّاكرة الاستطرادية والدلالية:

تُعنى الفصول التي يتألف منها الجزء الأخير من الكتاب، بطريقة أو بأخرى، بمحتوى وفينومينولوجيا الذَّاكرة الاستطرادية والدلالية. يوضح رولاندز Rowlands، في فصله، الفكرة التي طورها في عمله الحديث (Rowlands، 2017) وطُوّرت في أعمال الآخرين (Fernández، 2008)، وهي أن محتوى الذَّاكرة الاستطرادية المُستَرَدة يجب أن يُفهم على أنه لا يشير فقط إلى الحلقة[2] episode المتذكَّرة، وإنما أيضًا إلى موقع الحلقة المتذكرة في الماضي الشّخصي للمتذكِّر، الأمر الذي يشير إلى أنه يمكن وصف الجانب الأخير من محتوى الذَّاكرة الاستطرادية باستخدام المفهوم الفريجي[3]: نمط العرض mode of presentation. كما يجادل رولاندز بأن هذا يتضمن أن محتوى ذكرى استطرادية ليس مستقلًا عن فعل التذكر، وأن هذا يستلزم أن التذكر ترميمي في طبيعته. بالمثل يقترح سوتيريو Soteriou أن التذكر الاستطرادي لا يتضمن فقط تمثيلًا لحلقة سابقة، ولكن أيضًا تمثيلًا للمنظور الزماني temporal لتلك الحلقة. ويجادل، معارضًا الحجج الأخيرة التي سعت إلى تقويض التمييز بين تذكر الماضي وتخيله (Michaelian، 2016)، بأن التمييز مضمون بالطرق المختلفة التي يُحدَّد بها الموقع الزماني للحدث الممثَّل، أي: بالموقع الزماني الفعلي للحدث الماضي، في حالة التذكر، ونيات الشّخص، في حالة التخيل (راجع Hoerl، 2014). وبينما يهتم سوتريو بالتمييز بين الذَّاكرة الاستطرادية والتخيل الاستطرادي، فإن هوبرل Hoerl، في فصله، يهتم بالتمييز بين الذَّاكرة الاستطرادية والذَّاكرة الدلالية.

---

(2) الحلقة في مواضع هذه الترجمة كافة هي حدث مُرتَّب على نحو محدد، ومنه اشتق مفهوم الذَّاكرة الاستطرادية أو "الحلقية" أو "العرضية"، لكنني فضلت "الذَّاكرة الاستطرادية"؛ لأنها ترجمة معروفة وتُعبّر عن المعنى المقصود أكثر من "العرضية" أو الحلقية، بالرغم من أنها "العرضية" هي الترجمة الأشهر (المترجم).

(3) نسبة إلى عالِم المنطق والرياضيات الفيلسوف الشهير غوتلوب فريجه، مؤسس الفلسفة التحليلية (المترجم).

إنَّ مسألة العلامة المميزة للذاكرة الاستطرادية - العلامة المميزة لطبيعة الاستطراد (Perrin & Rousset، 2014) – مألوفة، لكن هويرل يدافع عن إجابة جديدة لهذه المسألة، مجادلًا بأنه في حين أن الذَّاكرة الاستطرادية والذَّاكرة الدلالية تُظهران عدم تساوق asymmetry إبستيمي بين الماضي والمستقبل، فإنهما يقومان بذلك بطرق مختلفة، حيث تُزوِّد الذَّاكرة الاستطرادية الشّخص بالمعرفة، ليس فقط معرفة الأحداث الماضية، وإنما أيضًا بشعور اختبارها.

أخيرًا، يهتم تيروني Teroni بالذَّاكرة الدلالية وليس الذاكرية الاستطرادية، مشيرًا إلى أنه في حين يمكن تفسير موقف تذكّري دلالي بالشعور بالألفة، فإن الشعور بالألفة لا يبرر في حد ذاته الاعتقاد الذاكري الدلالي، ويجادل بدلًا من ذلك بأن علل الاعتقاد الماضي لدى الشّخص، وليس شعور الألفة المرتبط به، هي التي تبرر الاعتقاد الذاكري الدلالي الحالي.

3. فلسفة الذَّاكرة غدًا:

كان هدفنا، في كتابتنا لهذا الكتاب معًا، هو تقديم لمحة سريعة عن اتجاهات البحث الحالية في فلسفة الذَّاكرة، إذًا ما الذي تكشف عنه هذه اللمحة؟ تقترح نظرتنا العامة لمحتويات الكتاب أربع ملاحظات رئيسة.

1.3 الإجماع المنهجي:

أولًا: الآن هناك إجماع مستقر على أهمية البحث التجريبي في علم النفس والتخصصات الأخرى لحل المجادلات الفلسفية المتعلقة بالذَّاكرة، وبكل تأكيد لا تزال هناك اختلافات في الدرجة بين فلاسفة الذَّاكرة الذين يواصلون عملهم بطريقة أكثر قبْلية، وأولئك الذين يعتمدون بشكلٍ أكبر على البحث التجريبي، لكن عمليًا كل فصل من فصول هذا الكتاب على اطلاع بدرجةٍ ما على البحث التجريبي، ما يشير إلى أنَّ الفرق بين الافتراضات المنهجية الأساسية ذات الصلة أقل تصلبًا مما كان عليه قبل سنوات قليلة فقط.

2.3 الإجماع الواقعي:

ثانيًا: الآن هناك إجماع مستقر على الطابع الترميمي النشط للتذكر، فبينما ظل فلاسفة الذَّاكرة حتى وقت قريب يتعاملون مع هذا الأمر على أنه بحاجة إلى الدفاع عنه (أو مهاجمته) بالحجاج، فإنَّ الادِّعاء القائل: إنَّ الذَّاكرة لها طابع ترميمي غالبًا ما يكون الآن بمثابة نقطة انطلاق لمزيد من الحجاج، فإنَّ علم نفس الذَّاكرة مُتحدٌ في تأييده لوجهة نظر ترميمية، وبلا شك هذا الإجماع الواقعي هو جزئيًا نتاج للإجماع المنهجي المشار إليه سابقًا، وإنَّ الإجماع حاضر في الكتاب كله، لكن انظر بهذا الخصوص إلى فصول الجزء الثاني.

3.3 الأسئلة الجديدة المتعلقة بالذَّاكرة:

ثالثًا: كما يظهر إجماع على سمات أساسية محددة للذاكرة، يطرح فلاسفة الذَّاكرة أسئلة جديدة، تتضمن هذه الأسئلة مزيدًا من التفاصيل الدقيقة حول الجوانب المهملة سابقًا للذاكرة الفردية، مثل: دور الذَّاكرة المُناقش في الجزء الثالث، وتتضمن أسئلة حول الظواهر الذاكراتية mnemic مثل: أنواع فشل الذَّاكرة المناقشة في الجزء الخامس، وتتضمن أسئلة حول التذكر خارج المستوى الفردي، مثل: أشكال الذَّاكرة المجموعاتية المُناقشة في الجزء الرابع.

6.3 العودة إلى الأساسيات:

أخيرًا، حتى عندما يطرح فلاسفة الذَّاكرة أسئلة جديدة، فإنهم يُظهرون استعدادًا جديدًا لمعالجة ما قد يُمثِّل السّؤال الأساسي لفلسفة الذَّاكرة، ألا وهو طبيعة التذكر، وذلك من خلال اقتراح نظريات للتذكر جديدة جذريًا، كما توضح مقالات الجزء الأول، اقترح الاعتماد المنهجي المتزايد على النتائج التجريبية طرقًا جديدة لفهم طبيعة التذكر، وهذه الطرق تتحدى النظرية السببية السائدة منذ فترة طويلة دون الارتداد إلى النظريات الإبستيمية أو التجريبية القديمة عن الذَّاكرة، وعلى المنوال ذاته، تُوضِّح مقالات الجزء السادس المحاولات

المُستمرّة لحل الألغاز الصعبة التي تطرحها العلاقة بين الذّاكرة الاستطرادية والخيال الاستطرادي، وبين الذّاكرة الاستطرادية والذّاكرة الدلالية.

بشكلٍ عام، هذا المزيج من الإجماع المنهجي والإجماع على الخطوط العريضة للظاهرة قيد البحث، من جهة، مع الجدل النشط حول السمات المحددة للظاهرة وخصائصها النظرية العامة المتنافسة، من جهة أخرى، يشيران إلى مجال مزدهر، وهكذا توحي حالة فلسفة الذّاكرة اليوم بغدٍ مُشرق لهذا المجال.

شكر وتقدير:

ظهرت الفكرة الأولية لهذا الكتاب بمحادثة بين المحررين في مؤتمر عُقد في غرونوبل Grenoble في العام 2015، ثم قُدِّمت العديد من الفصول في صورة أولية في اجتماعين لاحقين "الذّاكرة والذاتية Memory and Subjectivity"، الذي عُقد في جرونوبل في منتصف العام 2016 وبتمويل لدينيس بيرين Denis Perrin من منحة من المعهد الجامعي الفرنسي Institut Universitaire de France، و"اتجاهات جديدة في فلسفة الذّاكرة New Directions in the Philosophy of Memory" الذي عُقد في دنيدن Dunedin في أواخر العام 2016 بتمويل لكوركين ميكيليان من منحة من جامعة أوتاغو Otago.

وبعد شكر الممولين، يود المحررون توجيه الشكر للكُتّاب الذين قدَّموا جميعًا فصولًا ممتازة في الوقت المحدد بالرغم من ضرورة احترام الموعد النهائي الضيق، وكذلك الزملاء (بعضهم هم أنفسهم كُتّاب في هذا الكتاب) الذين راجعوا الفصول.

المراجع:

Arango-Muñoz, S. (2013). Scaffolded memory and metacognitive feelings. *Review of Philosophy and Psychology, 4*(1), 135-152.

Bernecker, S. (2010). *Memory: A philosophical study*. Oxford: Oxford University Press.

Bernecker, S., & Michaelian, K. (Eds.). (2017). *The Routledge handbook of philosophy of memory*. London: Routledge.

Campbell, J. (2002). *Consciousness and reference*. Oxford: Oxford University Press.

Cheng, S., & Werning, M. (2016). What is episodic memory if it is a natural kind? *Synthese, 193*(5), 1345-1385.

Corkin, S. (2013). *Permanent present tense: The unforgettable life of the amnesic patient, HM*. New York: Basic Books.

Craver, C. F., Kwan, D., Steindam, D., & Rosenbaum, R. S. (2014). Individuals with episodic amnesia are not stuck in time. *Neuropsychologia, 57*, 191-195.

De Brigard, F. (2014). Is memory for remembering? Recollection as a form of episodic hypothetical thinking. *Synthese, 191*(2), 155-185.

Debus, D. (2008). Experiencing the past: A relational account of recollective memory. *dialectica, 62*(4), 405-432.

Dokic, J. (2014). Feeling the past: A two-tiered account of episodic memory. *Review of Philosophy and Psychology, 5*(3), 413-426.

Fernndez, J. (2008). Memory and time. *Philosophical Studies, 141*(3), 333-356.

Fernndez, J. (Forthcoming). The ownership of memories. In M. Garcõa-Carpintero & M. Guillot (Eds.), *The sense of mineness*. Oxford: Oxford University Press.

Goldie, P. (2012). *The mess inside: Narrative, emotion, and the mind*. Oxford: Oxford University Press.

Hoerl, C. (2014). Remembering events and remembering looks. *Review of Philosophy and Psychology, 5*(3), 351-372.

Hoerl, C., & McCormack, T. (2004). Joint reminiscing as joint attention to the past. In N. Eilan, C. Hoerl, T. McCormack, & J. Roessler (Eds.), *Joint attention:*

Communication and other minds (pp. 260-286). Oxford: Oxford University Press.

Hutto, D. D., & Myin, E. (2013). *Radicalizing enactivism: Basic minds without content*. Cambridge, MA: MIT Press.

Hutto, D. D., & Myin, E. (2017). *Evolving enactivism: Basic minds meet content*. Cambridge, MA: MIT Press.

Krueger, J., & Szanto, T. (2016). Extended emotions. *Philosophy Compass, 11*(12), 863-878.

Martin, C. B., & Deutscher, M. (1966). Remembering. *The Philosophical Review, 75*(2), 161-196.

Matheson, D. (2017). An obligation to forget. In S. Bernecker & K. Michaelian (Eds.), *The Routledge handbook of philosophy of memory* (pp. 364-372).

London: Routledge.

McCarroll, C. (Forthcoming). *Remembering from the outside: Personal memory and the perspectival mind*. Oxford: Oxford University Press.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge, MA: MIT Press.

Michaelian, K., & Sutton, J. (2017). Collective memory. In M. Jankovic & K. Ludwig (Eds.), *The Routledge handbook of collective intentionality* (pp. 140-

151). London: Routledge.

Perrin, D., & Michaelian, K. (2017). Memory as mental time travel. In S.

Bernecker & K. Michaelian (Eds.), *The Routledge handbook of philosophy of memory* (pp. 228-239). London: Routledge.

Perrin, D., & Rousset, S. (2014). The episodicity of memory. *Review of Philosophy and Psychology*, *5*(3), 291-312.

Proust, J. (2013). *The philosophy of metacognition: Mental agency and selfawareness*. Oxford: Oxford University Press.

Robins, S. K. (Forthcoming). Confabulation and constructive memory. *Synthese*.

Rowlands, M. (2017). *Memory and the self: Phenomenology, science, and autobiography*. Oxford: Oxford University Press.

Salvaggio, M. (Forthcoming). The justification of reconstructive and reproductive memory beliefs. *Philosophical Studies*.

Sutton, J. (1998). *Philosophy and memory traces: Descartes to connectionism*. Cambridge: Cambridge University Press.

Sutton, J. (2010). Exograms and interdisciplinarity: History, the extended mind, and the civilizing process. In R. Menary (Ed.), *The extended mind* (pp. 189-225). Cambridge, MA: MIT Press.

Szpunar, K. K., Spreng, R. N., & Schacter, D. L. (2016). Toward a taxonomy of future thinking. In K. Michaelian, S. B. Klein, & K. K. Szpunar (Eds.), *Seeing the future: Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel* (pp. 21-35). Oxford: Oxford University Press.

Whittlesea, B. (1997). Production, evaluation, and preservation of experiences: Constructive processing in remembering and performance tasks. In D. L. Medin (Ed.), *The psychology of learning and motivation: Advances in research and theory* (Vol. 37, pp. 211-264). Cambridge, MA: Academic Press.

الجزء الأول

تحديات وبدائل النظرية السببية للذاكرة

تجاوز النظرية السببية:

خمسون عامًا بعد عمل مارتن Martin ودويتشر Deutcher[1]

كوركين ميكيليان Kourken Michaelian وسارة روبينز Sarah K Robins

1. مقدمة:

من الطبيعي التَّفكير في التذكر بالسببية، إذ إنَّني أستطيع أن أتذكر آخر عشاء مع صديق لي بسبب أنني اختبرت تناول هذا العشاء قبل حوالي خمسين عامًا، حوّل مارتن ودويتشر (1966) هذا التَّفكير الأساسي إلى نظرية كاملة في الذَّاكرة، وهي نظرية سيطرت في العقود التالية على المشهد في فلسفة الذَّاكرة؛ نظرًا لمعقوليتها البدهية ونجاحها الظاهري في التمييز بين التذكر والعلميات ذات الصلة، ومنها التخيل، لقد حاولت المقاربات السابقة، مثل: النظرية التجريبية[2]، تجسيد طبيعة التذكر من منظور الشّخص الأول[3]، أي: من حيث فينومينولوجيته المميزة. وفي المقابل، قدَّمت النظرية السببية تقريرًا من منظور الشّخص الثالث عن طبيعة التذكر. يجادل مارتن ودويتشر بأن التذكر قاعدته الأساسية هي وجود نوع محدد من الارتباط السببي بين الخبرة الأصلية للمتذكِّر لحدثٍ ما وتمثيله اللاحق لذلك الحدث: ارتباط سببي متحقق ببقية ذاكرية memory trace.

---

(1) نشكر الحضور في جامعة غرينوبل وجامعة أوتاغو ومؤتمر "قضايا في فلسفة الذَّاكرة" (كولونيا، 2017) على تفاعلاتهم، ونشكر ستيفن جيمس Steven James ودينيس بيرين Denis Perrin على تعليقاتهما المكتوبة.

(2) للاطّلاع على الخلفية الأساسية للنظرية التجريبية، انظر: Bernecker، 2008. يناقش بيرنيكر أيضًا النظرية الإبستيمية التي طغت النظرية السببية على شعبيتها أيضًا، وينبغي عدم الخلط بين النظرية الإبستيمية والنظرية السببية-الإبستيمية الهجينة المعروضة في القسم الخامس. لم يكن مارتن ودويتشر هما أول من ذكر النظرية السببية، لكنهما قدّما الصياغة القانونية لها، ولذا فإننا لا نناقش الصياغات السابقة هنا.

(3) أو منظور المتكلم، في مقابل منظور الغائب (الشّخص الثالث حسب التركيب الإنكليزي) (المترجم).

لقد أصبح واضحًا في السنوات الأخيرة أنَّ هذه الإحالة إلى البقايا الذاكرية تُهدِّد في الحقيقة بتقويض النظرية السببية، على الرغم من أنه قد بدا في البداية أنها تعزز التوافق بين النظرية وعلم الذَّاكرة التجريبي. ولأن المفاهيم الأقدم عن الذَّاكرة المتمثلة في عدّها عملية تخزين واسترداد قد أفسحت المجال لمفاهيم جديدة عن التذكر كعملية بنائية أو محاكاتية، ظهر أنَّ علم الذَّاكرة المُعاصِر يقلب ليس فقط الرأي المُتعلِّق بالبقايا الذي دافع عنه مارتن ودويتشر، وإنما أيضًا الادّعاء الأعم الذي مفاده أنَّ البقايا - من أي نوع - ضرورية للتذكر، وقد واجه الأنصار المعاصرون للنظرية السببية السّؤال الآتي:

هل من الممكن تطوير نسخة تجريبية مناسبة للنظرية أم أنَّ الوقت قد حان لتجاوز النظرية السببية؟

إنَّ الغرض من هذا الفصل هو تتبع التاريخ الحديث للنظرية السببية، وإظهار كيف أدى الوعي المتزايد بإشكالات النظرية السببية الكلاسيكية إلى تطوير مجموعة متنوعة من النسخ المحدثة للنظرية وإلى ظهور نظريات ما بعد سببية في النهاية.

2. النظرية السببية الكلاسيكية:

كحال معظم منظّري النظرية السببية اللاحقين، يركز مارتن ودويتشر على الذَّاكرة الاستطرادية، ذاكرة الأحداث الماضية. وبصرف النظر عن التفاصيل الفنية، هما يجادلان بأن الشّخص يتذكر حدثًا ماضيًا إذا، وفقط إذا (1) كان الشّخص يمثّل الحدث الآن، و(2) اختبر الحدث عندما وقع، و(3) كان هناك ارتباط سببي بين تمثيله الحالي للحدث وخبرته عنه.

إنَّ هذا التقرير يتعامل مع الذَّاكرة على أنها قدرة دياكرونية[4]، بمعنى أنَّه

(4) أي: مرتبطة بالفترات الزمنية، أو حتى بالتاريخ، وأفضل ترجمتها كما هي كمصطلح تقني، ولعدم الخلط بينها وبين الزمني temporal. وعكسها هو السانكروني الذي يركز على فترة زمنية محددة (المترجم).

يدّعي أنَّ حدوث التَّذكُّر هو وجود علاقة محددة بين التمثيلات الواقعة في نقطتين مختلفتين في الزمن: التمثيل الخبراتي الأصلي للحدث لدى الشّخص، وتمثيله[5] الحالي الاستردادي للحدث.

يتطلب الشرطان (1) و(2) وجود هذه التمثيلات، وهما قيدان على التذكر مقبولان على نطاق واسع، وبموجب الشرط الثالث الذي ينص على وجود علاقة سببية بين التمثيلين، فإنَّ تقرير مارتن ودويتشر يُعد نظرية سببية، كانت المقاربات المضادة للمقاربة السببية للذهن بشكل عام (على سبيل المثال: Wittgenstein, 1953; Holland، 1954)، وللذاكرة بشكل خاص (على سبيل المثال: Malcolm, 1963; Squires، 1969) شائعة عندما كتب مارتن وديوتشر عملهما، وبالتالي، كان الشرط السببي محل اعتراض العديد من معاصريهما. ومع ذلك، على الرغم من أنه لا يزال يُدافَع عن التقارير غير السببية من حين لآخر (مثلًا، Martin, 2001; Hamilton، 2003)، إلَّا أنَّ النظرية السببية قد هَزَمت بدائلَها تدريجيًا، ويمكن القول: إن هذا بسبب الاهتمام الذي كرّسه مارتن ودويتشر لتجويد الشرط (3).

كان اهتمام مارتن ودويتشر، في صياغتهما للشرط السببي، مُنصبًّا بالأساس على التفريق بين التذكر والتخيل. حتى إذا تمكن الشّخص بطريقةٍ ما من إنتاج تمثيلٍ دقيق فيما يتعلق بالخبرة الماضية التي مرَّ بها، فإنَّ تمثيله سيفشل حدسيًا في التأهل كذاكرة إذا كان يفتقر إلى ارتباط سببي بتلك الخبرة. افترض أن روجر Roger حضَر استعراضًا سحريًا، ثم تعرض لحادثٍ نتج عنه فقدان ذاكرة رجعي retrograde بالكليّة، فلم يعد يتذكر بعض الأحداث من ماضيه، بما في ذلك الاستعراض السحري. ونتيجة للحادث أيضًا، يكون عُرضة لتقديم روايات تخريفية للأحداث الماضية، ولنفترض أنَّه أنتج قصة تصادف أنَّها تتطابق مع اختباره الاستعراض السحري في التفاصيل كافة.

---

(5) تشير كلمة "التمثيل الاسترجاعي" في كل موضع إلى التمثيل الذي يجلبه الفاعل إلى ذهنه في وقت التذكر (الظاهري)، بصرف النظر عما إذا كانت العملية المسؤولة عن إنتاج التمثيل المعني تتضمن في الواقع استرجاع المعلومات وبصرف النظر عما إذا كان التذكر بشكل عام يُفهم على أنه ينطوي على الاسترجاع.

إن الشرطين (1) و(2) مستوفيان، لكن من الواضح أن روجر لا يتذكر. قد يكون هذا النوع من التطابق العرضي بين تمثيل خبراتي وتمثيل استردادي غير محتمل، لكن إمكانه ذاته يشير إلى الحاجة إلى وجود ارتباط سببي بين التمثيلين - ففي غياب هذا الارتباط يبدو أن الفاعل يتخيل لا أكثر. ومن ثم لا بد من الشرط (3).

يجادل مارتن ودويتشر أيضًا بأنه ليس هناك أي ارتباط سببي بين تمثيل خبراتي وتمثيل استردادي يكون كافيًا للتذكر، إذ يتطلب التذكر ارتباطًا سببيًا متحققًا ببقية ذاكرية.

إنَّ إدراج إحالة إلى البقايا الذاكرية في النظرية ضروري جزئيًا للتمييز بين التذكر وإعادة التعلم التي تحدث عندما يكتسب المرء المعلومات من خلال الخبرة وينساها، ثم يستعيدها من مصدرٍ آخر، فلنفترض مرة أخرى أنَّ روجر حضر استعراضًا سحريًا، ثمَّ تعرَّض لحادث نتج عنه فقدان ذاكرة رجعي بالكليّة. إذا أخبر روجر صديقه لين Lane، في وقتٍ ما بين الاستعراض والحادث، عن الاستعراض، فإنه قد يكتسب معرفته به مرة أخرى من صديقه. افترض أن لين يواسي روجر بعد إصابته بأن يعيد حكي قصص ماضيه، ومنها قصة الاستعراض السحري. ونتيجة لذلك، يكون روجر قادرًا مرة أخرى على تمثيل الحدث. وفي هذه الحالة، يرتبط التمثيل الخبراتي والتمثيل الاستردادي ارتباطًا سببيًا: إذ كان اختبار روجر للاستعراض السحري هو سبب محادثته مع لين التي بدورها متورطة سببيًا في نقل لين المعلومات إلى روجر مرة أخرى. لكن حدسيًا هذه الحالة هي حالة إعادة تعلم، لا حالة تُذكر.

كان مارتن ودويتشر في تمييزهما بين التذكر وإعادة التعلم متجاوبين لحقيقة أن حدوث التذكر يتوافق مع استخدام المحفزات الخارجية.

يتطلب التمييز بين التذكر وإعادة التعلم تحديد متى تعمل المعلومات الخارجية كمجرد مكمّل للذاكرة، ومتى تعمل كبديل لها، أي: إننا بحاجةٍ إلى طريقةٍ لاستبعاد إعادة التعلم مع السماح بالتحفيز.

لا يضع مارتن ودويتشر تمييزهما من حيث كمية المعلومات الخارجية المتضمنة في عملية التذكر (الظاهري)، وإنما من حيث الدور الذي تؤديه، فبالنسبة لهم، التذكر متوافق مع المُحفِّزات الواسعة من المصادر الخارجية، وما يهم هو ما إذا كانت هناك أيضًا حالة داخلية للمتذكِّر (حسب الظاهر) نشطة - حالة مكتسبة نتيجة للخبرة التي يحاول أن يتذكرها، أي: بقية ذاكرية، ومن ثم يصبح الشرط (3): هناك ارتباط سببي، متحقق ببقية ذاكرية، بين التمثيل الاستردادي للحدث لدى الشّخص وتمثيله الخبراتي للحدث.

مثلما كان المطلب الخام بوجود ارتباط سببي محل اعتراض لدى العديد من معاصري مارتن ودويتشر، كذلك كان المطلب الأكثر تحديدًا بوجود ارتباط سببي متحقق ببقية ذاكرية. إذ كان البعض قلقًا من أنَّ إدراج إحالة إلى بقايا ذاكرية في نظرية فلسفية عن التذكر هو بمثابة السماح للفلسفة بأن «تُملي على العلم ما يكتشفه في الدماغ البشري» (Zemach، 1983: 32). وكان البعض الآخر قلقًا من التأثير الذي في الاتجاه المعاكس، أي: من أن تكون إحالة مارتن ودويتشر إلى البقايا الذاكرية محاولة لاستيراد فكرة علمية إلى المفهوم اليومي للذاكرة الذي كان من المفترض أن تحلله الفلسفة (Malcolm، 1977). تظل علاقة النظرية السببية للذاكرة بعلم الذَّاكرة مسألة مفتوحة، وسنعود إلى هذه المسألة في الأقسام اللاحقة.

كان مارتن ودويتشر متجاوبَين أيضًا مع إمكانية أن تؤدي قدرة معرفانية بخلاف الذَّاكرة، المكتسبة أيضًا في أثناء اختبار الشّخص لحدثٍ ما، إلى تمثيل لاحق للحدث. وقد قادتهما الرغبة في إقصاء هذه الإمكانية إلى إضافة المزيد من التفاصيل إلى مطلب البقية الذاكرية. افترضْ أن روجر، في أثناء حضوره الاستعراض السحري، مُنوَّم مغناطيسيًا، ونتيجة لذلك يمكن وضعه في حالة من القابلية الشديدة للإيحاء. افترض أن لين يخبر روجر عن العرض السحري عندما يكون في هذه الحالة الإيحائية، وأن روجر يؤيد رواية لين. حدسيًا، على الرغم من وجود ارتباط سببي بين اختباره للعرض السحري وتمثيله له، إلا أنه لا يتذكر العرض السحري. هذه الحالة تقصر عن أن تكون حالة تذكر؛ لأنه بينما قد تكون

لدى روجر بقية ذاكرية مناسبة، إلا أن بقيته الذاكرية لا تؤدي العمل السببي ذا الصلة - إنها قدرة أخرى، قدرة غير ذاكرية nonmemorial مسؤولة عن التمثيل. ولاستبعاد حالات الاحتفاظ غير الذاكراي مثل هذه[6]، يجادل مارتن ودويتشر بأن التذكر يتطلب الحفاظ على بقية ذاكرية تمثل الماضي وتوفر محتوى التمثيل الاستردادي. وعلى وجه الخصوص، يرى مارتن ودويتشر البقايا بِعدِّها "نظائر بنيوية" للخبرات السابقة، فالبقية الذاكرية هي كيان يحتوي كمية من المعلومات التي تتطابق أو تتجاوز ما يتذكره الشّخص حول الحدث ذي الصلة. بمعنى آخر، بالنسبة لهما، التذكر يتضمن بالضرورة نقل المحتوى من الخبرة إلى الاسترداد، ولا يتوافق مع توليد محتوى جديد بين الخبرة والاسترداد.

إنَّ استناد مارتن ودويتشر إلى البقايا الذاكرية هو في الوقت ذاته إيماءة إلى الاتفاق والابتكار الجريء. فمن جهة، فإن ادعاء أن البقايا الذاكرية هي نظائر بنيوية للخبرة الماضية هو افتراض قائم منذ زمن وواسع الانتشار لكل من التَّفكير الفلسفي واليومي المتعلق بالذَّاكرة (انظر Draaisma, 2000; De Brigard, 2014b)، فمثلما شبّه مارتن ودويتشر الذَّاكرة بأخاديد من السجلات، شبهها أفلاطون، مثلًا، بالآثار المطبوعة على قرص شمعي. ومن جهة أخرى، يقدم مارتن ودويتشر سببًا جديدًا لهذه النظرة القديمة للبقايا الذاكرية، حيث يتعاملان مع البقايا ليس كموضوعات objects للتذكر، وإنما كحاملات bearers للنوع الصحيح من الارتباط السببي بين التمثيل الخبراتي والتمثيل الاستردادي، على الرغم من أن حقيقة أن توصيف البقايا الذاكرية بأنها نظائر بنيوية هو توصيف تقليدي، إلَّا أنَّ هناك سببًا لاقتلاعه من النظرية السببية، إذ إن القول: إن البقايا الذاكرية هي نظائر بنيوية للخبرات الماضية يعني القول: إن البقية الذاكرية تمثل خبرة بحكم وجودها في علاقة تناظر بنيوي مع ذلك الحدث. وتمدنا التشاكلية البنيوية structural isomorphism بِعدِّها تقريرًا عن التمثيل الذهني، بطريقة للتأكد من أن التفاعلات الاستدلالية بين محتويات الفكر تنعكس في التفاعلات السببية

---

(6) لمناقشة موسعة للاحتفاظ غير الذاكري، انظر: Robins, 2016 b.

بين الحاملات التي يجرى تمثيلها بها. على الرغم من أن هذا الرأي المتعلق بالتمثيلات الذهنية كان شائعًا في الوقت الذي كتب فيه مارتن ودويتشر عملهما، إلا أنه محل خلاف، ولم يُعتمد حاليًا على نطاق واسع (على سبيل المثال: Shepard & Chipman، 1970). علاوة على ذلك، فإن توصيف البقايا الذاكرية بأنها نظائر بنيوية للخبرة الماضية يقدم ادعاءً حول كيفية عمل التمثيل الذهني، ويتجاوز هذا الادعاء الخاص الادعاء العام الذي تتطلبه النظرية السببية، وهو أن البقايا الذاكرية لا بد أن تكون تمثيلات ذهنية[7]. ولذلك، فإننا لن نفسر، فما يلي، النظرية السببية الكلاسيكية على أنها تتضمن توصيفًا للبقايا الذاكرية كنظائر بنيوية للخبرات الماضية.

إذًا، وفق النظرية السببية الكلاسيكية، فإن البقايا الذاكرية هي التي تُحدث الفرق بين مُجرد ارتباط سببي بين التمثيل الخبراتي والتمثيل الاستردادي، وما يمكن أن نشير إليه على أنه ارتباط سببي مناسب، أي: ارتباط سببي من النوع المطلوب لاعتماد التذكر.

إنَّ النظرية السببية، بعد أن ننزع منها مطلب التناظر البنيوي، تؤكد تأكيدًا تجريبيًا فيما يتعلق بوجود البقايا الذاكرية، لكنها لا تؤكد أي تقرير محدد عن الطبيعة الفيزيائية للبقايا الذاكرية، فالتفاصيل الفيزيائية لا تهم؛ وإنما ما يهم هو بعض السمات العامة جدًا. ويلتزم مارتن ودويتشر، تماشيًا مع معالجتهما للتخيل وإعادة التعلم والاحتفاظ غير الذاكراتي، برؤية البقايا الذاكرية، أولًا، كحالات states متميزة، وثانيًا، على أنها تحتوى محتويات متميزة.

فيما يتعلق بالالتزام الأول، لا بد أن تكون البقية الذاكرية حالة داخلية متميزة للمتذكر. ومن أجل تلبية هذا المطلب، يجب تمييز السلسلة السببية التي تعود إلى الخبرة عن السلاسل السببية الأخرى. ففي الأخير، لدى الناس ذكريات متعددة، وبالتالي، بقايا ذاكرية متعددة. فرورجر، في مثالنا السابق، يمتلك ذكرى

---

(7) للاطّلاع على حجة مفصلة لهذه النتيجة، انظر: Robins, 2016 a.

حضور عرض سحري، ولكن من المفترض أن لديه العديد من الذكريات الأخرى أيضًا، وتحديد ما إذا كان يتذكر العرض السحري يتطلب إثبات أن هذه السلسلة السببية المحددة قد استمرت، وتحديد ما إذا كان يتذكر خبرة أخرى - عيد ميلاده الخامس مثلًا - يتطلب إثبات وجود سلسلة سببية مختلفة، إن هذا ممكن فقط إذا كانت السلسلة التي تدعمها كل حالة داخلية متميزة، وهذا التمييز هو بمثابة علامة للتاريخ السببي الفريد لكل بقية ذاكرية الذي يصبح مهمًا بالخصوص في تأسيس الفرق بين التذكر وإعادة التعلم. قد تنتج عن التذكر وإعادة التعلم تمثيلات متشابهة تمامًا، والطريقة الوحيدة للتمييز بينهما تأتي من خلال متى وكيف اكتسب المرء العمليتين.

فيما يتعلق بالالتزام الثاني، يجب ألا يكفي أنَّ توافر البقية الذاكرية رابطًا سببيًا متميزًا عبر حالة داخلية يكون بمثابة تمثيل لتلك الخبرة، فكما في مثال التنويم المغناطيسي السابق، من الممكن أن تؤدي الجوانب الأخرى للحالة الداخلية المحفوظة إلى تمثيل لخبرة ماضية، فإذا أردنا تأسيس الفرق بين أشكال الاحتفاظ التذكرية وغير التذكرية، يجب أن تكون هناك طريقةٌ ما يمكن من خلالها تمييز البقية الذاكرية عن هذه العمليات الأخرى. لا بد أن تكون البقية الذاكرية مكوّنًا متميزًا للحالة الداخلية التي تتميز بها، ويمكن تمييزها عن جميع المكونات الأخرى التي قد تكون لهذه الحالة. يجادل مارتن وديوتشر بأن البقية الذاكرية متميزة؛ لأنها وحدها تمثل الخبرة الماضية، فمن خلال الحفاظ على المعلومات المتعلقة بذلك الحدث أو تلك الخبرة عبر الزمن، يمكن تمييز البقية الذاكرية عن الحالات الأخرى المحتفَظ بها التي قد تؤدي بطريقةٍ أو بأخرى إلى تمثيلات الخبرة، علاوة على ذلك، فمن خلال الحفاظ على المعلومات مع مرور الزمن، تمدنا البقية الذاكرية بتفسير لكيف يمكن أن يكون الاحتفاظ بمعلومات من الماضي دقيقًا.

3. النظريات السببية الكلاسيكية-الجديدة Neoclassical:

بعد خمسين عامًا من كتابة مارتن ودويتشر لعملهما، لا تزال النظرية السببية الكلاسيكية مؤثرة، ومؤخرًا جرى تطوير عدد من النظريات السببية التي يمكن وصفها بأنها كلاسيكية-جديدة. تحتفظ النظريات السببية الكلاسيكية-الجديدة بالادعاء الجوهري لنظرية مارتن ودويتشر- وهو أن الارتباط السببي المناسب (حيث يُفهم الارتباط السببي على أنه تسبيب يحدث عن طريق بقية ذاكرية) ضروري وكافٍ، بجانب الظروف المناسبة الأخرى، للذاكرة - مع تعديل بعض عناصر النظرية الأقل مركزية. تُجسد النظريات التي اقترحها: بيرنيكر Bernecker (2008، 2010) وتشينغ Cheng وفيرنينغ Werning (2016) مثالًا توضيحيًا لهذه المقاربة الكلاسيكية-الجديدة.

يقدّم بيرنيكر، من خلال عرضه حجة منهجية لتفوق النظرية السببية على النظريات غير السببية، تطويرًا تفصيليًا للنظرية السببية بروح نظرية مارتن ودويتشر. وبالتحديد، هو يفهم التسبيب المناسب على أنه تجاور، ويؤكد أن وجود سلسلة غير منقطعة من البقايا الذاكرية بين التعلم والتذكر هو ما يميز التذكر عن التخيل وإعادة التعلم. ويُحدِّث تحليل بيرنيكر أيضًا تحليلَ مارتن ودويتشر في بعض المناحي:

أولًا: هو ينكر أنَّ محتوى التمثيل الخبراتي ومحتوى التمثيل الاستردادي يجب أن يكونا متطابقين. وإنما يجب أن يكونا «متشابهين بدرجة كافية» (2010: 217)، إذ يمكن أن يتغير المحتوى بمرور الوقت (على سبيل المثال: قد يتذكر المرء في البداية أنه أُهدِي دراجة جديدة، ويتذكر لاحقًا أنه تلقى هدية فقط)، ولكن لا يمكن توليد محتوى جديد.

ثانيًا: يؤيد وجهة النظر التوزيعية فيما يتعلق بالبقايا. ومع ذلك، فعلى عكس التصورات التوزيعية للبقايا التي سنناقشها في القسم التالي، فإن وجهة نظر بيرنيكر تقول: إن البقايا تُوزَّع على المستوى التنفيذي فقط، مما يسمح بنقل المحتوى على المستوى النفسي.

تختلف مقاربة تشينغ وفيرنينغ عن مقاربة بيرنيكر في النطاق والأسلوب. فمن حيث النطاق، يناقش بيرنيكر مجموعة من أشكال الذّاكرة، منها ذاكرة الأشخاص والأشياء، وذاكرة الخصائص، وذاكرة الحقائق والقضايا، ويركز على هذه الأخيرة. ويركز تشينغ وفيرنينغ بالخصوص على ذاكرة الأحداث - وعلى نحو أدق، الذّاكرة الاستطرادية، وفهمها لهذه الذّاكرة يتماشى مع الأدبيات النفسية المتعلقة بالسفر الزمني الذهني (Suddendorf & Corballis، 1997) الذي يتضمن دورًا للذاتوية autonoesis، أو الوعي بالذات في الزمن الذاتي (Tulving، 1985)، وهو موضوع سنعود إليه في القسم الثالث. أما من حيث الأسلوب، ففي حين يعتمد بيرنيكر اعتمادًا أساسيًا على أدوات التحليل المفاهيمي، فإن مقاربة تشينغ وفيرنينغ طبيعانية في جوهرها، حيث تستند إلى البيانات المتعلقة بدور بنى محددة في الدماغ في التذكر، الحُصَين hippocampus بالأساس؛ ويسعيان، كحال ميكيليان، إلى فهم الذّاكرة كنوع طبيعي. بينما تضفي هذه المقاربة الطبيعانية درجة من الحداثة المنهجية على مقاربتهما، فإن الحداثة الحقيقية الرئيسة لنسختهما للنظرية السببية تكمن في توصيفها للتمثيلات الذاكرية على أنها تسلسلية في طبيعتها، وهو توصيف يستمدانه من فهمهما لدور العمليات الحُصَينية في التذكر (راجع Cheng, Werning, & Suddendorf، 2016). ومع ذلك، في النهاية، فإن جوهر نظريتهما - الذي يتطلب أن يكون التمثيل الاستردادي متأسسًا سببيًا على الخبرة الماضية المقابلة عن طريق بقية ذاكرية ما - مشابه لجوهر نظرية بيرنيكر، التي كما رأينا، تشبه بدورها نظرية مارتن ودويتشر.

وبناءً على ما سبق يمكن تصنيف كل من بيرنيكر (2008، 2010) وتشينغ وفيرنينغ (2016) على أنهما من منظّري النظريات السببية الكلاسيكية-الجديدة[8]، والاختلافات بين نسخهم الخاصة للنظرية السببية، وكذلك

---

(8) راجع مقارنة دويتشر (2017) بين نظرية بيرنيكر ونظرية مارتن ودويتشر التي توفر مناقشة أكثر تفصيلًا لنقاط التشابه بين النظريتين.

الاختلافات بين نسخهم من النظرية السببية ونسخة مارتن ودويتشر للنظرية، يمكن تنحيتها للأغراض الحالية. يفترض كل من منظري النظريات السببية الكلاسيكية والكلاسيكية-الجديدة ما يلي:

أولًا: يتضمن التذكر نقل المحتوى من الخبرة إلى الاسترداد.

ثانيًا: إن التذكر لا يتوافق مع توليد محتوى جديد بين الخبرة والاسترداد، ومع ذلك، فقد رفضت النسخ الحديثة الأخرى للنظرية السببية هذين الافتراضين، وسننظر في النظريات التي تنكر الافتراض الأول في القسم الخامس، وسننظر في النظريات التي ترفض الافتراض الثاني في القسم السادس.

4. النظريات الهجينة:

إذا وضعنا مسألة النقل ومسألة التوليد جانبًا مؤقتًا، فإن لنا الحق في أن نؤكد أن ادعاء مارتن ودويتشر الأساسي - وهو أن الارتباط السببي المناسب ضروري وكافٍ، مع الشروط المناسبة الأخرى - مقبول بشكل أو بآخر لدى كثير من فلاسفة الذّاكرة المعاصرين (انظر (Debus, 2017)[9] وعلى وجه الخصوص، نقول: إن الأدبيات لا تحتوي إلا قلة من الاعتراضات على الادعاء القائل: إن الارتباط السببي المناسب ضروري للذاكرة. يذكر البعض هذا الادعاء عرَضًا في أثناء التركيز على مسائل أخرى (مثلًا، Debus, 2008, 2014; Hopkins، 2014). ولا يستشهد به البعض الآخر، لكن لا يذكر أي اعتراض عليه. في المقابل، تحتوي الأدبيات عددًا من الاعتراضات على الادعاء القائل: إنَّ التسبيب المناسب كافٍ للذاكرة، وإذا صح اعتراض من هذه الاعتراضات، فسيكون من الضروري إلحاق شرط التسبيب المناسب - بجانب الشروط الأساسية الأخرى التي تتطلبها النظرية السببية - بشرط آخر، ومن ثم إنتاج نظرية هجين للتذكر.

(9) جادل البعض من أجل العودة إلى نظرية إبستيمية (انظر مثلًا: Adams، 2011)، أو حتى إلى نظرية تجريبية (Byrne، 2010) في التذكر، لكن هذه الحجج غير معتادة.

تجادل ديبوس Debus (2010، وراجع James، يصدر قريبًا)، على سبيل المثال: بأن الذكريات الحقيقية، لا تكون فقط مرتبطة سببيًا بخبرات الشّخص الماضية، وإنما أيضًا متصلة إبستيميًا بالضرورة بالشّخص، بمعنى أنه يميل إلى أخذها في الحسبان عند تكوين أحكام بشأن الماضي، ويكون ذلك عادة (لكن ليس دائمًا) من خلال تكوين اعتقاد بأن الحدث المتذكَّر قد وقع؛ ونظرًا لأن النظرية السببية الكلاسيكية لا تتعامل مع الصلة الإبستيمية بِعدِّها ضرورية للتذكر، كما تؤكد ديبوس، فلا مفر من تصنيف بعض الحالات على أنها أمثلة للذاكرة الحقيقية في حين أنها في الحقيقة مجرد أمثلة للذاكرة الظاهرية (فكِّر في حالة مارتن ودويتشر التي نُوقِشت كثيرًا، وهي عن رسام يرسم مشهدًا من ماضيه دون أن يدري أنه مشهد من ماضيه). إن هذه الحجة، إن صحت، تنطبق بالقدر ذاته على النظريات السببية الكلاسيكية-الجديدة، وهي تشير في الواقع إلى أن النظرية السببية يجب أن تحل محلها نظرية سببية-إبستيمية هجينة.

بالمثل، يجادل كلاين Klein (2014، 2015؛ وراجع Dokic، 2014) بأن الذكريات الحقيقية تتضمن بالضرورة، فضلًا عن الارتباط السببي، فينومينولوجيا محدَّدة: الوعي الذاتوي، أو الشعور بالذات في الزمن الذاتي. وعلى سبيل المثال: ناقش كلاين ونيكولز Klein and Nichols (2012، وراجع Fernndez، يصدر قريبًا) حالة المريض R.B الذي وصفاه بأنه احتفظ بالقدرة على استرداد المعلومات المستمدة من خبراته السابقة، ولكنه يفتقر إلى «شعور الامتلاك الأنوي sense of mineness» للذكريات المُنتَجة. على الرغم من أن النظرية السببية تصنف حالة المريض R.B على أنها حالة يكون فيها الشّخص قادرًا على التذكر، وهو كذلك وفق وجهة نظر كلاين، إلا أن هذا المريض عاجز عن الذّاكرة الحقيقية؛ لأنه يفتقر إلى القدرة على الذاتوية autonoesis. إن هذه الحجة، إن صحت، فإنها تنطبق بالقدر ذاته، مثل: حجة ديبوس على النسخ الأخرى للنظرية السببية التي نظرنا فيها حتى الآن، وفي الواقع تشير إلى أنه يجب إحلال نظرية سببية-ذاتوية causal-autonoetic محل النظرية السببية.

إن النظرية السببية- الذاتوية والنظرية السببية-الإبستيمية هما ابنتا عم، فكما ذكر مار وسيبرا Mahr and Csibra (يصدر قريبًا)، فإن تضمين الذاتوية في التذكر يفسر ميل الفرد إلى الاعتقاد بأن الأحداث المتذكَّرة قد وقعت فعلًا. وبالتالي، فإن النظريتين مُعرَّضتان لطعنات متشابهة. وعلى وجه الخصوص، تشير كل من النظرية السببية-الذاتوية والنظرية السببية-الإبستيمية إلى أن الذَّاكرة الدلالية (ذاكرة الوقائع) تختلف اختلافًا جذريًا في النوع عن الذَّاكرة الاستطرادية (ذاكرة الأحداث المختبَرة) (Michaelian، 2015)، مما يشير إلى أنهما يدمجان بين مطلب الاستطراد episodicity (Perrin & Rousset، 2014) ومطلب الذاكراتية mnemicity (Michaelian & Sutton، 2017). حتى إذا اتضح أن الصلة الذاتوية أو الإبتسيمية مطلبًا للذاكراتية، فإنه لن يبدو أن هناك ما يمنع المدافع عن نسخة محددة من النظرية السببية (أو نظرية محددة ما بعد سببية، انظر القسم السادس) من إضافة شرط مناسب لنظريته. لذلك سنضع النظريات الهجينة جانبًا فيما يلي.

5. النظريات السببية التوزيعية والإجرائية:

على الرغم من أن النظرية السببية التوزيعية تقبل كفاية التسبيب المناسب، إلَّا أنَّ هناك معقولية ما في القول: إنها أشد جذرية في الانحراف عن النظرية السببية الكلاسيكية من النظريات الهجينة. إذ يضع منظّرو النظريات الهجينة شروطًا على التذكر جانب شرط التسبيب المناسب. أما منظّرو السببية التوزيعية، فيتخذون مسارًا مختلفًا، حيث يُعدّلون مفهوم البقية الذاكرية، بحيث يمكن القول: إنَّ شرط التسبيب المناسب لم يعد من الممكن فهمه على أنه يتطلب نقل المحتوى من الخبرة إلى الاسترداد. نقول: "يمكن القول"؛ لأن منظّري السببية التوزيعية لم يكونوا دائمًا واضحين بشأن ما إذا كانوا ينكرون أن التسبيب المناسب ينطوي على نقل المحتوى. في الواقع تحتوي الأدبيات صياغة مفصلة للنظرية السببية التوزيعية، وقد قدم ساتون Sutton (1998، 2010) تقريرًا تفصيليًا عن المفهوم التوزيعي للبقايا، لكنه لم يتحدث تقريبًا عن كيفية دمج هذا المفهوم مع النظرية السببية. وفي حوالي ذلك، طور بيرنيكر (2010) و ميكيليان (2011) نسختين

مفصلتين من النظرية السببية تؤيدان البقايا الموزعة من حيث المبدأ، لكن المؤلفَيْن لم يتحدثا بقدرٍ كبير عن مفاهيمهما التوزيعية للبقايا.

على الرغم من هذه الفجوة في الأدبيات، إلا أنه لا يُختَلف على أن مصدر إلهام نظرية السببية التوزيعية يأتي بالأساس من المجادلات والتطورات المتعلقة بطبيعة التمثيل الذهني بشكل أعم. وبقدر ما أثرت النظرة العامة للتمثيل الذهني بِعدِّه نظيرًا بنيويًا على تقرير مارتن ودويتشر للبقايا بِعدِّها نظائر ذهنية للخبرة، تأثر مؤيدو المفاهيم التوزيعية للبقايا بالرؤى الارتباطية والديناميكية والتوزيعية للتمثيل الذهني.

يتضمن المفهوم التقليدي للبقايا محتويات ثابتة وصريحة تحملها حاملات محلية متميزة، وقد تكون الحاملات المعنية توزيعية بمعنى أنها كيانات معقدة تُخزَّن أجزاؤها في مواقع مختلفة، ولكنها محلية بمعنى أن كل محتوى ذاكري يُنقَل بحامل متميز. يتحدى مؤيد المفاهيم التوزيعية مصفوفة الأفكار هذه، بحجة أنه يجب علينا التخلي عن بعض سمات المفهوم التقليدي على الأقل.

يُعَدُّ تقرير ساتون عن البقايا التوزيعية أقرب ما يكون إلى الرفض الكامل للمفهوم التقليدي، فالذكريات، كما يقول: «تُمزَج، ولا تُوضَع على نحو مستقل مرة واحدة وإلى الأبد، ويُعاد بناؤها وليس يُعاد إنتاجها» (1998: 2). وعلى هذا التقرير، تُعد ذاكرة الشّخص عبارة عن شبكة تُوصَّل فيها عناصر مختلفة من المعلومات كدالة لتردد حدوث هذه العناصر في خبرة ذلك الشّخص، وتُنشط كلُّ خبرة نمطًا محددًا في الشبكة، لكن الأنماط تتداخل بطريقة تقصي محتويات أو حاملات مميزة. إن صح هذا الرأي، فقد نتمكن من الإحالة إلى البقايا الذاكرية بمعنى فضفاض؛ نظرًا لأن خبرة محددة ما ستؤدي إلى تعديل محدد للاتصالات في الشبكة، لكن هذه البقايا هي بقايا من النوع الذي يتطلب منا رفض الالتزامين الرئيسين للنظريات السببية الكلاسيكية (الجديدة) (الموضحة في القسم الثاني)، فلا توجد بقايا بمعنى حاملات متميزة تحمل محتويات متميزة؛ ونظرًا للفجوة الموجودة في الأدبيات المذكورة سابقًا، لا يزال من غير الواضح، في

ضوء حقيقة أن السببية التوزيعية ترفض هذين الالتزامين، كيف يمكن لمنظّري السببية التوزيعية أن يمدونا بفهم لطبيعة الارتباط السببي الذي يقولون به بين الذكريات والخبرات الاستردادية، وهناك حاجة ملحة لمزيد من العمل من أجل هذا السّؤال.

كان بعض المنظّرين السببيين التوزيعيين أقل تحديدًا بشأن طبيعة البقايا الذاكرية، لكنهم حاولوا التوفيق بين المفهوم التوزيعي للبقايا وشرط التسبيب المناسب، ويرفض هؤلاء المؤلفون الافتراض الكلاسيكي (الجديد) القائل: إن التذكر يتضمن نقل المحتوى من الخبرة إلى الاسترداد، وبدلًا من ذلك يؤكدون أن المحتوى ترميمي في وقت الاسترداد. إن القول: إن التذكر ترميمي، وليس توليديًا، يعني أن محتوى التمثيل المسترَد، جزئيًا على الأقل، يُنتَج في وقت الاسترداد، لا أنه يُنقَل من الخبرة المقابلة. هناك إجماع طويل الأمد في الأدبيات التجريبية على أن التذكر ترميمي بهذا المعنى (انظر على سبيل المثال: Schacter & Addis, 2007; Schacter et al.، 2012). قد يكون الرد المحتمل على الطابع الترميمي للتذكر هو الاستمرار في فهم البقايا ككيانات متميزة، لكن مع القول: إن محتواها ضمني بمعنى أنه يجب تنشيطه أو جعله صريحًا في وقت الاسترداد (انظر Vosgerau، 2010). هناك رد محتمل آخر من خلال النظرية السببية الإجرائية التي طورها بيرين Perrin (في هذا المجلد).

تنكر النظرية السببية الإجرائية صراحة أن التذكر ينطوي على نقل المحتوى.

يُبقي بيرين على نسخة عامة من الادعاء الأساسي للنظرية السببية - وهو أن الارتباط السببي المناسب ضروري جانب الشروط المناسبة الأخرى، لكنه يفهمه بطريقةٍ مختلفة جذريًا عن منظّري السببية الكلاسيكية (الجديدة)، فبينما يفهم منظرو السببية الكلاسيكية (الجديدة) الارتباط السببي على أنه نقل المحتوى عبر البقايا الذاكرية، فإن المنظّرين السببيين الإجرائيين يستعملون الطابع الترميمي للذاكرة لتقويض هذا الفهم للسببية في الذّاكرة، ويقترح بيرين فهمًا بديلًا لطبيعة السببية في الذّاكرة، وهو مستوحى من المقاربات الإسنادية attributionalist

القديمة في علم النفس (انظر مثلًا: Kolers & Roediger, 1984; Jacoby &Whitehouse, 1989; Whittlesea، 1997)، والفكرة الرئيسة هي أنه، بدلًا من أن يكون محتوى التمثيل الاستردادي مرتبطًا سببيًا بمحتوى الخبرة المقابلة، تكون العملية التي تُنتج التمثيل الاستردادي مرتبطة بالعملية التي أنتجت الخبرة المقابلة. ومن خلال تبني الرأي القائل: إن الإدراك[10] في حد ذاته عملية بنائية، يكون اقتراح بيرين هو أن العملية البنائية للإدراك قد تحمل بعض أوجه التشابه مع عملية التذكر الترميمية، وبالتالي، تؤدي إلى درجة من الطلاقة في هذه الأخيرة - فمن الأسهل بشكل عام أن يعيد المرء بناء مشهد قام ببنائه مسبقًا - على الرغم من حقيقة عدم نقل أي محتوى.

ربما تنجح النظرية السببية الإجرائية في تقديم وصف لنوع الارتباط السببي الذي يمكن أن يتحقق بين الخبرة والاسترداد على الرغم من حقيقة عدم نقل أي محتوى من الخبرة إلى الاسترداد، لكنها لمّا تُقدم بعد وصفًا لكيف يكون هذا الارتباط السببي مناسبًا. وبينما تكون هذه المشكلة محتملة، ربما يكون السّؤال الأكثر إلحاحًا لكل من المنظّرين الإجرائيين والتوزيعيين السببيين هو ما إذا كانوا يقصدون أن يبقوا على الافتراض الكلاسيكي (الجديد) الذي مفاده أن التذكر لا يتوافق مع توليد محتوى جديد بين الخبرة والاسترداد. بالطبع، بمعنى من المعاني تعترف النظريات السببية التوزيعية والإجرائية بالضرورة بأن التذكر ينطوي على توليد محتوى؛ لأنها تزعم أن المحتوى الآتي من الخبرة السابقة يُحتفَظ به ضمنيًا فقط في أحسن الأحوال، الأمر الذي يعني أنه لا بد من "إعادة توليد" المحتوى في وقت الاسترداد، لكن هذا لا يعني سوى القول: إن هذه النظريات تنكر ما يمكن تسميته: "النقلية transmissionism"، وهي وجهة النظر القائلة: إن المحتوى (الصريح) يُخزَّن بين الخبرة والاسترداد، وبمعنى آخر - وهذا هو

---

(10) أحتفظ بكلمة "إدراك" في مواضع هذا الكتاب كافة للإدراك الحسي، و"الإدراك الحسي" هي الترجمة الصحيحة لكلمة "perception"، لكن أعرضت عن الترجمة بكلمتين؛ لأنه أحيانًا يذكر كُتّاب هذا العمل الصفة منها مصحوبة بنعوت أخرى، فيطول الكلام جدًا. عمومًا بهذا الاحتفاظ يسهل على القارئ التعرف عليها في أي موضع (المترجم).

المعنى المهم هنا - قد تنكر هذه النظريات أن التذكر ينطوي على توليد محتوى؛ لأن من المسموح لهم إنكار أن المحتوى الاستردادي "المُعاد توليده" قد يتضمن معلومات تتجاوز المعلومات الموجودة في الخبرة. أي: إنه من المتاح لهم قبول "الحفظانية preservationism"، وهي وجهة النظر القائلة: إن التمثيل الاسترادادي قد لا يتضمن محتوى غير متضمن في الخبرة الأصلية.

إن النسخ الأكثر تقليدية من النظريات سوف تقبل بالحفظانية، لكن يمكن توحيد النظريات السببية التوزيعية والإجرائية الأساسية بمجموعة من الرؤى المتعلقة بتوليد المحتوى. وكلما أصبحت الرؤى أكثر تطرفًا، زاد احتمال رفضها للالتزامات الأساسية للنظرية السببية. والرأي الأكثر تقليدية المتاح هو أن محتوى التمثيل الاستردادي يُماهي محتوى التمثيل الخبراتي.

إنَّ هذا الشكل المتطرف من الحفظانية غير متوافق مع حدوث النسيان، ويجب ألا يُؤخذ على محمل الجد، أما وجهة النظر الوسيطة، فتقول: إن محتوى التمثيل الاستردادي يجب أن يحتويه، أو يتضمنه implied بمعنى ما، محتوى التمثيل الخبراتي. يتوافق هذا الشكل للحفظانية الأكثر اعتدالًا مع حدوث النسيان، ولكن ليس مع توليد محتوى جديد بين الخبرة والاسترداد، وقد قال به البعض صراحة (على سبيل المثال: Bernecker, 2008, 2010; Cheng & Werning، 2016) وافترضه ضمنيًا آخرون كثر، وفي حين من الممكن دائمًا من حيث المبدأ التمسك بالحفظانية من خلال إثراء محتوى الخبرة (McCarroll، 2017)، سنرى لاحقًا أن هناك توترًا حقيقيًا بين الشكل المعتدل للحفظانية حتى والطابع الترميمي للتذكر، الأمر الذي يشير إلى شكل من أشكال التوليدية generationism الذي وفقه قد يتضمن محتوى التمثيل الاستردادي بالفعل معلومات غير مدرجة في محتوى التمثيل الخبراتي[11].

---

(11) تشير "الحفظانية" أحيانًا إلى الرأي القائل: إن الذّاكرة تحافظ على التبرير، على عكس الرأي القائل: إنها تحافظ على المحتوى (انظر: Lackey, 2005; Fernández, 2016؛ Frise، يصدر قريبًا). نحن هنا لا نهتم بهذا الشكل من أشكال الحفظانية ولا بالشكل المقابل للتوليدية.

6. النظريات ما بعد السببية:

كما رأينا في القسم الرابع، يُطعَن في كفاية التسبيب المناسب من خلال النظريات الهجينة على أسس فينومينولوجية أو إبستيمية.

ينشأ نوع مختلف من الطعن في كفاية التسبيب المناسب من الطابع الترميمي للتذكر، أي: بسبب حقيقة أن محتوى التمثيلات الاستردادية، على الأقل جزئيًا، يُنتَج في وقت الاسترداد، بدلًا من أن يُستمَد من محتوى الخبرة المقابلة. في الواقع الترميم لا يتحدى فقط كفاية التسبيب المناسب، وإنما يتحدى أيضًا ضرورتها، وبالتالي، أدى إلى ظهور نظريات يمكن وصفها بأنها: "ما بعد السببية"، بمعنى أنها تدّعي أن الارتباط السببي - سواء أكان "مناسبًا" أم غير مناسب - ليس ضروريًا للذاكرة، حتى إن كان من المعترف به انحدارها من النظرية السببية. في الواقع النظريات ما بعد السببية تعامل الذّاكرة على أنها قدرة سانكرونية synchronic لا قدرة دياكرونية، بمعنى: أنها ترى أن حدوث التذكر يعتمد على ما يحدث عندما يتذكر الشّخص (ظاهريًا)، وليس على ما إذا كانت هناك علاقة مناسبة بين التمثيل الاستردادي لدى الشّخص وتمثيله الخبراتي، وبالتالي، فإنها تتجاوز حتمًا النظرية السببية، على عكس النظريات الهجينة.

إحدى النظريات ما بعد السببية المثيرة للاهتمام هي النظرية الوظيفية التي يقدمها فرناندز (في هذا الكتاب) كبديل لكل من النظرية السببية والنظرية السردية للذاكرة (على سبيل المثال: Schechtman, 1994; Goldie, 2012; Brockmeier، 2015).

يجادل فرناندز بأن النظرية السببية ضيقة للغاية، حيث إنها غير متوافقة مع توليد محتوى جديد في أثناء التذكر الترميمي، وضعيفة للغاية، حيث إنها تتجاهل ميل الذّاكرة (ما تؤكده النظريات الهجينة) إلى إثارة الاعتقاد. كما يجادل بأن نظرية السرد - التي تؤكد إعادة البناء، وترى التذكر كعملية تخيلية يعتمد فيها الشّخص على المعلومات المخزنة المستمدة من خبراته جانب المعلومات

المستمدة من مصادر أخرى، من أجل خلق سرديات عن ماضيه - ضيقة للغاية؛ حيث إنها لا تعترف بإمكانية وجود ذكريات غير مضمنة في السرديات، وضعيفة للغاية، إذ إنها لا تعترف بأي دور على الإطلاق للتاريخ السببي للذكريات.

إن البديل الذي يقدمه فردناندز هو نظرية يمكن من خلالها عد الحالة الذهنية ذاكرة فقط في حالة أنها تؤدي الدور الوظيفي الذي تؤديه الذكريات عادة، حيث يكون هذا الدور، أولًا: أن تميل إلى التسبب في الاعتقاد، وثانيًا: أن تكون مسبَّبة عن الخبرة الماضية. والأهم في النظرية الوظيفية، في السياق الحالي، هو الادعاء الثاني من هذين الادعائين، بينما تتطلب النظرية الوظيفية أنه من أجل أن تُعد الحالة الذهنية ذاكرة لا بد أن تميل إلى أن تكون مسبَّبة عن خبرة الشّخص السابقة للحدث المتذكَّر، فإنها لا تتطلب أن تكون الحالة الذهنية مسبَّبة بالفعل بتلك الخبرة. وهكذا ترفض النظرية الوظيفية الادعاء الأساسي للنظرية السببية.

يمكن فهم الادعاء الثاني للوظيفي، فيما يتعلق بالرابط بين الذَّاكرة والاعتقاد، على أنه يتعلق بالاستطراد وليس بالذاكراتية، اتساقًا مع مناقشتنا السابقة للنظرية السببية-الإبستيمية. ومن ثم إذا تجاهلنا هذا الادعاء، فإن نظرية فرناندز الوظيفية ونظريات المحاكاة التي طورها مؤخرًا عدد من المؤلفين (Shanton & Goldman, 2010; De Brigard, 2014a; Michaelian، 2016) تتوصل إلى استنتاجات متشابهة إلى حد كبير حول طبيعة التذكر. ومع ذلك، فإن المسار الذي يسلكه منظّر نظرية المحاكاة أقل مباشرة إلى حدٍّ ما، حيث ينطوي على دراسة دقيقة لدور البقايا في التذكر. وقد يُعتقد، بالنظر إلى الارتباط بين إعادة البناء والنظريات التوزيعية/ الإجرائية، أن نظريات البقايا المحلية يمكن أن تتجنب التحدي الذي تشكله إعادة البناء، لكن في الواقع النظرية السببية لا يمكن حمايتها بالانسحاب إلى المفهوم المحلي. ومع ذلك، كما ذكرنا سابقًا، جرى تبني المفهوم التوزيعي في كثير من الحالات بمعنى شكلي فقط، إذ اقتنع معظم فلاسفة الذَّاكرة من حيث المبدأ بالحجج المؤيدة للمفهوم التوزيعي. وحتى إذا لم يقتنع البعض بهذه الحجج واستمروا بعد تفكير مليّ في العمل بالمفهوم

المحلي، فإنهم مع ذلك ملزمون بالاعتراف بالطابع الترميمي للتذكر ضمن معايير المفهوم المحلي؛ نظرًا إلى ثقل الأدلة التي لصالحه. وبالتالي، فهذا التحدي لا بد أن يواجه جميع أصحاب النظريات السببية.

هل وجود ارتباط سببي مناسب بين التمثيل الاستردادي والتمثيل الخبراتي كافٍ للتذكر، بالنظر إلى المفهوم المحلي للبقايا؟ في ضوء إعادة البناء، يجب على مُنظِّر البقية المحلية أن يعترف بما يمكن أن نشير إليه على أنه "حقيقة الخبرات المتعددة" فقد تسهم الخبرات المتعددة في محتوى بقية مخزَّنة فرديًا، ويجب على هذا المُنظِّر أيضًا أن يعترف بما يمكن أن نشير إليه على أنه "حقيقة البقايا المتعددة" فالبقايا المتعددة قد تسهم في محتوى تمثيل مُسترَد فرديًا.

تشير هذه الحقائق معًا إلى أنه إذا كان التمثيل الاستردادي المحدد مرتبطًا سببيًا على نحو مناسب بخبرة محددة، فقد يكون أيضًا مرتبطًا سببًا على نحو مناسب بخبرات أخرى. وبالتالي، فإن وجود ارتباط سببي مناسب لا يكفي لتحديد ما إذا كان الشّخص يتذكر حدثًا محددًا، في ضوء المفهوم المحلي.

هل وجود ارتباط سببي مناسب بين التمثيل الاستردادي والتمثيل الخبراتي كافٍ للتذكر، في ضوء المفهوم التوزيعي للبقايا؟ في ضوء المفهوم التوزيعي، فإن الاستردادي هو مسألة تنشيط أفكار محددة - تقاطعات في شبكة أكبر من الأفكار - معًا. ومع ذلك، فإن الميل إلى تنشيط أفكار محددة معًا لا يُعزى إلى حدث فريد؛ نظرًا لأن أوزان الارتباط ذات الصلة قد تأثرت حتمًا بخبرات متعددة (Robins, 2016b). كما لا يُوجد أي ضمان بأن تمثيلًا استرداديًا محددًا يطابق تمثيلًا خبراتيًا فريدًا، فكما هو مذكور في القسم الخامس، ليس من الواضح تمامًا كيف يمكن فهم فكرة التسبيب المناسب من قِبل منظّري البقايا التوزيعية. ولكن بصرف النظر عن طريقة فهمها، يبدو أن المفهوم التوزيعي يعني أنه إذا كان تمثيل استردادي مرتبطًا سببيًا على نحو مناسب بخبرة محددة، فقد يكون أيضًا مرتبطًا سببيًا على نحو مناسب بخبرات أخرى، وبالتالي، فإنَّ وجود ارتباط سببي مناسب لا يكفي لتحديد ما إذا كان الشّخص يتذكر حدثًا محددًا، في ضوء المفهوم التوزيعي.

إذا كان التسبيب المناسب لم يفشل إلا في أن يكون كافيًا للذاكرة، فسيكون من الممكن الإبقاء على النظرية السببية بدمج شرط إضافي، على طريقة النظريات الهجينة التي ناقشناها في القسم الثالث. لكن يبدو أن إعادة البناء لا تقوض كفاية التسبيب المناسب فحسب، وإنما تقوض ضرورتها أيضًا. بدءًا من المفهوم المحلي للبقايا، فإن حقيقة الخبرات المتعددة وحقيقة البقايا المتعددة معًا تعنيان ضمنيًا أن محتوى التمثيل الاستردادي لن يُشتَق عادة بالكامل من محتوى الخبرة الماضية ذات الصلة. إذ في بعض الحالات، قد يجرى اشتقاق غالبية المحتوى. لكن في حالات أخرى لا يُشتَق إلا قدر صغير من المحتوى بهذه الطريقة. وفي بعض الحالات لا يُشتَق أي قدر من المحتوى بهذه الطريقة. وبالطبع طالما أن قدرًا من المحتوى يُشتَق من الخبرة، فإن ارتباط سببي ما يتحقق، ومن المعقول حدسيًا أن يكون هناك اختلاف في النوع بين هذه الحالات والحالات التي لا يُشتَق فيها أي قدر من المحتوى من الخبرة. وعلى أساس هذا الحدس، جادل ميكيليان (2011 a) لصالح نظرية سببية بنائية، وهي نظرية تشبه النظرية السببية من حيث إنها تتطلب نقل المحتوى من الخبرة إلى الاسترداد (قبول النقلية)، وتخالفها في أنها تسمح بتوليد محتوى جديد بين الخبرة والاسترداد (رفض الحفظانية وقبول التوليدية).

دافعت روبينز (Robins 2016a) التي تسعى أيضًا إلى الإبقاء على النظرية السببية مع الإقرار بالطابع الترميمي للتذكر، عن مقاربة مشابهة إلى حد كبير. ومع ذلك، فبينما المقاربات السببية البنائية توفر وسيلة جذابة للتوفيق بين النظرية السببية وإعادة البناء، فإن البحث التجريبي حول إعادة البناء يشير، كما ذكر ميكيليان في عمل لاحق (2016 c)، إلى أن العملية المعرفانية ذاتها قد تحدث في كل من الحالات التي يُنقَل فيها بعض المحتوى من الخبرة والحالات التي لا يُنقَل فيها أي محتوى. وهذا بدوره يعني، في ضوء المفهوم المحلي للبقايا، أن الارتباط السببي لا يحدد الفرق بين الذّاكرة الحقيقية والذّاكرة الظاهرية فقط. إذا انتقلنا إلى المفهوم التوزيعي للبقايا نجد مضمونًا مشابهًا. إذ نظرًا للطبيعة المزجية للتخزين التوزيعي، لا تُنشَّط كل الأفكار التي تؤلف ذاكرة استردادية محددة؛

بسبب الخبرة السابقة ذات الصلة. في بعض الحالات قد تُنشَّط غالبية الأفكار بسبب الخبرة السابقة، لكن في بعض الحالات لا تُنشَّط إلا قلة من الأفكار، وفي بعض الحالات لا تُنشَّط أي أفكار. ومع ذلك، لا يُوجَد سبب لافتراض وجود اختلاف في النوع بين الحالات التي لا تُنشَّط فيها أي فكرة من هذه الأفكار؛ بسبب الخبرة السابقة ذات الصلة والحالات التي تُنشَّط فيها بعضها فقط - إذ في كل هذه الحالات قد تحدث العملية ذاتها. وهذا يعني، في ضوء المفهوم التوزيعي للبقايا، أن الارتباط السببي لا يحدد الفرق بين الذَّاكرة الحقيقية والذَّاكرة الظاهرية فقط.

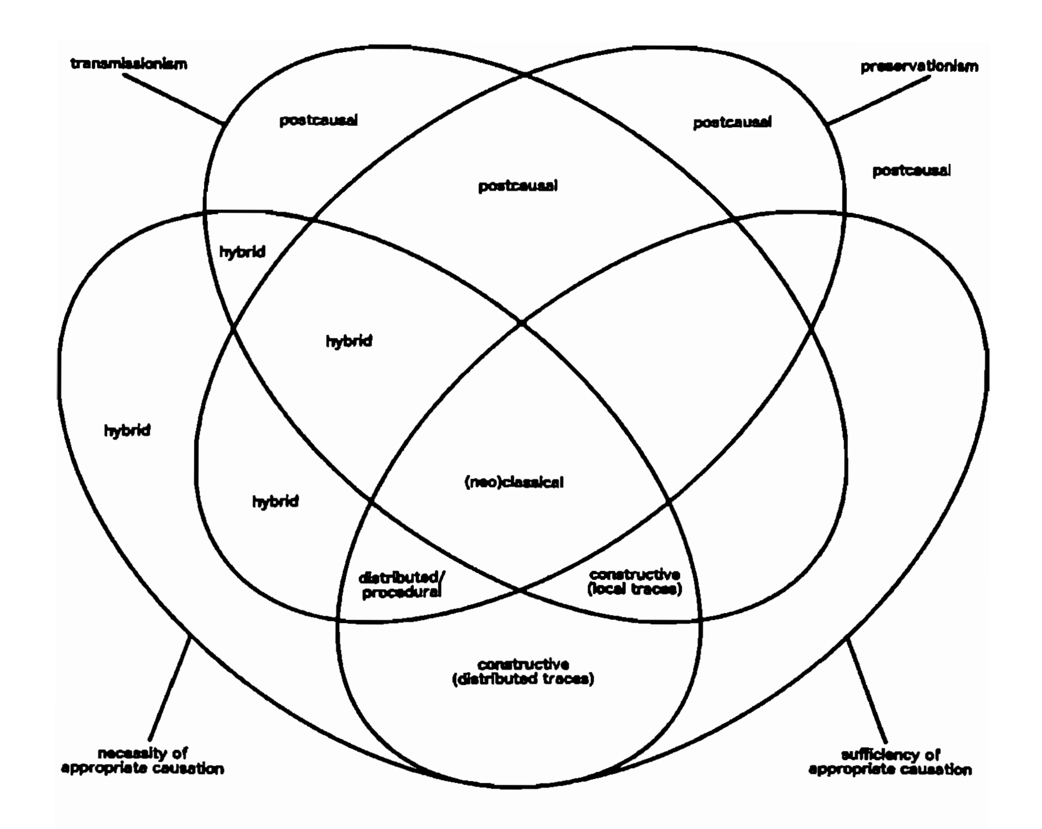
ربما يعترض المنظِّر السببي التوزيعي أو الإجرائي على أن هذه الحجة تفترض مسبقًا النقلية التي ترفضها النظريات التوزيعية والإجرائية. وستكون الفكرة هي أن النظرية التوزيعية/ الإجرائية يمكن أن ترفض النقلية، لكنها تقبل إما الحفظانية وإما نسخة معتدلة من التوليدية التي وفقها يجب أن تكون هناك درجة من التّداخل بين محتوى التمثيل الاستردادي ومحتوى التمثيل السابق من أجل حدوث التذكر الحقيقي. وحينئذٍ يمكن للمنظِّر التوزيعي/ الإجرائي أن يؤكد أن التذكر الحقيقي يحدث فقط إذا كان هناك، أولًا: هذا التّداخل، وثانيًا: أن يكون هذا التّداخل ناتجًا عن وجود ارتباط سببي مناسب، يُفهَم على نحو غير نقلي. في حين أن هذا اعتراض مثير للاهتمام، إلا أنه يفترض أنه يمكن صياغة تقرير مقنع غير نقلي للسببية المناسبة، ولا يزال يتعين القيام بذلك. إن الحجة المقدمة سابقًا لا تفترض مسبقًا النقلية، لكنها تراهن على أنه لن يكون هناك فرق مثير للاهتمام بين الحالات التي تُنشَّط فيها بعض الأفكار ذات الصلة على الأقل؛ بسبب الخبرة السابقة والحالات التي لا تُنشَّط فيها أي منها؛ بسبب الخبرة السابقة.

اقترح ميكيليان كرد على هذه الصعوبات التي تواجه النظرية السببية البنائية، نظرية المحاكاة في التذكر، والفكرة الرئيسة لها، على عكس الافتراض الأساسي للمُنظِّر السببي، هي أنه لا يُوجد فرق بين تذكر الماضي وتخيله، وفي هذه الحالة لا تفترض الذَّاكرة وجود ارتباط سببي - فالتذكر ليس سوى تخيل

الماضي. وقد طور دي بريغارد (De Brigard 2014a) وجهة نظر مشابهة، على الرغم من أنه أقل وضوحًا بشأن موقفه من ضرورة الارتباط السببي، حيث تعامل مع الذّاكرة الاستطرادية كشكل من أشكال التّفكير الافتراضي الاستطرادي، أو التّفكير في الأحداث المحتملة. وبالمثل، جادل شانتون وغولدمان Shanton and Goldman (2010) بأن التذكر يجب أن يُفهم محاكاتيًا، ويربطان بين التذكر ونظرية الذهن. يأتي الدليل على نظرية المحاكاة من البحث في الذّاكرة الاستطرادية كشكل من أشكال السفر الذهني الزمني يشبه الفكر المستقبلي الاستطرادي (Suddendorf & Corballis، 1997). هناك عدد كبير من الأبحاث الآن يدعم وجهة النظر القائلة: إن عملية تذكر الماضي تُنفَّذ بالنظام المعرفاني ذاته لعملية تخيل المستقبل، وفي الواقع تخيل المستقبل هو الوظيفة الأساسية للنظام المعني (انظر Michaelian, Klein, & Szpunar، 2016). يعتمد كل من تخيل المستقبل وتذكر الماضي على المحتوى المخزن الناشئ عن خبرة الأحداث الماضية. وبالطبع لا يعتمد تخيل حدث مستقبلي على المحتوى الناشئ عن خبرة الحدث المحدد المتخيَّل. على المنوال ذاته، يشير نموذج السفر الذهني الزمني إلى أن تذكر حدث سابق لا يعتمد بالضرورة على المحتوى الناشئ عن خبرة الحدث المحدد المتذكَّر. يُتذكَّر. ومن وجهة نظر طبيعية بصورةٍ عامة، يشير هذا بدوره إلى أن التذكر لا يفترض مسبقًا وجود ارتباط سببي.

إذا كان التذكر لا يفترض مسبقًا وجود ارتباط سببي، فمن باب الأولى أنه لا يفترض مسبقًا وجود ارتباط سببي مناسب. لكن هذا لا يعني أن عملية تخيل الماضي لا يمكن أن تكون في حد ذاتها مناسبة أو غير مناسبة، فإذا تخيل الشّخص الماضي على نحو خاطئ، فإن التمثيل الذي ينتجه قد لا يُعد ذاكرة، حتى لو صادف أنه دقيق. ليس فقط منظّرو المحاكاة هم الذين يعترفون بأن الذكريات قد تكون جزئيًا نتاجًا للتخيل، حتى لو أنكروا أنها يمكن أن تكون بالكامل نتاجًا للخيال، وبالتالي، يجب أن يقدموا تقريرًا عن تناسب عملية تخيل الماضي، وإنما يقول بذلك أيضًا مُنظّرو السببية البنائية. ولذلك، فإن نسخة ميكيليان من النظرية السببية البنائية تتضمن شرطًا للموثوقية - شرط يتطلب أن

يعمل النظام بطريقة تميل إلى إنتاج تمثيلات دقيقة في الغالب - وهذا الشرط موروث من نسخة ميكيليان لنظرية المحاكاة، ومفاده، بدقيق القول، هو أن تذكر حدث ماضي يعني تخيله على نحو موثوق. إن شرط الموثوقية يمكّن نظرية المحاكاة من التمييز بين التذكر الذي يُفهم على أنه تخيل الماضي، وبين التخريف والطرق الأخرى للتخيل المحض للماضي. يبقى أن نرى ما إذا كانت تجب إضافة شروط أخرى إلى نظرية المحاكاة؛ لتمكينها من التمييز بين: التذكر وإعادة التعلم، وبين التذكر والاحتفاظ غير الذاكري.



الحفظانية preservationism

النظريات ما بعد السببية postcausal

النظريات الكلاسيكية (الجديدة) (neo classical)

النظريات الهجينة hybrid

النقلية transmissionism

البنائية (البقايا المحلية) (constructive local traces)

البنائية (البقايا التوزيعية) (constructive distributed traces)

التوزيعية/ الإجرائية distributed/procedural

كفاية التسبيب المناسب sufficiency of appropriate causation

ضرورة التسبيب المناسب necessity of appropriate causation

الشكل 1.1 العلاقات بين النظريات السببية وما بعد السببية:

تقول النظريات السببية الكلاسيكية (الجديدة) (Martin & Deutscher, 1966; Bernecker, 2008, 2010; Cheng & Werning، 2016): إنَّ التسبيب المناسب ضروري وكافٍ معًا للتذكر ويؤيد النقلية والتوليدية.

تتفق النظريات السببية التوزيعية والإجرائية (Perrin؛ Sutton, 1998، في هذا المجلد) مع النظريات السببية الكلاسيكية (الجديدة) في أن التسبيب المناسب ضروري وكافٍ معًا للتذكر، لكن مفهومها التوزيعي للبقايا يقودها إلى رفض النقلية. بالمثل تقبل النظريات السببية البنائية (Michaelian, 2011; Robins, 2016b) أن التسبيب المناسب ضروري وكافٍ معًا للتذكر، لكن وجهة نظرها البنائية بشأن التذكر تقودها إلى رفض الحفظانية، ووجهة النظر البنائية تتوافق مع كل من المفاهيم المحلية والتوزيعية للبقايا. تحيد النظريات السببية الهجينة، أي: النظريات الإبستيمية-السببية (Debus، 2010) والنظريات الذاتوية-السببية (Dokic, 2014; Klein، 2015) عن التقليد السببي إلى حدٍّ ما، حيث إنها تقول: إن التسبيب المناسب ضروري، لكن ليس كافيًا للتذكر، ولا تتخذ هذه النظريات موقفًا صريحًا فيما يتعلق بالنقلية أو الحفظانية، ولا يزال يتعين استكشاف إمكان نجاح الرؤى المختلفة في هذه المساحة. تُحدث النظريات ما بعد السببية التي تتضمن النظرية الوظيفية (Fernndez، هذا المجلد) ونظرية المحاكاة (Michaelian, 2016c; cf. De Brigard, 2014a and Shanton & Goldman، 2010) قطيعة حاسمة مع التقليد السببي بالقول: إن التسبيب المناسب ليس ضروريًا ولا كافيًا للتذكر. لا تتخذ النظرية الوظيفية موقفًا صريحًا مؤيدًا أو معارضًا للنقلية أو الحفظانية. وترفض نظرية المحاكاة صراحة الحفظانية، لكن يمكن دمجها من حيث المبدأ، مثل النظرية السببية البنائية، إما مع مفهوم محلي وإما مفهوم توزيعي للبقايا، وبالتالي، قد ترفض أو لا ترفض النقلية. وهناك نظريات أخرى: من حيث المبدأ يمكن تقديم وصف للنظريات التي تؤكد أن التسبيب المناسب كافٍ، ولكن ليس ضروريًا للتذكر، لكن الدافع وراء هذه النظريات غير واضح، ولم تُقترح أي نظرية منها حتى الآن.

7. الخلاصة:

بعد مرور خمسين عامًا على عمل مارتن ودويتشر، واصلت النظريات السببية من مختلف الأنواع - الكلاسيكية-الجديدة، والهجينة، والتوزيعية/ الإجرائية - هيمنتها على المشهد في فلسفة الذَّاكرة (انظر الشكل 1,1). من الواضح أن المجال ككل لم يتجاوز على نحو حاسم النظرية السببية. ومع ذلك، فإن ظهور نظريات ما بعد السببية يشير إلى زيادة الوعي بالتعارض بين النظرية السببية والطابع الترميمي للتذكر. بالطبع، في حين أن النظريات ما بعد السببية قد تكون أكثر ملاءمة من النظريات السببية لاستيعاب الطابع الترميمي للتذكر، فإنها ستواجه حتمًا بعض الاعتراضات.

إن النظرية الوظيفية جديدة بدرجة لا تسمح بظهور اعتراضات عليها، لكن الاعتراضات الموجهة إلى نظرية المحاكاة - التي تركز على النظرة "الاستمرارية continuist" للسفر الزمني الذهني الموجه نحو الماضي والمستقبل التي تفترضها مسبقًا (Perrin, 2016; Michaelian, 2016a; Perrin & Michaelian، 2017) وتركز على قدرتها على التمييز بين التذكر والتذكر الخاطئ أو التخريف (Robins, 2016b; Michaelian, 2016b؛ Robins، يصدر قريبًا) - قد وجدت بالفعل من يعبّر عنها. إن الزمن كفيل بتحديد ما إذا كان منظّرو النظريات ما بعد السببية قادرين على التعامل مع هذه الاعتراضات وغيرها، وإقناع عدد كبير من فلاسفة الذّاكرة بتجاوز النظرية السببية.

المراجع:

Adams, F. (2011). Husker du? *Philosophical Studies*, *153*(1), 81-94.

Bernecker, S. (2008). *The metaphysics of memory*. New York: Springer.

Bernecker, S. (2010). *Memory: A philosophical study*. Oxford: Oxford University Press.

Brockmeier, J. (2015). *Beyond the archive: Memory, narrative, and the autobiographical process*. Oxford: Oxford University Press.

Byrne, A. (2010). Recollection, perception, imagination. *Philosophical Studies*, *148*(1), 15-26.

Cheng, S., & Werning, M. (2016). What is episodic memory if it is a natural kind? *Synthese*, *193*(5), 1345-1385.

Cheng, S., Werning, M., & Suddendorf, T. (2016). Dissociating memory traces and scenario construction in mental time travel. *Neuroscience & Biobehavioral Reviews*, *60*, 82-89.

De Brigard, F. (2014a). Is memory for remembering? Recollection as a form of episodic hypothetical thinking. *Synthese*, *191*(2), 155-185.

De Brigard, F. (2014b). The nature of memory traces. *Philosophy Compass*, *9*(6), 402-414.

Debus, D. (2008). Experiencing the past: A relational account of recollective memory. *Dialectica*, *62*(4), 405-432.

Debus, D. (2010). Accounting for epistemic relevance: A new problem for the causal theory of memory. *American Philosophical Quarterly*, *47*(1), 17-29.

Debus, D. (2014). "Mental time travel": Remembering the past, imagining the future, and the particularity of events. *Review of Philosophy and Psychology*, *5*(3), 333-350.

Debus, D. (2017). Memory causation. In S. Bernecker & K. Michaelian (Eds.), *Routledge handbook of philosophy of memory* (pp. 63-75). London: Routledge.

Deutscher, M. (2017). The trace as structural analogue. In *The Routledge encyclopedia of philosophy*. Taylor and Francis. Retrieved from www.rep.routledge.com/articles/thematic/memory/v-2/sections/the-trace-as-structural-analogue

Dokic, J. (2014). Feeling the past: A two-tiered account of episodic memory. *Review of Philosophy and Psychology, 5*(3), 413-426.

Draaisma, D. (2000). *Metaphors of memory: A history of ideas about the mind.* Cambridge: Cambridge University Press.

Fernandez, J. (2016). Epistemic generation in memory. *Philosophy and Phenomenological Research, 92*(3), 620-644.

Fernandez, J. (Forthcoming). The ownership of memories. In M. Gracia-Carpintero & M. Guillot (Eds.), *The sense of mineness.* Oxford: Oxford University Press.

Frise, M. (Forthcoming). Preservationism in the epistemology of memory. *The Philosophical Quarterly.*

Goldie, P. (2012). *The mess inside: Narrative, emotion, and the mind.* Oxford: Oxford University Press.

Hamilton, A. (2003). "Scottish commonsense" about memory. *Australasian Journal of Philosophy, 81*(2), 229-245.

Holland, R. F. (1954). The empiricist theory of memory. *Mind, 63*(252), 464-486.

Hopkins, R. (2014). Episodic memory as representing the past to oneself. *Review of Philosophy and Psychology, 5*(3), 313-331.

Jacoby, L. L., & Whitehouse, K. (1989). An illusion of memory: False recognition influenced by unconscious perception. *Journal of Experimental Psychology: General, 118*(2), 126-135.

James, S. (Forthcoming). Epistemic and non-epistemic theories of remembering. *Pacific Philosophical Quarterly.*

Klein, S. B. (2014). Autonoesis and belief in a personal past: An evolutionary theory of episodic memory indices. *Review of Philosophy and Psychology, 5*(3), 427-447.

Klein, S. B. (2015). What memory is. *Wiley Interdisciplinary Reviews: Cognitive Science, 6*(1), 1-38.

Klein, S. B., & Nichols, S. (2012). Memory and the sense of personal identity. *Mind, 121*(483), 677-702.

Kolers, P. A., & Roediger, H. L. (1984). Procedures of mind. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior, 23*(4), 425-449.

Lackey, J. (2005). Memory as a generative epistemic source. *Philosophy and Phenomenological Research, 70*(3), 636-658.

Mahr, J., & Csibra, G. (Forthcoming). Why do we remember? The communicative function of episodic memory. *Behavioral and Brain Sciences.*

Malcolm, N. (1963). *Knowledge and certainty.* Englewood Cliffs, NJ.: Prentice-Hall.

Malcolm, N. (1977). *Memory and mind.* Ithaca, NY: Cornell University Press.

Martin, C. B., & Deutscher, M. (1966). Remembering. *The Philosophical Review, 75*(2), 161-196.

Martin, M. G. (2001). Out of the past: Episodic recall as retained acquaintance. In T. McCormack & C. Hoerl (Eds.), *Time and memory: Issues in philosophy and psychology* (pp. 257-284). Oxford: Oxford University Press.

McCarroll, C. J. (2017). Looking the past in the eye: Distortion in memory and the costs and benefits of recalling from an observer perspective. *Consciousness and Cognition, 49*, 322-332.

Michaelian, K. (2011a). Generative memory. *Philosophical Psychology, 24*(3), 323-342.

Michaelian, K. (2011b). Is memory a natural kind? *Memory Studies*, *4*(2), 170-189.

Michaelian, K. (2015). Opening the doors of memory: Is declarative memory a natural kind? *Wiley Interdisciplinary Reviews: Cognitive Science*, *6*(6), 475-482.

Michaelian, K. (2016a). Against discontinuism: Mental time travel and our knowledge of past and future events. In K. Michaelian, S. B. Klein, & K. K. Szpunar (Eds.), *Seeing the future: Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel* (pp. 62-92). Oxford: Oxford University Press.

Michaelian, K. (2016b). Confabulating, misremembering, relearning: The simulation theory of memory and unsuccessful remembering. *Frontiers in Psychology*, *7*, 1857.

Michaelian, K. (2016c). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge, MA: MIT Press.

Michaelian, K., Klein, S. B., & Szpunar, K. K. (2016). The past, the present, and the future of future-oriented mental time travel. In K. Michaelian, S. B. Klein, & K.

K. Szpunar (Eds.), *Seeing the future: Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel* (pp. 1-18). Oxford: Oxford University Press.

Michaelian, K., & Sutton, J. (2017). Memory. In E. N. Zalta (Ed.), *Stanford encyclopedia of philosophy*. Retrieved fromhttps://plato.stanford.edu/archives/sum2017/entries/memory/

Perrin, D. (2016). Asymetries in subjective time. In K. Michaelian, S. B. Klein, & K. K. Szpunar (Eds.), *Seeing the future: Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel* (pp. 38-61). Oxford: Oxford University Press.

Perrin, D., & Michaelian, K. (2017). Memory as mental time travel. In S. Bernecker & K. Michaelian (Eds.), *The Routledge handbook of philosophy of memory* (pp. 228-239). London: Routledge.

Perrin, D., & Rousset, S. (2014). The episodicity of memory. *Review of Philosophy and Psychology*, *5*(3), 291-312.

Robins, S. K. (2016a). Misremembering. *Philosophical Psychology*, *29*(3), 432-447.

Robins, S. K. (2016b). Representing the past: Memory traces and the causal theory of memory. *Philosophical Studies*, *173*(11), 2993-3013.

Robins, S. K. (Forthcoming). Confabulation and constructive memory, *Synthese*.

Schacter, D. L., & Addis, D. R. (2007). The cognitive neuroscience of constructive memory: Remembering the past and imagining the future. *Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences*, *362*(1481), 773-786.

Schacter, D. L., Addis, D. R., Hassabis, D., Martin, V. C., Spreng, R. N., & Szpunar, K. K. (2012). The future of memory: Remembering, imagining, and the brain. *Neuron*, *76*(4), 677-694.

Schechtman, M. (1994). The truth about memory. *Philosophical Psychology*, *7*, 3-18.

Shanton, K., & Goldman, A. (2010). Simulation theory. *Wiley Interdisciplinary Reviews: Cognitive Science*, *1*(4), 527-538.

Shepard, R. N., & Chipman, S. (1970). Second-order isomorphism of internal representations: Shapes of states. *Cognitive Psychology*, *1*, 1-17.

Squires, R. (1969). Memory unchained. *The Philosophical Review*, *78*(2), 178-196.

Suddendorf, T., & Corballis, M. C. (1997). Mental time travel and the evolution of the human mind. *Genetic, Social, and General Psychology Monographs*, *123*(2), 133-167.

Sutton, J. (1998). *Philosophy and memory traces: Descartes to connectionism*. Cambridge: Cambridge University Press.

Sutton, J. (2010). Memory. In E. N. Zalta (Eds.), *The Stanford encyclopedia of philosophy*. Retrieved from https://plato.stanford.edu/archives/spr2010/entries/memory/

Tulving, E. (1985). Memory and consciousness. *Canadian Psychology/Psychologie canadienne*, *26*(1), 1-12.

Vosgerau, G. (2010). Memory and content. *Consciousness and Cognition*, *19*(3), 838-846.

Whittlesea, B. (1997). Production, evaluation, and preservation of experiences: Constructive processing in remembering and performance tasks. *The Psychology of Learning and Motivation*, *37*, 211-264.

Wittgenstein, L. (1953). *Philosophical investigations* (G. E. M. Anscombe, Ed.). Oxford: Blackwell.

Zemach, E. M. (1983). Memory: What it is, and what it cannot possibly be. *Philosophy and Phenomenological Research*, *44*(1), 31-44.

الفصل الثاني

حجة لصالح السببية الإجرائية في الاسترجاع الاستطرادي[1]

دينيس بيرين Denis Perrin

1. الشرط السببي في ظل التهديد العلمي: مشكلة الصحة:

يهدف هذا الفصل إلى تقديم حجة لما أقترح تسميته: "السببية الإجرائية" التي تتحقق في الذّاكرة الاستطرادية. ومن أجل ذلك، أعتمد على مفهوم الذّاكرة الاستطرادية المقبول على نطاق واسع الذي يُفهم على أنه حدث تذكر ذهني. في الواقع، من بين الأشكال العديدة التي يمكن أن تتخذها الذّاكرة، يجب على المرء أن يميز الذّاكرة التصريحية declarative، أي: شكل الذّاكرة الذي يوفر تمثيلات صريحة للحقائق الشّخصية أو العامة. وعادة ما يجرى تمييز هذا الشكل الذاكراتي عن الذّاكرة الإجرائية بالمعنى الواسع الذي يتضمن (من بين أشياء أخرى) المهارات الحركية والمعرفانية ولا ينطوي على أي تمثيل، ويمكن أن تأتي الذّاكرة التصريحية، بدورها، بإحدى طريقتين. فمن جهة، الذّاكرة الدلالية هي ذاكرة الحقائق الممثلة مفاهيميًا، ومن جهة أخرى، الذّاكرة الاستطرادية هي التمثيل شبه الخبراتي للحلقات الشّخصية الماضية. الآن، يمكن أن تكون هذه الحلقات موضوعات للذاكرة الدلالية وكذلك للذاكرة الاستطرادية. لذلك، فإن السّؤال هو ما الذي يجعل حدثًا ذهنيًا ما ذكرى استطرادية، وليس ذكرى دلالية، لحلقة شخصية اختبرها المرء في الماضي. وهذا السّؤال يمكن تنقيحه من خلال تقسيمه إلى ثلاثة أسئلة فرعية رئيسة (Fernandez، 2013):

---

(1) كل الشكر للتفاعل الذي كان في جامعة أوتاغو، وندوة توموس Thumos في جامعة جينيف ومؤتمر "قضايا في فلسفة الذّاكرة" (Cologne، 2017). وشكر خاص على التعليقات المفيدة جدًا التي كتبها كل من كوركين ميكيليان، وسارة روبينز، وسانتياغو أرانجو-مونوز.

- السّؤال الميتافيزيقي: لأي حدث ذهني s في ذهن شخصٍ ما R، ما المطلوب من s ليكون ذاكرة استطرادية لحدث سابق مدرَك e؟ ما العلاقة الفعلية المطلوبة بين s و e؟
- السّؤال القصدي: لأي حدث ذهني s في ذهن R، ما متعلق s الذي لا بد منه؟ أي ما الذي يجب أن يكون عليه محتوى s حتى يُعد ذاكرة استطرادية لـ e؟
- السّؤال الفينومينولوجي: لأي حدث ذهني s في ذهن R، ما الشعور الذي لا بد أن يكون لدى R كي يكون في ذهنه s حتى يُعد s ذاكرة استطرادية لـ e؟

يمكن القول: إن هذه الأسئلة الثلاثة ليست مستقلة عن بعضها البعض. وأقترح عد السّؤال الفينومينولوجي أساسيًا:

أولًا: في الواقع تؤدي الفينومينولوجيا في الذّاكرة الاستطرادية دورًا جوهريًا فيما يتعلق بالمحتوى المعلوماتي، فذلك السّؤال «ليس مجرد زخرفة فينومينولوجية» (Dokic، 2014) للمحتوى القصدي[2]؛ ونظرًا لأن R يتذكر على نحو استطرادي حدثًا شخصيًا سابقًا e، فإن التمثيل الظاهراتي لدى R هو تمثيل لـ e بِعدِّه حدثًا اختبره المرء في الماضي على نحو شخصي. وبالتالي، فإن الطريقة التي يُعرَض بها e في التذكر الاستطرادي ذات فائدة معلوماتية بطبيعتها وبحد ذاتها: إنها جزء لا يتجزأ من المحتوى القصدي.

ثانيًا: تقدم الشروط الميتافيزيقية، من خلال سماتها المعلوماتية الفينومينولوجية، أيضًا إجابة لسؤال: لماذا يجب عد s ذكرى استطرادية من وجهة النظر الميتافيزيقية، أو: ما الشروط الميتافيزيقية التي يزعم الحدث s أنه يلبيها بحيث يجب عدّه ذاكرة استطرادية، واسمحوا لي أن أحدد السمات الفينومينولوجية والشروط الميتافيزيقية التي تفترضها؛ نظرًا لأن R يتذكر استطراديًا الحدث e، فإن R يكون واعيًا بـ e على النحو التالي:

(2) إن العلاقة بين الجوانب القصدية والفينومينولوجية للخبرات الحسية قد أثارت مناقشات خاصة بها. وأترك هذه المناقشات جانبًا في هذه الورقة.

- الشرط الماضوي: حدوثه في الماضي.
- الشرط الفعلي: حدوثه بالفعل (في الماضي).
- شرط الخبرة الشّخصية: أن يختبره R شخصيًا (في الماضي).
- الشرط السببي: أن يعيد R اختباره ذهنيًا؛ لأن R اختبره شخصيًا (في الماضي).

من بين هذه السمات، يتمتع الشرط الرابع بأهمية بارزة. منذ أن نُشرت ورقة مارتن ودويتشر (1966)، كان من الشائع افتراض شرط سببي ضروري بين الشروط الميتافيزيقية للتذكر الاستطرادي. وبتعبير عام:

شرط الارتباط السببي: لأي حدث s يمثل حدثًا e، فإنه كي يُعد s ذكرى استطرادية لـ e لا بد أن يُشتَق s سببيًا (بطريقة مناسبة) من e.

لاحظ أن هذا الشرط، تماشيًا مع ملاحظاتي السابقة، يتوافق مع ما تتطلبه فينومينولوجيا التذكر الاستطرادي من أي ذاكرة استطرادية (ظاهرية) وما يُتضمَّن في محتواها القصدي. في الواقع، السمة الفينومينولوجية السببية:

- تُمثِّل e على أنه حدث أعاد R اختباره ذهنيًا؛ لأن R قد اختبره شخصيًا في الماضي - الجانب الفينومينولوجي.
- وبذلك هي تُعلِم inform R بأنه يعيد اختبار e ذهنيًا؛ لأنه اختبره شخصيًا في الماضي - الجانب القصدي.
- وبذلك تتطلب هذه السمة من s أن يكون مشتقًا سببيًا (بطريقة مناسبة) من الخبرة الماضية لـ R عن e من أجل أن يُعتبر s ذكرى استطرادية لـ e - الجانب الميتافيزيقي.

اعتمادًا على النتائج التجريبية التي قدَّمتها المقاربة البنائية الحالية للتذكر (Schacter & Addis، 2007، 2012)، شكك بعض الباحثين مؤخرًا في ضرورة تضمين شرط سببي بين السمات الميتافيزيقية للذاكرة الاستطرادية. تشير سارة روبينز Robins (2016) إلى وجود تعارض بين النظرية السببية ووجهة النظر

المؤيدة حاليًا على نطاق واسع التي تتعامل مع البقايا الذاكرية بِعدِّها تخزينًا توزيعيًا وتراكبيًا للذكريات، ومن ثم تطمس وجهة النظر هذه المسار السببي الفردي من e إلى s الذي تقول به النظرية السببية لجعل s ذكرى عن e بالخصوص. وتتكهن روبينز بأن النظرية السببية لا يمكن أن تمثل أفضل تحليل يمكننا الوصول إليه لما يتطلبه التذكر. ويقرر ميكيليان (2016) قبول هذه النتيجة التي لا مفر منها، ويقترح تجاوز النظرية السببية. ويحاجج من أجل نظرية المحاكاة التي لا تفترض وجود علاقة سببية ضرورية للتذكر، وإنما تجعل الشرط الصحيح هو نظام استطرادي بنائي يقوم بوظيفته على النحو الصحيح، أي: نظام يميل إلى إنتاج تمثيلات دقيقة للماضي، بصرف النظر عن الأصل السببي لأجزاء الخبرة التي يبني من خلالها محاكات استطرادية.

إذا كانت هذه الانتقادات مُحقة في رفضها للشرط السببي - وأظن أنها لا تتعلق بمفهوم محدد للسببية - فإن السمة الفينومينولوجية الرابعة مُعرَّضة للخطأ فيما يتعلق بالحدوث الذهني الذي تنتمي إليه، وتشترط شيئًا غير ذي صلة به. في الواقع، كما أشرتُ، الذّاكرة الاستطرادية لها أصلها السببي الذي لا يخفى. وبتعبير دوكيتش Dokic (2001: 228): «الذّاكرة الاستطرادية تمدني بسبب للاعتقاد بأنها تأتي مباشرة من خبرتي السابقة؛ لأن حقيقة أنها كذلك معروضة في خبرة الذّاكرة ذاتها». مرة أخرى: «الفكرة هي أن السلسلة السببية التي تتولد في حدث محدد وتنتهي في خبرة ذاكرية محددة هي...ما تمثله الخبرة الذاكرية هذه» (Fernandez, 2008b، 348). لذلك، يبدو أن السمة الفينومينولوجية الرابعة مع مضامينها المفاهيمية والميتافيزيقية تتعارض مع ما تكشفه النتائج العلمية عن الذّاكرة الاستطرادية والسببية. هنا يواجه المرء مُعضلة. فإما أن يأخذ بالحسبان ما تقترحه البيانات العلمية بجدية، ولكن حينئذٍ عليه أن يعد السمات الفينومينولوجية غير صحيحة، وهذا يبدو كأنه خطوة غير مرغوب فيها؛ لأنه يثير إشكالات، مثل: لماذا صمم التطور كذبة نظامية في قلب الذّاكرة الاستطرادية؟[3] ومن ثم

---

(3) يتطلب البحث المتعمق لهذه النقطة مناقشة موقف البراءة innocence الإبستيمية (Bortolotti، 2015). وسأتجاوزها حاليًا.

يبدو أنه من الأفضل الموافقة على اشتراط الصحة لأي نظرية مُرضية عن الذّاكرة الاستطرادية:

اشتراط الصحة: مفاد كون السمات الفينومينولوجية للذاكرة الاستطرادية (السمة السببية، بالخصوص) صحيحة هو أن العناصر التي تضمنها في المحتوى القصدي لهذه الأحداث الذهنية مثل المتطلبات الميتافيزيقية صحيحة[4]

بعبارة أخرى، في حين أنَّ السمات الميتافيزيقية الفعلية لذاكرة استطرادية ظاهرية ليست شفافة للذات، فإنه من المؤكد أن السمات التي يجب أن تمتلكها هذه الذّاكرة حتى يمكن عدّها ذاكرة استطرادية فعلية مقدَّمة من خلال فينومينولوجيتها. لكن الإصرار على اشتراط الصحة، يقود المرء إلى أن يناقض ما أظهره علم النفس مرارًا وتكرارًا على مدار العقود الماضية (وهنا يقع المرء بين المطرقة والسندان)، وهو: لا يوجد ارتباط سببي كالذي يتطلبه المذهب السببي causalism، إذًا ما الحل؟ إنَّ المخرج من هذه المعضلة المفضلة في هذا الفصل هو التسليم بصحة الانتقادات المذكورة أعلاه للمذهب السببي، مع الإشارة إلى أن الارتباط السببي الفعلي ليس هو الارتباط الذي انتقدته روبينز وانتقده ميكيليان. إذا كان من الممكن دحض الشرط السببي، فهذا يرجع إلى الالتزام بمفهوم للسببية غير مناسب. وبمجرد تأسيس المفهوم الصحيح يتيسر الخروج من المعضلة، وتكون السمة الظاهراتية الرابعة صحيحة. بينما أدافع عن النظرية السببية، إلا أنني لا أقترح العودة إلى إحدى نسخها الموجودة، بل أقترح أن هناك بُعدًا سببيًا (لا يزال عير مستكشف إلى حد بعيد) للذاكرة الاستطرادية،

(4) ينبغي عدم الخلط بين اشتراط الصحة والزعم أن الفينومينولوجيا تكون دائمًا معلوماتية وليست مضللة. تتعلق المعلومات الفينومينولوجية بالاستخدام العادي للذاكرة، ولكنها لا تستبعد بأي حال الحالات المنحرفة، وإنما تفسر، بالنسبة لهذه الحالات، لماذا يبدو فقط وكأن المرء يتذكر. بعبارة أخرى، أنا لست ملتزمًا بـ: «مذهب توالق المعرفانية والسلوك والخبرة» الذي ناقشه تولفينغ Tulving (1989، 8) مناقشة نقدية.

ألا وهو البُعد الإجرائي. في رأيي، هذا البُعد يقضي على الانتقادات المذكورة وهو البُعد الذي تدور حوله السمة الفينومينولوجية.

لإثبات صحة هذا التقرير الإجرائي للسببية في الذَّاكرة الاستطرادية، سأواصل حجاجي على مرحلتين. في القسم الثاني، أميّز المفاهيم التكوينية والإجرائية للسببية وأجادل، بعد تقديم وجهة نظر منقحة لما يجب أن يتوقعه المرء من السببية في الذَّاكرة الاستطرادية، بأن الارتباط السببي الإجرائي يتجنب الصعوبات التي واجهها المفهوم التكويني. وفي القسم الثالث، أفسّر فينومينولوجيا الذَّاكرة الاستطرادية بالشعور بالماضي. وأظهر أن هذا التقرير يتوافق بدقة مع النسخة الإجرائية للمذهب السببي المؤيَّدة في القسم الثاني.

2. تعزيز السببية الإجرائية:

في نظرية مارتن ودويتشر السببية عن الذَّاكرة (1966)، لا بد أن يتحقق شرط الارتباط السببي بين حدثٍ ذهني حالي s وخبرة ماضية عن حدث e. وباصطلاحهما: يجب أن تكون خبرة R عن e «فعالة في إنتاج حالة أو حالات متتالية في R تعمل في النهاية على إنتاج تمثيل R» (166). وعلى نحو أكثر تحديدًا، هناك أربعة معايير تحدد الارتباط السببي الضروري للتذكر، وهي:

(1) معيار الفعالية: لا بد أن تكون خبرة e هي سبب الحالة التي يخزنها النظام.

(2) معيار الفعالية في ظروف التذكر: لا بد أن تكون الحالة المخزَّنة هي سبب حالة التذكر[5]

(3) معيار البقية الذاكرية المناظرة: يجب أن تكون المعلومات المحفوظة مناظرة تمثيليًا للحدث المختبَر e[6]. لاحظ أن هذا الرأي المتعلق بالبقية الذاكرية جرى انتقاده. والرأي الأكثر معقولية من الناحية التجريبية هو الرأي

(5) يهدف هذان المعياران إلى استيعاب حالات إعادة التعلم.

(6) يهدف هذا المعيار إلى استيعاب حالة قابلية الإيحاء.

(الارتباطي connectionist)، ومفاده أن البقايا هي أنماط من التنشيط موزعة على شبكة عصبية (Sutton, 1998; Bernecker, 2010; Michaelian, 2011; De Brigard، 2014).

(4) معيار البصمة السببية الإفرادية: يجب أن تكون هناك سلسلة سببية فريدة تمتد من الخبرة الماضية لـ e إلى حالة التذكر الحالية، وعلى الرغم من أن هذا المعيار ليس صريحًا تمامًا، إلا أنه ينتمي إلى النظرية السببية، كما أكدت روبينز (2016: 16-7).

هل كل هذه المعايير الأربعة مشروعة؟ في هذا القسم أزعم، بالاعتماد على مفهوم السببية الإجرائية، أنه في حين يجب اعتماد المعيارين (1) و(2)، لا بد من رفض المعيارين (3) و(4). ويتطلب تبرير هذه الخطوة تقديم مفهوم جديد لسببية التذكر.

1.2 التمييز بين السببية التكوينية والسببية الإجرائية:

إنَّ فكرتي ذات شقين هنا:

أولًا: أنا أقول: إن العلاقات السببية المختلفة التي تؤدي دورًا في التذكر الاستطرادي تتضمن أنواعًا مختلفة من المتعالقات، فمن جهة، مكونات التمثيلات الإدراكية والذاكرية، ومن جهة أخرى، العمليات التي تشكّل هذه التمثيلات. سأتحدث عن السببية التكوينية للعلاقات السببية التي تتضمن النوع الأول من التعالقات، والسببية الإجرائية للعلاقات السببية التي تتضمن النوع الثاني من المتعالقات.

ثانيًا: أزعم أن النوع الأخير لا يمكن اختزاله في الأول، ولتوضيح هذه النقطة، سيكون من المفيد الاعتماد على تشبيهٍ ما، وهو أحجية الصور المقطعة jigsaw puzzle. لنتخيل أن لديك نسختين من الأحجية ذاتها، والقطع متماثلة تمامًا في العدد والأشكال والصور في كل مربع. من الواضح، على الرغم من أن القطع متشابهة، أنه عندما يشكّل المرء أحجية من الأحجيتين، فإنه لا

يستخدم قطع الأحجية الأخرى. بعبارة أخرى، تنطبق سلسلتا عمليات البناء على التوالي على أجزاء تمثيلية غير متعلقة سببيًا (وإن كانت متشابهة)، لكن في الوقت ذاته- وهذه النقطة جوهرية في حجتي - يمكن أن تكون عمليات البناء نفسها متعلقة سببيًا. على سبيل المثال: إذا قمتَ بتشكيل الأحجيتين واحدة تلو الأخرى، فمن المحتمل أنك تؤدي في التشكيل الثاني أداء أفضل من التشكيل الأول، بل إذا كررتَ العمليات أكثر، فمن المحتمل أن يصبح تحسن الأداء لديك أشد وضوحًا، لذلك يمكن القول: إنه يمكن لسلسلة سابقة من عمليات البناء تحسين سلسلة لاحقة، في حين أن مجموعات القِطع المتحكَّم بها متميزة وغير متعلقة سببيًا. الآن، كما أكدت أدبيات علم النفس في الإدراك مرارًا وتكرارًا (Neisser, 1967; O'Reagan & Noë، 2001)، إذ عندما يختبر المرء إدراكيًا حدثًا محددًا، فإنه لا يستقبل فقط المعلومات الحسية من هذا الحدث بطريقة سلبية، وإنما ينخرط المرء بنشاط في استكشاف وبناء إدراكي للمشهد، ما يؤدي في النهاية إلى الخبرة الإدراكية. بعبارة أخرى، هناك بعض العمليات البنائية وراء أي خبرة إدراكية. علاوة على ذلك، مثلما يمكن تجميع مجموعات قطع الأحجية غير المتعلقة سببيًا في نسخ مميزة من الصورة ذاتها من خلال عمليات متعلقة مترابطة سببيًا، فإنه يمكن تطبيق العمليات البنائية المرتبطة سببيًا على أجزاء غير متعلقة سببيًا من المعلومات الحسية وإحداث مشاهد حسية متشابهة للغاية. تؤكد فرضية المحاكاة الاستطرادية البنائية السائدة (Schacter & Addis, 2007; Schacter et al.، 2012) بقوة على الدور الذي تؤديه العمليات البنائية لتجميع عناصر حادثة ما في الذّاكرة الاستطرادية، ومن ثم، فإن اقتراحي هو أن أقول: إن العمليات البنائية الفاعلة في المشاهد المتذكَّرة والمدركَة على الترتيب يمكن أن تكون مرتبطة سببيًا، على الرغم من أن أجزاء الخبرة التي تُجمَع معًا في الحاضر غير متعلقة سببيًا بالحادثة الماضية التي تُتذكَّر.

وبالتالي، فإن التمييز المقترح يسمح بتصور العلاقات السببية التي تكون، من جهة، فاعلة على المستوى الإجرائي للبناء، وليس على مستوى الكُتَل التكوينية الخبراتية، ومن جهة، لا تفترض فاعليتها مسبقًا هوية الكتل التي تُطبَّق

عليها العمليات البنائية في كل مرحلة. إن اقتراحي هو على وجه التحديد أن أفترض في الذّاكرة الاستطرادية علاقة سببية بين عمليات بناء الخبرة الأولية لحدثٍ ما وبناء حالة التذكر - عادة ما تتسبب الأولى في علاقة إجرائية عالية نسبيًا للأخيرة - دون افتراض أي علاقة سببية ضرورية بين العناصر التي تعالجها هذه العمليات. وتماشيًا مع ذلك، يمكن للمرء أن يوضح شرط الارتباط السببي الأوّلي بطريقتين:

- الشرط السببي التكويني: كي يُعد حدثًا ذهنيًا s يمثل حدثًا e كذاكرة استطرادية لـ e، يجب أن تكون العناصر المُؤلِّفة للمشهد الممثلة بـ s مشتقة سببيًا (بطريقة مناسبة) من العناصر المؤلِّفة للخبرة الأولية لـ e.

* النظرية السببية التكوينية للذاكرة Componential Causal Theory of Memory (CCTM).

* المعيار السببي (3) ضروري.

- الشرط السببي الإجرائي: كي يُعد حدثًا ذهنيًا s يمثل حدثًا e كذاكرة استطرادية لـ e، يجب أن تكون العمليات المنتجة لـ s محدَّدة سببيًا (بطريقة مناسبة) بالعمليات التي بنَت الخبرة الأولية لـ e.

* النظرية السببية الإجرائية للذاكرة (Procedural Causal Theory of Memory (PCTM).

* المعيار السببي (3) ليس ضروريًا.

فيما يلي سأجادل بأن السببية التكوينية لا تضع اشتراطات على التذكر، بما يتماشى مع التحليلات الحديثة المضادة للسببية (Robins, 2016; Michaelian، 2016). لكن ضد الاستنتاجات التي دفعت إليها هذه الانتقادات، سأجادل أيضًا بأن هذا لا ينبذ كل شرط سببي، وأن السببية الإجرائية تضع اشتراطًا ضروريًا على التذكر، ومن ثم أنا سأؤيد PCTM.

يحظى الرأي الذي عرضت مخططه للتو بدعم نظري وتجريبي قوي من اتجاه مهم في علم النفس، على الرغم من أن فلاسفة الذّاكرة قد أهملوه، ألا

وهو: الرأي الإسنادي attributionalist للتذكر (Kolers & Roediger, 1984; Jacoby et al., 1989; Kelley & Jacoby, 1990; Whittlesea, 1997; Leboe-McGowan & Whittlesea، 2013).

اسمحوا لي أن أكون أكثر تحديدًا بشأن هذا الإطار العملي، نادرًا ما حظي التقرير الإسنادي للذاكرة الاستطرادية باهتمام الفلاسفة، ناهيك عن الاهتمام الإيجابي. بعضهم يرفضه مباشرة بِعدِّه غير مناسب (Hoerl، 2001)، في حين أن أولئك الذين يذكرونه بعبارات إيجابية يعدّون الإسنادية attributionalism مجرد عنصر محتمل للتفسير من بين عناصر أخرى (Fernandez, 2008a). واقتراحي هو، على العكس من ذلك، أن الإسنادية لا تزال وجهة نظر واعدة. لنبدأ بعرضها. إن جوهر هذا المذهب هو أن فينومينولوجية التذكر الاستطرادي هي نتيجة إسناد سببي تحت-شخصي لحدث ذهني حالي إلى خبرة سابقة. فمثلًا، عندما أتذكر استطراديًا لاعبي كرة القدم مع ابني بالأمس[7]، فإن:

(أ) هذا بسبب أنني قمت بالفعل ببناء خبرة هذه الحادثة، وعندما أعيدُ بناء هذه الخبرة مرة أخرى كمحاكاة ذهنية، فإن الطريقة التي أقوم بها بهذه الإعادة تعرض سمات إجرائية محددة.

(ب) سلاسة أو طلاقة عمليات المحاكاة (مثلًا) هي إلماحات cues تحت-شخصية متاحة للاكتشاف. واكتشاف هذه الإلماحات هو أساس الاستدلال، أي: يؤدي اكتشاف الإلماحات إلى قيام النظام المعرفاني بتنفيذ استدلال بشأن الأصل السببي للإلمحات، وبالتالي، حول حالة المشهد المحاكى - وهذا هو الإسناد attribution. على سبيل المثال: يستدل النظام أنه قد بنى بالفعل هذه الخبرة، وبالتالي، فإن المشهد المُحاكى حاليًا، أي: لعب كرة القدم مع ابني، هو خبرة سابقة.

---

(7) انظر (Jacoby et al.، 1989). وقد قُدِّمت ادعاءات مماثلة في إطار عمل مراقبة المصدر (Johnson et al.، 1993).

(ج) النظير الشّخصي لهذا الإسناد هو الفينومينولوجيا الاستطرادية التي يعرض المشهدُ ذاته لذهني من خلالها.

من الواضح أنّ السببية الإجرائية جوهرية للمذهب الإسنادي. عادة ما تكون الإلمحات تحت-الشّخصية التي تقوم على أساس عملية الإسناد هي الآثار السببية لعمليات البناء السابقة. وإذا كانت كذلك بالفعل، فلا بد أن المرء يتعامل مع ذاكرة استطرادية بالفعل، وإذا لم تكن كذلك، فلا بد أنه يتعامل فقط مع ذاكرة استطرادية ظاهرية. لذا فإن المذهب الإسنادي يشير بقوة إلى أن المرء يؤيد PCTM فيما يتعلق بالتذكر الاستطرادي. إذًا يكون السّؤال: كيف يتوافق هذا التقرير الإسنادي مع معايير السببية المذكورة أعلاه؟ إنه يتوافق مع أول معيارين. فهو يقول في الواقع: إن المعلومات الإجرائية المناسبة - أي: بناء خبرة الحدث ع - يُحتفظ بها بطريقةٍ ما (المعيار (1))، وأن هذه المعلومات فعالة في ظروف التذكر (المعيار (2))، شريطة أن تكون متضمنة فيها حتى يمكن اكتشافها. إلى الآن لا إشكال، لكن لا يبدو أن المذهب الإسنادي يفي بسهولة بالمعيارين (3) و(4). ولإثبات أن هذا لا يمثل إشكالًا حقيقيًا، يجب أن أكون أكثر وضوحًا بشأن ما ينبغي أن يتوقعه المرء من الارتباط السببي.

2.2 ما الذي ينبغي (وما لا ينبغي) للمرء توقعه من السببية في الذّاكرة الاستطرادية؟

غالبًا ما يعتمد نبذ السببية فيما يتعلق بالذّاكرة الاستطرادية على ادعاء أنها غير قادرة على تلبية توقعات محددة يُفترض أنها مشروعة. لذا، يبدو من الحكمة أن نكون واضحين بشأن ما يجب أن يتوقعه المرء على نحو مشروع من السببية في المقام الأول. ربما ينتج عجزها الظاهري عن توقعات خاطئة، وليس عن كونها غير جديرة بالاعتماد. لذلك، دعونا نتساءل: ما التوقعات المشروعة فيما يتعلق بالسببية بالنسبة لبنيتها من جهة، ودورها في التذكر الاستطرادي من جهة أخرى.

فكر في ما يعلّمنا إياه المذهب الارتباطي connectionism بشأن السببية في الذّاكرة من حيث بنيته الذي يستشهد به العديد من فلاسفة الذّاكرة في الوقت

الـحـاضـر (Sutton, 1998; Bernecker, 2010; Michaelian, 2011; Robins, 2016, see also McClelland، 2000). واقتراحي هو أن المذهب الارتباطي يتبنى تصورًا للسببية أكثر جذرية مما هو مُسلَّم به عادة. عادة ما يعد الفلاسفة المذهب الارتباطي يقوم بإحلال مفهوم جديد للبقايا الذاكراتية التمثيلية - الموزعة والمتراكبة والمبنية من الآن فصاعدًا - محل المفهوم القديم[8].

أقترح الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك والنظر إلى المذهب الارتباطي على أنه نبذ لمفهوم البقية التمثيلية على المستوى العصبي. ووفق المذهب الارتباطي، فإن كل ارتباط بين عقدتين عصبيتين له وزن، والحقيقة الوحيدة هي أن الاحتفاظ عند هذا المستوى العصبي يكمن في هذا الوزن، وبالتالي، تتألف الشبكة في مرحلة محددة من ديناميكياتها من مجموعة من أوزان الارتباط المختلفة، الآن يمكن للشبكة المتشكلة على هذا النحو أن تسفر، بالنسبة لمحفز إدخالي محدد، عن تمثيل إخراجي. لكن هذا لا يعني بأي حال أن التمثيل سوف يودع في الشبكة التي تتضمن فقط (نكرر هنا) الأوزان والاستجابات المحتملة للمحفزات.

إن الاستنتاج الأول والحاسم هو أنه بسبب المعنى التمثيلي بقوة لمفهوم البقية الذاكرية لا بد من رفض هذا المفهوم نفسه، سواء أكان محليًا أم توزيعيًا، وحاصل ذلك هو التخلي عن CCTM والمعيار السببي (3). والاستنتاج الثاني، الأكثر إيجابية، هو أنه فيما يتعلق بالمذهب الارتباطي المفهوم على النحو الصحيح، فإن ما يُحتفظ به هو ميول الاستجابة، أي: القدرة الإجرائية على (إعادة) بناء التمثيلات التي تتماشى مع التقرير الإسنادي.

أما بالنسبة لدور السببية، وفق الرؤى السببية الموجودة، من المتوقع أن تفسر السببية سمة التفرد الميتافيزيقي للتذكر الاستطرادي. وكمثال توضيحي، فكّر

(8) «عندما يختبر الفاعل شيئًا ما، فإنَّ محفزًا ما يدخل النظام ويؤدي إلى نمط من النشاط غير شبكة من الخلايا العصبية، ويعد هذا النمط من النشاط هو تمثيل ذلك الشيء» (Bernecker، 2010، 132).

في حدثين متطابقين نوعيًا e و e* اختبرهما الشّخص R في ماضيه. يقول معظم السببيون: إن الروابط السببية بين التذكر الحالي لـ R وماضيه يجب أن تكون قادرة على تأمين حقيقة أن تذكرًا استطراديًا محددًا يتعلق بالحدث e وليس بالحدث e*. الآن، كما تشير روبينز (2016)، إذا كان المذهب الارتباطي صحيحًا، يكون التخزين تراكبيًا، مما يعني ضمنًا أن أنماط التنشيط المودعة بـ e و e* قد مُزِجت. وحينئذٍ لا يمكن للمرء أن يرى كيف يمكن تأمين المعيار السببي (4). والنقطة المهمة هي أن المفهوم الإجرائي للسببية يواجه الصعوبة ذاتها بالضبط ومن المرجح أن يُحْدِثَ الحدثان e و e* القدرة الإجرائية ذاتها في النهاية. وكرد على ذلك، أقترح تعزيز وجهة نظر بديلة للدور الذي تؤديه السببية في الذَّاكرة الاستطرادية، وعلى هذا الرأي، يُعَد من التوقع المفرط أن نعيّن للسببية مهمة تفسير التفرد الميتافيزيقي. لنفكر في التفرد كسمة فينومينولوجية، بدلًا من ذلك. أقترح أن أقول: إن هذه السمة تكمن في (ما أقترح تسميته) تفرد افتراضي. وأعني بذلك لأن التذكر الاستطرادي يمثل الحدث المحدد كحدث فردي، فمن المسلّم به أنه يمكن تعيين إحداثيات زمانية ومكانية متفردة للحدث الممثَّل، لكن من أجل القيام بذلك، لا يلزم عليه أن يكون قادرًا على تعيين هذه الإحداثيات فعليًا، وبالتالي، لا يلزم أن يعتمد على أي ارتباط سببي فريد ميتافيزيقيًا لحدث ماضي، وكما توضح العديد من الدراسات التجريبية، فإن السمة الإجرائية المتمثلة في الطلاقة قادرة على إحداث وعي بتذكر حدث فردي على الرغم من عدم وجود سمة تفرد متأصلة في هذه السمات الإجرائية، وهذا ينسجم مع خبرة تذكر حدث فردي دون التمكن من تعيين عنوان زماني مكاني فردي للحدث (Hoerl and McCormack، 1999، 158). ولذلك، يمكن لـ PCTM تفسير السمة الفينومينولوجية المتمثلة في التفرد دون اعتماد المعيار السببي (4) الذي يتضح أنه اشتراط أقوى من أن يلبيه نظام معرفاني.

بشكل عام، إذا كنتُ على المسار الصحيح، فإن المفهوم الإجرائي للسببية يمدنا ببديل كفؤ للنظرية السببية الكلاسيكية. في الواقع، إنه يتجنب الصعوبات التي أشير إليها مؤخرًا فيما يتعلق بالمعيارين السببيين (3) و (4). وعلى نحو

أكثر تحديدًا، هو يُظهر أنه حتى إذا لم تكن هناك استمرارية سببية فيما يتعلق بالجانب التمثيلي للتذكر، فلا يزال هناك ارتباط سببي فيما يتعلق بالجانب الإجرائي، كما يُظهر أنه حتى لو كان من غير المحتمل إلى حد كبير حدوث ارتباطات سببية فردية (كما هو موثق بعلم النفس العصبي)، فإن هذا لا يمنع من تفسير سببي للسمة الفينومينولوجية المتمثلة في التفرد سببيًا، وهذا هو كل ما نحتاج إليه.

3. التعمق في فينومينولوجيا الذّاكرة الاستطرادية: إعادة النظر في الشعور بالماضوية:

حتى الآن، بعد صياغة اشتراط الصحة (القسم الأول)، ما قمتُ به هو توضيح فكرة مختلفة عن السببية وتعزيزها بهدف الدفاع عن ضرورة الارتباط السببي في الذّاكرة الاستطرادية (القسم الثاني). في الواقع، يسمح هذا المفهوم بالإبقاء على اشتراط الصحة - صحة مكوّنها السببي على نحو أكثر تحديدًا - وفي الوقت ذاته عدم مخالفة البيانات النفسية العصبية. وفي هذا القسم، سأجادل بأن المفهوم الإجرائي للسببية لا يسمح فقط بالإبقاء على اشتراط الصحة، وإنما أيضًا بتفسير الفينومينولوجيا التي اعتُرف صراحة بأنها صحيحة من خلال هذا الاشتراط، وسأقوم بذلك بإظهار أن الشعور بالماضوية (سنرمز له من الآن فصاعدًا بـ FP) الذي غالبًا ما يُعتقد أنه يشكّل فينومينولوجيا الذّاكرة الاستطرادية لا بد أن يُنظر إليه على أنه شعور معرفاني-فوقي metacognitive.

1.3 تقرير إسنادي عن الشعور بالماضوية:

لطالما تصوَّر وناقش الفلاسفة (Russell, 1921, Lecture 9) وعلماء النفس (James, 1890, ch. 16) أنَّ الشعور بالماضوية FP متأصل في خبرة التذكر. وهو لا يزال مهمًا في دراسة الذّاكرة، إذ يتردد بعض المؤلفين بشدة في منحه أي دور حقيقي (Teroni, 2015; Debus، 2016)، في حين يتحمس آخرون لتعزيزه أو تعزيز ما

يشبهه في تفسير التذكر (Matthen, 2010; Dokic, 2014; Michaelian، 2016). لكن حتى بين المدافعين عنه، ليس هناك اتفاق حول الطريقة التي يجب أن يُفهم بها. على وجه الخصوص، هناك انقسام قوي بين أولئك الذين يعتقدون أن الماضوية هي أحد العناصر المرمَّزة encoded في المحتوى القصدي للذاكرة الاستطرادية (Perner, 2000; Fernandez, 2008b، 2013) - ولنطلق على هذا النهج التحليلي المذهب القصدي الترميزي encoding intentionalism - وأولئك الذين يعتقدون أن الماضوية ناتجة عن اكتشاف تحت-شخصي للطريقة التي ينفذ بها النظام المعرفاني مهام محددة (Fernandez, 2008a; Matthen، 2010) - ولنطلق على هذا النهج التحليلي المذهب القصدي الاستردادي retrieval intentionalism[9]. أنا بالتأكيد أؤيد الرأي الأخير في هذا الفصل، لكني أعتقد أنَّ مؤيديه مخطئون في الطريقة التي يتصورون بها الـ FP أو يقللون أهميته فيما يتعلق بالذّاكرة الاستطرادية. وعلى وجه الخصوص، قلة من الناس يرون الـ FP على أنه شعور معرفاني-فوقي، ومن يرونه كذلك (على سبيل المثال: Dokic، 2014) لا يضعونه في الفئة المُحدَّدة الصحيحة، وفي هذا الصدد، فإنَّ زعمي هو أن الـ FP ليس شعورًا معرفانيًا- فوقيًا متعلقًا بالقدرات الإبستيمية لاسترداد أو إعادة بناء حدث ماضي -ليس شعورًا استطراديًا بالمعرفة - وإنما هو شعور متعلق بالمصدر السببي، كما هو مؤيد بالمذهب الإسنادي.

أظهرت الدراسات المتعلقة بالمعرفانية-الفوقية مرارًا وتكرارًا أن بعض المشاعر هي نتائج لآليات معرفانية-فوقية مساعدة على الكشف (Koriat, 2007; Arango-Muñoz، 2014) وفيما يتعلق بالذّاكرة الاستطرادية على وجه الخصوص انظر: Souchay et al. ، 2007). جادل شاكتر وسينغر Schacter and Singer، في دراستهما الرائدة (1962)، تجريبيًا لصالح نظرية في العواطف ذات عاملين، حيث تكون العواطف (أحيانًا، على الأقل) هي النتائج الانفعالية (أي:

(9) كل من النسختين من المذهب القصدي تعدان أن الشعور بالماضوية له معنى محدد، أي: إنهما تؤيدان الرأي القائل: إن «المشاعر دائمًا ما تكون موجهة نحو شيء أو معلومة» (Arango-Munoz، 2014، 196).

المشاعر)، لعملية تفسير الإحساسات الفسيولوجية. ففي إحدى التجارب، أُعطِي بعض الأشخاص، دون علم منهم، عُقارًا تنتج عنه إثارة فسيولوجية فيهم - وهكذا كان العامل الأول. وعندما حدثت الاستجابة، لم يُخبَر نصف هؤلاء الأشخاص بالتفسير الذي يفيد بأنهم قد حُقنوا عُقارًا يحسّون بآثاره حاليًا - كان التفسير (العامل الثاني) مفقودًا. كما تبيّن، قد فسّروا، اعتمادًا على السياق العاطفي الذي وُضعوا فيه، على نحو تحت-شخصي الإثارة الفسيولوجية التي أحسوا بها على أنها مظهر من مظاهر السعادة أو الغضب. ولذلك، يمكن أن تكون المشاعر (العاطفية مثلًا) نتائج تفسير أداء محدد للنظام المعرفاني (على سبيل المثال: الإثارة الفسيولوجية). ووفق مصطلحات نيلسون وناريِنر Nelson and Narens (1990)، يمكن أن تكون المشاعر نتائج تقييم (أو مراقبة) من مستوى فوقي meta-level للأحداث التي تحدث على مستوى معالجة المعلومات.

يمكن القول: إن هذه العمليات التفسيرية ذات المستوى الفوقي تؤدي دورًا مهمًا في التذكر. وتحديدًا، يعتقد الإسناديون أن الـ FP هو إحدى النتائج المحتملة لهذه العمليات. وباصطلاح ويتيلسي Whittlesea: «الشعور بالماضوية الذي يفصل التذكر عن الأنشطة الأخرى المدعومة بالذّاكرة ليس نتاجًا مباشرًا للتفاعل مع الذّاكرة، وإنما هو نتيجة لتقييم هذا التفاعل» (1997، 241، وانظر أيضًا Jacoby et al., 1989, 393 and 400). إن صح ذلك، فلا بد من عد الـ FP شعورًا معرفانيًا-فوقيًا بطبيعته وتوضيحه وفق ذلك. إن التزام المرء بهذا التحليل له نتيجة فورية مثيرة للاهتمام تتعلق بفينومينولوجيا الذّاكرة الاستطرادية. فهذا التحليل يجعل إسناد سمة الماضوية يكون على مستوى تحت-شخصي. في الواقع، يبدو أن حدوث المشاعر يتطلب أن يظل سببها على مستوى تحت-شخصي. وفي بعض التجارب (Jacoby & Whitehouse، 1989؛ وانظر أيضًا Roediger and McDermott، 1995)، زادت الطلاقة الإدراكية للعناصر غير المعروفة للأشخاص محل الدراسة. وفي اختبار من اختبارات التعرف، نتج عن هذه الطلاقة المتزايدة عدد متزايد من الاستجابات "القديمة" (أو المسترجعة)، لكن عندما صُرِّح بمصدر الشعور "القديم" للأشخاص محل الدراسة، انخفض

عدد الاستجابات "القديمة" انخفاضًا كبيرًا. مثل هذه النتائج تفضل فكرة أن العملية التفسيرية التي تسبب الـ FP يجب أن تحدث على مستوى تحت-شخصي، وإذا كان الأمر كذلك، فيمكن للمرء أن يفسّر بدقة الحالة الفينومينولوجية للماضوية. لماذا لا يظهر حدث جرى تذكره استطراديًا على أنه ماضي جوهريًا، بحيث يميل المرء إلى وصف تجربة التذكر الخاصة به على أنها إعادة اختبار ذهني للحدث؟ لأن الحدث الممثَّل قد حددته الحدوس الاكتشافية heuristics للسمة الماضوية على مستوى تحت-شخصي. وهذا يعني:

أولًا: عدم وجود تحكم تفكّري deliberate للفاعل في هذه العملية، وبالتالي، يبدو أن الحدث يمتلك بالفعل السمة المذكورة كسمة جوهرية عندما يصل الفاعل إلى تمثيله.

ثانيًا: الإسناد ليس عملية مفاهيمية، وبالتالي، فإن الماضوية لها بنية السمة التي يُشعَر بها فينومينولوجيًا.

حاصل القول: هو أن التحليل الإسنادي للشعور بالماضوية FP يحظى بتأييدات قوية. وأبدأ الآن مناقشة نقدية للتقارير الفلسفية الموجودة بشأن الـ FP لاستعادة المكانة التي يستحقها في نظرية الذّاكرة الاستطرادية بما يتسق مع المقاربات الإسنادية.

2.3 فك الارتباط بين تحديد حدث في الماضي والشعور بحدث على أنه ماضي

من المغري استيعاب شيئين في مفهوم واحد مفاده: «ما يُعرَض إلى [الشّخص] R بِعدِّه قد حدث في الماضي» (Fernandez, 2008b، ص. 336، وانظر أيضًا Michaelian, 2016، ص. 194 فيما يتعلق بهذا الاستيعاب):

- تحديد موقع الحدث e في الماضي: تعيين الشّخص R عنوانًا زمنيًا لـ e في ماضيه الشّخصي.
- الشعور بالحدث e على أنه ماضي: شعور الشّخص R بأنه يعيد اختبار e ذهنيًا.

عند النظر عن كثب، يختلف هذان الحدثان المعرفانيان من مناحٍ عدة. من المؤكد أنه سيكون من التبسيط القول: إنه لا يُوجد رابط بينهما. على وجه التحديد، يعتمد كل من الإنجازين على اكتشاف سمات العمليات وتفسيرها التي من خلالها تُنفَّذ عملية الذَّاكرة، مثل: طلاقة الـ FP وقوة البقية الذاكرية للحداثة النسبية لحدثٍ ما. ومع ذلك، يجب تحديد الفروق القوية بينهما. باديء ذي بدء، انخراط الشّخص في عملية تحديد تاريخ لحدثٍ ما في ماضيه لا ينطوي على تحديد موقعه في الماضي، وإنما يفترضه مسبقًا. بعبارة أخرى، لا يُعَدّ تحديد التاريخ محاولة للإجابة على السّؤال المتعلق بما إذا كان الشّخص يتخيل شيئًا ما ينتمي إلى ماضيه، وإنما هو للإجابة على السّؤال المتعلق بمكان وقوع الحدث في ماضي الشّخص، ولا سيما كيفية ارتباطه بالأحداث الأخرى لماضي الشّخص ذاته. علاوة على ذلك، يمكن للمرء أن يتذكر على نحو استطرادي حدثًا ما، في حين لا يتمكن من تحديد أي موقع في ماضيه الشّخصي. بعبارة أخرى، الشعور بأن المرء يعيد اختبار حدث محدد ذهنيًا لا يعتمد على قدرة المرء على تحديد موقع محدد لهذا الحدث في ماضيه - وبالاصطلاح المقترح سابقًا، فإن خصوصية الأحداث المتذكرة على نحو استطرادي هي أمر مفترض مسبقًا. بدلًا من ذلك، فإن بدء عملية تحديد الموقع الزمني لحدثٍ ما غالبًا ما يكون مشروطًا بـ contingent on تذكر هذا الحدث على نحو استطرادي. وبالعكس، يمكن للمرء استخدام الآليات المختلفة التي عادة ما يلجأ إليها الأشخاص المعرفانيون لتحديد العنوان الزمني لذكرياتهم (Friedman، 1990، 1991) دون أن يتذكروها على نحو استطرادي. فكر في المثال الآتي الذي ندين به إلى فريدمان Friedman: «ما الكلمة التي قرأتها مؤخرًا؟ هل هي الشاطئ أم التنظير؟» (1990، 27) وفق الآلية المحددة بما يسمى: "نموذج القوة strength model[10]"، إذ نجد المرء يعتمد على نقاط القوة الخاصة بالبقية الذاكرية للشاطئ ونقاط القوة الخاصة بالبقية الذاكرية للتنظير على الترتيب من أجل

(10) هناك نماذج أخرى، انظر Friedman (1990).

تحديد الترتيب الزمني لظهورهما في الماضي، لكن القيام بذلك لا يعني بأي حال تذكر هاتين الكلمتين على نحو استطرادي. لا يلزم أن تكون هذه البقايا الذاكرية بقايا استطرادية، فربما تكون دلالية، لذلك، يجب ألا يشعر المرء بأن حدثًا متذكَّرًا على أنه ماضٍ - يمكن للمرء أن يعرف فقط أنه ماضٍ - من أجل تحديد عنوان زمني له، وهذا بالتأكيد سبب تحدُّث مؤيدي نظرية القوة عن عملية «تقدير الوقت» و«التحديد التاريخي للأحداث» (انظر Brown et al. ، 1985، وبالطريقة ذاتها يتحدث هينريتس Hinrichs (1970) عن «القدرة على الحكم على حداثة الأحداث»)، لكن لا يتحدثون أبدًا عن «الشعور» بالأحداث على أنها ماضٍ.

بناءً على ذلك، يبدو من الأفضل عدم عد المذهب الإسنادي، حيث إنه يزعم أنه يفسر الـ FP على أنه مجرد نظرية من بين النظريات المختلفة التي تحاول العمل على الآليات التي من خلالها نحدد موقع الأحداث في ماضينا الشّخصي (Fernandez, 2008a). فوفق المذهب الإسنادي، يجب الإبقاء على خصوصيته، حيث إنه يُفسر شيئًا ما (الـ FP) لا تدعي النظريات المذكورة تفسيره.

3.3 دحض المذهب القصدي الترميزي في الشعور بالماضوية:

وفق المذهب القصدي الترميزي، فإنَّ الماضوية المناسبة لحدث يُتَذكر على نحو استطرادي هي إما عنصر قصدي متضمن في المحتوى عند الترميز - ولنطلق على هذا المذهب القصدي الترميزي الصارم (Perner، 2000) - أو شيء مشتق من عنصر قصدي عند الاسترداد - ولنطلق على هذا المذهب القصدي الترميزي المعدّل (Fernandez, 2008b). يقول فرنانديز مجادلًا لصالح هذا المذهب الأخير: «يمكن للخصائص القصدية للذاكرة أن تفسر الشعور بالماضوية»، و«نحن لا نختبر الخصائص الزمنية للأحداث الماضية عندما تُعرض لنا هذه الأحداث في الذّاكرة. ومع ذلك، فإننا نختبر بالفعل خصائص محددة للأحداث الماضية التي،

إن جاز التعبير، تتبع خاصية حدوثها في الماضي عندما تُعرض تلك الأحداث إلينا في الذّاكرة» (354 b, resp. 337 and2008). ووفق فرنانديز، فإن المكانة السببية للأحداث الماضية هي التي من شانها أن «تتبع خصائص هذه الأحداث المتمثلة في حدوثها في الماضي» وتؤدي إلى الـ FP (2013، 442). إن الحدث المتذكَّر سوف يُمثَّل قصديًا على أنه سبب حدث التذكر الحالي، وبما أن الشّخص الذي يتذكر يعرف أن السبب يسبق أثره، فإن ماضوية الحدث سوف تُشتق من مكانتها السببية، وعلى سبيل الإجمال، اعتمادًا على النسخة التي يؤيدها المرء، المذهب القصدي الترميزي تشير إلى أن الـ FP هو مكوّن قصدي مرمَّز للمحتوى أو عنصر محتوى مشتق من هذا المكوّن.

عند هذه المرحلة، من المهم أن نتذكر المكانة التصنيفية للشعور بالماضوية (انظر القسم 1.3). وفق المذهب القصدي الترميزي الصارم، فإن سمة الماضوية للتذكر الاستطرادي تتألف من جزء معلوماتي ضمن عناصر المحتوى المكتسبة عند الترميز. ولكن إذا كان لا بد من النظر إلى الماضوية على أنها شعور معرفاني-فوقي، كما يجادل المذهب الإسنادي، فإنها تكون، من ناحية، سمة فينومينولوجية على نحو متأصل وليست شيئًا نعرفه أولًا عن الحدث الذي نتذكره، الذي من شأنه أن يؤدي إلى ظهور مظهر محدد مُضاف إلى الحدث الذي جرى تذكره، ومن جهة أخرى، هي شيء يتولد عند التذكر وليست شيئًا يُكتسب عند الترميز، ويُحتفظ به منذ ذلك الحين. لذلك، يبدو من الصعب القول بالمذهب القصدي الترميزي الصارم. ماذا عن المذهب القصدي الترميزي المعدَّل؟ إنه يواجه صعوبات جمة أيضًا. في البداية، إن كان هذا المذهب صحيحًا، فستسير الأمور على هذا النحو: سيتعين على المرء أولًا استرداد المعلومات السببية بشأن تمثيل الحدث المتذكَّر، ثم الاستنتاج على نحو اشتقاقي أن الحدث المعني هو حدث ماضي، لكن يبدو من المرجح أن نقول: إنه عندما يتذكر المرء حدثًا على نحو استطرادي، فإن المرء يعي الأخير بِعدِّه حدثًا اختبره في الماضي، ولهذا السبب بالذات يكون المصدر السببي لذاكرة المرء الحالية (Hoerl & McCormack, 2001، ص. 209).

إن الأسبقية المزعومة للسببية على الماضوية ليست بدهية، علاوة على ذلك، إذا كان المذهب القصدي المعدَّل صحيحًا، فستواجه المرء صعوبة واجهت المذهب القصدي الصارم أيضًا. كما جادلنا سابقًا، الشعور بشيءٍ ما على أنه ماضٍ في التذكر الاستطرادي يكمن في اختباره على أنه يمتلك خاصية زمنية متأصلة عندما يُعرَض إلينا. إذا كان المذهب القصدي المعدَّل صحيحًا، ففي أثناء عملية التذكر لا بد أن تكون هناك مرحلة أولية يكون فيها المرء واعيًا بالحدث الممثَّل بمكانته السببية، وسيستنتج من ذلك ماضوية هذا الحدث، وحينئذٍ، يجب أن تؤدي حالة معرفة الحدث على أنه ماضٍ إلى تحفيز فينومينولوجيا مناسبة. لكن لا يستطيع المرء أن يرى كيف يمكن لمثل هذه الحالة المعرفية أن تضفي على حالة التذكر مثل هذه الفينومينولوجيا، وغالبًا ما تُعرَض الأحداث التي تُتذكَّر فعليًا على أنها ماضية.

إنَّ هذه الصعوبات خطيرة بما يكفي للتخلي عن المذهب القصدي الترميزي. علاوة على ذلك، إنها تروّج لتقرير أكثر إجرائية بكثير عن الشعور بالماضوية، كما يرغب المذهب الإسنادي. نقول مرة أخرى: لا يمكن تفسير السمة الفينومينولوجية المتأصلة للماضوية بالمعرفة المرمَّزة المتعلقة بالحدث الذي يُتذكَّر.

4.3 تفنيد التقرير الكرونثيزي[11] Chronesthesia عن الشعور بالماضوية

في الأدبيات الحديثة لعلم النفس: جرى تصور الشعور بالماضوية FP بالوعي الزمني الذي حدده تولفينغ Tulving على أنه وعي ذاتوي (Tulving, 1985, pp. 5-6; Klein، 2015). ينقح تولفينغ (2002) هذه الفكرة ويميز "الوعي الذاتوي" على أنه الوعي بالذات كتمدد في الزمن ويميز " الحس الزمني Chronesthesia " على أنه الوعي بالزمن الخبراتي الذي يمكن للمرء أن يضع فيه

(11) الكرونثيزيا: هي قدرة المرء على أن يكون واعيًا باستمرار بالماضي والمستقبل، وسأترجمها في النص أعلاه بـ: "الحس الزمني" (المترجم).

نفسه بالوعي الذاتوي، وبالتالي، فإن الـ FP سيكون الوعي بالزمن الماضي بافتراض الحس الزمني. والنقطة المهمة هي أن الحس الزمني سيكون هو الوعي بالزمن الذاتي الممتد نحو المستقبل أيضًا. وفق نموذج السفر الزمني الذهني في علم النفس، فإن نظام الذّاكرة الاستطرادية يسمح بالمحاكات الاستطرادية للماضي (الاسترجاع الاستطرادي على وجه الخصوص)، وكذلك للمستقبل، ومن ثم يبدو من المشروع عد أن هناك شعورًا بالمستقبل بالطريقة ذاتها التي يكون بها هناك شعور بالـ (FP Michaelian، 2016)، وهذا الأخير هو مجرد نظير متساوق symmetrical للأول.

يتعلق الخلاف الواسع بين هذا التقرير والمذهب الإجرائي بوجهة النظر التي يتبناها كل منهما بشأن الذّاكرة، فعلى تقرير الحس الزمني، فإن الإحساس الذاتي بالماضوية الذي يؤدي دورًا في الاسترجاع الاستطرادي هو بنية محددة للذهن، في حين أن وجهة النظر الإجرائية تفسره على أنه نتيجة لعملية إسناد استدلالية[12]. فيما يلي حجتان لوجهة النظر الأخيرة:

الحجة الأولى: التساوق بين الـ FP والشعور بالمستقبل ليس دقيقًا كما يجب أن نتوقع إذا كان التقرير البنيوي صحيحًا، فكما أكد المذهب الانقطاعي discontinuism (المعتدل) فيما يتعلق بالسفر الزمني الذهني (Perrin، 2016)، فإن الإحساس الشّخصي بالزمن في الاسترجاع الاستطرادي ليس مساوقًا للإحساس الشّخصي بالوقت في التّفكير المستقبلي الاستطرادي. فمن السمات اللافتة للنظر أن الـ FP كما وصفناه سابقًا لا يحدث حسب الرغبة في الاسترجاع الاستطرادي، على عكس ما يحدث في التّفكير الاستطرادي في المستقبل. إذ في الواقع يمكن للمرء أن يحاول أن يتذكر حدثًا على نحو استطرادي ويفشل في ذلك، على الرغم من تخيله أنه يقع في ماضيه. بدلًا من ذلك، التّفكير الاستطرادي في حدث مستقبلي هو شيء يقوم به المرء فعليًا

(12) لاحظ أنه عند نقطةٍ ما (1983، 187-8) صاغ تولفينغ تقريره عن الماضوية الذاتية من خلال الشعور بالماضوية وليس بنمط وعي "ذاتوي" بنيوي.

بمجرد محاكاته. علاوة على ذلك، في حالة التَّفكير المستقبلي الاستطرادي، لا يلزم أن يظهر الحدث كمستقبل ابتداءً؛ وإنما يُعيّن الشّخص المتخيل هذه السمة الزمنية بالتخصيص. أما في الاسترجاع الاستطرادي، فإن الماضوية تظهر على أنها سمة متأصلة للحدث الظاهر الذي يمتلكها بشكل مستقل عن أي عملية تعيين صريحة يقوم بها الشّخص. أضف إلى ذلك أن الـ FP لا يكمن في مجرد إحساس الشّخص بشيءٍ ما على أنه متموقع في ماضيه، وإنما ينطوي أيضًا على إحساسه بأنه اختبره بالفعل في ماضيه.

الحجة الثانية: هذه الفروق تُفسَّر بسلاسة بالمذهب الإجرائي، ففي الواقع هذا الأخير يؤسس الشعور بالماضي FP على اكتشاف بعض السمات الإجرائية.

الآن هناك اختلاف واضح بين السفر الزمني الذهني إلى الخلف والسفر الزمني الذهني إلى الأمام، وهو أنه في الحالة الأولى، وليس في الحالة الأخيرة، هناك شيء ما حدث بالفعل (في الماضي) ومن الممكن أن يتسبب في تعديل النظام المعرفاني الذي بدوره قابل للاكتشاف على نحو تحت-شخصي ويحفز تلقائيًا إسنادًا استدلاليًا.

إن هذا يوضح عدم التساوق مع حالة التَّفكير المستقبلي الاستطرادي. علاوة على ذلك، فإن التقرير الإجرائي للفينومينولوجيا الماضوية يقدم تفسيرًا لسمة الماضوية المتأصلة في الاسترجاع الاستطرادي، الشيء الذي لا نلاحظه في التَّفكير المستقبلي الاستطرادي. ليس من المستغرب أن يبدو الحدث المحاكى كماضٍ على نحو متأصل، بشرط أن يكون الإسناد إلى الماضي عملية معرفانية تحت-شخصية وآلية.

تشير جميع هذه المناقشات النقدية إلى الفكرة التي قدمناها مسبقًا القائلة: إن الـ FP ذو طبيعة فوق-معرفانية، لكن أي نوع محدد من المشاعر الفوق-معرفانية هو؟

5.3 التمييز بين الشعور بالماضوية والشعور الاستطرادي بالمعرفة :(Episodic Feeling of Knowing (EFOK

لقد اقترح بعض الباحثين - من الأقلية - عد الـ FP شعورًا فوق- معرفاني. يقترح دوكيتش (2014: 10)، بالخصوص، تعريفه على أنه شعور استطرادي بالمعرفة، زاعمًا أن «الـ EFOK يمكن أن يكون ملزمًا بذكريات صريحة تمامًا». أعتقد أن هذا التوصيف غير دقيق فيما يتعلق بالنوع الفوق-معرفاني للـ FP. وفق تعريف قياسي، الـ EFOK هو:

- حالة عاطفية تتمتع بمحتوى نابع من مراقبة معرفانية-فوقية - وهي سمة مشتركة مع المعرفانية-الفوقية الأخرى (Koriat، 2007).
- وتحدث عادة قبل أي استرجاع فعلي (Paynter et al., 2009; Arango-Muñoz & Michaelian، 2014: 100) ولها محتوى تنبؤي فيما يتعلق بقدرة الشّخص على الاسترجاع استطراديًا.

أعتقد أن السمة الثانية المحددة تجعل من المستحيل استيعاب الـ FP في الـ EFOK.

أولًا: في الواقع إذا كان الـ EFOK والـ FP الشعور ذاته في كل موقف من المواقف التنبؤية والاسترجاعية، فيجب أن يكون لدينا FP قبل أن نسترجع بالفعل. لكن في الحالة التنبؤية، غالبًا ما يكون لدينا شعور فقط بقدراتنا الإبستيمية المتعلقة بالاسترجاع الاستطرادي دون تنفيذ الأخير، وهي نقطة أكدها بشدة الفصل بين الـ EFOK والأداء الاستطرادي الفعلي في مرضى الزهايمر (Souchay et al.، 2007). علاوة على ذلك، وفق منهج تحليلي مهم (Souchay & Moulin، 2009)، فحتى مع حدوث كل من هذه المشاعر في الوقت ذاته، لا يحدث خلط بينهما. وإنما في الواقع، حسب التحليل المذكور، يجب على المرء أن يقول: إن المشاعر الاستطرادية بالمعرفة الإيجابية تتوقف على خبرة استرجاعية جزئية، مما يعني أنها متميزة.

ثانيًا: فيما يتعلق بالمحتوى الـ EFOK متعلق بالقدرات الإبستيمية، وليس

بالمكانة السببية لحدث ما ممثَّل فعليًا، وهذا الأخير هو بالتحديد محتوى الـ FP. يمكن لوجهة النظر الإجرائية التي دافعنا عنها أن تفسر هذا الاختلاف المهم بسلاسة؛ نظرًا لأنها تؤسس الـ FP على اكتشاف أثر سببي، ما يتطلب حدوث العملية البنائية له لعرض السمة الإجرائية المكتشفة. وإن صح ذلك، فيجب على المرء أن يفضل تعريف الـ FP بأنه شعور معرفاني-فوقي متعلق بمصدر سببي، وليس على أنه شعور إبستيمي.

الخلاصـــة:

ما الذي نصل إليه بعد كل ما سبق؟ فيما مضى، جادلتُ من أجل وجهة نظر إجرائية للعلاقة السببية التي يتطلبها التذكر الاستطرادي، ودحضتُ متطلبات التفرد التمثيلية والميتافيزيقية للنسخ الحالية للمذهب السببي، وجادلتُ لصالح وجهة نظر معرفانية-فوقية متعلقة بمصدر سببي بشأن فينومينولوجيا الاسترجاع الاستطرادي، وقد صغتها باصطلاح المذهب الإسنادي في الشعور بالماضوية. وفي النهاية، أوضحتُ كيف يجب عقد هذين الخيطين معًا.

- الشعور بالماضوية يرتكز بفعالية على السببية الإجرائية في الذَّاكرة الاستطرادية. في الواقع، يمكن للسببية الإجرائية، شريطة أن يكون الـ FP شعورًا معرفانيًا-فوقيًا متعلقًا بالمصدر السببي لتمثيل ذهني حالي، أن تفسر الـ FP بقراءة اكتشاف أثر إجرائي ما على أنه يعود إلى تلاقي مسبق بالحدث الممثَّل. وبالتحديد، لقد أُعِدّ هذا النهج التحليلي لتفسير تأصل السمة الماضوية للتمثيل الاسترجاعي ولتفسير خاصية تفرد الـ FP المفترضة مسبقًا.

- وبالعكس، السببية الإجرائية هي ما يمثله الشعور بالماضوية فينومينولوجيًا. إن هذا الأخير لديه محتوى معقد (ليس مجرد محتوى متعلق بالزمن) يشتمل على معلمات parameters سبب الأثر الإجرائي: يظهر الحدث كمصدر سببي متفرد اختبره المتذكر بالفعل في ماضيه، وهذه السمات هي بالضبط الشروط التي يجب استيفاؤها حتى يحدث الأثر السببي المذكور في الظروف العادية.

إن صح ذلك، فإن النتيجة المثيرة للاهتمام هي أنه، على الأقل فيما يتعلق بالمعلومات التي تنقلها فينومينولوجيا الذّاكرة الاستطرادية، ينبغي عدم تصور المحتوى المرمّز على نحو تمثيلي، وإنما يجب تفسيره على نحو إجرائي، بالطريقة التي ذكرتها ويتيلسي (1997)، ألا وهي تفسيره بالمهارات الإجرائية المكتشفة عندما يقوم المرء بالتذكر.

المراجع :

Arango-Muñoz, S. (2014). The nature of epistemic feelings. *Review of Philosophy and Psychology*, *27*(2), 193-211.

Arango-Muñoz, S., & Michaelian, K. (2014). Epistemic feelings, epistemic emotions: Review and introduction to the focus section. *Philosophical Inquiries*, *2*(1), 97-122.

Bernecker, S. (2010). *Memory-a philosophical study*. Oxford: Oxford University Press.

Bortolotti, L. (2015). The epistemic innocence of motivated delusions. *Consciousness and Cognition*, *33*, 490-499.

Brown, N. R., Rips, L. J., & Shevell, S. K. (1985). The subjective dates of natural events in very-long-term memory. *Cognitive Psychology*, *17*, 139-177.

De Brigard. (2014). The nature of memory traces. *Philosophy Compass*, *9*(6), 402-414.

Debus, D. (2016). Temporal perspectives on imagination: On the nature and value of imagining the future. In K. Michaelian, S. Klein, & K. Szpunar (Eds.), *Seeing the future* (pp. 217-240). Oxford: Oxford University Press.

Dokic, J. (2001). Is memory purely preservative? In C. Hoerl & T. McCormack (Eds.), *Time and memory: Issues in philosophy and psychology* (pp. 213-232). Oxford: Clarendon Press.

Dokic, J. (2014). Feeling the past: A two-tiered account of episodic memory. *Review of Philosophy and Psychology*, *5*, 413.

Fernandez, J. (2008a). Memory, past and self. *Synthese*, *160*, 103-121.

Fernandez, J. (2008b). Memory and time. *Philosophical Studies*, *141*(3), 333-356.

Fernandez, J. (2013). Memory. In H. Dyke & A. Bardon (Eds.), *A companion to the philosophy of time* (pp. 432-443). Oxford: Wiley-Blackwell.

Friedman, W. J. (1990). *About time: Inventing the fourth dimension*. Cambridge, MA: MIT Press.

Friedman, W. J. (1991). The development of children's memory for the time of past events. *Child Development*, *62*, 139-155.

Hinrichs, J. V. (1970). A two-process memory-strength theory for judgment of recency. *Psychological Review*, *77*(3), 223-233.

Hoerl, C. (2001). The phenomenology of episodic recall. In C. Hoerl & T. McCormack (Eds.), *Time and memory* (pp. 315-335). Oxford: Oxford University Press.

Hoerl, C., & McCormack, T. (1999). Memory and temporal perspective: The role of temporal frameworks in memory development. *Developmental Review*, *19*, 154-182.

Hoerl, C., & McCormack, T. (2001). The child in time: Temporal concepts and self-consciousness in the development of episodic memory. In K. Lemmon & C. Moore (Eds.), *The self in time-developmental perspectives* (pp. 203-227). Londres: Lawrence Erlbaum.

Jacoby, L. L., Kelley, C. M., & Dywan, J. (1989). Memory attributions. In H. L. Roediger & F. I. M. Craig (Eds.), *Varieties of memory and consciousness: Essays in honour of Endel Tulving* (pp. 391-422). Hillsdalle: Lawrence Erlbaum.

Jacoby, L. L., & Whitehouse, K. (1989). An illusion of memory: False recognition influenced by unconscious perception. *Journal of Experimental Psychology: General, 118*(2), 126-135.

James, W. (1890). *The principles of psychology*. New York: H. Holt.

Kelley, C. M., & Jacoby, L. L. (1990). The construction of subjective experience: Memory attributions. *Mind and Language, 5*(1), 49-68.

Klein, S. (2015). What memory is? *WIREs Cognitive Science, 6*, 1-38.

Kolers, P. A., & Roediger, H. L. (1984). Procedures of mind. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior, 23*, 425-449.

Koriat, A. (2007). Metacognition and consciousness. In M. Zelazo, M. Moscovitch, & E. Thompson (Eds.), *Cambridge handbook of consciousness* (pp. 289-325). New York: Cambridge University Press.

Leboe-McGowan, J. S., & Whittlesea, B. (2013). Through the SCAPE looking glass-sources of performance and sources of attribution. In D. Reisberg (ed.), *The Oxford Handbook of Cognitive Psychology* (pp. 243-266). Oxford: Oxford University Press. pp. 243-266.

Martin, C. B., & Deutscher, M. (1966). Remembering. *Philosophical Review, 75*(2), 161-196.

Matthen, M. (2010). Is memory preservation? *Philosophical Studies, 148*, 3-14.

McClelland, J. L. (2000). Connectionist models of memory. In F.I.M. Craik, & E. Tulving (Eds.). *The Oxford handbook of memory* (pp. 583-596). Oxford: Oxford University Press.

Michaelian, K. (2011). Generative memory. *Philosophical Psychology, 24*, 323-342.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge: MIT Press.

Neisser, U. (1967). *Cognitive psychology*. New York: Meredith.

Nelson, T. O., & Narrens, L. (1990). Metamemory: A theoretical framework and new findings. *The Psychology of Learning and Motivation, 26*, 125-173.

O'Regan, J. K., & Noë, A. (2001). A sensorimotor account of vision and visual consciousness. *Behavioral and Brain Sciences, 24*, 939-1031.

Paynter, C. A., Reder, L. M., & Kieffaber, P. D. (2009). Knowing we know before we know: ERP correlates of initial feeling-of-knowing. *Neuropsychologia, 47*(3), 796-803.

Perner, J. (2000). Memory and the theory of mind. In F. I. M. Craik & E. Tulving (eds.), *The Oxford handbook of memory* (pp. 297-312). Oxford: Oxford University Press.

Perrin, D. (2016). Asymmetries in subjective time. In K. Michaelian, S. Klein, and K. Szpunar (Eds.), *Seeing the Future: Theoretical Perspectives on Future-Oriented Mental Time Travel* (pp. 39-61). Oxford: Oxford University Press.

Robins, S. (2016). Representing the past: Memory traces and the causal theory of memory. *Philosophical Studies, 173*, 2993-3013.

Roediger, H. L., & McDermott, K. B. (1995). Creating false memories: Remembering words not presented in lists. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition, 21*(4), 803-814.

Russell, B. (1921). *The analysis of mind.* London: Allen & Unwin.

Schacter, D. L., & Addis, D. R. (2007). The cognitive neuroscience of constructive memory: Remembering the past and imagining the future. *Philosophical Transactions of the Royal Society, Biological Sciences, 362*, 773-786.

Schacter, D. L., Addis, D. R., Hassabis, D., Martin, V. C., Spreng, R. N., & Szpunar, K. K. (2012). The future of memory: Remembering, imagining, and the brain. *Neuron, 76*, 677-694.

Schacter, S., & Singer, J. E. (1962). Cognitive, social, and physiological determinants of emotional states. *Psychological Review, 69*(5), 379-399.

Souchay, C. (2013). Métamémoire et troubles de la mémoire: l'exemple du *feelingof-knowing*. *Revue de Neuropsychologie, 5*(4), 265-272.

Souchay, C., & Moulin, C. (2009). Memory and consciousness in Alzheimer disease. *Current Alzheimer Research*, 6.

Souchay, C., Moulin, C. J., Clarys, D., Taconnat, L., & Isingrini, M. (2007). Diminished episodic memory awareness in older adults: Evidence from feeling-of-knowing and recollection. *Consciousness and Cognition, 16*, 769-784.

Sutton, J. (1998). *Philosophy and memory traces.* Cambridge: Cambridge University Press.

Teroni, F. (2014). The epistemological disunity of memory: In mind, values, and metaphysics-philosophical. In A. Reboul (Ed.), *Essays in honor of K. Mulligan* (Vol. 2, pp. 183-202). Dordrecht: Springer.

Tulving, E. (1983). *Elements of episodic memory.* New York: Oxford University Press.

Tulving, E. (1985). Memory and consciousness. *Canadian Psychology, 26*, 1-12.

Tulving, E. (1989). Memory: Performance, knowledge, and experience. *European Journal of Cognitive Psychology, 1*(1), 3-26.

Whittlesea, B. (1997). Production, evaluation, and preservation of experiences: Constructive processing in remembering and performance tasks. In D. L. Medin (Ed.), *The psychology of learning and motivation: Advances in research and theory* (Vol. 37, pp. 211-264). San Diego, CA: Academic Press.

الفصل الثالث

الطابع الوظيفي للذاكرة

جوردي فرنانديز Jordi Fernndez

1. مقدمـــة:

إنَّ الغرض من هذا الفصل هو تحديد ماهية تذكر شيءٍ ما، في مقابل تخيله، أو إدراكه، أو التأمل فيه. ما المطلوب من حالة ذهنيةٍ ما لتُعد تذكرًا لشيءٍ ما أو امتلاك ذاكرة عن شيءٍ ما؟[1] ومن ثم، فإن القضية الرئيسة التي تجب معالجتها هي قضية ميتافيزيقية، إنها قضية تحديد تلك السمات التي تتميز بها تلك الحالات الذهنية نموذجيًا التي تُعد ذكريات، وتلك الحالات التي لا تفتقر إلى هذه السمات نموذجيًا. وسأواصل على النحو التالي.

سأناقش في القسمين الثاني والثالث المفهومين الرئيسين الحاليين للشروط التي يجب أن تفي بها الحالة الذهنية لتعد حلقة تذكرية، أولى هذه المقاربات هي النظرة الورائية backward-looking. سأجادل بأن الشروط التي توفرها مقاربة النظر إلى الوراء قوية جدًا وضعيفة جدًا في الوقت ذاته، فهي تستبعد حالات ذهنية تُعد، حدسيًا، ذكريات، في حين تضم حالات ذهنية لا تُعد، حدسيًا، ذكريات. أما المقاربة الثانية، فهي النظرة التطلعية forward-looking. وهي تقدم شروطًا تتعلق فقط بالاستخدام الذي يقوم به الشّخص للحالة الذهنية في أثناء

(1) سوف أستخدم التعبيرين: "التذكر remembering"، و"امتلاك ذاكرة عن having a memory of" بلا تمييز. ولهذا السبب، سوف أستخدم مصطلح "الذّاكرة memory" للإشارة إلى المَلَكة وإلى الحالات الذهنية التي تولدها هذه الملكة. وآمل ألا يسبب هذا الاستخدام أي لبس. وسوف أستخدم المصطلحين: "التذكر" و"امتلاك ذاكرة عن" على نحو غير-وقائعي non-factively.

تكوين اعتقادات حول حياته الخاصة، سأجادل بأن الشروط التي تقترحها المقاربة التطلعية ضعيفة جدًا وقوية جدًا أيضًا. ومع ذلك، سوف تسمح لنا مناقشة المقاربتين باستخراج بعض الدروس المفيدة فيما يتعلق بالاشتراطات التي يجب أن يفي بها أي اقتراح عن طبيعة التذكر، وسوف أقدم مقاربة بديلة تهدف إلى دمج هذه الدروس في القسم الرابع بالاعتماد على الأدبيات المتعلقة بالمذهب الوظيفي.

وفي القسم الخامس سأجادل بأن هذه المقاربة يمكنها، من جهة، أن تستوعب كذكريات تلك الحالات الذهنية التي تشير إلى أن المقاربة التطلعية والمقاربة الورائية صارمتين للغاية، ومن جهة أخرى، تقصي تلك الحالات الذهنية التي تشير إلى أن المقاربتين البديلتين متساهلتان للغاية. ووفق ذلك، سوف أستنتج أن تفسير الذّاكرة وفق المنهج الوظيفي هو مقاربة مُرضية لطبيعة التذكر.

إنَّ نطاق هذا المشروع خجول، حيث سأهتم فقط بنوع محدد من التذكر، إذ هناك أشكال عدة للتذكر، فمثلًا: هناك ذاكرة لـ: حالات الأمور states of affairs، وذاكرة للقدرات، وذاكرة للأشياء. وستركز مناقشتنا في هذا الفصل على نوع محدد من الذّاكرة، وهو ذاكرة الأحداث وحالات الأمور، وهو شكل من أشكال التذكر الذي يتضمن بالأساس وجود صورة ذهنية، لكنه لا يتطلب تكوين، في أي لحظة سابقة، الاعتقاد الذي مفاده أن الحدث ذي الصلة، أو حالة الأمور ذات الصلة، قد اكتسبه الشّخص في الماضي[2]. هذا هو معنى أن يتذكر المرء، مثلًا، أنه ترك باب منزله مفتوحًا عندما ذهب إلى عمله في الصباح، ودعونا نسمِّ هذا بـ: "التذكر استطراديًا" للحدث[3] سوف يهتم بهذا

(2) فيما يلي، سأتنقل بالتبادل بين الحديث عن ذاكرة الأحداث والحديث عن ذاكرة حالات الأمور. وآمل ألا يسبب ذلك أي لبس. فمثلًا: أنا أعني بـ: "الصورة الذهنية" الخبرة التي يُعرَض فيها الحدث للشخص. وفي الحالة الشائعة التي يكون فيها الحدث مرئيًا (يمكن إدراكه بصريًا)، تكون الصورة الذهنية هي الخبرة التي يتخيل الشّخص فيها الحدث.

(3) إن مفهوم الذّاكرة الاستطرادية قد قُدِّم في عمل تولفينغ (Tulving، 1972).

الفصل بالشروط التي يجب أن تفي بها الحالة الذهنية لتُعد تذكرًا استطراديًا لحدثٍ ما (فضلًا عن وجود صورة ذهنية للحدث)، ووفق ذلك، ففيما يلي عندما أتحدث عن تذكر حدث أو امتلاك ذاكرة عن حدثٍ ما سأشير، على الترتيب، إلى تذكر الحدث استطراديًا وامتلاك ذاكرة استطرادية للحدث.

2. النظرية السببية في الذَّاكرة:

هناك وجهة نظر شائعة حول طبيعة الذَّاكرة بموجبها تتوقف مسألةٌ ما إذا كانت الحالة الذهنية تُعد تذكرًا أو لا على منبت الحالة، وتظل ما يسمى بالنظرية السببية للذاكرة (أو اختصارًا "CTM") النسخة الأكثر تأثيرًا من نسخ هذا الرأي. ووفق الصياغة الكلاسيكية لـ CTM، فإنه بالنسبة لأي شخص S وحدث e، فإن S يتذكر e فقط إذا كان S يقوم بتمثيل e، وأن S قد مثّل e في الماضي، وحقيقة أن S قد مثّل e في الماضي تسبّبت في أن S يمثل e في الحاضر[4]. ومن أجل توضيح هذه الصيغة لـ CTM، يجدر توضيح مفاهيم التمثيل والسببية والحدث المستخدمة فيها.

حسب النظرية السببية للذاكرة CTM، ينبغي فهم مفهوم تمثيل حدثٍ ما على أنه مفهوم شامل يغطي عددًا من الطرق الممكنة التي قد يختبر بها الشّخص حدثًا ما. فمثلًا: إذا كان الشّخص قد اختبر حدثًا حياتيًا في الماضي إدراكيًا أو اختبره بالاستبطان في ذهنه، أو اختبر كونه فاعلًا لفعل من أفعاله، فعندئذٍ يُعد هذا الشّخص، وفق هذه القراءة لـ "التمثيل"، يقوم بتمثيل كل حدث من هذه الأحداث. علاوة على ذلك، فإن مفهوم التمثيل الذي يستخدمه المدافع عن CTM يتضمن أيضًا طريقة يمكن للشخص من خلالها اختبار حدث ربما لا يحدث في الحاضر، أي: من خلال تخيل الحدث. إن السبب وراء استخدام المدافع عن CTM لهذا المفهوم الواسع للتمثيل هو أنه يبدو أننا جميعًا لدينا

(4) تعود النسخة الكلاسيكية من CTM إلى تشارلز مارتن وماكس دويتشر في عملهما (1966).

ذكريات عن أحداث من أنواع مختلفة جدًا - أحداث شهدناها في الماضي، وأحداث كنا على دراية بها على نحو شخصي، والأحداث التي تتشكل في أفعالنا. في كل هذه الحالات، يزعم المدافع عن CTM، تُعد الحالات الذهنية التي نتخيل فيها تلك الأحداث ذكريات عنها إذا، وفقط إذا، كانت مسبَّبة عن تمثيلاتنا السابقة لتلك الأحداث، سواء أكانت هذه التمثيلات خبرات إدراكية، أم حلقات استبطانية، أم خبرات فاعلية agentive.

من المقصود أن تكون الصياغة الكلاسيكية لـ CTM مُحايدة بشأن الطبيعة الدقيقة للعلاقة السببية، والفكرة هي أنه بصرف النظر عن التصور الصحيح لطبيعة العلاقة السببية، فإن هذه العلاقة يجب أن تكون بين تمثيل ماضٍ لحدثٍ ما لدى الشّخص وحالة ذهنية حالية لدى الشّخص حتى نتمكن من عد الحالة الذهنية للشخص على أنها ذكرى للحدث، ومع ذلك، فإن المُدافع عن CTM ملتزم بالرأي القائل: إن العلاقة السببية بين التمثيل الماضي والذّاكرة لا بد أن تكون "غير منحرفة nondeviant". فما معنى هذا؟ لنفترض أنني أمشي جوار ملعب كرة سلة، ورأيت كرة سلة في الهواء في طريقها إلى السلّة، وأفترض أن إدراك لون الكرة يجعلني أفكر في قميص نادي نيويورك نيكس New York Knicks الذي بدوره يثير بداخلي الصورة الذهنية عن كرة سلة في الهواء في طريقها إلى السلّة. في هذه الحالة، أنا أتخيل حركة كرة السلة نحو السلة، وتكون صورتي الذهنية في نهاية سلسلة سببية أصلها هو إدراك حديث لكرة سلة تتحرك نحو السلة، لكن على نحو حدسي بما فيه الكفاية، لا تُعد حالتي الذهنية حلقة تذكرية، ويبدو أن السبب، في هذه الحالة، هو أن الرابط السببي بين كرة السلة وصورتي الذهنية هو، بمعنى ما، غير مباشر أو منحرف. وبالتالي، فإن المدافع عن CTM يتطلب أن الرابط السببي بين ذكرى حدثٍ ما والتمثيل الماضي لهذا الحدث لدى الشّخص يجب أن يكون غير منحرف. وبطبيعة الحال تضع هذه الخطوة عبء التحديد الدقيق لما يُعد مثالًا منحرفًا لعلاقة سببيةٍ، وما لا يُعد على عاتق مؤيد CTM. ومع ذلك، لأغراض مناقشتنا لـ CTM، سأفترض أن المدافع عن CTM يمكنه وضع خط فاصل بين الحالات المنحرفة

وغير المنحرفة للعلاقة السببية بطريقة مبدئية. وفي رأيي، لا يتوقف أي اعتراض من الاعتراضات التي سوف تُثار ضد CTM على هذه النقطة.

إن الصياغة الكلاسيكية لـ CTM ليست صريحة بشأن كيفية فهم مفهوم الحدث. ومع ذلك، يبدو أن هناك وجهة نظرة محددة حول طبيعة الأحداث تتلاءم على نحو طبيعي مع CTM، ألا وهي تصور الأحداث على أنها أمثلة للخصائص property exemplifications[5]. لاحظ أننا لا نتذكر كل تفاصيل الأحداث التي مثّلناها في الماضي، باستثناء الحالات النادرة لما يسمى بـ: "الذّاكرة الفوتوغرافية eidetic memory". على سبيل المثال: تخيل أنني، عندما كنتُ طفلًا، رأيت ذات مرة حصانًا يمشي مشية الخبب في مهرجانٍ ما. لنفترض أن لدي الآن صورة ذهنية أتخيل فيها الحصان يمشي مشيةً ما في أثناء المهرجان، دعونا نشترط أن لدي تلك الصورة الذهنية كنتيجة لرؤيتي الحصان في المهرجان، وأنه بحكم امتلاكي تلك الصورة الذهنية، فإنني أميل إلى الاعتقاد أنني رأيت ذات مرة حصانًا يمشي مشيةً ما في أثناء المهرجان. على نحو حدسي بما فيه الكفاية، يبدو أن الحالة الذهنية التي لدي الآن هي حلقة تذكر. ومع ذلك، في ظاهر الأمر يبدو أن CTM تمنعنا من قبول هذه الحالة الذهنية بِعَدِّها حلقة تذكر؛ لأن الحدث الذي مثّلتُه في الماضي (الحصان الذي يمشي مشية الخبب) يبدو مختلفًا عن الحدث الذي أمثّلُه الآن في الحاضر (الحصان يمشي مشيةً ما).

للتعامل مع هذه الصعوبة، قد يقوم المدافع عن CTM بتفريد individuate الأحداث كأمثلة للخصائص، أو على نحو أدق كأمثلة لمجموعات من الخصائص من خلال شيءٍ ما في وقتٍ ما، ويسمح هذا للمدافع عن CTM بتقديم علاقة تضمين بين الأحداث، إذ قد يزعم مؤيد CTM أن الحدث e* متضمن في الحدث e فقط في حالة إذا كانت جميع الخصائص التي تُمثَّل exemplified كجزء من الحدث e* هي خصائص تُمثَّل كجزء من

(5) للتفاصيل انظر (Kim، 1993).

الحدث e، في الشيء ذاته وفي الوقت ذاته، إن تقديم هذه العلاقة يجعل من الممكن للمدافع عن CTM أن يجادل بأنني، في الماضي، قمتُ بتمثيل الحدث ذاته الذي أمثّله الآن عندما تكون لدي صورة ذهنية عن حصانٍ يمشي مشيةً ما خلال مهرجانٍ ما، على عكس ما قد يبدو للوهلة الأولى. لأنه يبدو من المعقول افتراض أنه من خلال تمثيل المرء لحدثٍ ما، فإن المرء يمثّل دائمًا جميع الأحداث التي يتضمنها هذا الحدث. وحدث مشية الحصان مشيةً ما متضمن في حدث مشية الحصان مشية الخبب[6]. وبالتالي، يبدو أن CTM يمكن أن تتوافق مع الحدس الذي مفاده أننا قد نتذكر حدثًا ما دون تمثيل جميع تفاصيل الحدث الذي مثّلناه في الماضي[7]، شريطة أن تُفسَّر الأحداث على أنها أمثلة للخصائص. ومن ثم سأفترض هذا المفهوم للأحداث لأغراض مناقشتنا لـ CTM.

ما الاعتبارات التي يمكن تقديمها لدعم CTM؟ يبدو أن الذّاكرة الاستطرادية تسجل وتخزن محتوى الخبرات (الإدراكية عادة) التي امتلكناها في

(6) بدلًا من ذلك، قد تشير صياغة أكثر تطورًا لـ CTM صراحة إلى علاقات التضمين في شروط التذكر. قد يقترح المدافع عن CTM، من البداية، أنه لأي شخص S وحدث e*، فإن S يتذكر e*، وهناك حدث e بحيث يكون e* متضمن في e، وS قام بتمثيل e* في الماضي، وحقيقة أن S قد مثّل e في الماضي تسببت في جعل S يمثل e* في الحاضر. لقد نُوقِشت صياغة لـ CTM من هذا النوع في (Bernecker، 2010). قد تكون العلاقات الأخرى بين الأحداث، مثل: علاقة الاختزال في (Bernecker، 2008)، مفيدة أيضًا في التعامل مع التعقيدات الخاصة بـ CTM التي نُوقشت سابقًا.

(7) هناك مفهوم بديل للأحداث، وهو عدّها معيّنات particulars. فهل لا يزال بإمكان CTM استيعاب الحدس ذاته إذا فُسّرت الأحداث على أنها معيّنات؟ في رأيي، ربما يعتمد هذا على ما إذا كانت المعيّنات ذات الصلة متفردة individuated بقواها السببية، أو أنها متفردة بالمنطقة الزمانية المكانية التي تشغلها. في الحالة الأولى، يمكن للمرء أن يرى كيف أن المدافع عن CTM قد يظل قادرًا على ادّعاء أنّ الحدث الذي يتجسد في حصان يمشي مشيةً ما هو متضمن في الحدث الذي يتجسد في حصانٍ يمشي مشية الخبب (على سبيل المثال: ربما يتوقع المرء أن أي شيء نتج عن مشي الحصان بمشيةٍ ما قد يكون سببه أيضًا مشي الحصان مشية الخبب). ومع ذلك، في الحالة الأخيرة، من الصعب أن نرى كيف يمكن للمدافع عن CTM الاستفادة من علاقة التضمين بين الأحداث. لمناقشة تفريد الأحداث التي تُفسَّر على أنها معيّنات، انظر (Davidson، 2001).

الماضي من خلال إنتاج صور ذهنية ترث محتوياتها من تلك الخبرات[8]. إن الجانب الحفظاني للذاكرة غير كامل، للأسباب المذكورة سابقًا. فعلى نحو نموذجي، نحن لا نقوم بحفظ كل تفاصيل الحدث الذي مثّلناه في الماضي في ذاكرتنا. ومع ذلك، فالجانب الحفظاني للذاكرة له أهمية كبيرة بالنسبة لنا. إذ يمدنا بالقدرة على التبحر في البيئات المألوفة من خلال السماح لنا بالتعرف على الأشخاص والأماكن والمواقف التي واجهناها في الماضي[9]. الآن، من مميزات CTM أنها تمثل هذا الجانب الحفظاني للذاكرة بشكل مباشر. وإذا كانت CTM صحيحة، فلا عجب أن تتيح لنا ذكرياتنا المعلومات التي أمدتنا بها في البداية بعض خبراتنا السابقة؛ لأن الذكريات يجب أن ترث محتوياتها من تلك الخبرات التي تولدت منها الذكريات. وفي النهاية، وفق CTM لن تُعد الحالة الذهنية ذاكرة ابتداءً إذا لم تمثل شيئًا ما تمثله الخبرة التي تولدت فيها في الماضي. لذلك، تتمتع CTM بميزة كبيرة. ولكن؛ لسوء الحظ، تحتاج CTM أيضًا إلى مواجهة صعوبتين مهمتين:

أولًا: يبدو أن CTM صارمة للغاية؛ لأنه على الرغم من أنها تسمح للخبرة الذاكرية بتضمين تفاصيل أقل من الخبرة التي تولدتْ فيها، إلا أنها لا تسمح لها بتضمين تفاصيل مزيدة. ومع ذلك، حدسيًا، قد تتضمن ذكرى ما لحدث سابق تفاصيل لم تتضمنها الخبرة السابقة للحدث. لنفترض أنني، في طفولتي،

---

(8) يمكن العثور على نسخ من هذا التصور في أعمال كثيرة، منها مثلًا: (Aristotle, 1972, pp. 28-32), (Locke, 1975, pp. 149-153), (Hume, 2000, p. 12), (Broad, 1937, pp. 239-41), (Malcolm, 1963, p. 208), (Shoemaker, 1984, p. 19). ويبدو أيضًا أن توماس ريد يؤيد هذا الرأي عندما قال: «الأشياء المتذكرة يجب أن تكون أشياء مدركَة أو معروفة سابقًا. أنا أتذكر عبور كوكب الزهرة فوق الشمس في العام 1769. لذلك لا بد أنني أدركته وقت حدوثه، وإلا فلن أتذكره الآن» (Reid, 1969, p.326).

(9) هذه القدرة، بدورها، ذات قيمة عالية من منظور البقاء. فإذا أردنا تجنب الخطر، مثلًا، فإن القدرة على التعرف على الموقف الذي نجد أنفسنا فيه على أنه موقف اختبرنا خطره سابقًا سيكون مفيدًا لنا. وبالمثل، إذا أردنا العثور على طعام، فإن القدرة على التعرف على المكان الذي نجد أنفسنا فيه على أنه مكان قد اختبرنا فيه سابقًا وجود طعام سيكون مفيدًا لنا أيضًا. ولهذا السبب، فإن الجانب الحفظاني للذاكرة هو سمة جوهرية لها.

استمتعتُ بمرافقة والدي في أثناء ذهابه في نزهة ريفية لصيد الأرانب، ورأيته ذات مرة يصطاد أرنبَ أبيضَ، ولنفترض أنه نتيجة وجود هذه الخبرة الإدراكية في الماضي لديَّ الآن خبرة أتخيل فيها الأرنب، تمامًا كما ظهر لي في الماضي، باستثناء حقيقة أنني أتخيل الآن الأرنب على أنه أسود. ونتيجة ذلك، أنا على استعداد للادّعاء الذي مفاده أنني رأيت ذات مرة أرنبَ أسود تُصوَّب عليه بندقية. وفق CTM، لا تشكّل خبرتي الحالية ذكرى صيد أرنب أسود؛ لأنها تحتوي تفاصيل لم تكن موجودة قط في خبرتي الأصلية للأرنب، ويبدو هذا مناقضًا للحدس بشدة[10]. ففي النهاية حالات هذا النوع شائعة للغاية، لذا يبدو أن القول: إن هذه الحالة ليست تذكرًا استطراديًا يجعل نطاق الذَّاكرة ضيقًا على نحو غير معقول[11]. ويبدو من الطبيعي أكثر أن أقول: إن هذه حالة لخطأ التذكر، حيث أخطئ فيها في تذكر الحدث؛ ونظرًا لأن الذكريات غير الصحيحة ما زالت تُعد ذكريات، فهذا يعني أنه يجب التسليم بأن هذه الحالة مثال للتذكر. دعونا نطلق على حالات هذا النوع اسم حالات "الزخرفة embellishment".

لاحظ أنه في حالة الزخرفة التي نظرنا فيها سابقًا، لم نكتسب تفاصيل الحدث المتذكر المتضمنة في الذَّاكرة، وليس في الخبرة التي تولدت فيها الذَّاكرة (ففي الواقع لم يكن الأرنب أسودَ). لكن هذا غير ضروري للاعتراض المثار ضد CTM. فلنفترض أنه كنتيجة لخبرتي الإدراكية لأبي وهو يصطاد أرنبَ أبيضَ في الماضي أنني الآن أمتلك خبرة أتخيل فيها الحدث، تمامًا تقريبًا كما اختبرته

(10) من الواضح أن الصعوبة التي يواجهها المنظّر السببي ليست فقط أن الحدث الذي أتخيله الآن يختلف عن الحدث الذي مثّلته من خلال الخبرة الإدراكية التي تولدت فيها صورتي الذهنية سببيًا. إذ تكمن الصعوبة، على نحو أقوى، في أن الحدث الأول لم يُضمَّن في الحدث الأخير.

(11) يمكن إرجاع الرأي القائل: إن الذكريات تتضمن تفاصيل لم يختبرها الشّخص أصلًا إلى عمل فريدريك بارتليت Frederic Bartlett عن الذَّاكرة البناءة (Bartlett، 1932)، وهذا الرأي يتمتع حاليًا بقبول واسع في علم النفس. للحصول على مسح مفيد للأدبيات التجريبية ذات الصلة، انظر (Roediger & DeSoto، 2015). يسلط الجانب البناء للذاكرة الضوء على أمر معقول آخر، وهو عد جانبها الحفظاني معيبًا للغاية. فقد يُعد في الواقع الجانب الحفظاني للذاكرة معيبًا لدرجة أنه قد لا يكون كافيًا لتحفيز (CTM Michaelian، 2016). ومع ذلك، هذه العيوب ليست كافية لتجاهل الجانب الحفظاني للذاكرة تجاهلًا تامًا، للأسباب المذكورة في الملاحظة التاسعة.

إدراكيًا في الماضي. والاختلاف الوحيد هو أنني أتخيل الآن أبي يرتدي حزامًا عليه حلية معدنية فضية وقت صيده الأرنب، وهي تفاصيل (كما نشترط) لم يكن بإمكاني إدراكها وقت التصويب على الأرنب؛ نظرًا لموقعي المكاني في المشهد بالنسبة إلى موقع أبي. ولنفترض أن هذا الحزام مألوف جدًا لي، وكما اتضح، كان أبي يرتديه بالفعل وقت تصويبه. يبقى الحدس يقول: إن لدي ذكرى. ومع ذلك، وفق CTM، فإن خبرتي الحالية لا تشكّل ذكرى لأبي وهو يصوّب على الأرنب، لأنها تحتوي تفاصيل لم تكن موجودة في خبرتي الأصلية للحدث، وبالتالي، يبدو أنَّ حالات الزخرفة تشكّل تهديدًا لـ CTM، في تفاصيل الحدث المتذكَّر التي هي موجودة في ذاكرتنا في تلك الحالات، فهي في الواقع تفاصيل الحدث الذي استمعتُ به في الماضي.

دعونا نُشِرْ إلى وجهة النظر التي وفقها لا يمكن لذكرى حدثٍ ما أن تتضمن تفاصيل لم تكن موجودة قط في الخبرة الأصلية للحدث لدى الشّخص على أنها "حفظانية المحتوى preservationism about content". هناك وجهة نظر مختلفة بشأن الذّاكرة في الأدبيات الفلسفية وفقها إذا كان الشّخص يعرف بعض القضايا على أساس الذّاكرة، فذلك لأنه عرفها، في مرحلة ماضية، من خلال مصدر آخر غير الذّاكرة. ودعونا نُشِرْ إلى وجهة النظر هذه على أنها "حفظانية المعرفة preservationism about knowledge"[12]. تجدر الإشارة إلى أن حفظانية المحتوى وحفظانية المعرفة، هما وجهتا نظر مستقلتان منطقيًا. فلا يستلزم النوع الأول من الحفظانية النوع الأخير؛ نظرًا لأنه يمكن القول بوجود حالات لتوليد المعرفة في الذّاكرة تبدو متسقة مع حفظانية المحتوى[13]. والنوع الأخير من الحفظانية لا يستلزم النوع الأول، حيث يمكن القول: إن حالات الزخرفة من الشكلين اللذين بحثناهما سابقًا هي أمثلة-مضادة لحفظانية المحتوى، ومع ذلك هي متوافقة مع حفظانية المعرفة، فمثلًا، في الحالة التي أتخيل فيها أرنبَ أسودَ

(12) حول حفظانية المعرفة انظر، مثلًا، (Dummett, 1994, p.262)، و(Audi, 1997, p.410).

(13) انظر (Lackey، 2005) للاطلاع على هذه الحالات.

يُصوَّب عليه، لا تُوجد معرفة جديدة تولدها ذاكرتي؛ لأنني إذا كوّنتُ، على أساس ذاكرتي، اعتقاد أن أرنبَ أسود قد صُوِّب عليه، فإنني أكوّن اعتقادًا زائفًا، لا يرقى إلى مستوى المعرفة، على النقيض من ذلك، في الحالة التي أتخيل فيها أبي وهو يصوّب على أرنب وهو يرتدي حزامًا به حلية معدنية فضية، لا تُوجد معرفة جديدة ولدتها ذاكرتي لسبب مختلف. في هذه الحالة، إذا كوّنتُ، على أساس ذاكرتي، اعتقاد أن أبي كان يرتدي هذا الحزام فسيكون اعتقادي صحيحًا، لكن كان من الممكن بسهولة أن يكون زائفًا، ومن ثم فهو أيضًا لا يرقى إلى مستوى المعرفة[14].

ثانيًا: يبدو أن CTM متساهلة جدًا. تخيل أنني قادر على تصور الأحداث التي شهدتها في الماضي، لكن لأن لدي قصور معرفاني حقيقي ما، فإن صوري الذهنية لتلك الأحداث لا تنقل لي الإحساس أن الأحداث ذات الصلة قد وقعت، وأنني شهدتها في الماضي[15]. افترض، فضلًا عن ذلك، أنني رسام. وقررتُ أن أرسم عصفورًا يهبط على سطح منزل، وفي نهاية عملي، رسمتُ هذا المشهد على لوحتي الزيتية. ومع ذلك، أنا لا أميل إلى الاعتقاد أن هذا العناصر هي منزل وطائر رأيتهما في الماضي. فأنا لا أعتقد أن هذه العناصر هي منزل

(14) يمكن تحفيز الفكرة القائلة: إن الاعتقاد الذي كان من الممكن أن يكون خاطئًا بسهولة لا يشكل معرفة باستخدام أمثلة لحالة مثل حالة "واجهة الحظيرة barn façade" الكلاسيكية في (Goldman، 1976).

(15) من الصعب معرفة ما إذا كانت هناك حالات فعلية من هذا النوع. قد تكون حالة المريض R.B التي ناقشها حديثًا شون نيكولز Shaun Nichols وستانلي كلاين Stanley Klein، مُرشحًا (Klein & Nichols، 2012). إذ يعاني المريض .R.B، بسبب صدمة في الرأس تعرض لها في حادث دراجة، من ضعف معرفاني ملحوظ. حيث يمكن للمريض R.B، على ما يبدو، امتلاك صور ذهنية دقيقة لمشاهد من ماضيه. لكنه يزعم، فيما يتعلق ببعض هذه الصور، أنها ليست ذكرياته. إحدى التفسيرات المحتملة لادعاءات من هذا النوع هو أن المريض لا يختبر تلك المشاهد كما حدثت في الماضي عندما يمتلك الصور اللذهنية ذات الصلة. وإذا صحت هذه الفرضية، فإن هذا المريض لديه نوع العجز المتصور. ومع ذلك، مسألة ما إذا كانت هذه الفرضية صحيحة هي محل نزاع. انظر عملي (يصدر قريبًا، في قائمة المراجع) للدفاع عنها، وللاطلاع على فرضية بديلة، انظر (Klein & Nichols، 2012).

حقيقي وطائر حقيقي، أو كانت كذلك. لكن اتضح أنني مخطئ، فالمنزل الذي رسمتُه هو منزل زرتُه في طفولتي في الواقع. والطائر الذي رسمته هو طائر رأيته فعلًا في زيارتي. والخبرة التي تخيلت فيها المشهد الذي رسمته على لوحتي الزيتية تتولد سببيًا في خبرتي الإدراكية السابقة لهذا الطائر وهو يهبط على سطح ذلك المنزل(16). وفق CTM، في هذا الوضع الخبرة التي تخيلتُ فيها المنزل الذي رسمتُه على لوحتي الزيتية تُعد حلقة تذكرية(17). وهذا يبدو مناقضًا للحدس للغاية. ففي النهاية الخبرة التي امتلكتها عندما انخرطتُ في مشروع رسم طائر يهبط على سطح منزل لم تنقل لي الإحساس بأن ذلك المنزل، وذلك الطائر كان جزءًا من حياتي بأي شكل من الأشكال. ولهذا السبب، فإن امتلاك خبرة كهذه لم يُحْدِث أي فرق فيما يتعلق بالقضايا التي كنتُ أميل إلى اعتقادها فيما يتعلق بماضيّ وما هي القضايا التي كنتُ أميل إلى عدم اعتقادها. إن الخبرة لم تؤثر في اعتقاداتي بشأن الماضي. ويبدو من الطبيعي أكثر وصف الحالة بالقول: إنني كنتُ أتخيل طائرًا يهبط على سطح منزل عندما انخرطت في مشروع رسم هذا المشهد. دعونا نطلق على حالات هذا النوع حالات "اللاصلة الإبستيمية epistemic irrelevance"(18).

ربما ينازع المرء في هذا التوصيف للحالة من خلال اقتراح أنني أتذكر لكني لا أعتقد أنني أتذكر (في الواقع هذه الطريقة التي فهم بها تشارلز مارتن

---

(16) هذا المثال هو شكل مختلف لحالة قُدِّمت في (Martin & Deutscher، 1966).

(17) هذا صحيح في الصيغة الكلاسيكية لـ .CTM ومع ذلك، يمكن للمرء إضافة شرط إلى شروط التذكر المطروحة في الصيغة الكلاسيكية لـ .CTM فقد يتطلب المرء أنه عندما يقوم الشّخص الآن بتمثيل حدثٍ ما، فإن هذا التمثيل يحتاج إلى نوع محدد من الفينومينولوجيا حتى يمكن عدّه ذاكرة. ومن شأن هذه الإضافة استبعاد الصورة الذهنية للطائر وهو يهبط على سطح المنزل. لكن هذه الفائدة لها تكلفة. وحينئذٍ يُثقَل المنظّر السببي بمهمة تحديد أي سمات فينومينولوجيا الذكريات ضرورية وأيها غير ضرورية. وقد لا تكون المهمة مستحيلة. لكن يبدو من المفيد استكشاف ما إذا كانت النظريات البديلة حول طبيعة الذّاكرة قد لا تحتاج إلى تحمل هذه التكلفة.

(18) يعود هذا المصطلح إلى دوروثيا ديبوس Dorothea Debus التي أثارت هذا الاعتراض بالأساس ضد CTM في (Debus، 2010).

وماكس دويتشر النسخة الأصلية للحالة). في رأيي، الاختيار بين تفسير حالة الرسم كحالة أتخيل فيها الحدث، وتفسيرها على أنها حالة أتذكر فيها الحدث، ينطوي على مقايضة بين حقيقتين يجب تفسيرهما بشأن الذّاكرة:

الحقيقة الأولى التي تحتاج إلى تفسير في حالة الرسم هي التشابه اللافت بين الحدث الذي رسمتُه في الحاضر والحدث الذي شهدته في الماضي. ولنختصر هذه الواقعة بـ: "تشابه الأحداث".

الحقيقة الثانية التي تكون بحاجة إلى تفسير هي حقيقة عامة حول العلاقة بين الذّاكرة والاعتقاد مع تساوي جميع الأمور الأخرى، عندما يتذكر الشّخص حدثًا ما يبدو أن هذا الشّخص يميل إلى الاعتقاد أن ذلك الحدث قد وقع في الماضي. وبطبيعة الحال يمكن تجاوز هذا النوع من الميل، من خلال، مثلًا، اكتساب اعتقادات أخرى مثل اعتقاد أن ملكة الذّاكرة لدى الشّخص ليست جديرة بالثقة. ومع ذلك، مثلما نميل للوهلة الأولى إلى الاعتقاد أن تلك الأحداث التي ندركها تحدث في الحاضر، ودعونا نختصر هذه الحقيقة حول العلاقة بين الذّاكرة والاعتقاد بكلمة "الصلة الإبستيمية Epistemic Relevance".

إذا فسّرنا حالة الرسم على أنها حالة أتذكر فيها الطائر الذي هبط على سطح المنزل، فإن "تشابه الأحداث" سوف يبدو، من جهة، سهل التفسير. إذ لا يبدو مفاجئًا أن محتوى الصورة الذهنية التي لديّ عندما أرسم الحدث مشابه جدًا لمحتوى الخبرة الإدراكية السابقة التي تولدت فيها تلك الصورة الذهنية. ففي الأخير، في ضوء الجانب الحفظاني للذاكرة، هذا هو بالضبط ما تتوقعه إذا كانت الصورة الذهنية التي أمتلكها، عندما أرسم الحدث، هي ذكرى ذلك الحدث. لكن الصلة الإبستيمية، من جهة أخرى، يبدو من الصعب تفسيرها وفق هذا التفسير لمثال الرسم. إذا كان من الممكن بالفعل أن تكون لدى شخصٍ ما ذكرى عن حدثٍ ما، ومع ذلك يفتقر إلى الميل للاعتقاد أن الحدث قد وقع في الماضي، فإن هذا الميل ليس ضروريًا للذاكرة. وإذا لم يكن ضروريًا للذاكرة، فيجب أن يكون هناك في حالات التذكر الشائعة سبب لكون الشّخص يعتقد أن

محتوى ذاكرته قد حدث في الماضي، لكن من الصعب معرفة سبب اعتقاد الشّخص بهذا الأمر. على سبيل المثال: نظرًا لأن المرء يمكن أن يتخيل حدثًا ماضيًا دون أن يكون لديه الميل للاعتقاد أن الحدث قد وقع في الماضي، يبدو أن سبب الاعتقاد أن الأحداث المتذكرة قد وقعت في الماضي لا يمكن أن يكون أن الأحداث المتذكرة قد عُرِضت إلينا على أنها حدثت في الماضي. بدلًا من ذلك، قد يعتقد المرء أن هناك بعض السمات الفينومينولوجية التي تتميز بها الذكريات (مثل: حيويتها، ربما)، وقد تعلَّمنا، نموذجيًا، أن الأحداث التي عُرِضت لنا من خلال الصور الذهنية ولها هذه السمة قد وقعت في الماضي. لكن هذه العملية التعليمية سترتكز على الخبرة السابقة. ولهذا السبب، هي تفترض مسبقًا (وبالتالي، لا يمكن أن تفسِّر) ميلنا إلى اعتقاد أن تلك الأحداث التي نتذكرها قد وقعت في الماضي[19].

وعلى العكس من ذلك، إذا فسّرنا حالة الرسم على أنها حالة أتخيل فيها الطائر يهبط على سطح المنزل، فإن الصلة الإبستيمية تبدو، من جهة، سهلة التفسير. إذا كان من المستحيل أن يكون لدى الشّخص ذكرى لحدثٍ ما، ومع ذلك يفتقر إلى الميل للاعتقاد أن هذا الحدث قد وقع في الماضي، فإن هذا الميل من قوام الذّاكرة. وبالتالي، فإن السبب الذي يجعل الشّخص يميل إلى الاعتقاد أن حدثًا متذكرًا قد وقع في الماضي هو ببساطة أن هذا جزء من ماهية تذكر الشّخص للحدث. لكن "تشابه الأحداث"، من جهة أخرى، يبدو من الصعب تفسيره وفق هذا التفسير لمثال الرسم. ومع قولي هذا، لا يبدو أن التشابه بين الحدث الذي رسمته في الحاضر والحدث الذي شهدته في الماضي لا يمكن تفسيره. إذ لا يزال من الممكن تفسير هذا التشابه من خلال حقيقة أن صورتي الذهنية الحالية للحدث المرسوم مسبَّبة عن خبرتي الإدراكية السابقة للحدث ذاته. من المُسلّم به أن هناك ثمنًا يجب دفعه مقابل تفسير كهذا، يجب أن نتخلى عن فكرة أن العلاقة السببية بين خبرة سابقة وصورة ذهنية حالية لدى

---

(19) لمناقشة هذه النقطة، انظر (Fernndez، 2006).

الشّخص لا يمكن أن تحدث إلا في الذَّاكرة. ومع ذلك، في حالة عدم وجود اعتبارات مستقلة لدعم هذه الفكرة، لا يبدو أن تكلفة تفسير "تشابه الأحداث" مرتفعة للغاية.

إذًا، يبدو أن CTM تجسّد خاصية مهمة للذاكرة، وهي جانبها الاحتفاظي retentive. لكن يبدو أيضًا أن CTM تتجاهل سمتين مهمتين أخريين للذاكرة. إن التذكر، كما توضح حالات الزخرفة، ليس فقط مسألة حفظ بعض المعلومات التي قدمتها خبراتنا السابقة لبعض الأحداث، ولكن يمكن أن يشمل أيضًا إعادة بناء تلك المعلومات. علاوة على ذلك، يجب أن تكون للتذكر، كما توضح حالات عدم الصلة الإبستيمية، القدرة على نقل اعتقاداتنا بشأن ماضينا. لا بد أن يُحدث فرقًا فيما يتعلق بالأشياء التي نميل إلى اعتقادها، والأشياء التي نميل إلى عدم اعتقادها، فيما يتعلق بماضينا. إذًا حاصل مناقشتنا هو أن التقرير الناجح فيما يتعلق بنوع الحالة الذهنية التي تُعد حلقة للتذكر يجب أن يستوعب هاتين السمتين، مع الإبقاء على الميزة الرئيسة لـ CTM. لننتقل الآن إلى مفهوم بديل للتذكر يؤكد بالضبط هاتين السمتين.

3. النظرية السردية في الذَّاكرة The Narrative Theory of Memory:

هناك مفهوم بديل للذاكرة وفقه لا تكون الذَّاكرة أداة سلبية لتسجيل المحتويات وإعادة إنتاجها، وإنما هي ملكة شبيهة بالخيال في قدرتها الإبداعية. تتجسد العقيدة الرئيسة لهذا المفهوم "السردي" (أو "NTM" اختصارًا) في أننا، في الذَّاكرة، نشارك في مشروع إبداعي، حيث نبني قصصًا عن ماضينا من خلال دمج المحتوى الذي اكتسبناه من خلال خبرتنا بالمحتوى الآتي من مصادر أخرى، مثل: الشهادة testimony، والاستدلال، والخيال. حسب هذا المفهوم، لا يُقصد بالذَّاكرة أن تمثّل الماضي كما اختبرناه. وإنما تعيد الذَّاكرة بناء الماضي؛ كي تساعدنا في بناء سرد سلسل ومتين لحياتنا. قد نقوم بصياغة NTM على نحو أكثر دقة كوجهة نظر مفادها أنه بالنسبة لأي شخص S وحدث e، فإن

S يتذكر e فقط في حالة أن S يقوم بتمثيل e، ويستخدم S تمثيله لـ e كجزء من سردية لحياة S[20]. ولتوضيح هذا الرأي السردي، يجدر توضيح مفهومَيْ التمثيل والسرد المستخدَمَيْن فيه.

يجب فهم مفهوم التمثيل المستخدم في صياغة NTM فهمًا أوسع حتى من ذلك المستخدم في صياغة CTM. ويتعلق سبب توسيع هذا المفهوم بقضية تصنيفية taxonomical مقعدة نوعًا ما في دراسة الذّاكرة. إنَّ NTM لا تُقدَّم عادة كإجابة على السّؤال المُحدد حول ما يلزم للحالة الذهنية لتُعد ذاكرة استطرادية، وإنما تُقدَّم كإجابة على سؤال حول ما يلزم للحالة الذهنية لتُعد ما يسمى: الذّاكرة "السِّيَرِيّة-الذاتية autobiographical". يكمن التعقيد في حقيقة أن مفهوم الذّاكرة السيرية-الذاتية لا يتطابق مع مفهوم الذّاكرة الاستطرادية. يُقصد بالذّاكرة السيرية-الذاتية أن تكون ذكرى لحدثٍ ما في ماضي المرء، أو في حياته، في حين يُفترض أن تكون الذّاكرة غير السيرية-الذاتية ذاكرة لحدث لا يهم المرء على الإطلاق[21]. وبالتالي، قد تكون الذّاكرة السيرية-الذاتية استطرادية (مثل: ذكرى قُبلة المرء الأولى) أو لا (مثل: ذكرى أن المرء كان في يوم من الأيام مريضًا بشدة عندما كان رضيعًا يبلغ من العمر ثلاثة أشهر). ولهذا السبب، عندما يزعم المدافع عن NTM أن الحالة الذهنية التي تمثل حدثًا ما تُعد تذكرًا للحدث فقط في حالة أن الشّخص جعلها جزءًا من سردية حياته، فإنه يجب فهم مفهوم التمثيل ذي الصلة على أنه لا يشمل فقط الخبرة، وإنما يشمل أيضًا الاعتقاد. لأن، في بعض الحالات، ستكون الحالة الذهنية المعنية مجرد اعتقاد الشّخص أن الحدث كان جزءًا من حياته[22].

---

(20) يمكن العثور على نسخ هذا المفهوم في أعمال كثيرة، على سبيل المثال: (Schechtman، 1994) و (Goldie، 2012) و (Brockmeier، 2015).

(21) فيما يتعلق بالذّاكرة السيرية-الذاتية، انظر: (Conway & Pleydell-Pearce، 2000) و (Barsalou، 1988).

(22) إذا كان المفهوم السردي هو مفهوم للذاكرة السيرية-الذاتية، فقد يتساءل المرء: لما هذا المفهوم متصل بمشروعنا الحالي؟ والسبب هو أنه إذا كان الدرس المستخلص من حالات اللاصلة الإبستيمية الواردة في القسم الثاني صحيحًا، فإن الذكريات الاستطرادية هي ذكريات سيرية-ذاتية.

يصعب توضيح مفهوم السرد المستخدم في NTM بالتحديد. بشكل عام، سردية حياة شخص يتذكر هي قصة حياته. ومع ذلك، فإن القصص هي أكثر من مجرد مجموعات من المعلومات. إذ تمتلك، على سبيل المثال، بنية زمنية. ومن ثم، فإن قصة حياة الشّخص المتذكر ستمنح الأحداث التي يتذكرها بنية زمنية ما. ومع ذلك، يبدو أن هذه البنية بنية فضفاضة. وبالتالي، يبدو من المعقول أن نفترض أنه لكل حدث e يُتذكَّر في حياة الشّخص، فإن قصة هذه الحياة سوف تتضمن سلسلة من الأحداث مرتبة حسب علاقة "أسبق زمنيًا من" التي تربط e بالحدث الحالي الذي يكمن في تذكر الشّخص للحدث e[23]. لكن يبدو من المعقول أيضًا أن نفترض عدم صحة ما يلي. لأي حدثين متذكَّريْن e و e* في حياة المرء، تتضمن القصة سلسلة من الأحداث، مرتبة حسب علاقة "أسبق زمنيًا من" التي تربط e بـ e*. وهكذا، فإن قصة حياتي، كما أتذكرها، قد تتضمن عددًا من الأحداث التي كانت جزءًا من إجازة عائلية حدثت خلال طفولتي، وقد تتضمن عددًا من الأحداث التي كانت جزءًا من أيامي المدرسية المبكرة، لكن ليس من الضروري أن يكون دقيقًا ما إذا كانت الأحداث التي وقعت في إجازة العائلة قد حدثت قبل، أو بعد، تلك الأحداث في أيامي المدرسية المبكرة[24]. علاوة على ذلك، فإن القصص لها مؤلفون، حيث إن

لأن الذكريات الاستطرادية يجب أن تجعلنا نعتقد أن الأحداث التي نتذكرها هي جزء من ماضينا، أو تنتمي إلى حياتنا. وهذا يعني أنه عندما يقترح المدافع عن المفهوم السردي معيارًا يحدد متى تكون الحالة الذهنية ذكرى، فإن المعيار المقترح سوف ينطبق على جميع الذكريات الاستطرادية؛ لأنه ينطبق، على نطاق أوسع، على الذكريات السيرية-الذاتية.

(23) كم عدد الأحداث التي يجب أن تتضمنها السلسلة حتى تكون جزءًا من قصة حياة شخص ما؟ بدقيق القول، لا شيء في مفهومنا السابق للتنزير يبدو أنه يستبعد احتمالية أن تتضمن هذه السلسلة حدثين فقط: حدث e والشّخص الذي لديه صورة ذهنية لـ e. ومع ذلك، من الصعب أن نرى كيف يمكن دعم NTM من خلال الافتراض المسبق لهذه القراءة الضعيفة لـ "سلسلة الأحداث". ولذلك، فيما يلي، سأفترض أن NTM تفترض مسبقًا مفهومًا أقوى لسلسلة الأحداث بِعَدِّها مكوّنًا لقصة حياة شخص ما.

(24) الفكرة هنا هي أن البنية الزمنية للذاكرة، إذا تصورنا الذّاكرة بِعَدِّها سردية، ستكون بنية شجرية. وقد نُوقشت فكرة أن البنية الزمنية للذاكرة هي بنية شجرية، بشكل مستقل عن النظرية السردية للذاكرة، في (Campbell، 1997).

مسألة الحلقات التي تنتمي إلى القصة، والمسألة المتعلقة بكيفية تنظيم تلك الحلقات، ليست عشوائية. على العكس تمامًا، فهذه الجوانب من القصة هي نتاج لصنع شخصٍ ما. وبالتالي، إذا صحّت NTM، فإن حقيقة أن ذاكرة الشّخص تتضمن بعض الأحداث، دون غيرها، وحقيقة أن ذاكرته تنظمها بطريقة محددة، هي شيء ما يكون المتذكِّر مسؤولًا عنه؛ وشيء يمكن أن يُحاسَب عليه. إن المتذكِّر في النهاية هو مؤلف السردية التي تتضمن ذكرياته.

من الصعب تحديد ما يتجاوز ذلك. أي: تحديد إلى أي مدى سيضيف المدافع عن NTM في مفهوم السرد. هناك عدد من المسائل المتعلقة بهذا المفهوم مفتوحة للنقاش، ويبدو أنَّ المواقف المختلفة بشأن هذه المسائل سوف تُسفِر عن نسخ مختلفة لـ NTM. فعلى سبيل المثال: قد نتساءل عن فينومينولوجيا السرديات، وعمّا إذا كانت الخصائص الانفعالية لذكرى حدثٍ ما، عندما يكون هذا الحدث متضمنًا في سردية حياة المرء، يجب أن تكون متماهية مع الخصائص الانفعالية للخبرة الأصلية التي عُرِض فيها هذا الحدث في البداية إلى المرء[25] بالمثل، قد نتساءل عن وظيفة السرديات. تتجسد إحدى وجهات النظر المعقولة حول هذه المسألة في عد وظيفة تضمين حدث ماضٍ في الذَّاكرة كجزء من سردية حياة المرء هي أمر إبستيمي، يهدف تضمين الحدث في السردية إلى إمداد الفرد بإجابات على أسئلة من هو وطبيعة شخصيته. وهناك وجهة نظر أخرى معقولة هي أن وظيفة تضمين حدث ماضٍ في الذَّاكرة كجزء من سردية حياة المرء هي أمر معياري normative: يهدف تضمين الحدث في السردية إلى إمداد المرء بمنظور يمكن من خلاله تقييم ما مضى من: أفعاله، ومشاعره، واستجاباته تجاه الأحداث المهمة في ماضيه[26].

أخيرًا، قد نتساءل عن قصدية السرديات، وإلى أي مدى يجب أن تمثل

---

(25) يبدو أن ريتشارد وولهايم Richard Wollheim يؤيد هذا الرأي في عمله (1984)، في حين يرفضه بيترغولدي Peter Goldie في عمله (2012).

(26) لقد نُوقِشت الرؤية الإبستيمية فيما يتعلق بوظيفة السرديات في (Schechtman، 1994)، في حين نُوقِشت الرؤية المعيارية في (Goldie، 2012).

قصة حياة المرء نفسه كشخصية في القصة. إذا مُثِّلت جميع الأحداث في قصة حياة المرء، إن جاز التعبير، من الداخل (وبالتالي، لا يُتخيَّل المرء أبدًا على أنه مشارك في تلك الأحداث عندما يتذكرها)، فهل ما زال المرء يمثل شخصية في القصة التي تُسرَد؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي، فهل تُعد القصة قصة حياة المرء؟[27] لأغراض مناقشتنا لـ NTM، سأفترض أن مفهوم السرد محايد فيما يتعلق بكل هذه المسائل. وحسب ما أرى، لا يتوقف أي اعتراض من الاعتراضات المُثارة ضد NTM على أي نقطة من هذه النقاط.

ما الاعتبارات التي يمكن تقديمها لدعم NTM؟ يمكن للنظرية السردية أن تستوعب حدسنا فيما يتعلق بحالات الزخرفة وحالات اللاصلة الإبستيمية. فكر أولًا في الحالة الذهنية التي أتخيل فيها أرنبَ أسود يُصوِّب عليه أبي. إذا كانت NTM صحيحة، فإن حالتي الذهنية تُعد حالة تذكر على الرغم من حقيقة أن الحالة الذهنية المعنية لا تتولّد عن إدراك ماضٍ لأرنب أسود يُصوَّب عليه. والسبب هو أنني، بحكم تلك الحالة الذهنية، أميل إلى اعتقاد أن هذا مشهد شهدته في الماضي، وهذا المشهد يتماشى مع أشياء أخرى أعتقدها متعلقة بالماضي، وهي أنني اعتدتُ الذهاب في نزهات ريفية مع أبي في طفولتي، وكان يصوّب على الأرانب خلال هذه النزهات. إن حقيقة أن NTM تتوافق مع حدوسنا بشأن حالات الزخرفة أن NTM تجسّد الجانب الترميمي للذاكرة، أي: قدرة الذّاكرة على تغيير المعلومات المتعلقة بأحداث ماضينا. إنها لميزة مهمة لـ NTM أن تفسح المجال لهذه السمة التي تتسم بها الذّاكرة.

لنتأمل الآن الحالة الذهنية التي أتخيل فيها طائرًا يهبط على سطح منزل؛ حيث أختبر هذه الحالة الذهنية في الوقت الذي أحاول فيه رسم هذا المشهد على لوحتي الزيتية. إذا كانت NTM صحيحة، فإن حالتي الذهني لا تُعد حالة تذكر. هذا على الرغم من حقيقة أن الحالة الذهنية المعنية تتولد في إدراكي

---

(27) بيتر غولدي، على سبيل المثال: متعاطف مع فكرة أن سردية حياة المرء قد تتضمن ذكريات يتخيل المرء فيها نفسه، إن جاز التعبير، من الخارج، انظر عمله (2012). لكن من غير الواضح، وفق غولدي، ما إذا كانت هذه الذكريات مطلوبة للسردية كي تشمل الشّخص كشخصية في القصة.

الماضي للمشهد؛ لأنه ليس صحيحًا أنني أميل، بحكم أنني أختبر هذه الحالة الذهنية، إلى اعتقاد أن هذا المشهد هو مشهد رأيته في الماضي، ولا يتفق مع الأمور الأخرى التي أعتقدها عن ماضيّ، مثل ما إذا كنتُ قد زرت من قبل منزلًا يشبه المنزل المرسوم على لوحتي. توضح حقيقة أن NTM تتوافق مع حدوسنا بشأن حالات اللاصلة الإبستيمية أن NTM تجسّد المطلب القائل: إن الذكريات لا يمكن أن تكون محايدة إزاء ما إذا كانت الأحداث المتذكَّرة قد وقعت بالفعل في الماضي أو لا. إن الذّاكرة تفيد اعتقاداتنا حول الأحداث التي وقعت في ماضينا بمعلومات، وإنها لميزة مهمة لـ NTM أن تأخذ في الحسبان هذه السمة التي تتسم بهذا الذّاكرة. لسوء الحظ، لا بد أن تواجه NTM أيضًا صعوبتين كبيرتين:

أولًا: يبدو أنَّ NTM لا بد أن تكون صارمة للغاية؛ لأنها لا تسمح للحالة الذهنية بأن تُعد ذكرى إذا لم يكن بإمكان الشّخص أن يدرج الحدث الذي تمثله تلك الحالة الذهنية في سردية حياته، لكن ذكرى حدث ماضٍ في حياتنا قد تكون، على نحو حدسي بما فيه الكفاية، معزولة عن جميع الذكريات الأخرى التي في حوزتنا. لنفترض أنني، في طفولتي، سقطتُ ذات مرة في مسبح، ولم أتمكن من السباحة، وغرقتُ لفترة وجيزة في قاع المسبح قبل أن يلتقطني أحدهم منه. وافترض أنه يمكنني الآن تخيل الغرق في قاع المسبح. ودعوني أشترط، فضلًا عن ذلك، أنه يمكنني تخيل ذلك كنتيجة لمروري مرة واحدة بهذه الخبرة، وأفترض أنَّ الحالة الذهنية التي أتخيل فيها الحدث تنقل الإحساس بأن هذا الحدث قد وقع لي بالفعل. ومع ذلك، لنفترض أنني لا أستطيع إدراج هذا الحدث في أي تقرير عن الجزء ذي الصلة من طفولتي، فأنا لا أستطيع تذكر ما إذا كان هذا قد وقع في مسبح عام أو منزل شخصٍ ما، ولا أتذكر ما إذا كان مسبحًا في الهواء الطلق في الصيف أو مسبحًا داخليًا في فصل الشتاء. ولا أستطيع تذكر من كان حاضرًا في أثناء الحدث، ولا أتذكر مَن أخرجني من المسبح. في الحقيقة أنا لا أعرف أي شيء آخر عن هذا الحدث، سواء أكان من خلال الذّاكرة أم من خلال أي مصدر آخر (يمكننا في الواقع أن نشترط أن يظل

الوضع كذلك بعد أن يبحث المرء عن معلومات حول الحدث، مثلًا: من خلال سؤال والديه). وبالتالي، لا يمكنني وضع أي حدث آخر في طفولتي المبكرة على أنه قد وقع قبل هذا الحدث أو بعده. إذًا، وفق NTM، فإن الحالة الذهنية التي أتخيل فيها الغرق في قاع المسبح لا تُعد ذكرى، والسبب هو أنه بقدر ما يتعلق الأمر بقدرتي على سرد قصة طفولتي، فإن هذا الحدث معزول تمامًا عن جميع الأحداث الأخرى التي عددتها من الماضي، ونتيجة ذلك، فهو ليس جزءًا من أي سردية يمكنني تكوينها عن حياتي. ومع ذلك، يبدو من المناقض للحدس أن أقول، في هذه الحالة: إنني لا أتذكر الغرق في قاع المسبح (على الرغم من أنني أعتقد think جيدًا أنني لا أتذكر الغرق في قاع المسبح). دعونا نطلق على حالات هذا النوع حالات "العزل".

ثانيًا: يبدو أن NTM متساهلة للغاية، فعلى الرغم من أن NTM تتفق مع المطلب الذي ينص على أن الذَّاكرة يجب أن تتمتع بالقدرة على إفادة اعتقاداتنا بشأن الماضي بمعلومات، إلا أنها لا تتطلب أن تكون للذاكرة مسببات aetiology محددة. ومع ذلك، يبدو أن الحدس يقول: إن الحالات الذهنية من النوع الذي لا يتولّد عادة في خبراتنا الماضية لا تُعد ذكريات، فعلى سبيل المثال: فكّر في شخصٍ مُصاب بمتلازمة كورساكوف؛ وهي شكل من أشكال فقدان الذَّاكرة يحدث عادة بسبب الإفراط في شرب الخمر طوال العمر، يمكن للمرضى الذين يعانون من متلازمة كورساكوف تقديم أوصاف تفصيلية للأحداث التي من المفترض وقوعها بالأمس، على الرغم من أن الأحداث التي يتخيلها المرضى لم تحدث لهم قط. علاوة على ذلك، ليس من غير المعتاد بالنسبة للمرضى الذين يعانون متلازمة كورساكوف أن يبنوا قصصًا معقدة تتضمن تلك الأحداث بِعدِّها جزءًا من حياتهم، فمثلًا: يمكن للمريض بإخلاص أن يقدم وصفًا مفصلًا لذهابه في نزهة ويخبر بأنه أجرى محادثة ممتعة في القطار مع زميل في السفر، على الرغم من أن المريض كان في فراشه منذ أسابيع[28]. الآن، وفق NTM،

(28) للاطلاع على تفاصيل هذه الظاهرة في متلازمة كورساكوف، انظر (Talland، 1961).

تُعد الحالة الذهنية التي يمثل فيها المريض محادثته مع زميل السفر في القطار بمثابة ذكرى لتلك المحادثة، والسبب هو أن المريض لديه القدرة على سرد قصة عن ذهابه في نزهة تتضمن هذا الحدث كجزء منها. ومع ذلك، يبدو من مناقضة الحدس أن نقول: إن المريض يتذكر أنه أجرى تلك المحادثة في القطار بحكم امتلاكه هذه القدرة، وإنما الأكثر طبيعية أن نقول: إن المريض يتخيل المحادثة، وأن استخدام المريض لهذا المشهد في أثناء تأليفه لقصة أنه ذهب في نزهة مؤخرًا هو حالة خرف. دعونا نطلق على حالات مثل هذه الحالة حالات "الخرف"[29].

إذًا يبدو أن NTM تجسّد خاصيتين مهمتين للذاكرة، وهما حقيقة أن الذّاكرة تفيد اعتقاداتنا بشأن الأحداث التي وقعت في ماضينا بمعلومات، وحقيقة أن الذّاكرة تعيد بناء المعلومات التي تنقلها إليها حول تلك الأحداث، لكن يبدو أيضًا أن NTM تتجاهل سمة مهمة أخرى للذاكرة. إن جزءًا مما تتطلبه الحالة الذهنية من أجل أن تُعد حلقة لتذكر حدثٍ ما، كما توضح حالات الخرف، هو أنه يجب أن تكون هناك علاقة متينة وموثوقة بما فيه الكفاية بين هذا النوع من الحالة الذهنية والخبرات السابقة للشخص الخاصة بالحدث. فلا يمكن للشخص، إن جاز التعبير، أن يختلق الأمور[30]. ومن ثم، فإن نتيجة مناقشتنا في هذا القسم هي أن التقرير الناجح لنوع الحالة الذهنية التي تتأهل كحلقة للتذكر يجب أن يأخذ في حسبانه سمة الذّاكرة هذه، مع الإبقاء، على

---

(29) إن الخرف ليس مقصورًا على متلازمة كورساكوف. ومع ذلك، فمن المثير للجدل ما إذا كان يمكن أن يحدث الخرف دون فقدان الذّاكرة. وللاطلاع على مناقشة شاملة للخرف، انظر (Hirstein، 2006).

(30) يمكن تجسيد الحدس القائل: إنّ الشّخص لا يمكن أن يختلق الأمور من خلال فرض نوع من العلاقة السببية بين الذكريات والخبرات السابقة للشخص، ولكن لا يلزم تجسيده بهذه الطريقة. في النهاية، الشيء الوحيد الذي تظهره حالات الخرف هو أن العلاقة بين نوع الذّاكرة لحدثٍ ما يمر به الشّخص، ونوع الخبرة الإدراكية للحدث الذي كان على الشّخص امتلاكه في الماضي لا يمكن أن تكون عشوائية. وللاطلاع على اقتراح غير سببي بشأن هذا الارتباط ويجسّد حدسنا بشأن حالات الخرف، انظر (Michaelian، 2016).

نحو مثالي، على سمتيْ NTM. دعونا ننتقل إذًا إلى اقتراح حول طبيعة التذكر يهدف إلى تلبية هذه الاشتراطات.

4. المذهب الوظيفي في الذّاكرة:

عند هذه النقطة، يبدو من الطبيعي أن نحاول أن ندرج، داخل الشروط التي يجب أن تفي بها الحالة الذهنية كي تُعد حلقة تذكر، بعض الشروط التي تتعلق بمسببات الحالة الذهنية فضلًا عن بعض الحالات التي تتعلق بتأثير الحالة الذهنية في اعتقادات الشّخص. يقترح إطار عمل المذهب الوظيفي اقتراحًا طبيعيًا حول طبيعة التذكر يسمح لنا بدمج هذين النوعين من الشروط على وجه التحديد.

إن المبدأ الرئيس للمذهب الوظيفي هو أن حالة الشّخص لا تُعد حالة ذهنية خاصة به بحكم الخصائص الجوهرية للحالة، وإنما بحكم ارتباطها بدور وظيفي محدد. يتشكّل الدور الوظيفي للحالة من العلاقات السببية التي تكون بين الحالة والمدخلات الإدراكية والمخرجات السلوكية والحالات الأخرى للشخص. وحسب ذلك، تُفرَّد الأنواع المختلفة من الحالات الذهنية لدى المرء، وفق إطار العمل الوظيفي، بالإحالة إلى الأدوار الوظيفية المختلفة التي يمكن أن تؤديها الحالة في النظام المعرفاني للشخص. الآن، ماذا يعني "الارتباط" و"الإحالة" هنا بالضبط؟ للمذهب الوظيفي نسختان مختلفتان، اعتمادًا على كيفية اختيار المرء تحديد الطريقة التي يكون فيها الدور الوظيفي المرتبط بالحالة الذهنية ضروريًا للحالة التي تنتمي إلى نوع ذهني محدد.

وفق نسخة من نسختي المذهب الوظيفي (نسخة "المُنجِز realizer")، فإن الحالة التي تكون لدى الشّخص هي حالة ذهنية من نوع محدد؛ لأن الحالات الذهنية التي من هذا النوع لها دور وظيفي مميز، وحالة الشّخص لها هذا الدور. وبالتالي، فحسب نسخة المنُجِز للمذهب الوظيفي، فإن الدور الوظيفي المرتبط بالحالة الذهني ضروري لكون الحالة حالة من نوع ذهني محدد بالمعنى التالي: يجب أن يكون للحالة ذلك الدور الوظيفي، أو "تُنجزه"، حتى تُعد حالة من

النوع الذهني ذي الصلة[31]. على النقيض من ذلك تأتي نسخة مختلفة من الوظيفية (نسخة "دور الحالة")، تقول هذه النسخة: إن الحالة التي تكون للشخص هي حالة ذهنية من نوع محدد؛ لأنها هي خاصية كون الشّخص في حالة أو أخرى ذات دور وظيفي مميز، والشّخص يكون في حالةٍ ما بهذا الدور. وبالتالي، وفق نسخة الدور للمذهب الوظيفي، فإن الدور الوظيفي المرتبط بالحالة الذهنية ضروري لتكون الحالة حالة من نوع ذهني محدد، ولكن ليس بمعنى أن الحالة الذهنية يجب أن يكون لها الدور الوظيفي المعني. ومعنى كلمة ضروري هو أنَّ حالةً ما للشخص يجب أن يكون لها هذا الدور الوظيفي من أجل أن يكون الشّخص في هذه الحالة الذهنية[32]. إذًا الفرق بين وظيفية المُنجِز ووظيفية الدور هو أنَّ الحالة الذهنية، وفق وظيفية المُنجِز، هي حالة ذهنية من الرُّتبة الأولى first-order (الحالة التي تؤدي بالفعل دور كذا وكذا)، في حين وفق وظيفية الدور، فهي حالة من رتبة أعلى higher-order (حالة كون الشّخص في حالة أو أخرى تؤدي دور كذا وكذا).

كيف تتعامل الوظيفية مع الذّاكرة؟ الاقتراح الذي أرغب في طرحه هو أن حلقات التذكر هي حالات ذهنية يجب وصفها وظيفيًا، أو على نحو دقة يجب وصفها وفق نهج وظيفية الدور. حسب ما قد نسميه النظرية الوظيفية للذاكرة (أو اختصارًا: "FTM")، لأي شخص S وحدث e، فإن S يتذكر e فقط في حالة امتلاك S صورة ذهنية i بحيث إن i تميل إلى التسبب في إنشاء ميل داخل S إلى أن يعتقد أن e حدث في الماضي، وأن S اختبر حدوث e، وأن i تميل إلى أن تُسبِّب في S من خلال اختباره لحدوث e. إذا قدمنا مصطلح "الدور الذكراتي mnemonic role" للإشارة إلى هذا الدور الوظيفي، فيمكننا اختصار FTM على أنها الأطروحة القائلة: إن تذكُّر حدثٍ ما، أو امتلاك ذكرى عنه، يتجسد في امتلاك صورة ذهنية تؤدي الدور الذاكراتي للحدث في الشّخص[33].

(31) للاطلاع على مثال لشكل مختلف للوظيفانية، انظر (Lewis، 1980).
(32) نوقشت وظيفانية الدور، مثلًا: في (Block، 1978).
(33) هل يمكن أن يتضمن الدور الذاكراتي المرتبط بذكرى حدثٍ ما، إن جاز التعبير، الجانب

إن FTM وجهة نظر وظيفية؛ لأنه وفقه تُعد الصورة الذهنية للشخص ذاكرة ليست بحكم الخصائص الجوهرية لهذه الصورة الذهنية، وإنما بفضل الدور الوظيفي الذي تؤديه الصورة الذهنية في الشّخص. وFTM وظيفية الدور؛ لأنه وفقه تكون حالة امتلاك الشّخص لذاكرة هي حالة من رتبة أعلى.

إن FTM تفصل بين خاصية امتلاك الصورة الذهنية المحددة التي يمتلكها المتذكر عندما يتذكر حدثًا ما وحالة تذكره للحدث. إذ وفق FTM، فإن امتلاك الصورة الذهنية المعنية يختلف عن تذكر الحدث، حيث يمكن أن تكون للشخص الصورة الذهنية ذاتها دون تذكر الحدث. فمثلًا، فكّر في موقف مُحتمل تؤدي فيه الصورة الذهنية المعنية دورًا وظيفيًا في الشّخص يختلف عن الدور الذاكراتي. في هذا الموقف، لا يتذكر الشّخص الحدث على الرغم من حقيقة أنَّ لديه الصورة الذهنية ذاتها التي كانت لديه، في الموقف الفعلي، عندما يتذكر الحدث. على العكس من ذلك، يمكن للشخص أن يتذكر الحدث دون أن تكون لديه الصورة الذهنية التي يمتلكها، في الواقع، عند تذكر الحدث. فمثلًا، فكر في موقف محتمل تؤدي فيه الصورة الذهنية الدور الذاكراتي لهذا الحدث في الشّخص. في هذه الحالة، يتذكر الشّخص الحدث على الرغم من حقيقة أن لديه صورة ذهنية مختلفة عن تلك التي يمتلكها، في الموقف الفعلي، عندما يتذكر الحدث. دعونا نفحص الآن ما هي الاعتبارات التي يمكن تقديمها لدعم FTM.

5. السرديات، والتواريخ السببية، والأدوار الوظيفية:

يبدو أنَّ FTM متساهلة بما فيه الكفاية، بمعنى أنها لا تتعارض مع حدوسنا بشأن الحالات التي تشير إلى أن كلًا من CTM و NTM صارمتان للغاية. فكر أولًا في الحالة التي يكون لدي فيها صورة ذهنية لأرنب أسود يُصوَّب عليه رغم

الإدخالي لهذه الذاكرة فقط؟ في رأيي، هذا من شأنه أن يختزل FTM لتكون نسخة من CTM. والأهم من ذلك، أنه سيحرم FTM من الموارد اللازمة لتتوافق مع حدسنا المتعلق بحالات اللاصلة الإبستيمية، كما سنرى في القسم الخامس.

أنني رأيتُ، في الماضي أرنبَ أبيض يُصوَّب عليه. وفق FTM، طالما أن الصورة الذهنية التي أمتلكها عندما أتخيل الأرنب الأسود يُصوَّب عليه هي صورة تؤدي الدور الذاكراتي في داخلي، فأنا أُعَدُّ متذكرًا للحدث (سواء أكان على نحو زائف أم لا). ويبدو أن الصورة الذهنية المعنية تؤدي الدور الذاكراتي في داخلي: فمن جهة، تميل صورتي الذهنية إلى جعلي أشعر بالاعتقاد أنني رأيت ذات مرة أرنبَ أسود يُصوَّب عليه، وتميل إلى جعلي أعتقد أن خبرتي الماضية كانت حقيقية؛ أي: إن الحدث وقع في الماضي. ومن جهة أخرى، فإن صورتي الذهنية هي نوع الصورة التي سوف تُنتَج في داخلي من خلال الإدراكات الماضية للأرانب السوداء التي يُصوَّب عليها. من المؤكد، في هذه المناسبة بالذات، أن صورتي الذهنية لم تكن مسبَّبة في الواقع عن تخيل أرنب أسود يُصوَّب عليه؛ لأنني، في الماضي، لم أرَ أرنبَ أسود يُصوَّب عليه. ومع ذلك، تظل الحقيقة أن ملكاتي الإدراكية والذاكرية مرتبطة بحيث تُنتج الخبرات الإدراكية للأرانب السوداء في داخلي نوع الصورةِ الذهنية التي أمتلكها حاليًا. بعبارة أخرى، لو رأيتُ أرنب أسود يُصوَّب عليه في الماضي، لكان هذا هو نوع الصورة الذهنية التي ستكون لدي الآن. وهكذا، تقرّ FTM، على عكس CTM، بهذه الحالة بِعَدِّها حلقة تذكرية[34].

---

(34) تنطبق الاعتبارات المماثلة على الحالة التي تمتعت فيها التفاصيل الإضافية بالحدث في الماضي. وفق FTM، إذا كانت الصورة الذهنية التي أمتلكها عندما أتخيل تصويب والدي على الأرنب وهو يرتدي حزامًا بحلية معدنية فضية هي صورة تؤدي الدور الذاكراتي في داخلي، فأنا أعد متذكرًا للحدث. ويبدو أنَّ الصورة الذهنية المعنية تؤدي الدور الذاكراتي في داخلي: فمن جهة، تميل صورتي الذهنية إلى التسبب في جعلي أعتقد أنني رأيت أبي يصوب على أرنب ذات مرة وهو يرتدي هذا الحزام، وتميل إلى التسبب في جعلي أعتقد أن خبرتي الإدراكية كانت حقيقية، أي: إن أبي كان يرتدي هذا الحزام عندما كان يُصوِّب على الأرنب. ومن جهة أخرى، صورتي الذهنية هي نوع الصورة التي تنتجها خبراتي الماضية للأحزمة ذات الحلية المعدنية الفضية. من المؤكد، في هذه المناسبة بالذات، أن صورتي الذهنية لم تكن مسبَّبة في الواقع عن إدراك حلية معدنية فضية للحزام؛ لأنني، في الماضي، لم أرَ حزام أبي وقت تصويبه على الأرنب. ومع ذلك، تظل الحقيقة هي أن ملكاتي الإدراكية والذاكرية مرتبطة بحيث تجعل الخبرات الإدراكية لأشياء من هذا النوع تُنتج في داخلي نوع الصورة الذهنية التي أمتلكها حاليًا. بمعنى آخر، لو كنتُ في وضعٍ يسمح لي برؤية الحزام الذي كان يرتديه أبي وقت تصويبه، فهذا هو نوع الصورة الذهنية التي كنتُ لأمتلكها الآن. وبالتالي، تقرّ FTM، بخلاف CTM، بأن هذه الحالة هي حلقة تذكرية.

لنتأمل الآن الحالة التي تكون لديَّ فيها صورة ذهنية للغرق في قاع مسبح على الرغم من أنني غير قادر على ربط هذا الحدث بأي حدث آخر في طفولتي. وفق FTM، طالما أنَّ الصورة الذهنية التي لديَّ عندما أتخيل الغرق في قاع المسبح هي صورة تؤدي الدور الذاكراتي في داخلي، فأنا أُعَدُّ متذكرًا الحدث. ويبدو أن الصورة الذهنية المعنية تؤدي الدور الذاكراتي في داخلي، إنها نوع الصورة الذهنية التي تنتج عن الخبرات الإدراكية لكون المرء تحت الماء في المسبح وهي نوع الصورة الذهنية التي تجعلني أعتقد أن هذا الحدث قد وقع وأنني اختبرته. ومن ثم، تقرّ FTM، خلافًا لـ CTM، بهذه الحالة كحلقة تذكرية.

علاوة على ذلك، يبدو أنَّ FTM صارمة بما فيه الكفاية، بمعنى أنَّها لا تبدو في تعارض مع حدوسنا بشأن تلك الحالات التي تشير إلى أن كلًّا من CTM و NTM كانتا متساهلتين للغاية. تأمل أولًا الحالة التي تكون لديَّ فيها صورة ذهنية لطائر يهبط على سطح منزل، وهذا مشهد رأيته في الماضي، لكن بسبب قصور معرفاني خطير لدي لا تُنتج في داخلي الصورةُ الذهنية الخاصة بالمَشَاهد التي شهدتها في الماضي أيَّ ميل لاعتقاد أنها حقيقية، وأنني شهدتها في الماضي. إذا كانت الصورة الذهنية لطائر يهبط على سطح منزل لا تميل إلى إنتاج اعتقادي أن هذا حدث حقيقي، واعتقاد مروري به في الماضي، فإنني، وفق FTM، لا أُعَدُّ مُتذكرًا الحدث. ويبدو أن الصورة الذهنية المعنية لا تؤدي جزء الدور الذاكراتي في داخلي، فنظرًا لقصوري المعرفاني الذي اشترطته، فإن صورتي الذهنية ليست نوع الصورة التي من شأنها أن تُنتج في اعتقادات من هذا النوع. والصور الذهنية الأخرى التي من النوع ذاته ستكون أيضًا بلا تأثير في اعتقاداتي المتعلقة بالماضي. وهكذا، تقصي FTM، على عكس CTM، هذه الحالة من أن تكون حلقة تذكرية.

الآن فكّر في الحالة التي يكون فيها لدى المريض المصاب بمتلازمة كورساكوف صورة ذهنية لمحادثة شخصٍ ما خلال السفر في القطار قبل أيام، ويكون المريض قادرًا على بناء قصة معقدة يمكن أن يُدرج فيها المشهد الذي يتخيله. إذا كانت الصورة الذهنية للمريض المتعلقة بالمحادثة في القطار من النوع

الذي لا تنتجه داخل المريض خبرات مثل هذه المحادثات، فإن هذا المريض لا يُعد، وفق FTM، متذكّرًا الحدث. ويبدو أن الصورة الذهنية لا تؤدي جزء الدور الذاكراتي في المريض، فحيث إن المريض يعاني شكلًا من أشكال فقدان الذّاكرة، فإن الصورة الذهنية لمحادثة القطار لدى المريض ليست هي نوع الصورة التي تنتجها خبرة مثل هذه المحادثة. بمعنى آخر، لو خاض المريض محادثة مع رفيق السفر في القطار في الماضي، لما احتفظ المريض بهذه الخبرة في نوع الصورة الذهنية التي لديه الآن. ومن ثم، فإن FTM، على عكس NTM، تقصي هذه الحالة من أن تكون حلقة تذكرية.

6. الخلاصة:

يبدو أن المذهب الوظيفي قد أمدَّنا بإجابة مُرضية لسؤال: ما التذكر؟ تذكر حدثٍ ما، أو امتلاك ذكرى له، يتألف من وجود صورة ذهنية تؤدي دورًا وظيفيًا محددًا في الشّخص. وهذا الدور الوظيفي ورائيّ، حيث إنه يتضمن مجموعة محددة من الأسباب النموذجية، وتطلعيّ، حيث إنه يتضمن مجموعة محددة من الآثار النموذجية. إن هاتين السمتين لهذا الاقتراح تسمحان له بالتغلب على مواطن ضعف تلك المقترحات المتعلقة بطبيعة التذكر التي هي ورائية حصرًا، مثل: مقترح النظرية السببية للذاكرة. كما أن هاتين السمتين تسمحان للاقتراح الوظيفي بالتغلب على مواطن ضعف تلك المقترحات التطلعية حصرًا، مثل: مقترح نظرية السرد للذاكرة. في النهاية، الاقتراح الوظيفي أقرب إلى النظرية السببية للذاكرة منه إلى نظرية السرد؛ لأنه يعتمد اعتمادًا كبيرًا على العلاقات السببية. ومع ذلك، فإن الاختلاف الرئيس فيما يتعلق بكل من النظريتين هو أن الاقتراح الوظيفي قد تمكّن من رسم الحد الفاصل بين تلك الحالات الذهنية التي تُعَد حلقات تذكرية، وتلك التي لا يصح عدها كذلك[35].

(35) قُدّمت نسخ من هذا الفصل في "المؤتمر الدولي للذاكرة International Conference on Memory (ICOM)" في بودابست في العام 2016، ومؤتمر "الاتجاهات الجديدة في فلسفة الذّاكرة New

المراجع:

Aristotle. (1972). *De Memoria*. In R. Sorabji (Ed.), *Aristotle on memory*. London: Duckworth.

Audi, R. (1997). The place of testimony in the fabric of knowledge and justification. *American Philosophical Quarterly, 34*, 405-422.

Barsalou, L. (1988). The content and organisation of autobiographical memories. In U. Neisser & E. Winograd (Eds.), *Remembering reconsidered: Ecological and traditional approaches to the study of memory* (pp. 193-243). Cambridge: Cambridge University Press.

Bartlett, F. C. (1932). *Remembering: A study in experimental and social psychology*. Cambridge: Cambridge University Press.

Bernecker, S. (2008). *The metaphysics of memory*. New York: Springer.

Bernecker, S. (2010). *Memory: A philosophical study*. Oxford: Oxford University Press.

Block, N. (1978). Troubles with functionalism. *Minnesota Studies in the Philosophy of Science, 9*, 261-325.

Broad, C. (1937). *Mind and its place in nature*. London: Routledge.

Brockmeier, J. (2015). *Beyond the archive: Memory, narrative, and the autobiographical process*. Oxford: Oxford University Press.

Campbell, J. (1997). The structure of time in autobiographical memory. *European Journal of Philosophy, 5*, 105 118.

Conway, M. A., & Pleydell-Pearce, C. W. (2000). The construction of autobiographical memories in the self memory system. *Psychological Review, 107*, 261-288.

Davidson, D. (2001). The individuation of events. In *Essays on actions and events: Philosophical essays* (Vol. 1, pp. 163-181). Oxford: Oxford University Press.

Debus, D. (2010). Accounting for epistemic relevance. A new problem for the causal theory of memory. *American Philosophical Quarterly, 47*, 17-29.

Dummett, M. (1994). Testimony and memory. In B. Matilal & A. Chakrabarti (Eds.), *Knowing from words*. Dordrecht: Kluwer Academic Publishers.

Fernndez, J. (2006). The intentionality of memory. *Australasian Journal of Philosophy, 84*, 39-57.

Fernndez, J. (Forthcoming). The ownership of memories. In M. Garcõa-Carpintero & M. Guillot (Eds.), *The sense of mineness*. Oxford: Oxford University Press.

Goldie, P. (2012). *The mess inside: Narrative, emotion, and the mind*. Oxford: Oxford University Press.

Goldman, A. (1976). Discrimination and perceptual knowledge. *The Journal of Philosophy, 73*, 771-791.

'Directions in the Philosophy of Memory' في جامعة أوتاغو في العام 2016، وندوة "العمل الفلسفي حاليًا 'Philosophy Work in Progress' في جامعة أديلايد Adelaide. أنا ممتن للمستمعين على تفاعلاتهم مع المواد المقدمة في هذه اللقاءات. وممتن جدًا لكوركين ميكيليان ودينيس بيرين على تعليقهما على مسودة سابقة لهذا الفصل.

Hirstein, W. (2006). *Brain fiction: Self-deception and the riddle of confabulation*. Cambridge, MA: MIT Press.

Hume, D. (2000). *A treatise of human nature* (D. F. Norton & M. J. Norton, Eds.). Oxford: Oxford University Press.

Kim, J. (1993). Events as property exemplifications. In *Supervenience and mind* (pp. 33-53). Cambridge: Cambridge University Press.

Klein, S., & Nichols, S. (2012). Memory and the sense of personal identity. *Mind, 121*, 677-702.

Lackey, J. (2005). Memory as a generative epistemic source. *Philosophy and Phenomenological Research, 70*, 636-658.

Lewis, D. (1980). Mad pain and martian pain. In N. Block (Ed.), *Readings in the philosophy of psychology* (pp. 216-222). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Locke, J. (1975). *Essay concerning human understanding* (P. Nidditch, Ed.). Oxford: Oxford University Press.

Malcolm, N. (1963). *Knowledge and certainty*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Martin, C. B., & Deutscher, M. (1966). Remembering. *Philosophical Review, 75*, 161-196.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge, MA: MIT Press.

Reid, T. (1969). *Essays on the intellectual powers of man* (B. Brody, Ed.). Cambridge, MA: MIT Press.

Roediger, H. L., & DeSoto, K. (2015). Psychology of reconstructive memory. In J. D. Wright (Ed.), *International encyclopedia of the social and behavioral sciences* (pp. 50-55). Amsterdam: Elsevier.

Schechtman, M. (1994). The truth about memory. *Philosophical Psychology, 7*, 3-18.

Shoemaker, S. (1984). *Identity, cause and mind*. Cambridge: Cambridge University Press.

Talland, G. A. (1961). Confabulation in the Wernicke-Korsakoff syndrome. *The Journal of Nervous and Mental Disease, 132*, 361-381.

Tulving, E. (1972). Episodic and semantic memory. In W. Donaldson & E. Tulving (Eds.), *Organisation of memory* (pp. 381-403). New York: Academic Press.

Wollheim, R. (1984). *The thread of life*. Cambridge: Cambridge University Press.

الجزء الثاني

النشاط والسلبية في التذكر

الفصل الرابع

التذكر باعتباره فعلًا ذهنيًا[1]

سانتياغو أرانجو مونيوز Santiago Arango-Muñoz
وخوان بابلو برموديز Juan Pablo Bermúdez

1. مقدمـــة:

لقد حدث تحوّلٌ مؤخرًا في فهمنا للذاكرة الاستطرادية. كان يُنظر تقليديًا إلى الذّاكرة الاستطرادية على أنها القدرة على تخزين المعلومات واسترجاعها من ماضينا الشّخصي، والآن يُنظر إليها على أنها شكل محدد من وظيفة معرفانية أوسع، وهي: التخيل، أو المحاكاة الذهنية، للأحداث المتمركزة حول الذات، سواء أكانت تنتمي إلى الماضي أم المستقبل، وسواء أكانت فعلية، أم افتراضية، أم مضادة-للواقع counterfactual. يتيح لنا فهم الذّاكرة الاستطرادية كجزء من هذه القدرة العامة على "السفر الزمني الذهني" تفسير سبب عدم إنتاجها في كثير من الأحيان ترميم موثوق لتفاصيل محددة من الماضي، وإنما هي تنتج ترميمًا تجريديًا للمواقف السابقة التي تحيد عن الأحداث المتذكَّرة.

في هذا الفصل نحن لا نسعى إلى الدفاع عن هذا المفهوم الترميمي للذاكرة الاستطرادية، ولا نجادل بأنه متأسس على نحو أفضل على أسس تجريبية

---

(1) كان هذا البحث مدعومًا بمشروع بحثي بعنوان: "المشاعر المعرفانية-الفوقية وأطروحة الفينومينولوجيا المعرفانية Metacognitive Feelings and the Cognitive Phenomenology Thesis" بتمويل من CODI, Cód. 20167047, Acta 01 de 2016, Universidad de Antioquia، وزمالة بحثية مُنحت في إطار عمل مشروع: "التحسن في الأشياء البسيطة: فهم وتحسين التحكم اليقظ Getting Better at Simple Things: Understanding and improving vigilant control"، بتمويل من مؤسسة جون تمبلتون John Templeton.

من التقرير الحفظاني التقليدي (هذه المهام قد قام بها De Brigard (2014a)، وMichaelian (2016)، وSchacter and Addis (2007)، ونحيل القارئ المهتم إلى هذه الأعمال). هناك طريقتان على الأقل لفهم النظرية البنائية عن الذَّاكرة: وهما النظر إلى الذَّاكرة على أنها تفكر افتراضي استطرادي (De Brigard, 2014a)، وعلى أنها تخيل استطرادي (Michaelian، 2016)، لكننا لا نحتاج إلى تفضيل أي منهما. وإنما نحن نفترض المفهوم الترميمي التخيلي (لكن الاعتبارات المماثلة يجب أن تنطبق على النسخة الأخرى)، ونطرح سؤالًا فلسفيًا آخر: هل التذكر يشكّل فعلًا ذهنيًا؟ هل الترميم التخيلي، أو المحاكاة الذهنية، المتضمن في الذَّاكرة الاستطرادية، هو فعل؟ إن كان كذلك، فما نوع العمليات والآليات الفعالة الأساسية في التذكر؟

نحن نجادل بأن التذكر في بعض الحالات هو حقًا فعل ذهني، لكن من أجل هذه المجادلة، علينا أن نواجه اعتراضات المفكرين الذين يخشون من أن الطبيعة "القذفية ballistic" لإنتاج المحتوى الذهني لا تترك مجالًا للفاعلية agency والتحكم في العمليات التخيلية. وعلى وجه الخصوص، جادل ستراوسن (2003) بأنه على الرغم من وجود بعض حالات الأفعال الذهنية، إلا أنها لا تحدث قبل ظهور المحتوى الذهني، وهي مجرد "تمهيد" لظهوره. ربما أحاول على نحو فاعلي agentively أن أتذكر المرة الأولى التي قرأتُ فيها "أسطورة سيزيف The Myth of Sisyphus"، وقد تُعد هذه الجهود لإحضار محتوى ذاكري محدد إلى الذهن بمثابة أفعال ذهنية، لكن الترميم التخيل الفعلي للموقف الذي التقيتُ به بهذا النص لأول مرة (تخيل: المكان، والزمان، والأشخاص من حولي... إلخ) ليس تحت تحكمي الفاعلي. وإنما يحدث عفويًا، بمعنى "غير طوعي involuntarily"؛ إذ إن آليات إنتاجه خارج نطاق وعيي، وليس بيدي التحكم في هذه الآليات، كما يتضح من حقيقة أنني إذا قصدتُ ألا أتذكر المرة الأولى التي قرأتُ فيها نص ألبير كامو، فسوف أظل مستحضرًا لهذه المحتويات الذهنية (بعضها على الأقل).

هذا هو اعتراض المقذوفات الذهنية: التخيل عملية ذهنية قذفية، وبالنظر

إلى أن الذّاكرة الاستطرادية هي نوع من التخيل، فإن التذكر الاستطرادي يكون أيضًا عملية قذفية لا يمكن أن تكون فعلًا ذهنيًا.

يجادل هذا الفصل ضد التفسير القذفي-الذهني للذاكرة الاستطرادية الترميمية. إذ نزعم أن العمليات الذاكراتية التي تشكّل الترميم الاستطرادي ليست بالضرورة قذفية، وإنما يمكن عدّها أمثلة على الفعل الذهني، وهذه هي النقطة (1). ولبيان ذلك، (2)، نميز بين نوعين من التحكم الفاعلي: التأملي والآلي automatic. غالبًا ما يُنظر إلى الأخير على أنه مستحيل؛ لأن الآلية غالبًا ما تُعد نقيض التحكم، لكننا نُظهِر أن هناك حالات من العمليات الذهنية الآلية والمتحكَّم فيها. ثم نجادل بأن (3) هناك مستويان من المعرفانية-الفوقية يتوافقان مع عمليات التحكم التأملية والآلية المميزة سابقًا، وأن هذه المعرفانية-الفوقية الآلية التي يُشعَر بها هي عملية تحكم يمكن تطبيقها على العمليات الذهنية مثل التذكر. أخيرًا، (4)، من خلال النظر إلى أدلة أن التذكر هو ترميم تخيلي، فإننا نجادل بأن هذه العملية تتصف غالبًا بأشكال محددة من التحكم المعرفاني-الفوقي الذي يُشعَر به، وأن وجود عملية التحكم هذه يكشف عن الطبيعة الفاعلية للذاكرة الاستطرادية. غالبًا ما يكون التذكر فعلًا ذهنيًا؛ لأن عمليات الترميم التخيلية التي تشكّله غير كاملة، ولذلك تحتاج إلى نوع من التحكم. ولسد هذه الحاجة، غالبًا ما تكون مشاركتنا الفعالة مطلوبة لإدارة وبناء العمليات الترميمية، وبالتالي، نضمن أننا ننتج ذكريات جيدة كنتيجة للترميم الاستطرادي. وعندما يحدث هذا، يُقيَّد الترميم الاستطرادي ويُوجَّه من خلال عملية تحكم فوق-معرفاني يُشعَر به.

2. المقذوفات الذهنية، والآلية، والتحكم:

يبدو أن فكرة الذّاكرة كترميم تتضمن نوعًا من النشاط، إذ يتطلب التذكر الجمع بين البقايا المتعددة للخبرة المتذكَّرة معًا في محاكاة ذهنية للحدث (De Brigard, 2014b; Michaelian، 2016). وعلى الرغم من أن هذا يبدو للوهلة الأولى وكأنه

عملية فاعلية، إلا أن هناك صعوبة، إذ أظهر عدد من كتابات بحث العلم المعرفاني أن معظم العمليات الذهنية التي تشكّل حياتنا اليومية تحدث آليًا، فهي سريعة، وترابطية، ومستقلة عن الذَّاكرة-العاملة، ولذلك يبدو أنها تَنتج خارج نطاق التحكم المعرفاني ذي الجهد (للاطلاع على النظرات العامة، انظر Evans (2010b) و Kahneman (2011)).

وبالتالي، على الرغم من أن التقرير الترميمي يشير إلى أن الذَّاكرة عميلة فاعلية، فلا يزال تجب عليه مواجهة «تهديد الآلية» (Wu، 2013). على الرغم من أن التذكر هو إعادة بناء، يبدو أن عملية إعادة البناء هذه تحدث آليًا دون التدخل الفاعلي من الشّخص. يذكر واين وو Wayne Wu أن «الآلية هي ما يجعل القرارات المتعلقة بالفاعلية الذهنية محل نزاع» (Wu, 2013، ص. 244). يعد معظم الفلاسفة أن الذَّاكرة قدرة آلية إلى حدٍّ ما. ففي بحث حديث، على سبيل المثال: يزعم آندي كلارك Andy Clark أن «الذَّاكرة البيولوجية العادية، في المعظم، هي نوع من الطريق الآلي تحت الأرض» (Clark، 2015). وإذا كانت كذلك، فإن إطلاق كلمة "فعل" على التذكر مثير للجدل للغاية.

إن المسألة الفلسفية الأساسية هنا هي أن العمليات الآلية تبدو بطبيعتها غير-فاعلية. ففي النهاية، نحن نميل إلى تسمية العمليات التي تُشغَّل بالنوع ذاته من المحفزات والاستجابات بأنها "آلية" بالطريقة ذاتها منهجيًا. فهي جامدة، ويصعب أو يستحيل تصحيحها، وغير حساسة للأدلة الجديدة. وباختصار، تبدو العمليات الذهنية الآلية قذفية، فهي «تصل إلى الاكتمال بمجرد تحفيزها، ولا يمكن إجهاضها في منتصف المسار» (Stanovich, 2004، ص. 39). أضف إلى ذلك ما يسميه وُو Wu: «الارتباط البسيط» بين الآلية والتحكم: الآلية تعني غياب التحكم ...عن الشّخص (2013, p246). لقد جرى التشكيك في هذه النظرة تجريبيًا، لكنها ما زالت لها قبضة قوية على حدسنا النظري. يستلزم الارتباط البسيط أن التحكم الفاعلي يتألف من انتشار الانتباه من أعلى إلى أسفل والجهد المعرفاني نحو تحقيق هدفٍ ما، وأن العمليات الآلية تكون، بحكم كونها سريعة وبلا جهد، خالية من التحكم الفاعلي،- ويمكن المشاركة فيها فقط بقدر ما

تندرج تحت فئة العمليات الذهنية ذات الجهد المعرفاني والرتبة الأعلى.

وفق هذا الرأي، فإنه إذا كان التذكر يُعد فعلًا، فسيتعين على المتذكّر التركيز، والانتباه، وتجنب العناصر المشتتة للذهن، ومحاولة تنفيذ استراتيجيات ذاكرية عن قصد، وجمع الإلماحات cues...وكل هذا يعني قدرًا محددًا من: الانتباه، والوعي، والجهد الذهني، وكلها غير آلية، حتى وإن لم تكن «شاقة» بدرجة كبيرة (Mele، 1997). لكن حتى لو حدث هذا، فإنه حتى لو كانت الخطوات التحتية التحضيرية مجهدة معرفانيًا ومتحكَّم فيها، يبدو أن عملية إعادة البناء التخيلية ذاتها تعمل عفويًا وتحت-شخصية: فعندما أتذكر ما تناولته على العشاء الليلة الماضية، لا يمكنني حقًا محاولة التذكر، إذ إن البقايا الذاكرية تُجمَع وتُعرَض كما لو أن الأمر يتحقق بالسحر، فكل ما يمكنني فعله على المستوى الشّخصي هو محاولة جلب ما أتذكره، والاستحضار السحري للمحتوى، وانتظار وصوله (Mele، 2009)[2]، ومن ثم، إذا كانت العمليات الآلية قذفية، فلا يوجد شيء فاعلي فيها على نحو خاص.

1.2 حجة المقذوفات الذهنية: من التخيل إلى الذّاكرة:

في ضوء الرؤية السابقة للعمليات الآلية بِعدِّها قذفية، يستنتج ستراوسن أن مساحة الفعل في الذهن صغيرة حقًا: «دور الفعل الحقيقي في الفكر هو في أحسن الأحوال غير مباشر. إنه استهلالي بالكلية، فهو بالأساس مجرد محفِّز *catalytic* (2003، ص236). والظواهر الذهنية التي يمكن تسميتها بالأفعال على نحو صحيح هي تلك التي "تُمهّد" لظهور المحتوى الذهني، ولكن ليس لظهور المحتوى ذاته. قد تكون تهيئة نفسي لمعالجة مشكلة فعلًا ذهنيًا، لكن ظهور الحل الفعلي في ذهني ليس كذلك. وقد تكون استعادة انتباهي نحو مهمةٍ ما بعد

(2) هذا التمييز بين 'محاولة X' و'محاولة جلب X'، فضلًا عن الزعم القائل: إنه لا يمكن للمرء إلا أن يقوم بالأخير فيما يتعلق بالذّاكرة، قد قاد ميلي Mele إلى مراجعة وجهة نظره السابقة (Mele، 1997)، واستنتاج أن التذكر ليس أبدًا فعليًا ذهنيًا (Mele، 2009).

تشتته فعلًا ذهنيًا، لكن الخطوات اللاحقة المتضمنة في إكمال المهمة ليست كذلك على الأرجح.

وهذا ينطبق أيضًا على حالة التخيل، فإذا طلبتُ منك أن تتخيل فيلًا ورديًا يمشي برشاقة على قوس قزح، فيمكنك القيام بذلك على الفور وعلى نحو حدسي، بطريقة توحي بالتحكم الفاعلي، إذ يمكنك تخيله كبيرًا أو صغيرًا، ويمكنك جعله يرقص، أو يبتسم، أو يلوّح بقبعته. ومع ذلك، فإن هذا المعنى للتحكم الفاعلي على التخيل يوضع في ضوء مختلف إذا طلبتُ منك ألا تتخيل فيلًا ورديًا على الإطلاق. الآن من الأصعب جعل الخيال طيّعًا، إذ يمكنك محاولة جلب ألا تتخيل الفيل (بأن تشغل ذهنك بشيء آخر)، لكن لا يمكنك محاولة عدم تخيل الفيل بشكل مباشر. إن هذا يكشف عن أن إنتاج المحتوى التخيلي الفعلي هو عملية قذفية وجامدة تأخذ المدخلات وتُنتج المحتوى آليًا بطريقة لا تستجيب لقصد الشّخص، وبنائه، ومحتواه (ربما كانت خبرة التحكم في الحالة الأولى تعود إلى السهولة التي أُنتِج بها المحتوى، وليس إلى سهولة التحكم القصدي المناسب). وبالتالي، فإن الإنتاج التخيلي للمحتوى الذهني لا يبدو أنه حالة من حالات الفعل الذهني. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الجزء الفاعلي الوحيد من العملية سيكون الإعداد الذهني الاستهلالي.

عند تطبيق حجة المقذوفات الذهنية المطبَّقة على الإنتاج التخيلي تكون أشبه بما يلي:

أ - إذا كان M فعلًا ذهنيًا، فبإمكاني التحكم في حدوث M من خلال كل من: المحاولة القصدية لتنفيذ M والمحاولة القصدية لعدم تنفيذ M.

ب - لا يمكنني التحكم في حدوث P (الإنتاج التخيلي لمحتوى ذهني) بالمحاولة القصدية لعدم تنفيذ P.

ج - إذًا، P ليس فعلًا ذهنيًا.

الآن، إذا كانت الذّاكرة الاستطرادية نوعًا من الخيال، فهل تنطبق الحجة ذاتها عليها؟ إذا طلبنا منك أن تتذكر شكل غرفة نومك في طفولتك، فيبدو أنه

يمكنك ممارسة تحكم سريع، بل من غير جهد، في هذه العملية، مركّزًا على جوانب مختلفة من الغرفة: (الأرضية، وموضع السرير، والأثاث، والإضاءة...إلخ). لكن إذا طلبنا منك ألا تتذكر غرفة نومك في طفولتك، فيصبح من الأصعب التحكم في عملية الاسترجاع. يبدو أن المحتويات الذاكراتية، مثل: المحتويات التخيلية، تُنتَج آليًا بعد أن يحفزها محفز ذو صلة، ومن ثم، هي مقذوفة وتقع خارج نطاق التحكم الفاعلي لدى الشّخص.

2.2 الرد على حجة المقذوفات الذهنية: الارتباط البسيط:

إليكم طريقة للرد على هذه الحجج: قد يكون توليد المحتوى آليًا وقذفيًا، ولكنه مع ذلك جزء تكويني للفعل الذهني كلما كان المحتوى المتولد آليًا محفَّزًا بالنية الحالية للشخص ومستجيبًا لها. لنطلق على هذا الرد "رد الارتباط البسيط"؛ لأنه يجادل بأن التخيل، والتفكّر، وما شابه ذلك هي أفعال ذهنية، لكنه يقوم بذلك دون التشكيك في الارتباط البسيط (أي: كون العمليات الآلية ليست في نطاق التحكم).

باختصار، الاستراتيجية هي ما يلي (Wu، 2013):

يتطلب الفعل الذهني إنتاج محتوى ذهني محدد من بين العديد من المحتويات الممكنة (في محاولة تذكر غرفة نوم طفولتي، يمكن أن ينتهي به الأمر بتوليد صور لغرفة نومي الحالية، وغرفة نوم طفولة شخص آخر، وما إلى ذلك)، وبالتالي، يتطلب الفعل الذهني اختيار المحتوى المناسب الذي سوف يُولَّد. وهكذا، تُعد عملية ذهنية محددة بمثابة فعل إذا كان المحتوى الذهني المنتَج يتوافق مع المحتوى التمثيلي الذي نواه الفاعل؛ لأن هذا يعني أن الفاعل قد اختار المحتوى الصحيح، أي: أنه وجّه انتباهه إلى المحتوى الصحيح. ولا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا أدّت النية الحالية للفاعل دورًا سببيًا في توجيه الانتباه إلى المحتوى الصحيح. وبقدر ما تؤدي نية الفاعل هذا الدور السببي، تكون هذه العملية مثالًا على التحكم الفاعلي، بصرف النظر عما إذا كانت بعض عملياتها التحتية آلية وقذفية.

ومع ذلك، نعتقد أن استراتيجية الارتباط البسيط هذه لا ترقى إلى أن تكون الحل الكامل لمشكلة المقذوفات الذهنية، وذلك لسببين:

أولًا: على الرغم من أننا نتفق على أن النيات غالبًا ما تؤدي هذا الدور الذي هو من أعلى إلى أسفل، إلا أن التقرير لم يفسّر حتى الآن كيف تقوم النيات بذلك على وجه التحديد. كيف تعمل القدرة على تشكيل نية على تنسيق وهيكلة العمليات الآلية؟ بعبارة أخرى، ما الذي يجعل العمليات الآلية - التي هي من جهة أخرى عمياء وقذفية وغير ذكية - تستجيب لمحتوى النية وتقدر على تحقيق نتائج مناسبة؟ على الرغم من أن الدور السببي للنيات، الذي هو من أعلى إلى أسفل، يجب أن يكون بالتأكيد جزءًا من قصة الفاعلية الذهنية، إلا أن هناك جزءًا مفقودًا، أي: الجزء الذي يجعل عمليات توليد المحتوى الذهني الآلي عرضة للاستخدام من قِبل عمليات الرتبة الأعلى.

ثانيًا: إذا لم تكن لدينا قصة نقولها عن دور الفاعل في توجيه عملياته الآلية، فلا يزال يتعين علينا قبول وجهة نظر ستراوسن القائلة: إن الفاعل يولّد النية، ويكوّنها في ذهنه، ثم ينتظر ببساطة أن تولّد العمليات الآلية - التي هي خارج تحكمه - المحتوى المناسب. وهذا لا يتفق مع فينومينولوجيا الفعل الذهني، إذ نحن لا نختبر فقط أنه يمكننا إحضار المحتوى الذاكراتي المناسب إلى أذهاننا، وإنما نشعر أيضًا بأن التذكر أسهل في بعض الأحيان، وأحيانًا أصعب، ونشعر أن ذاكرة محددة تكون أدق أو أقل دقة، ونشعر أحيانًا أنه يمكننا تذكر شيءٍ ما إذا حاولنا تذكّره بجهدٍ أكبر، وفي أحيان أخرى نعرف ببساطة أننا لن نستطيع تذكره، مهما كان جهدنا. تشير كل هذه الظواهر إلى أن التحكم الذهني الفاعلي أكثر من مجرد توجيه الانتباه ذهنيًا وانتظار المحتوى. وتشير إلى أننا لا نتحكم فقط في استهلال التذكر من أعلى إلى أسفل، وإنما نتحكم أيضًا (في جوانب) إنتاج المحتوى الذهني من أسفل إلى أعلى.

إذا كان ما سبق صحيحًا، وإذا كان إنتاج المحتوى عملية آلية، فقد يكون هناك ردٌّ أشمل على حجة المقذوفات الذهنية من تقرير الارتباط البسيط، ونظن

أنه يجب أن نتخلى عن الارتباط البسيط؛ لأن هناك دليلًا تجريبيًا على أن بعض العمليات الذهنية الآلية تقع أيضًا في نطاق التحكم.

3.2 هل يمكن أن تكون العمليات الآلية متحكَّمًا فيها؟

لقد عد البحث النفسي تقليديًا مفهومي الآلية والتحكم على أنهما متضادان[3]. ويأتي أحد أقوى الأدلة التقليدية على عدم إمكان التحكم في العمليات الآلية من تأثيرات ستروب Stroop-type effects، حيث تتداخل الأبعاد غير الملحوظة لمحفزٍ ما مع مهمة استدعاء الانتباه التي يحاول الفاعل تنفيذها (MacLeod, 1991; Stroop، 1935). تشير مثل هذه النتائج إلى أن العمليات الآلية قذفية، إذ إن المدخلات ذات الصلة تحفزها على نحو ثابت تقريبًا، وبمجرد تشغيلها تعمل بصرامة حتى الاكتمال. وإذا كانت العمليات الآلية قذفية، فإنها في حد ذاتها خارج نطاق التحكم، ولا يمكن التحكم فيها.

نقدّم الآن بعض الأدلة التي تتحدى التفسير القذفي، حيث تُظهر أن بعض العمليات الآلية لا تستجيب على نحو ثابت لنفس الحافز، ولا تعمل بصرامة حتى الاكتمال بمجرد تشغيلها، وإنما تُظهر الحساسية السياقية والمعيارية.

1.3.2 العمليات الآلية وحساسية السياق:

إنَّ وجهة النظر التقليدية القائلة: إن العمليات الآلية تشبه الاستجابة الانعكاسية، وتُشغَّل بمجرد وجود مُدخل محدد، تتمتع بتأثير حتى يومنا هذا (Bargh, Chen, & Burrows, 1996; Gendler, 2008a)[4]. ومع ذلك، لا يوجد تقرير معقول، بصرف

(3) لقد أصبحت الصورة أعقد بكثير من ثنائية الأضداد. ومع ذلك، فإن الوصف الأصلي للمفاهيم بعدِّها أضدادًا (Schneider & Shiffrin, 1977; Shiffrin & Schneider، 1977) لا يزال لها تأثير في البحث المعاصر، وبالتالي، يستحق عدّه نقطة انطلاق للتحليل المفاهيمي.

(4) عرّف شنايدر وشيفرين Schneider and Shiffrin عملية آلية بأنها تنشيط لسلسلة من العقد العصبية يصبح فيها «تسلسل العقد دائمًا (تقريبًا) نشطًا استجابة لترتيب مُدخل محدد، حيث قد تُنشأ

النظر عن مدى طابعه الميكانيكي، يمكنه إنكار قوة السياق، فتأثيرات ستروب نفسها وُجِد أنها تُقولَب بالسمات السياقية، مثل: عدد الأحرف الملونة على نحو متنافر التي تحتويها كل كلمة، وجهة انتباه المشارك، وأهداف المهمة. إنَّ هذا يشير إلى أن السياق الذي يفعّل عملية آلية محددة يمكنه أن يتضمن ليس فقط السمات الخارجية للبيئة، وإنما يمكنه أيضًا أن يتضمن حالات الشّخص النزوعية والحالية المعرفانية. في الواقع، هناك دليل وافر على أن تفعيل العمليات الآلية، خلافًا للتفسير القذفي، يتأثر بـ «محل التركيز الحالي للانتباه الواعي، أو الأمر الذي فكّر فيه الفرد حديثًا، أو نياته أو أهدافه الحالية» (Bargh, 1997, p. 3)[5].

إن مشروطية الآلية واسعة النطاق جدًا لدرجة أن تصور العمليات الآلية بأنها قذفية يُعَد وصفًا خاطئًا، إذا كانت الاستجابات الانعكاسية تُحفَّز حقًا بمجرد وجود المحفِّز المناسب، فهذا وجه من أوجه اختلاف العمليات الآلية (بعضها على الأقل) عن ردود الفعل المنعكسة reflexes؛ لأنه في كثير من الحالات لا يوجد شيء مثل المحفِّز الذي يمكن تحديده بوضوح ويؤدي مجرد وجوده على نحو ثابت إلى تفعيل العملية الآلية ذاتها. على العكس من ذلك، فالعمليات الآلية ليست حساسة فقط لشرط تحفيزي محدد، وإنما أيضًا للحالات التحفيزية للفاعل وأهدافه الحالية.

المدخلات خارجيًا وداخليًا وتشمل السياق العام للموقف» (2 Schneider & Shiffrin, 1977, p.). وقد ظل هذا الرأي مؤثرًا: «جوهر العمليات التحتية الحدسية هو أنها تتحفز متى وُجدت محفزاتها المناسبة، بحيث لا يمكن "إيقافها" على نحو انتقائي» (Stanovich, 2004, p.52). وفي مراجعة للأدبيات المتعلقة بالآلية في السلوك الاجتماعي، وجد بارغ وآخرون (Bargh et al. 1996, p.252). إن «البحث الحديث قد أظهر أن المواقف attitudes وردود الفعل العاطفية الأخرى يمكن أن تتحفز آليًا بمجرد وجود الأشياء والأحداث ذات الصلة، بحيث ينضم التقييم والعاطفة إلى الإدراك في عالم ما هو مباشر، أي: الآثار النفسية البيئية التي بلا وسيط»- وهذا الرأي هو الرأي الذي اقتبسه غيندلر (Gendler 2008a, p. 644) موافقًا عليه.

(5) فيما يتعلق بالاعتمادية السياقية لتأثيرات ستروب، انظر Francolini & Egeth (1980)، وKahneman & Henik (1981)، و Bresner & Stolz (1999). وقد أسهمت هذه الدراسات في رفض الرأي التقليدي القائل: إن الآلية مستقلة عن الانتباه (LaBerge & Samuels, 1974; Posner & Snyder, 1975; Schneider & Shiffrin, 1977; Shiffrin & Schneider 1977).

2.3.2 كشف الأخطاء وتصحيحها آليًا:

لقد اقترح العديد من الباحثين أن السمة الجوهرية للآلية هي كونها لا يمكن إيقافها بمجرد البدء فيها. يبدو هذا صحيح فينومينولوجيًا، إذ عندما نرى كلمة مألوفة، لا يسعنا إلا قراءتها، وعندما نرى وجه شخصٍ ما، لا يسعنا إلا أن نتعرف عليه على أنه كذلك[6].

وبالتالي، يبدو أن العمليات الآلية تتمرد على الأدلة المتاحة، بحيث لا يمكن إلغاء أو تعديل مخرجها السلوكي حتى عندما يكون لدينا دليل واضح على عدم ملاءمتها. يذكر غيندلر (a, 2008b2008) أمثلة، مثل: الخوف الذي يشعر به حتى الأشخاص الحكماء عندما يُعلَّقون فوق هاوية، على الرغم من تأكدهم من أن القفص المعلقون فيه آمن تمامًا، ومثل: الاشمئزاز الذي لا مفر منه الناجم عن إمكانية تناول شوكولاته على شكل براز. إن عدم الحساسية الإبستيمية هذا هو سبب آخر لِعَدِّ العمليات الذهنية لا يمكن التحكم فيها، حيث لا يمكن تصحيحها في منتصف الطريق على أساس المعلومات المحدَّثة.

ومع ذلك، تشير الظاهراتية (الفينومينولوجيا) أيضًا إلى أن العمليات الآلية غالبًا ما تكون ذاتية التصحيح. عندما تضغط بشدة على كوب بلاستيكي، فأنت تقوم فورًا بإعادة ضبط قوة يدك. كما تقوم آليًا في أثناء: المشي، والركض، والتزلج، وركوب الدراجة، وما إلى ذلك، بتعديل وضعك على أساس

---

(6) بالنسبة إلى شنايدر وشيفرين، «يمكن أن تبدأ بعض العمليات الآلية بتحكم الفاعل، ولكن بمجرد بدء جميع العمليات الآلية، فإنها تواصل مسيرها حتى تكتمل آليًا» (Shiffrin & Schneider, 1977, p.160). وعدَّ نورمان وشاليز Norman and Shallice (1986) أنه؛ نظرًا لأن العمليات الآلية تصل إلى الاكتمال بمجرد تحفيزها، فإن أي نوع من تصحيح الخطأ يتطلب تحكمًا قصديًا تفكريًا. ويشير بارغ إلى هذا بأنه "استقلالية autonomy" الآلية (1992، ص186)، ويقترح بأن هذه السمة هي السمة الجوهرية الوحيدة للآلية. بالنسبة إلى ستانوفيتش Stanovich، «لا يمكن إيقاف العمليات الحدسية ولا التدخل فيها بالأنظمة المركزية. فتحققها إلزامي بمجرد تشغيلها بالمحفزات المناسبة...تميل العمليات الحدسية إلى أن تكون قذفية - فهي تكتمل بمجرد تشغيلها، ولا يمكن إجهاضها في منتصف المسار» (Stanovich, 2004, p. 39). (See also Logan & Cowan, 1984; Moors & De Houwer, 2006, pp.301-302).

الإلماحات البصرية والدهليزية vestibular)[7]، بطرق معقدة للغاية، بحيث يتعذر على الحساب الصريح تحديدها، ويُعتمَد بدلًا من ذلك على العمليات الآلية المكتسبة من خلال الممارسة. في الواقع، يُعَدّ التصحيح الآلي للخطأ سريعًا وفعالًا لدرجة أننا في كثير من الأحيان لا نعي حدوثه على الإطلاق.

يناقش كوخ وكريك (Koch and Crick 2001، ص. 893) دراسة يجب على المشاركين فيها تحريك أعينهم وأصابعهم بسرعة نحو ضوء ظاهر في محيط مجالهم البصري، وهم يقومون بذلك على نحو موثوق حتى لو تحرك الضوء قليلًا إلى اليسار أو اليمين، وتحركت أعينهم نحوه، ومن المثير للاهتمام أنهم لا يبلّغون عن تحرك الضوء. وبالتالي، يمكن أن تُظهر العمليات الآلية قدرة على التكيف مع المتغيرات البيئية [باء زائدة بقصد من المؤلف]، لاكتشاف وحل التوترات الموجودة داخل التيار الديناميكي للنشاط الترابطي (Brownstein & Madva, 2012; Rietveld، 2008). وربما تكون قد أجريتَ للتو تصحيحًا آليًا للخطأ الوارد في هذه الفقرة، بأن تصحّح كلمة "بيئي" فتقرأها "بيئي".

إن هذه المعيارية الآلية ليست خاصة بالفعل الجسدي، فهي موجودة أيضًا في الفعل الذهني، ففي نموذج والش وآندرسون Walsh and Anderson (2009)، واجه الأشخاص محل الدراسة مسائل ضرب رياضية يمكنهم حلها باستخدام إحدى الاستراتيجيتين: الحساب الذهني، أو استخدام الآلة الحاسبة. وعند اختيار الاستراتيجية كان يجب على هؤلاء الأشخاص أيضًا أن يضعوا في حسبانهم مدة تأخر الحالة الحاسبة (أربع ثوانٍ)، وكانت هناك ثلاثة أنواع من المسائل: سهلة، ومتوسطة، وصعبة، وظرفان: وجود مهلة الآلة الحاسبة، وعدم وجودها. وقد جرى تسجيل الوقت المعدل الزمني، والدقة، وحركة المؤشر من نقطة البداية إلى الآلة الحاسبة أو إلى مربع الإجابة. بدأ المشاركون بسرعة بحركة تتوافق مع استراتيجية مفضّلة في البداية، ثم قرروا ما إذا كانوا سيكملون

(7) نسبة إلى الجهاز الدهليزي الذي يسهم في الحركة والإحساس بالتوازن وديناميكة الجسم، جسم أغلب الثدييات تحديدًا (المترجم).

حل المسألة باستخدام تلك الاستراتيجية (أو التحول إلى الأخرى) من خلال إجراء تقييم أشمل في أثناء انتقال المؤشر من مكان إلى آخر على الشاشة. وغالبًا ما أعادوا توجيه الحركة الأولية للمؤشر من استراتيجية إلى أخرى لإظهار «حساسية غير كاملة للمسألة الحالية»؛ ولكن بعد ذلك «عكَس الالتزام باستراتيجية محددة الذي حدث لاحقًا حساسية شبه كاملة لمدى فعالية الحساب الذهني والحساب بالآلة الحاسبة» (Walsh & Anderson, 2009، ص. 345). لقد أظهر المشاركون سلوكًا تكيفيًا من خلال إجراء الحسابات الذهنية باطراد أقل مع زيادة صعوبة المسألة، وباطراد أكثر في الحالات الصعبة عندما تتأخر الآلة الحاسبة. كانت اختيارات الاستراتيجية سريعة للغاية وتعتمد على التفاعل بين صعوبة المشكلة واستجابة الآلة الحاسبة.

علاوة على ذلك، هناك أيضًا اكتشاف آلي سريع للأخطاء في الأفعال الذهنية. ففي دراسة حديثة، صمّم فرنانديز وأورانغو-مونيوز وفولز Fernndez, Arango-Muñoz, and Volz (2016) تجربة لاختبار دراية الأشخاص بأخطائهم في الحساب الذهني السريع. إذ عُرضت على المشاركين ثلاثة أرقام، وكان عليهم تقدير ما إذا كان الرقم الذي في المنتصف هو المتوسط الحسابي للرقمين للآخرين (على سبيل المثال: 2 4 8) بالإجابة بـ: نعم، أو لا. وطُلب من المشاركين الضغط على زرّيْ نعم/ لا بأسرع ما يمكن، ثم الإبلاغ بأسرع ما يمكن عما إذا كان لديهم شعور بالخطأ باستخدام زرّيْ نعم/ لا مرة أخرى. وقد ضُيِّق الوقت عليهم؛ لمنع التحكم التأملي والتَّفكير التحليلي. ومن المثير للاهتمام أن الشعور ببلاغات الخطأ كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالأخطاء الحسابية الفعلية، وبعبارة أخرى: لقد أبلغ هؤلاء الأشخاص عن شعورهم بالخطأ في الغالب عندما ارتكبوا خطأ بالفعل. فضلًا عن ذلك، اختبر المجربون ثقة المشاركين في إجاباتهم عندما لم يبلغوا عن مشاعر الخطأ. ومن المثير للدهشة أن المشاركين في هذه الحالات قد أبلغوا عن ثقة أقل في الإجابات الخاطئة مقارنة بالإجابات الصحيحة، ما يشير إلى أنه في الحالات التي لم يكن لدى المشاركين شعور واجب التبليغ كان لا تزال لديهم دراية من مستوى أدنى

بأخطائهم (كان الشعور بالخطأ «على شفا الوعي «fringe consciousness (Norman, Price, & Duff، 2010)).

لذلك نحن لدينا أنظمة آلية لاكتشاف الأخطاء التي تُنتج أحيانًا شعورًا صريحًا بالخطأ. أضف إلى هذا أننا لسنا قادرين على اكتشاف الأخطاء فحسب، وإنما أيضًا على تصحيحها آليًا. ففي دراسة قارنت قدرات الأشخاص على تصحيح الأخطاء، والإبلاغ عنها، واستحضارها (Rabbitt، 2002)، طُلب من المشاركين النظر إلى شاشة مقسمة إلى أربعة مربعات، والضغط على الزر المقابل عند ظهور نقطة في كل مربع. وطُلب من المجموعة الأولى تصحيح الأخطاء التي ارتكبوها في أثناء المهمة على الفور، وطُلب من المجموعة الثانية الضغط على زر خامس في كل مرة شعروا فيها بالخطأ، وقُوطعت المجموعة الثالثة عشوائيًا وسُئلوا عما إذا كانوا يتذكرون ارتكابهم أي خطأ في إجاباتهم الثلاثة الأخيرة، وطُلب من المجموعة الرابعة تجاهل كل الأخطاء ببساطة. وقد تباينت مدة المحفِّز ("الفاصلة الزمنية بين العلامة والاستجابة Response Signal Interval، أو RSI) تباينًا عشوائيًا خلال المهمة بين 150 مللي ثانية و1 ثانية.

كانت النتيجة الأولى ذات الصلة هي أن الاستجابة التي أعقبت الخطأ كانت أبطأ من سابقاتها بالنسبة لجميع المشاركين. وحدث هذا التباطؤ حتى عندما لم يتمكنوا من الإبلاغ عن الأخطاء أو استحضارها. علاوة على ذلك، كان المشاركون في المجموعة الأولى سريعين ودقيقين على نحو لافت في تصحيح أخطائهم، ففي جميع الفواصل الزمنية بين العلامة والاستجابة للمجموعة كانت الأخطاء في المتوسط أسرع حتى من الاستجابات الصحيحة، وكانت تصحيحات الأخطاء في المتوسط أسرع من الأخطاء. فضلًا عن ذلك، أظهر المشاركون دقة أكبر في تصحيح الخطأ مقارنة بالإبلاغ عن الخطأ أو استحضار الخطأ. في جميع الظروف، استغرق إبلاغ المشاركين عن خطأ وقتًا أطول من تصحيحه، وفشلوا في الإبلاغ عن الأخطاء في كثير من الأحيان أكثر مما فشلوا في تصحيحها. وبالنظر إلى أن تصحيح الخطأ يمكن أن يحدث بسرعة ملحوظة (تصل إلى 40 مللي ثانية بعد ارتكاب الخطأ (Rabbitt, 1966a, 1966b)،

لا يمكن أن يعتمد تصحيح الخطأ على عمليات التعرف والتصحيح التأملية، ولذلك لا بد أن تكون عمليات آلية. والأمر الجوهري هو أن هذه التصحيحات الآلية قد زادت دائمًا من دقة الاستجابة، ولم تحوّل الاستجابة الصحيحة إلى استجابة خطأ قط (Rabbitt, 2002، ص. 1082).

وبالتالي، يمكن أن تكون العمليات الآلية (الذهنية والجسدية) حساسة للخطأ، وقادرة على تنفيذ تصحيح ذاتي سريع وفعال دون تدخل عمليات أبطأ وأغلظ من رتبة أعلى[8]. وبشكل أكثر تحديدًا، تشير الأدلة المذكورة أعلاه إلى أنه يمكننا إجراء عمليات اكتشاف الأخطاء وتصحيحها بسرعة وببداهة مستقلة عن المعالجة المجهدة بشكل عام والمجهدة معرفانيًا التي تعتمد على الذّاكرة العاملة. واتباعًا لتقارير المعالجة المزدوجة dual-process للمعرفانية البشرية، نميز هنا بين العمليات الآلية أو البدهية التي يمكن إجراؤها على نحو مستقل عن الذّاكرة العاملة، والعمليات التأملية التي تطلب أداؤها استخدام الذّاكرة العاملة (Evans, 2010a; Nagel, 2014)[9]. هنا تشير كلمة «الذّاكرة العاملة» (Baddeley، 2007) إلى مجموعة القدرات المعرفانية ذات الرتبة الأعلى التي تسمح بالمعالجة العقلية للتمثيلات الموجهة نحو مهمة.

وبالتالي، هناك طريقتان مختلفتان لممارستنا للتحكم المعرفاني على سلوكنا:

الأولى: هي التحكم التأملي، وهو التحكم الذي غالبًا ما يكون بطيئًا ومجهدًا ومن أعلى إلى أسفل، ونمارسه من خلال توظيف الذّاكرة العاملة في مهام جديدة أو تتطلب الانتباه.

---

(8) للاطلاع على الحالات الأخرى للكشف الآلي للأخطاء والتصحيح في العمليات الحسية-الحركية، انظر Gordon & Soechting (1995)، وRabbitt (1990)، وLogan & Crump (2010).

(9) لاحظ أن مقاربة العملية المزدوجة هذه تختلف اختلافًا كبيرًا عن مقاربات النظام المزدوج الأقل تنقيحًا (لنظرة عامة، والفرق بين تقارير النظام المزدوج والعملية المزدوجة، انظر Evans (2008, 2010b)، و Evans & Stanovich (2013)).

والثانية: هي التحكم البدهي أو الآلي، وهو التحكم السريع الذي يحدث بلا جهد، ونمارسه آليًا دون تدخل الذّاكرة العاملة.

تكشف الحالات التي نُوقشت سابقًا أن العمليات الآلية ليست ظواهر قذفية غير حساسة للأدلة (أو على الأقل ليست كذلك بالضرورة). ومن ثم يبدو القول: إن العمليات الآلية «غير قادرة على مواكبة التباين في العالم أو التناقضات في العالم المعياري» (Gendler, 2008b، ص. 570) غير دقيق أبدًا، حتى لو سلكت هذا المسلك في بعض الحالات، أو فيما يتعلق بأنواع محددة من الأدلة - ولا سيما عندما تكون في شكل معرفة قضوية جديدة. يجب علينا بالأحرى أن نتفق مع براونشتاين ومادفا Brownstein and Madva في الادعاء القائل: إن العمليات الآلية «يمكن أن تكون حساسة للمعايير بحكم استجابتها لحالات انفعالية من عدم الاتزان، والاستجابة لهذه الحالات الانفعالية مرنة، وذاتية التعديل...وظاهرة معيارية على نحو أصيل» (Brownstein & Madva, 2012، ص. 428). بالطبع يمكن أن تكون حالات عدم الاتزان الانفعالية هذه مضللة فيما يتعلق بالأدلة الإجمالية المتاحة (كما في حالة الرجل الحكيم المرتعش المعلّق على هاوية من قفص آمن تمامًا)، لكن لا يلزم أن تكون كذلك: فالحالات الانفعالية مثل: «الشعور بالتوتر» أو «السخط الموجّه نحو شخصٍ أو شيءٍ ما» يمكن أن تكون جزءًا من أنظمة ديناميكية موثوقة لاكتشاف الأخطاء وتصحيحها مباشرة. إذا استخدمنا هذه الآليات للتحكم في الفعل الذهني، فإنها تستحق اسم "المعرفانية-الفوقية الآلية".

3. المعرفانية الفوقية الآلية:

1.3 التحكم كعلامة للفعل:

لقد ركّز منظّرو الفعل الحديثون، بإلهام من تقارير علم الأعصاب عن التحكم الحركي (Jeannerod, 2006; Wolpert & Ghahramani, 2000; Wolpert, Ghahramani, & Jordan، 1995)، في تعريفاتهم للفعل على عمليات التحكم (BermŒdez, 2017; Hopkins,

.(2016 ،2014; Mossel, 2005; Pacherie, 2008; Proust, 2005; Shepherd, 2014; Wu
ووفق هذا الرأي، فإن تنفيذ فعلٍ ما لا يتطلب فقط النية أو المحاولة الواعية للقيام بشيءٍ ما، وإنما يتطلب أيضًا القيام به بطريقة متحكَّم فيها، بممارسة التحكم في إنتاج الأحداث الجسدية أو الذهنية[10].

تتوافق هذه النظرة للفعل مع البيانات المتعلقة بالتحكم الآلي التي لخصناها حتى الآن. في الأمثلة المذكورة، يقوم الشّخص بـ: التعديل، أو التصحيح، أو مجرد التصرف بطريقة محددة في أثناء ممارسة شكل آلي للتحكم في الأداء. على الرغم من أن الفاعل يتحكم في سلوكه دون الحاجة إلى التأمل، والأفكار ذات الرتبة الثانية، و/أو الوعي التمثيلي-الفوقي metarepresentational، إلا أن فعله حساس لبعض القيود المعيارية. لذلك، نظرًا للحساسية المعيارية لهذه السلوكيات، يمكن عد الفاعل يمارس تحكمًا آليًا فاعليًا في أثناء أدائها.

وبالتالي، فإن السّؤال التالي الذي يجب أن نواجهه هو ما إذا كان هناك شكل مشابه من التحكم الآلي في الأفعال الذهنية، خاصة التذكر.

2.3 الفعل الذهني والمعرفانية-الفوقية:

على الرغم من أن نظرية التحكم الحركي ناجحة في حالة الأفعال الجسدية، إلا أنه يجب أن نقاوم إغراء الادعاء الذي مفاده أن التحكم في الفعلي الذهني يقوم به النظام الحركي، كما اقترح بعض الفلاسفة (Campbell, 1999; Peacocke، 2007). إذ لا يترجّح أن المرء يعتمد ولا بد على الصور الحركية بشأن أوضاعه الجسدية، كما تعتمد الأنظمة الحركية، من أجل أن يتحكم في أدائه الذهني

(10) استشهد هوبكنز Hopkins (2014) مؤخرًا بفكرة التحكم لادعاء أن التذكر فعل ذهني. ومع ذلك، فنحن لا نستخدم مفهوم التحكم ذاته. إذ يشير مفهومه عن التحكم إلى نوع من السببية الخارجية أو تحديد الأحداث الماضية الخارجية للمحتوى المتذكَّر («يجب أن يتحكم الماضي بشكل أو بآخر في الطريقة التي أمثّله بها الآن (...). ولذلك، يجب أن يُحدَّد تمثيلي بشكل مباشر بالواقعة: فتمثيلي لها يتحكم فيه سببيًا كيف كانت، وليس بوساطة أي حالة واعية أخرى»، ص 324). يشير مفهومنا عن التحكم إلى التحكم المعرفاني الفوقي، وبهذا المعنى هو داخلي.

(Carruthers, 2009a; Proust، 2009). فلا يمكن لأي حركة جسدية أن تفي بشروط الفعل الذهني. فمثلًا، محاولتك الذهنية لتذكر رقم هاتف لا تتوافق مع أي حركة جسدية أو أي حدث جسدي؛ لأنه يمكنك تذكر رقم الهاتف ذهنيًا دون تحريك أي عضلة ودون تغيير أي شيء في العالم. ولذلك، فإن اتجاه تناسب التذكر ليس من العالم إلى الذهن، كما في حالة النيات الجسدية (Searle، 1983)؛ لأنه ليس من الضروري أن ينطوي على تغيير في العالم (خارج ذهنك) ليتحقق. تُفسَّر هذه الحقيقة بالأساس من خلال طبيعة الأفعال الذهنية وتضادها مع الأفعال الجسدية، إذ تهدف الأولى إلى إحداث تغيير: إبستيمي، أو عاطفي، أو انتباهي، أو تحفيزي في الذهن، في حين تهدف الأخيرة إلى إحداث تغيير في الجسم و/ أو في العالم (Kirsh & Maglio، 1994).

وبالتالي، فالتمييز الأول بين الفعل الجسدي والفعل الذهني يشير إلى هدف كل منهما ونوع التحكم الذي يجب أن يمارسه الفاعل لتنفيذه. فبينما نهدف في الفعل الجسدي إلى تغيير وضع الجسم و/ أو العالَم، ونستخدم التحكم الحركي بالأساس، فإننا في الفعل الذهني نهدف إلى تغيير الذهن ونستخدم المعرفانية-الفوقية[11].

إن المعرفانية-الفوقية هي القدرة على مراقبة العمليات الذهنية والنزعات والتحكم فيها (Proust، 2013).

3.3 مستويان أو نوعان للمعرفانية-الفوقية:

تقول الرؤية الكلاسيكية: إن المعرفانية-الفوقية هي تفكير في التَّفكير، أي: تكوين تمثيلات-فوقية metarepresentations، أو أفكار من الرتبة الثانية،

(11) من الواضح أن هذا تبسيط مفرط، إذ قد ينوي المرء البقاء ساكنًا، وفي هذه الحالة لن تكون هناك أي حركة جسدية متضمنة.

للحالات الذهنية ذات الرتبة الأولى (Flavell, 1979; Nelson & Narens، 1990).
وبناءً على ذلك، فإن المعرفانية-الفوقية هي مجرد تحويل القدرة على قراءة الأفكار تجاه الذات، واستخدام المفاهيم الذهنية لإنتاج إسنادات إلى الذات (Carruthers, 2009b، 2011). يُطلَق على هذا النوع من المعرفانية-الفوقية «المعرفانية-الفوقية القائمة على النظرية «theory-based metacognition» (Koriat، 2000)، أو «المعرفانية-الفوقية ذات المستوى الأعلى» (Arango-Muñoz، 2011)، أو «المعرفانية-الفوقية من النظام الثاني» (Proust, 2013; Shea et al.، 2014) قياسًا على عمليات التحكم من النظام الثاني.

في المقابل، اقترحت الدراسات الحديثة أن هناك شكلًا أضعف للمعرفانية-الفوقية لا يتطلب الوعي، أو نظرية للذهن، أو المفاهيم الذهنية، ويعمل ضمنيًا: «يحدث قدر كبير من التحكم المعرفاني خارج النظام الثاني» (Shea et al., 2014، ص. 188). تتضمن المعرفانية-الفوقية القدرة الذهنية على مراقبة العمليات الذهنية والتحكم فيها ضمنيًا (Shea et al.، 2014)، أو من خلال المشاعر المعرفانية-الفوقية(Arango-Muñoz, 2011, 2014; Proust, 2009, 2013)[12]. وسُمّي هذا النوع من المعرفانية-الفوقية بـ: «المعرفانية-الفوقية القائمة على الخبرة» (Koriat، 2000)، أو «المعرفانية-الفوقية من النظام الأول» (Proust, 2013; Shea et al., 2014)[13].

---

(12) إنّ الرأي الضمني والرأي القائم على المشاعر للمعرفانية-الفوقية ذات المستوى المنخفض مختلفان. إذ الأول يعد أنه يمكن أن يكون هناك تحكم في الغياب التام للوعي، في حين يقترح الأخير أن المشاعر هي مخرجات للمعرفانية-الفوقية وتؤثر في عمليات التحكم. إن الرأي القائم على الشعور وثيق الصلة بالخصوص بمناقشات الفعل اللذهني. وهذه المشاعر هي التي تسمح لنا بالادعاء بأن عمليات اكتشاف الأخطاء وتصحيحها آليًا، مثل التي ناقشناها في القسم الثاني، تعمل في العديد من المواقف وتساعد الشّخص في اكتشاف أخطائه وتصحيحها، تمامًا كما يمكنك تصحيح وضعك الجسدي عندما تركب دراجتك من خلال مشاعر التوازن الدهليزي، يمكنك بالمثل تصحيح عملية التذكر عندما تحاول أن تتذكر من خلال المشاعر المعرفانية-الفوقية للمعرفة، أو للنسيان، أو للطلاقة، وما إلى ذلك (يأتي المزيد عن هذا في الجزء الرابع).

(13) تستخدم الأدبيات تمييزًا بين المعرفانية-الفوقية ذات "النظام الأول" وذات "النظام الثاني"، لذلك نستخدم هذه المصطلحات هنا، على الرغم من أننا نفضل عمومًا التمييز بأنواع العمليات، بما

تحظى «المعرفانية-الفوقية من النظام الثاني» بقبول واسع، لذلك سنناقش بإيجاز أدلة «المعرفانية-الفوقية من النظام الأول» التي تأتي بالأساس من ثلاث مجالات:

(1): أظهر علم النفس المقارن أن الحيوانات التي تفتقر القدرة على قراءة الأفكار والمفاهيم الذهنية تنجح في مفاهيم معرفانية-فوقية: قرود الريسوس، والدلافين قارورية الأنف قادرة على مراقبة قدراتها الإدراكية والذاكرية والتحكم فيها (Hampton, 2001; Smith, 2009; Smithet al., 2006; Smith & Washburn، 2003).

(2): وجد علماء النفس أن الأشخاص في كثير من الأحيان يراقبون عملياتهم الذهنية بالاعتماد على المشاعر والحدوس المعرفانية-الفوقية، وليس بالضرورة بالاعتماد على المعلومات النظرية (Koriat، 2000). وتُظهر الأدبيات المتنامية الدور المهم للمشاعر المعرفانية-الفوقية في التحكم في العمليات الذهنية (Fernández Cruz, Arango-Muñoz, & Volz, 2016; Koriat, 2000; Schwartz & Metcalfe، 2010).

وأخيرًا (3): يبدو أن هناك اختلافات في النشاط العصبي المتعلق بالقراءة الذهنية (المعرفانية الفوقية من النظام الثاني) والمعرفانية الفوقية من النظام الأول (Proust, 2012; Schnyer et al. ، 2004).

كما ذُكر أعلاه، عندما نمارس تحكمًا فاعليًا في عملياتنا المعرفانية، من خلال المعرفانية-الفوقية، فإننا ننفذ أفعالًا ذهنية. لذلك، إذا كان التذكر فعلًا، فلا بد أننا نمارس تحكمًا في عملياتنا الترميمية الاستطرادية عن طريق أحد هذين النوعين من المعرفانية الفوقية. يمكن للمرء أن يتحكم في عملية التذكر إما عن طريق المعرفانية-الفوقية ذات النظام الثاني (أي: تفكير المرء فيما يتذكره وقيامه ببعض الاستدلالات المعرفانية-الفوقية حوله)، وإما عن طريق المعرفانية

يتوافق مع تفضيلنا للعملية المزدوجة على تقارير النظام المزدوج للمعرفانية (Evans & Stanovich، 2013).

الفوقية ذات النظام الأول (أي: مراقبة علمية التذكر والتحكم فيها عن طريق المشاعر المعرفانية الفوقية). ومع ذلك؛ نظرًا لأن المعرفانية-الفوقية ذات النظام الثاني كثيرة المطالب ومكلفة معرفانيًا، فإن معظم التحكم المعرفاني-الفوقي يقوم على الشعور. هذا هو سبب تركيزنا على النظام الأول. فيما يلي، نجادل بأن المعرفانية-الفوقية ذات النظام الأول والقائمة على الشعور تسمح لنا بممارسة تحكم فاعلي على جانب إنتاج المحتوى لعمليات الذّاكرة الاستطرادية.

4. المعرفانية-الفوقية القائمة على الشعور والذّاكرة الاستطرادية:

1.4 الذّاكرة الاستطرادية بِعَدِّها إعادة بناء تخيلي للماضي الشّخصي:

تزعم النظرية الترميمية للذاكرة أن الذّاكرة ليست استردادًا سلبيًا للتمثيلات المخزَّنة، وإنما هي إعادة بناء نشط لتمثيل حلقة ماضية: «التذكر هو تخيل أو محاكاة الماضي» (Michaelian, 2016، ص60). ومع ذلك، تجدر الإشارة أيضًا إلى أن إعادة البناء لا تحدث فقط في أثناء الاسترداد، وإنما تحدث أيضًا في أثناء مرحلة الترميز من العملية التي تختار فيها الذّاكرة ما تحتفظ به وكيف تحتفظ به، وغالبًا ما ترمّز فقط جوهر الحدث المتذكَّر (Schacter & Addis، 2007).

إذا كان التذكر هو فعل الترميم التخيلي للخبرة الماضية، فإن هذا يفتح المجال للعديد من الأخطاء الذاكراتية، مثل: التعرف الخاطئ (Roediger & McDermott، 1995)، وتمدد الحدود (boundary extension Intraub, Bender, & Mangels، 1992)، وظاهرة التصوير الفائق (superportrait phenomenon Rhodes، 1996)، والخرف (Michaelian، 2011). يحدث التذكر الخاطئ عندما يَنتج عن نظام ذاكراتي موثوق به تمثيل خاطئ أو غير دقيق للماضي. يسلّط منظّرو الترميم الضوء على أن التذكر الخاطئ، نظرًا للطابع البنائي للذاكرة، هو حدث نظامي وعادي في حياتنا اليومية (De Brigard, 2014a).

في ضوء الطبيعة غير الكاملة لمخرجات الذّاكرة، هناك حاجة إلى نوع من التحكم لضمان موثوقية الذّاكرة. وليس هو التحكم التمهيدي والإعدادي للفعل

الذهني الذي ناقشناه سابقًا (محاولة جلب أنني أتذكر X)؛ وإنما المطلوب هنا هو التحكم في عمليات إنتاج المحتوى التخيلي الآلي وموثوقيتها (محاولة التذكر على النحو الصحيح). وتحقق المعرفانية-الفوقية، التحكم في العمليات الذهنية والنزعات، هذا إلى حد كبير من خلال المشاعر المعرفانية-الفوقية.

2.4 كيف توجِّه المشاعرُ المعرفانية الفوقية الترميمَ الاستطرادي؟

كما قلنا سابقًا: تتمتع الذَّاكرة بفينومينولوجيا ثرية، فغالبًا ما لا يكون الاسترجاع حدثًا ذهنيًا فوريًا، وإنما هو عملية طويلة، وفي أثناء حدوثه لا نختبر فقط قدرتنا على جلب المحتوى الذاكراتي ذي الصلة، وإنما نشعر أيضًا أن التذكر أسهل في بعض الأحيان، وأحيانًا أصعب، ونشعر أن ذاكرة محددة أدق أو أقل دقة، ونشعر أننا سنكون قادرين على تذكر شيء ما إذا حاولنا بجهد أكبر (على سبيل المثال: في ظاهرة أن يكون الشيء على طرف اللسان)، أو نعلم ببساطة أننا لن نكون قادرين على التذكر، مهما كان جهدنا في المحاولة، ونشعر أحيانًا أننا ننسى شيئًا يجب أن نتذكره، وهلُمَّ جرًّا. كل هذه الظواهر هي خبرات معرفانية-فوقية تفيد ببعض المعلومات حول الطريقة التي تسير بها عملية الترميم الاستطرادية، سواء أكانت تسير بسلاسة أم تجد بعض العقبات، وسواء أكانت هذه العقبات كبيرة أم لا. كما ذكرنا سابقًا، تشير هذه الظواهر إلى أن التحكم الذاكري الاستطرادي ليس مجرد تكوين نية في الذهن وانتظار وصول المحتوى المناسب. وفي هذا الصدد، يلاحظ سوتشي Souchay وآخرون أن «المشاعر والأفكار المترابطة على ما يُفترض التي تولدت في أثناء الاسترداد على المستوى الحسي تُراقَب بالمستوى الفوقي، مما يؤدي إلى تشغيل استراتيجيات ذاكراتية، وإنهاء البحث، وما إلى ذلك» (2013، ص1). إن هذه الظواهر تشير إلى أننا لا نتحكم فقط في فعل التذكر الشامل، وإنما أيضًا نتمتع، بتوجيه من المشاعر المعرفانية-الفوقية، بمستوى محدد من التحكم في عملية إعادة البناء. وبالتالي فإن المشاعر المعرفانية-الفوقية تمكّن الشّخص من المشاركة الاستراتيجية في العملية الذاكراتية، مما يعزز موثوقية المحتوى الذهني المنتَج.

إن الشعور بالمعرفة feeling of knowing (FOK) هو من أكثر الخبرات غموضًا وإثارة للاهتمام فيما يتعلق بالذّاكرة. في بعض الأحيان عندما تواجه مشكلة تذكر، فأنتَ تشعر حتى قبل محاولة الوصول إلى الحل بأنك تعرفه بالفعل، وأنك ستتمكن من إعادة بناء الذّاكرة. في مجال الذّاكرة الدلالية، ظهر أن الشعور بالمعرفة يؤدي دورًا مركزيًا في تحديد ما إذا كان يجب تذكر معلومة أو محاولة تنفيذ استراتيجية أخرى لاسترداد المعلومات (Arango-Muñoz, 2013; Paynter, Reder, & Kieffaber, 2009; Reder، 1987). على الرغم من أن الشعور بالمعرفة لم يخضع إلا لدراسة أقل في مجال الذّاكرة الاستطرادية[14]، إلا أنه يبدو من المرجح أن هذه الخبرة تزود الأشخاص بإحساس بما إذا كانوا قادرين على إعادة بناء معلومة أو لا. فعندما يُسأل المرء عما إذا كان قادرًا على تذكر الأحداث التي وقعت عند تخرجه من المدرسة، فإن شعوره بالمعرفة سيحفزه أن يجيب بالإيجاب، وأن يبدأ في محاولة إعادة البناء.

يشعر الشّخص أيضًا بأن التذكر يكون أحيانًا أسهل أو أصعب. ولقد ظهر أن الشعور بسهولة التذكر يؤدي دورًا أساسيًا في مراقبة الاسترداد الذكرى والتحكم فيه. إذ وفق نموذج الوصول إلى الشعور بالمعرفة FOK accessibility model لـ كوريات Koriat (1993، 2000)، فإن الوصول إلى المعلومات الجزئية أو السياقية ذات الصلة بالذكرى المستهدفة يؤدي إلى هذا الشعور. فمثلًا: يؤدي الوصول الفوري أو السريع إلى أغنية أو الأبيات الأولى من نشيدٍ ما إلى الشعور بمعرفتها. فكِّر فيما يحدث عندما تريد أن تلقي مزحة سمعتَها سابقًا على بعض الناس، أنت تتدرب ذهنيًا على الكلمات الأولى للمزحة ونهايتها، وإذا استحضرت هذه الكلمات بسهولة، فقد يحفزك هذا الشعور على البدء في إلقاء المزحة، موقنًا (على حق غالبًا) بأنك ستكون قادرًا على إعادة

(14) يعد بعض الباحثين دراسة قوائم الكلمات أو الجمل واستدعاءهما وسيلة لدراسة الذّاكرة الاستطرادية وليس فقط الدلالية. وعلى الرغم من أننا نتفق على أن دراسة قوائم الكلمات واستدعاءها قد تفيد بشكل غير مباشر معرفتنا بالذّاكرة الاستطرادية، إلا أنها ليست الطريقة الأكثر مباشرة لدراسة هذا النوع من الذّاكرة.

بناء الباقي. لكن إذا لم تستحضر تلك البقايا بسرعة، فإنك تؤخر المزحة حتى تستعيد بنجاح القدر الكافي منها (هذه المهارة يجب تعلمها، وهو ما يفسر سبب قيام الأطفال في كثير من الأحيان بإفساد المزحة بأن يشرعوا في إلقائها، ثم يدرون أنهم قد نسوا نهايتها). وعلى العكس من ذلك، قد يكون لدى الشّخص شعور بعدم اليقين، أو عدم المعرفة أو النسيان، ما قد يدفعه للتخلي عن إعادة البناء الذاكري بسرعة.

نشعر أيضًا أن بقية ذاكرية محددة أدق أو أقل أدقة، مما يقودنا إلى بناء عملية الاسترجاع بطرق مختلفة. ونشعر بأن معلومة متذكَّرة صائبة، ومعلومة أخرى خطأ. لقد وُجد أنَّ الطلاقة التي يُعاد بها بناء ذكرى ما هي محدد رئيس للشعور بالصواب. ويشير مصطلح "الطلاقة" إلى السهولة التي يُعاد بها بناء المعلومات، ومن ثم تُقاس بالأساس من خلال مدة رد الفعل، أي: سرعة إعادة البناء الذاكرية. والذكرى التي أُعيد بناؤها بطلاقة (أي: بسرعة) تبدو صحيحة، في حين أن الترميم الطليق يبدو محل شك (Benjamin, Bjork, & Schwartz, 1998; Kelley & Lindsay, 1993; Whittlesea & Leboe، 2003). عندما يكون الاسترجاع الاستطرادي مصحوبًا بشعور بالخطأ أو الشك، فإن هذا يميل إلى تحفيز الفاعل إلى مراجعة النتيجة حتى تصبح أكثر دقة (Gallo & Lampinen، 2015).

يؤدي الشعور بالنسيان أيضًا دورًا مهمًا في التذكر. إذ عندما نحاول إعادة بناء قوائم العناصر، أو المشاهد، أو قوائم المهام المطلوبة ذهنيًا، كثيرًا ما نشعر بأننا نسينا شيئًا ما (Halamish, McGillivray, & Castel، 2011). هذا الشعور يحفز الشّخص على مراجعة الترميم الذاكراتي، والبحث عن إلماحات أو بقايا تأييدية، والتحقق مما إذا كان هناك شيء مفقود، ويلقي هذا الشعور أيضًا بظلال من الشك على سلامة الذَّاكرة.

كل هذه المشاعر المعرفانية-الفوقية لها أهمية جوهرية في إنتاج الفاعل وتقييمه للترميم الذاكراتي، وقراره الإضافي بشأن ما إذا كان سيصادق على المعلومات المعاد بناؤها (Michaelian، 2012). وزعمنا هو أنه عندما يتذكر

الشّخص بتوجيه من هذه المشاعر المعرفانية-الفوقية، فإنه في الواقع يمارس تحكمًا آليًا فاعليًا في عملياته الذاكرية الذهنية؛ لأن المشاعر المذكورة تحفز الشّخص على حل التوترات التي يشعر بها وتوجيه ترميمه الذاكراتي نحو الموثوقية. وبالتالي، في ضوء مركزية التحكم الفاعلي للفعل، فإنه عندما يتحكم الفاعل في عملياته الذهنية للترميم الاستطرادي من خلال المشاعر المعرفانية-الفوقية، فإن التذكر يُعد فعلًا ذهنيًّا. علاوة على ذلك، في التذكر القائم على الشعور، تشكّل العمليات المعرفانية الفوقية والترميمية معًا الفعلَ، حيث إنه من خلال المعرفانية الفوقية يتمكن الفاعل من بناء العمليات الترميمية الآلية في اتجاه إنتاج ذاكرة موثوقة يمكنه بعد ذلك أن يصادق عليها.

5. الخلاصـــة:

إنَّ السبب الرئيس الذي يجعل بعض الفلاسفة يعدون الذّاكرة مجرد قدرة سلبية على الاحتفاظ بالمعلومات واسترجاعها هو طابعها الآلي، إذ إن الطبيعة "القذفية" الظاهرة لإنتاج المحتوى الذهني لا تفسح مجالًا للفاعلية ولا التحكم. ولمعارضة هذا الرأي، دافعنا عن تقرير نشط للذاكرة، وفقه يمكن أن يُعد التذكر فعلًا ذهنيًا. ويختلف زعمنا عن وجهة نظر "الارتباط البسيط"؛ لأننا نعتقد أن الفاعلين ليسوا قادرين فقط على التحكم في بدء التذكر من أعلى إلى أسفل، وإنما أيضًا على بناء عملية إنتاج المحتوى، ومراقبتها وتوجيهها عن طريق المشاعر المعرفانية-الفوقية البدهية.

غالبًا ما تتطلب الذّاكرة، بِعَدِّها إعادة بناء تخيلية للخبرة الماضية، نوعًا من التحكم المعرفاني-الفوقي لضمان موثوقيتها. ونحن نميز، بالاعتماد على العمل الحديث المتعلق بمعيارية الآلية والتحكم الآلي، بين نوعين من التحكم المعرفاني-الفوقي:

التحكم التأملي من أعلى إلى أسفل، والتحكم الآلي البدهي القائم على الشعور. ونقترح أنه عندما يتحكم الفاعلين في عمليات التذكر الذهني لديهم عن

طريق المعرفانية-الفوقية البدهية أو القائمة على الشعور، فإن التذكر هو فعل.

يجدر بنا تقديم بعض التوضيحات قبل الختام.

أولًا: لا تستلزم وجهة نظرنا أن تكون المشاعر المعرفانية-الفوقية بمثابة موجّهات مثالية للذكريات الموثوقة. إذ كثيرًا ما نخطئ في إسناد مستويات الموثوقية إلى ذاكرتنا، ومن المؤكد أن بعض الناس أفضل من غيرهم في إنتاج ذكريات موثوقة، ولكن بقدر ما يمكننا أن نحسّن قصديًا موثوقية ذكرياتنا من خلال عمليات ذهنية داخلية بحتة، فإن ذلك يرجع إلى حد كبير إلى مشاعرنا المعرفانية-الفوقية.

ثانيًا: لا نريد إقصاء المعرفانية-الفوقية عالية المستوى كمصدر آخر للفاعلية الذاكراتية، إذ بالتأكيد هناك بعض العمليات الاستدلالية عالية المستوى تؤدي دورًا في بعض إجراءاتنا التذكرية المعتادة (مثل تلك الموجودة في مراقبة المصدر). ومع ذلك، نظرًا لميلنا لتقليل عمليات التحكم التنفيذي إلى الحد الأدنى، فإن معظم عمليات التحكم الذاكراتي اليومي هي بالتأكيد عمليات النظام الأول (Shea et al., 2014، ص. 188)، لذلك يبدو أن المعرفانية-الفوقية منخفضة المستوى أكثر شيوعًا من المعرفانية-الفوقية عالية المستوى، وتغطي نطاقًا أوسع من القضايا.

ثالثًا: لا نزعم أن كل الحلقات شبه الذاكرية هي أفعال ذهنية، فهناك أحداث أو حوادث ذهنية استطرادية ليست فاعلية، مثل: ترديدي اللاإرادي المفاجئ للأغنية التي سمعتُها بالأمس. وإنما نزعم أن تلك الأحداث الذهنية التي يراقبها ويتحكم فيها الفاعلون من خلال المعرفانية-الفوقية القائمة على الشعور هي أفعال، وبالتأكيد يمكن أن تضمن المعرفانية-الفوقية عالية المستوى أن بعض العمليات الذهنية الأخرى هي أفعال أيضًا.

شكر:

يود المؤلفان الإعراب عن امتنانهما لـ: فيليبي دي بريغارد، وكيرك ميكيليان،

وماركوس ويرنينغ Markus Werning، ودينيس بيرين، ووابن وُو، ومايكل برنت Michael Brent، وفلافيا فيليتي Flavia Felletti، وسانتياغو أمايا Santiago Amaya، وسام موراي Sam Murray، ومراجعيْن مجهوليْن لما قدموه من تعليقات واقتراحات عميقة ومفصلة جدًا غالبًا ومفيدة للغاية.

المراجع:

Arango-Muñoz, S. (2011). Two levels of metacognition. *Philosophia, 39*, 71-82. https://doi.org/10.1007/s11406-010-9279-0

Arango-Muñoz, S. (2013). Scaffolded memory and metacognitive feelings. *Review of Philosophy and Psychology*, *4*(1), 135-152. https://doi.org/10.1007/ s13164-012-0124-1

Arango-Muñoz, S. (2014). The nature of epistemic feelings.*Philosophical Psychology*, *27*(2), 1-19. https://doi.org/10.1080/09515089.2012.732002

Baddeley, A. (2007). *Working memory, thought, and action*. Oxford: Oxford University Press.

Bargh, J. A. (1992). The ecology of automaticity: Toward establishing the conditions needed to produce automatic processing effects. *The American Journal of Psychology*, 181-199.

Bargh, J. A. (1997). The automaticity of everyday life. In R. S. Wyer (Ed.), *Advances in social cognition* (pp. 1-62). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Bargh, J. A., Chen, M., & Burrows, L. (1996). Automaticity of social behavior: Direct effects of trait construct and stereotype activation on action. *Journal of Personality and Social Psychology*, *71*(2), 230-244.

Benjamin, A. S., Bjork, R. A., & Schwartz, B. (1998). The mismeasure of memory: When retrieval fluency is misleading as a metamnemonic index. *Journal of Experimental Psychology: General*, *127*, 55-68.

BermŒdez, J. P. (2017). Do we reflect while performing skillful actions? Automaticity, control, and the perils of distraction. *Philosophical Psychology*, *30*(7), 896-924.

Bresner, D., & Stolz, J. A. (1999). What kind of attention modulates the Stroop effect? *Psychonomic Bulletin & Review*, *6*(1), 99-104.

Brownstein, M., & Madva, A. (2012). The normativity of automaticity. *Mind and Language*, *27*(4), 410-434.

Campbell, J. (1999). Schizophrenia, the space of reasons and thinking as a motor process. *The Monist*, *82*(4), 609-625.

Carruthers, P. (2009a). Action-awareness and the active mind. *Philosophical Papers*, *38*(2), 133-156. https://doi.org/10.1080/05568640903146443

Carruthers, P. (2009b). How we know our own minds: The relationship between mindreading and metacognition. *Behavioral and Brain Sciences*, *32*(2), 121-138. https://doi.org/10.1017/S0140525X09000545

Carruthers, P. (2011). *The opacity of mind: An integrative theory of self-knowledge*. Oxford: Oxford University Press.

Clark, A. (2015). What "extended me" knows. *Synthese*, *192*(11), 3757-3775. https://doi.org/10.1007/s11229-015-0719-z

De Brigard, F. (2014a). Is memory for remembering? Recollection as a form of episodic hypothetical thinking. *Synthese*, *19*(2), 155-185. https://doi.org/10.1007/ s11229-013-0247-7

De Brigard, F. (2014b). The nature of memory traces. *Philosophy Compass*, *9*(6), 402-414.

Del Cul, A., Dehaene, S., Reyes, P., Bravo, E., & Slachevsky, A. (2009). Causal role of prefrontal cortex in the threshold for access to consciousness. *Brain*, *132*(9), 2531-2540.

Evans, J. S. B. T. (2008). Dual-processing accounts of reasoning, judgment, and social cognition. *Annual Review of Psychology*, *59*, 255-278.

Evans, J. S. B. T. (2010a). Intuition and reasoning: A dual-process perspective. *Psychological Inquiry*, *21*(4), 313-326.

Evans, J. S. B. T. (2010b). *Thinking twice: Two minds in One Brain*. Oxford: Oxford University Press.

Evans, J. S. B. T., & Stanovich, K. E. (2013). Dual-process theories of higher cognition: Advancing the debate. *Perspectives on Psychological Science*, *8*(3),

223-241.

Fernndez Cruz, A. L., Arango-Muñoz, S., & Volz, K. (2016). Oops, scratch that! Monitoring one's own errors during mental calculation. *Cognition*, *146*, 110-120. https://doi.org/10.1016/j.cognition.2015.09.005

Flavell, J. H. (1979). Metacognition and cognitive monitoring: A new area of cognitive-developmental inquiry. *American Psychologist*, *34*(10), 906-911.

https://doi.org/10.1037//0003-066x.34.10.906

Francolini, C. M., & Egeth, H. (1980). On the nonautomaticity of 'automatic' activation: Evidence of selective seeing. *Perception and Psychophysics*, *27*, 331-342.

Gallo, D. A., & Lampinen, J. M. (2015). Three pillars of false memory prevention: Orientation, evaluation and corroboration. In J. Dunlosky & S. K. Tauber (Eds.),

The Oxford handbook of metamemory. Retrieved from https://doi.org/10.1093/ oxfordhb/ 9780199336746.013.11

Gendler, T. S. (2008a). Alief and belief. *Journal of Philosophy*, *105*(10), 634-663.

Gendler, T. S. (2008b). Alief in action (and reaction). *Mind and Language*, *25*(5), 552-585.

Gordon, A. M., & Soechting, J. F. (1995). Use of tactile afferent information in sequential finger movements. *Experimental Brain Research*, *107*(2), 281-292.

Halamish, V., McGillivray, S., & Castel, A. D. (2011). Monitoring one's own forgetting in younger and older adults. *Psychology and Aging*, *26*(3), 631-635. https://doi.org/ 10.1037/a0022852

Hampton, R. R. (2001). Rhesus monkeys know when they remember. *Proceedings of the National Academy of Sciences U.S.A*, *98*, 5359-5362.

Hopkins, R. (2014). Episodic memory as representing the past to oneself. *Review of Philosophy and Psychology*, *5*(3), 313-331. https://doi.org/10.1007/ s13164-014-0184-5

Intraub, H., Bender, R. S., & Mangels, J. A. (1992). Looking at pictures but remembering scenes. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition*, *18*, 180-191.

Jeannerod, M. (2006). *Motor cognition*. Oxford: Oxford University Press.

Kahneman, D. (2011). *Thinking, fast and slow*. Farrar: Straus and Giroux. Retrieved from http://doi.org/10.1007/s13398-014-0173-7.2

Kahneman, D., & Henik, A. (1981). Perceptual organization and attention. In M. Kubovy & J. Pomerantz (Eds.), *Perceptual organization and attention* (pp. 181- 211). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Kelley, C. M., & Lindsay, S. D. (1993). Remembering mistaken for knowing: Ease of retrieval as a basis for confidence in answers to general knowledge. *Journal of Memory and Language*, *32*, 1-24.

Kirsh, D., & Maglio, P. (1994). On distinguishing epistemic from pragmatic action. *Cognitive Science*, *18*, 513-549.

Koch, C., & Crick, F. (2001). On the zombie within. *Nature*, *41*(6840), 893-893.

Koriat, A. (1993). How do we know that we know? The accessibility model of the feeling of knowing. *Psychological Review*, *100*(4), 609-639.

Koriat, A. (2000). The feeling of knowing: Some metatheoretical implications for consciousness and control. *Consciousness and Cognition*, *9*(2), 149-171.

LaBerge, D., & Samuels, S. J. (1974). Toward a theory of automatic information processing in reading. *Cognitive Psychology*, *6*(2), 293-323.

Logan, G. D., & Cowan, W. B. (1984). On the ability to inhibit thought and action: A theory of an act of control. *Psychological Review*, *91*(3), 295.

Logan, G. D., & Crump, M. J. C. (2010). Cognitive illusions of authorship reveal hierarchical error detection in skilled typists. *Science*, *330*, 683-686. https://doi. org/10.1126/ science.1190483

MacLeod, C. M. (1991). Half a century of research on the Stroop effect: An integrative review. *Psychological Bulletin*, *109*(2), 163-203.

Mele, A. R. (1997). Agency and mental action. *Nous*, *31*, 231-249.

Mele, A. R. (2009). Mental action: A case study. In L. O'Brien & M. Soteriou (Eds.), *Mental actions* (pp. 17-37). Oxford: Oxford University Press.

Michaelian, K. (2011). Generative memory. *Philosophical Psychology*, *24*(3), 323-342.

Michaelian, K. (2012). Metacognition and endorsement. *Mind and Language*, *27*(3), 284-307.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge, MA: MIT Press.

Moors, A., & De Houwer, J. (2006). Automaticity: A theoretical and conceptual analysis. *Psychological Bulletin*, *132*(2), 297-326.

Mossel, B. (2005). Action, control and sensation of acting. *Philosophical Studies*, *124*, 129-180.

Nagel, J. (2014). Intuition, reflection, and the command of knowledge. *Proceedings of the Aristotelian Society*, *88*, 217-239.

Nelson, T. O., & Narens, L. (1990). Metamemory: A theoretical framework and new findings. *The Psychology of Learning and Motivation*, *26*, 125-173.

Norman, E., Price, M. C., & Duff, S. C. (2010). Fringe consciousness: A useful framework for clarifying the nature of experience-based metacognitive feelings. In A. Efklides & P. Misailidi (Eds.), *Trends and prospects in metacognition research* (pp. 63-80). Springer.

Norman, D. A., & Shallice, T. (1986). Attention to action: Willed and automatic control of behavior. In R. J. Davidson, G. E. Schwartz, & D. Shapiro (Eds.),

Consciousness and self-regulation (pp. 1-18). New York: Springer.

Pacherie, E. (2008). The phenomenology of action: A conceptual framework. *Cognition, 107*, 179-217. https://doi.org/doi:10.1016/j.cognition.2007.09.003

Paynter, C. A., Reder, L. M., & Kieffaber, P. D. (2009). Knowing we know before we know: ERP correlates of initial feeling-of-knowing. *Neuropsychologia, 47*(3), 796-803. https://doi.org/10.1016/j.neuropsychologia.2008.12.009

Peacocke, C. (2007). Mental action and self-awareness (I). In B. McLaughlin & J. Cohen (Eds.), *Contemporary debates in the philosophy of mind* (pp. 358-376). Oxford: Blackwell.

Perner, J., & Aichorn. A. (2008). Theory of mind, language and the temporo-parietal junction mystery. *Trends in Cognitive Sciences, 12*(4), 123-126.

Posner, M. I., & Snyder, C. R. R. (1975). Attention and cognitive control. In R. Solso (Ed.), *Information processing and cognition: The Loyola symposium* (pp. 55-85).

Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum. Proust, J. (2005). *La nature de la volonté*. Paris: Folio-Gallimard.

Proust, J. (2009). Is there a sense of agency of thought? In L. O'Brien & M. Soteriou (Eds.), *Mental actions and agency* (pp. 253-279). Oxford: Oxford University Press.

Proust, J. (2012). Metacognition and mindreading: One or two functions? In M. Beran, J. Brandl, J. Perner, & J. Proust (Eds.), *The foundations of metacognition* (pp. 234-250). Oxford: Oxford University Press.

Proust, J. (2013). *The philosophy of metacognition: Mental agency and selfawareness*. Oxford: Oxford University Press.

Rabbitt, P. (1966a). Error correction time without external error signals. *Nature, 212*(5060), 438-438.

Rabbitt, P. (1966b). Errors and error correction in choice-response tasks. *Journal of Experimental Psychology, 71*(2), 264-272.

Rabbitt, P. (1990). Age, IQ and awareness of errors. *Ergonomics, 33*(10), 1291-1305.

Rabbitt, P. (2002). Consciousness is slower than you think. *The Quarterly Journal of Experimental Psychology, 55*(4), 1081-1092.

Reder, L. M. (1987). Strategy selection in question answering. *Cognitive Psychology, 19*(1), 90-138. https://doi.org/10.1016/0010-0285(87)90005-3

Rhodes, G. (1996). *Superportraits: Caricatures and recognition*. Hove: Psychology Press.

Rietveld, E. (2008). Situated normativity: The normative aspect of embodied cognition in unreflective action. *Mind, 117*(468), 973-1001.

Roediger, H. L., & McDermott, K. B. (1995). Creating false memories: Remembering words not presented in lists. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition, 21*, 803-814.

Schacter, D. L., & Addis, D. R. (2007). The cognitive neuroscience of constructive memory: Remembering the past and imagining the future. *Philosophical Transactions of the Royal Society B, 262*, 773-786. https://doi.org/10.1098/rstb.2007.2087

Schneider, W., & Shiffrin, R. M. (1977). Controlled and automatic human information processing: I. Detection, search, and attention. *Psychological Review, 84*(1), 1-66.

Schnyer, D. M., Verfaellie, M., Alexander, M. P., LaFleche, G., Nichols, L., & Kaszniak,

A. W. (2004). A role for right medial prefrontal cortex in accurate

feeling-of-knowing judgments: Evidence from patients with lesions to frontal cortex. *Neuropsychologia*, *42*, 957-966.

Schwartz, B., & Metcalfe, J. (2010). Tip-of-the-tongue (TOT) states: Retrieval, behavior, and experience. *Memory and Cognition*, *39*, 737-749.

Searle, J. (1983). *Intentionality*. Cambridge: Cambridge University Press.

Shea, N., Boldt, A., Bang, D., Yeung, N., Heyes, C., & Frith, C. D. (2014). Suprapersonal cognitive control and metacognition. *Trends in Cognitive Sciences*, *18*(4), 186-193. https://doi.org/http://dx.doi.org/10.1016/j.tics.2014.01.006

Shepherd, J. (2014). The contours of control. *Philosophical Studies*, *170*(3), 395- 411. https://doi.org/10.1007/s11098-013-0236-1

Shiffrin, R. M., & Schneider, W. (1977). Controlled and automatic human information processing: II. Perceptual learning, automatic attending and a general theory. *Psychological Review*, *84*(2), 127-194.

Smith, J. D. (2009). The study of animal metacognition. *Trends in Cognitive Sciences*, *13*(9), 389-396. https://doi.org/10.1016/j.tics.2009.06.009

Smith, J. D., Beran, M. J., Redford, J. S., & Washburn, D. A. (2006). Dissociating uncertainty responses and reinforcement signals in the comparative study of uncertainty monitoring. *Journal of Experimental Psychology: General*, *135*, 282-297.

Smith, J. D., & Washburn, D. A. (2003). The comparative psychology of uncertainty monitoring and metacognition. *Behavioral and Brain Sciences*, *26*, 317-373.

Souchay, C., Guillery-Girard, B., Pauly-Takacs, K., Wojcik, D. Z., & Eustache, F. (2013). Subjective experience of episodic memory and metacognition:

A neurodevelopmental approach. *Frontiers in Behavioral Neuroscience*, *7*, 1-16. https://doi.org/10.3389/fnbeh.2013.00212

Stanovich, K. E. (2004). *The Robot's rebellion: Finding meaning in the age of Darwin*. Chicago: University of Chicago Press. Retrieved from http://doi.org/10.1007/ s13398-014-0173-7.2

Strawson, G. (2003). Mental ballistics or the involuntariness of spontaneity. *Proceedings of the Aristotelian Society, New Series*, *103*, 227-256.

Stroop, J. R. (1935). Studies of interference in serial verbal reactions. *Journal of Experimental Psychology*, *18*(6), 643-662. https://doi.org/10.1037/h0054651

Walsh, M. M., & Anderson, J. R. (2009). The strategic nature of changing your mind. *Cognitive Psychology*, *58*, 416-440.

Whittlesea, B. W. A., & Leboe, J. P. (2003). Two fluency heuristics (and how to tell them apart). *Journal of Memory and Language*, *49*, 62-79.

Wolpert, D. M., & Ghahramani, Z. (2000). Computational principles of movement neuroscience. *Nature*, *3*, 1212-1217.

Wolpert, D. M., Ghahramani, Z., & Jordan, M. I. (1995). An internal model for sensorimotor integration. *Science*, *269*, 1880-1882.

Wu, W. (2013). Mental action and the threat of automaticity. In A. Clark, J. Kiverstein, & T. Vierkant (Eds.), *Decomposing the will* (pp. 244-261). Oxford:

Oxford University Press.

Wu, W. (2016). Experts and deviants: The story of agentive control. *Philosophy and Phenomenological Research*, *93*(1), 101-126. https://doi.org/10.1111/phpr.12170

جذور التذكر: الاسترجاع التفاعلي جذريًا

Radically Enactive Recollecting

دانيال دي هوتو Daniel D. Hutto وأنكو بيترز Anco Peeters

إنَّ فهمنا لما يكمن في جذور التذكر بحاجةٍ إلى تطوير، وقد شهدت السنوات الأخيرة بعض الأفكار الجديدة الجريئة حول هذا الموضوع ردًّا على النتائج التجريبية الآتية من ثلاثة مصادر رئيسة. يصوِّر مصدران من هذه المصادر التذكر على أنه تعاملي ويتجاوز الفرد، من جهة، وترميمي وتخليقي من جهة أخرى. تتحدى المجموعة الثالثة من النتائج الافتراضات القياسية حول الطابع التمثيلي الأساسي للتذكر.

على نحو خارجي، تُظهر مجموعة من الأعمال التجريبية - على الأقل في بعض الأحيان - أن التذكرات الناجحة تتطلب سقالات ثقيلة من البيئة أو من قِبل الأفـراد الآخـريـن (Ren & Argote, 2011; Sparrow, Liu, & Wegner، 2011). فمثلًا: هناك حالات موثقة تمكَّن فيها الزوجان المتحابان من تذكر أشياء معًا بفضل تفاعلاتهما، رغم أنهما، كفردين، لا يمكنهما تذكرها (Wegner, Erber, & Raymond، 1991). وقد أوحت هذه النتائج بفكرة أن التذكر يمكن أن يكون عملية توزيعية وتفاعلية على نطاق واسع، تعتمد على موارد تتجاوز الفرد. في هذا السياق، كان هناك انطلاق مدوٍّ للعمل النظري الذي يسعى إلى إعادة صياغة كيفية تصورنا للتذكر بمصطلحات المعرفانية الممتدة (Sutton et al., 2010; Tollefsen, Dale, & Paxton, 2013; Kirchhoff, 2016; Huebner, 2016; Heersmink, 2017a, 2017b). ومما لا شك فيه أنَّ هذه الجهود الفكرية، كما يلاحظ سكوربورغ Skorburg (2017)، مدفوعة بحقيقة أن التذكر التعاملي هو «المهمة الأسهل من بين مهام منظِّري المعرفانية الممتدة» (p. 473).

وعلى نحو داخلي، فإن المقترحات الجديدة الدرامية حول الذَّاكرة تطلب منا إعادة تصور ما يدور في رؤوس الأفراد عندما يتذكرون. إذ أكدت البحوث العلمية الجديدة المتعلقة بالسفر الذهني الزمني على نحو متكرر وجود أوجه تشابه قوية في أنماط النشاط العصبي التي تمكّننا من تذكر الأحداث الماضية وتلك التي تمكننا من تخيل المستقبل المحتمل. هناك دعم تجريبي مقنع لفكرة أن التذكرات والتخيلات لها أساس مشترك (Szpunar, Watson, & McDermott, 2007; Schacter et al. 2007; Schacter & Addis, 2009; Mullally & Maguire، 2014). تشجع هذه النتائج بعض المنظّرين على اقتراح أن التذكر والتخيل إما أن يكونا متطابقين وإما على الأقل مرتبطين ارتباطًا وثيقًا. ووفق ذلك، يُعد التذكر في طبيعته خلاقًا وتخيليًا وديناميكيًا (Michaelian, 2016; Clark، 2016). والتذكر على هذا النحو ليس مجرد استرجاع سلبي، كما تراه بعض النظريات المعرفانية التقليدية.

وعلى المنوال ذاته، هناك وفرة من النتائج التجريبية التي ضغطت على الافتراض التقليدي القائل: إن الوظيفة الأساسية للتذكر هي تمثيل الأحداث الماضية بدقة. وضد الفكرة القائلة: إن التذكر يتضمن الاستعادة الصريحة أو إعادة الخبرات الماضية كما هي، تبيّن أننا نتنقل بين منظور الميدان ومنظور المراقب في أثناء الاسترجاع (Nigro & Neisser، 1983). وضد الفكرة القائلة: إن ذاكرتنا بُنيت من أجل الدقة، فإن ما نتذكره عادة ما يكون مليئًا بالتشوهات. نحن نختبر عادة تأثيرات التلسكوب، مثل الأحداث القريبة يُنظر إليها على أنها قد حدثت في ماضٍ أبعد مما هي عليه، والعكس بالعكس، فنختبر الأحداث التي وقعت منذ زمن بعيد على أنها قد حدثت في ماضٍ أقرب مما هي عليه (Neter & Waksberg, 1964; Thompson et al., 1996; Janssen et al.، 2006). وأيضًا، نقوم عادة بتمديد حدود المَشاهد. فمثلًا، نتذكر الحدود المكانية لمشهد بصري على نحو أوسع مما كانت عليه في خبرتنا الفعلية لها (Intraub & Richardson، 1989). وأخيرًا، من المعروف أن الذكريات يمكن أن تتلف بسهولة وعلى نحو مؤثر أو تُزرَع بالكامل بوسائل مختلفة (Loftus, Miller, &

Burns, 1978; Loftus & Pickrell, 1995; Roediger and McDermott, 1995; Garry et al. 1996; Wade et al. 2002; Lindsay et al. 2004; Loftus، 2005).

وإجمالًا، تُظهر هذه النتائج العلمية متحدةً أن قدرات ذاكرتنا الطبيعية هشة وقابلة جدًا للتأثير الخارجي وغير مناسبة لإعادة إنتاج تمثيلات دقيقة بلا تشويه على نحو موثوق. تكشف الأدلة التجريبية المتراكمة أننا ننجز أمورنا على النحو الكافي عندما نتذكر في السياقات اليومية، دون الحاجة إلى تمثيل الأحداث الماضية بدقة. يخلص دي بريغارد De Brigard (2014)، بعد أن أكّد هذا، إلى أنه في النهاية، «من الخطأ التّفكير في الذّاكرة على أنها نظام مخصص على نحو فريد - أو على نحو أساسي - لإعادة إنتاج محتويات الخبرات الماضية» (p. 177).

نقترح تقريرًا تفاعليًا enactivist للتذكر يصوّره على أنه خلاق وديناميكي وواسع النطاق. يمكن لهذا التقرير أن يستوعب النتائج التجريبية المذكورة أعلاه على نحو أسهل من التقارير المعرفانية التي تتصور أن التذكر يتضمن دائمًا استرجاعات سلبية تحدث بالكامل وحصرًا في الرؤوس. وفق اقتراحنا التفاعلي، يمكن فهم جذور التذكر بما يتماشى مع مبدأ الشريك المتساوي Equal Partner Principle الذي ينص على أن الاستشهاد بالعوامل العصبية والجسدية والبيئية يمكن أن يقدم مساهمات مهمة بالقدر ذاته عندما يتعلق الأمر بتفسير وتوصيف النشاط المعرفاني.

وبتعزيز هذا الاقتراح، على نحو محوري، نقول: إننا نحقق وصفًا أقوى وأكثر أناقة لأساس التذكر من خلال التحول إلى التفاعلية الجذرية، أي: من خلال التخلي عن الافتراض السائد القائل: إن التذكر دائمًا وفي كل موضع ينطوي على استرداد المعلومات المخزنة أو المحتوى المُخزَّن من أجل تمثيل الأحداث الماضية.

إن السعي لفهم جذور التذكر على نحو جذري وخالٍ من المحتوى مدفوع على نحو مستقل بحقيقة أنه إذا ثبت أن هذه المقاربة للذاكرة يمكن الدفاع عنها،

فإنها ستتجنب المشكلات النظرية العسيرة على ما يبدو التي تنشأ عندما نحاول تفسير المعلومات، والمحتوى، وقدراتهما السببية في إطار عمل طبيعاني.

نحن نفتقر حاليًا إلى النظريات الطبيعانية الناجحة للمعلومات والمحتوى التي من شأنها أن تسمح لنا بتفسير كيفية ترميز المعلومات، ومعالجتها، واسترجاعها من أجل إنشاء المحتويات المتذكَّرة. وبناءً على ذلك، نحن متحمسون لاكتشاف وتطوير بديل تفاعلي على نحو واسع - توصيف جذور التذكر التي لا تلتزم بتلك الالتزامات.

مخطط هذا الفصل هو ما يلي. يستعرض القسم الأول مجموعة من المقترحات النظريات المتنافسة حول طبيعة المساهمات التي تقدمها الموارد الفردية والمتجاوزة للفرد في أعمال التذكر اليومية. ونوضح أنه بصرف النظر عن الموقف الذي يُتَّخذ بشأن مناقشة الذَّاكرة الممتدة، فإن القاسم المشترك في جميع الاقتراحات القياسية هو تأييد الأطروحة القائلة: إن التذكر ينطوي بالضرورة على الوصول إلى محتوى متذكَّر من نوعٍ ما.

في القسم الثاني، نقترح تقريرًا تفاعليًا عن جذور التذكر التي تتنازل عن افترض المحتوى المتذكَّر Remembered Content Assumption أو RCA. ونقترح بديلًا تفاعليًا يمكنه أن يفسر حتى الأشكال الثرية دلاليًا لاسترجاع الذَّاكرة على نحو مناسب تجريبيًا، مع تجنب المشكلات النظرية العميقة المتعلقة بالمفاهيم ذات الصلة للمعلومات والمحتوى بطريقة طبيعانية. نعرض هذه السمات الجذابة لتقريرنا التفاعلي عن التذكر، ونبين كيف أنه قادر على التعامل بنجاح مع الحجج الكلاسيكية الآتية من أدبيات العقل الممتد.

يوضح القسم الثالث أن التقرير الذاكري التفاعلي جذريًا لديه أيضًا الموارد اللازمة لتفسير الأشكال الغنية خبراتيًا للذاكرة الاستطرادية لدى الأفراد كجزء من مجموعة. حتى على افتراض أن الذكريات الاستطرادية تتخذ شكل، أو تعتمد على، أفعال التخيل المحاكاتية التي تتصف بالديناميكية وإعادة التخليق، فإننا نجادل بأن هذه التخيلات ذاتها لا تُفهم على النحو الأفضل على أنها ذات

محتوى بطبيعتها، ولا يمكن تفسيرها على النحو الأفضل باستعادة المحتوى المتذكَّر.

نستنتج، في القسم الرابع، أن التقرير التفاعلي جذريًا للذاكرة قادر على فهم جذور التذكر - حتى طابعها الديناميكي والترميمي - من خلال القدرات البيولوجية المتضمنة التي تدعمها أحيانًا الموارد البيئية والاجتماعية، دون افتراض أن الوصول إلى المحتوى أو استرداده يؤدي أي دور في هذه العملية.

1. المحتويات المتذكرة وأسئلة الذَّاكرة الممتدة:

هناك افتراض مهم لا يجادل فيه أحد في الكثير من النظريات المعاصرة بشأن الذَّاكرة، وهو: إن أعمال التذكر تتضمن في الأساس الوصول إلى محتوى من نوعٍ ما واستعادته. وأطلق على هذا الافتراض افتراض المحتوى المتذكَّر، أو RCA. يُعَدّ RCA ركنًا أساسيًا في المناقشات البارزة حول كيفية تحديد نوع المساهمة التي تقدمها الموارد الخارجية في تمكين أفعال الاسترجاع اليومية. وهذا لأن RCA يدعم افتراضًا ثانيًا مهمًا، ولنطلق عليه افتراض المساهمة ذات المحتوى Contentful Contribution Assumption، أو CCA. ووفقًا لـ CCA، فإن المساهمات التي تقدمها الموارد الخارجية للعمليات المعرفانية لا تُعد مساهمات معرفانية إلا إذا كانت مساهمات معلوماتية أو ذات محتوى[1].

إن البتّ في ما إذا كانت الموارد الخارجية تفي بالمعيار المنصوص عليه في CCA قد استحوذ على اهتمام طرفيْ مشكلة الذَّاكرة الممتدة. فمثلًا: يُظهر الداخلانيون الذين يشكّكون في فكرة الذَّاكرة الممتدة ذاتها التزامهم بـ RCA وCCA بأسسهم النظرية. وعلى نحو محوري، في محاولة لرسم تمييز مألوف، يصرون على أن استخدام الموارد الخارجية، حتى لو كانت ضرورية لإكمال

(1) الجدير بالذكر أنه ليس الالتزام بـ RCA وليس الالتزام بـ CCA ضروريًا لمنظّري العقل الممتد. فمثلًا: قد يختارون تأييد وظيفانية غير تمثيلية. ومع ذلك، فإن معظم منظّري العقل الممتد، في الواقع، يلتزمون بهذين الالتزامين. ولمناقشة نقطة ذات صلة، انظر (Wheeler 2017, p.460).

مهام ذاكرية محددة، يمكن أن يقدم مساهمات سببية فقط، لا معرفانية حقًا، في عملية التذكر.

تتمثل الطريقة القياسية لمحاولة الداخلانيين رسم الخط الفاصل بين المساهمات السببية فقط والمساهمات المعرفانية حقًا في الاستناد إلى تمييز إضافي بين المحتوى المتأصل والمحتوى المشتق. إذ يُعتقد أن الأول هو سمة لأنواع محددة من الحالات الذهنية، حيث تُعد هذه الحالات الذهنية هي المصدر النهائي والأصلي لأي محتوى. واستُعير الأخير من هذه الحالات الذهنية وخُصِّص للمصنوعات البشرية، مثل: «إشارات المرور، ومقاييس الغاز، والأعلام» (Aizawa & Adams, 2005، ص. 662). ووفق ذلك، فإن أي مساهمات معرفانية حقيقية «تتشكل بأنواع محددة من العمليات السببية التي تتضمن محتوى غير مشتق» (Adams & Aizawa, 2010، ص. 68) وتُصنَّف وحدها بها.

وبالتالي، فإن أي محتوى يمكن أن يُقال: إنه من إنتاج مصدر خارجي - مستودع ذكريات مثلًا، وليكن مفكرة - يمكن أن يكون محتوى مشتقًا في أحسن الأحوال. إذا عددنا أن هذا الحُكم هو الحكم الداخلاني بدقة، فإنه يثير التساؤل عما إذا كان من المعقول التَّفكير في الموارد الخارجية على أنها تحتوي حرفيًا أي نوع من المحتوى الخاص بها، أو مشبعة به فعليًا. بالتأكيد الموارد الخارجية - المتصورة على هذا النحو - حتى لو لم تكن مجرد علامات ميتة، لا يمكن أن تقدم مساهمة ذات محتوى لتذكر ما هو مستقل عن المتذكِّر. ومن ثم لا يمكن لهذه الموارد أن تضيف شيئًا معرفانيًا إلى خليط الذَّاكرة؛ نظرًا لأن الموارد ذاتها يُخصَّص لها محتوى فقط من قِبل فاعلين لديهم حالات ذهنية ذات محتوى.

يقدّم كلارك وتشالمرز Clark and Chalmers (1998) تجربة فكرية مشهورة فلسفيًا تقارِن الإنجازات المعرفانية لإنغا Inga التي تعتمد على قدراتها البيولوجية المتضمنة من أجل التذكر، وأوتو Otto، وهو مريض بمرض الزهايمر يعتمد على مفكرة خارجية من أجل التذكر. ينكر الداخلانيون أن مفكرة أوتو تقدم مساهمة

معرفانية؛ لأنها تفتقر إلى محتوى من النوع الصحيح، ويرى المعبّران الرئيسان عن هذا الرأي، آدامز وآيزاوا Adams and Aizawa (2011)، أن الاختلاف الجوهري هو أن الأدمغة البيولوجية وحدها هي التي تمتلك محتوى غير مشتق، أما الرموز الموجودة في مفكرة أوتو، فلها محتوى مشتق فقط. ولهذا السبب، استنتجا أن وصول أوتو إلى محتوى مفكرته هو عملية غير معرفانية وأن محتوى مفكرته «لا يشكّل اعتقادات أو ذكرياتp) «. 55، والتشديد من عندنا. وانظر أيضًا (Adams & Aizawa, 2010, p. 70).

إن الأدوات المساعدة الخارجية، حسب هذا الرأي، تساعد الأفراد في استعادة أي محتويات يُفترض أن ذكرياتهم البيولوجية الفطرية تمتلكها بالفعل. ومن ثم، فإن استخدام وسائل الدعم الخارجية من شأنه في أحسن الأحوال أن يساعد قدرات الأفراد في تذكر الأحداث أو الوقائع ذات الصلة، من خلال مساعدتهم في بناء محتوى ذكرياتهم، وليس أنه يسهم فعليًا بأي محتوى في هذه العملية.

على الجانب المعاكس في هذه المسألة، فإن الفكرة المثيرة التي أطلقت عددًا هائلًا من الأوراق البحثية حول فرضية العقل الممتد هي على وجه التحديد أنه يمكن، أحيانًا، العثور على الذكريات خارج رؤوس الناس. أو على نحو أدق، أولئك الذين انجذبوا إلى نسخة الموجة الأولى، الأصلية، من فرضية العقل الممتد يفترضون أن المعلومات التي تشكّل اعتقادات ذات صلة بذكرياتنا توجد بشكل طبيعي في مكانٍ ما داخل أدمغتنا البيولوجية، لكن لا يلزم أن تكون هذه المعلومات موجودة داخليًا، وفي الحقيقة ليست دائمًا كذلك.

حسب هذه الطريقة في فهم ما هو ضروري لامتلاك ذاكرة، من الممكن أن نتخيل، مثلًا، أن المحتوى المعلوماتي لذاكرة ما قد يكون موجودًا، على سبيل المثال: في الحصين، أو ربما في محرك أقراص صلبة hard drive اصطناعي موضوع في رأس المرء[2]. وبخطوة قصيرة بعد هذا الافتراض نصل إلى فكرة أن

(2) نادرًا ما يذكر كلارك وتشالمرز (1998) المحتوى، وإنما يعبّران بالاعتقادات التي تتناول امتلاك

محتوى ذاكرة المرء يمكن أيضًا أن يكون موجودًا خارجيًا، مثلًا: في محرك أقراص صلبة خارج رأس المرء.

هذا هو بالضبط ما يُفترض عندما يخبرنا كلارك وتشالمرز (1998)، في مقارنتهما الكلاسيكية، أن مفكرة أوتو وحُصين إنغا يؤديان الأدوار ذاتها في تذكرات كل منهما. ووفق تقريرهما، «تعمل المعلومات الموجودة في المفكرة تمامًا مثلما تعمل المعلومات التي تشكّل اعتقادًا عاديًا كامنًا non-occurrent، ويكمن الفرق فقط في أنه قد تصادف أن هذه المعلومات تقع خارج اللحم» (Clark & Chalmers, 1998, p. 13, see Rowlands, 1999، ص. 122، 142). وهكذا بالنسبة لإنغا، فإن محتوى «اعتقادها كان مستقرًا في مكانٍ ما في الذّاكرة في انتظار الوصول إليه» (Clark & Chalmers, 1998، ص. 12). والفرق هو أن الأساس المعلوماتي لاعتقاد أوتو يستقر في مفكرته، وليس في خلايا دماغه. وبالتالي، وفق النسخة الأصلية من مبدأ التكافؤ parity principle الذي طوره كلارك وتشالمرز، يجب أن نستنتج أن المعلومات الموجودة في مفكرة أوتو هي جزء من عقله الممتد؛ وهذا لأن - بناءً على هذه الطريقة في سرد القصة - المعلومات الموجودة في مفكرة أوتو تعمل بالطريقة ذاتها التي تعمل بها المعلومات الموجودة في دماغ إنغا في أفعالهما التذكرية.

وهكذا يعرض كلارك وتشالمرز (1998) في تقديمهما لحجة الموجة الأولى الكلاسيكية لأطروحة العقل الممتد، تقريرًا مموضعًا objectified لمحتويات الذّاكرة الذي وفقه يُنظر إلى المحتويات المتذكَّرة على أنها سلع متموضعة يمكن الوصول إليها (انظر Loader, 2013، ص. 167). في الواقع،

ذكريات محددة على أنه من مؤلّف بفعل المعلومات. وفق الافتراض القياسي القائل: إن الاعتقادات المتعلقة بامتلاك ذكريات محددة - مثل الاعتقاد أن متحف الفن الحديث يقع في شارع rd53 - تكون ذات محتوى، فإن ما يتبع ذلك، بالنسبة لكلارك وتشالمرز، هو أن المعلومات قابلة للاستبدال مع المحتوى أو هي تستلزمه في تحليلهما للعقول الممتدة. وهكذا، كما لاحظ كولمان (2011)، قارن كلارك وتشالمرز، في ورقتهما المؤثرة «بين تخزين المحتوى المعتمد في مفكرة وبين تخزين المحتوى المعتمد في الذّاكرة البيولوجية الجمجمية» (ص101).

تحديدًا لأن هؤلاء المنظّرين، منظّري الموجة الأولى للعقل الممتد، لديهم مفهوم سِلَعي لمحتويات الذّاكرة البيولوجية، فإن فكرة نقل محتوى الذكريات إلى مصنوعات خارجية هي «خطوة سهلة بالنسبة لهم» (Loader, 2013، ص. 177).

إن RCA والفكرة المرتبطة به القائلة: إن الذكريات لها محتويات يمكن تحديد موقعها مألوفة جدًا في التقليد التحليلي بحيث لا جدال فيها، حتى من قِبل أولئك الذين يرفضون CCA. وبالتالي، فإن الداخلانيين الجدد - الذين يدافعون عن فكرة أن ما هو داخل الوعي الحاضر فقط هو الذي يُعد ذهنيًا - لا يهتمون بإمكان وجود محتويات الذّاكرة خارج الرأس (Gertler، 2007). إن المدافعين عن فكرة أن الوعي هو ما يهم حقًا للذهنية mentality لا يتخذون موقفًا بشأن ما إذا كانت محتويات الذّاكرة موجودة داخليًا أو خارجيًا؛ لأنه من وجهة نظرهم، ما يهم حقًا للذهنية هو ما إذا كان الشّخص يضمر بنشاط ووعي هذه المحتويات، وليس موقع هذه المحتويات. وهكذا، بناءً على هذه الطريقة في التفسير، «يمتلك أوتو...محتوى أن متحف الفن الحديث في شارع rd53 فقط عندما يقرأ مفكرته ويضمرها بوعي» (Coleman, 2011، ص. 105).

يقدّم كولمان Coleman (2011)، انطلاقًا من فكرة أن النشاط الواعي هو كل ما يهم بالنسبة للذهنية، مبدأ مختلفًا للتكافؤ - الذي ينص على أنه: «إذا كان جزءًا من الرأس، خلال مواجهتنا لمهمةٍ ما، يعمل كعملية، التي إذا استمرت في العالَم لن نتردد في رفضها كجزء من العملية المعرفانية/ الذهنية، فإن ذلك الجزء من الرأس (في ذلك الوقت) ليس جزءًا من العملية المعرفانية/ الذهنية» (p. 105). وفق مبدأ التكافؤ المنقّح لكولمان (2011)، فإنه يترتب على ذلك أن أي محتويات قد نتخيلها مخزّنة في الكائنات الحية لن تكون جزءًا من العمليات المعرفانية على افتراض أننا نعد أي محتويات مُخزَّنة في البيئة جزءًا من العمليات المعرفانية. سيكون الأمر كذلك، في كل من الحالتين، سواء أثبت أن هذه المحتويات قابلة لوصول الوعي إليها أم لا.

الحاصل أن ما يكشفه تحليل هذه الخيارات الثلاثة هو أن هناك ميلًا واسع

النطاق لافتراض «مفهوم تجسيدي للذاكرة» (Loader, 2013، ص. 170). ومن ثم، فإن التَّفكير في المعلومات والمحتوى بهذه الطريقة يشجعنا على التَّفكير في الذَّاكرة كنوع من المستودع، فهذه الطريقة تتعامل مع مفهومي المعلومات والمحتوى على أنهما يمكن استبدال أحدهما بالآخر، وتعد كلاهما سلعة يمكننا الوصول إليها.

من النقاط المهمة أن منظّري الموجة الثانية للعقل الممتد، على الرغم من تمسكهم بفكرة أن المعلومات والمحتويات مخزَّنة، يتوقفون عن دعم فكرة أن الذَّاكرة البيولوجية والذَّاكرة الخارجية متماثلتين في كيفية أداء عملهما. يحذر ساتون Sutton (1998) من نمذجة الطريقة التي تُخزّن بها الأدمغة المعلومات وفق الطريقة التي تخزن بها أجهزة الحاسوب المعلومات، إذ يكمن الاختلاف الجوهري في أن أنظمة الذَّاكرة غير البيولوجية تحتفظ بالمعلومات على نحو ثابت بحيث «لا تتغير ما لم يُتلاعب بها» (ص. 4). على النقيض من ذلك، فإن الذَّاكرة البيولوجية سائلة، وترميمية، ومراوغة (Sutton, 2010، ص. 206).

بالمثل، استنادًا إلى عرض واسع النطاق للأدبيات التجريبية، يرى ميكيليان (2012) أن العناصر المخزنة في الذَّاكرة البيولوجية تختلف عن السجلات الخارجية من حيث إنها ليست عناصر منفصلة ثابتة تُعتمَد بدون تردد عند الاسترجاع. فالنسيان سمة من سمات الذَّاكرة البيولوجية، وليس خللًا فيها. ومن ثم عندما يتعلق الأمر بفهم ديناميكيات الذَّاكرة البيولوجية، يقدم ميكيليان (2012) أسبابًا لتجاوز «التصور الحفظاني البسيط»، مضيفًا أنه «إذا كانت الذَّاكرة عبارة عن وعاء، فإنه وعاء مسرِّب بالأحرى» (ص. 1156).

بوضع هذه الاعتبارات في الحسبان، يقرّ منظّرو الموجة الثانية للعقل الممتد بأنه على الرغم من أن الموارد الداخلية والخارجية - الإنغرام والإكسوغرام[3] engrams and exogram - لها خصائص وصور مختلفة اختلافًا

(3) في علم الأعصاب الإنغرام: هو وحدة معلوماتية معرفانية متضمنة في مادة فيزيائية تمثل قوام الذَّاكرة، أما الإكسوغرام، فهي المعلومات البيئية أو قدرة الفرد ذاته على التعامل مع هذه المعلومات البيئية، ولا يكون أسيرًا للوحدات الداخلية (المترجم).

واسعًا، إلا أنه لا يزال بإمكان كل هذه الموارد التعاون معًا؛ لأن بإمكانها أن تخدم الأهداف المعرفانية الإجمالية ذاتها في تمكين أعمال التذكر. وبتحويل التركيز بعيدًا عن حجج التكافؤ، وتماشيًا مع هذه الملاحظة، يهدف منظّرو الموجة الثانية إلى توضيح الموارد الفردية والخارجية، على الترتيب، الحاضرة في أعمال التذكر.

يسعى منظّرو الموجة الثانية إلى فهم كيفية تكوين الذكريات والإبقاء عليها من خلال دمج المساهمات التكميلية للموارد الداخلية والخارجية التي تتضمن «أنماط مشاركة المعلومات ونقلها» (Barnier & Sutton, 2008، ص. 178). والنقطة المهمة، مرة أخرى، هي أنه بالنسبة لأولئك الذين ينجذبون إلى هذا النوع من الآراء، فإن تعبير المعلومات المعالَجة قابل للاستبدال مع تعبير المحتوى[4].

تماشيًا مع CCA، لا يزال من الممكن أن تكون هناك مساهمة معرفانية حاسمة في العملية الكلية إذا قدمت الموارد الخارجية، مثلًا: مساهمة ذات محتوى، على سبيل المثال: من خلال ملء "الفجوات" في محتويات الذّاكرة التي استعيدت جزئيًا بالفعل (Barnier & Sutton, 2008، ص. 179). بالتركيز على حالة التذكر الجماعية، تهتم بارنييه ويهتم سوتون Barnier and Sutton (2008) بمعالجة السّؤال: «كيف تجري المجموعات معالجة المعلومات» (ص. 179). وهنا هما يؤكدان على الحاجة إلى البحث عن عمليات تكميلية داخل الأفراد وعبرهم، تحديدًا لأنهما لا يريان سببًا علميًا وجيهًا لتبني أي خيار من الخيارين المتطرفين، فالتّفكير في العوامل الاجتماعية على أنها مجرد محفزات خارجية لأعمال التذكر الداخلية أو التّفكير في أعمال التذكر على أنها تحدث

(4) على سبيل المثال: يخبرنا برنييه وساتون (2008) بأنه «كما يمكن لأشكال مختلفة من الذّاكرة داخل الفرد أن تعمل على المعلومات ذاتها يمكن نقلها أو تجريدها أو جعلها تقليدية (conventionalized Toth and Hunt، 1999)، لذلك يمكن أن ينتقل المحتوى ذاته عبر الأفراد، وما تحدد مصيره هي الموارد والديناميكيات الاجتماعية المتاحة (Sperber, 1996 (p.179))، والتشديد من عندنا).

بالكلية خارج الفرد (ص. 177). وبالتالي، من وجهة نظرهما، فإن تبادل المعلومات بين الأفراد يحدث عندما تُدعَم الذكريات بسقالات معاملاتية من قِبل الآخرين.

من النقاط الجوهرية بالنسبة لمنظّري العقل الممتد من الموجة الثانية أن الذّاكرة تنتقي مجموعة متنوعة من «القدرات المعرفانية التي من خلالها نحتفظ بالمعلومات ونعيد بناء الخبرات السابقة، للأغراض الحالية عادة» (Sutton, 2012)[5]. وهكذا، على الرغم من تحذير ساتون بشأن عدم نمذجة الذهن البشري على أنه حاسوب، من الإنصاف القول: إن مفهوم "الكاريكاتير الأرشيفي" لا يزال يجسد شيئًا مهمًا في صميم الطريقة التي يفهم بها بعض فلاسفة الذهن المعاصرين والعلماء المعرفانيين الذّاكرة.

على الرغم من الاعتراف بأنَّ المحتويات المعلوماتية المفترضة لذاكرتنا تُخزَّن بطرق مختلفة تمامًا في الذّاكرة البيولوجية عن طرق الأجهزة الخارجية، يظل منظّرو العقل الممتد من الموجة الثانية ملتزمين بـ RCA. وبالتالي، يظلون ملتزمين بوجهة نظر عن التذكر تقوم على المحتوى بقدر ما يفترضون أن هناك محتويات لا بد من تخزينها بأي شكل، أي: بقدر ما يبقون على فكرة أن التذكر يتضمن بالأساس استقبال المعلومات وترميزها واستردادها ذات المحتوى المُخزَّنة المتعلقة بأحداث أو حلقات محددة.

أولئك الذين يتوقعون موجة ثالثة من العقل الممتد يخطون خطوة أخرى إلى الأمام، فبينما يفهم منظّرو الموجة الثانية للعقل الممتد مبدأ التكافؤ الذي وضعته الموجة الأولى على أنه حالة خاصة من التكامل بين الموارد الداخلية والخارجية (Sutton, 2010، ص. 206)، يُقترح أنَّ الموجة الثالثة قد تتخلص تمامًا من «أي تمييز بين العوالم الداخلية والخارجية، أي: الإنغرام

(5) في الكتابات اللاحقة، يقيّد ساتون الحاجة إلى استخدام المعلومات لإعادة بناء الخبرة الماضية بالأشكال التصريحية للذاكرة الاستطرادية (انظر، على سبيل المثال: Sutton and Williamson، 2014).

والإكسوغرام» (ص. 213). وبالتالي، من المتصور أنه يمكن أن يكون هناك «علم معرفاني بلا أقاليم يتعامل مع انتشار التمثيلات المشوَّهة والمعاد تشكيلها، ويذيب الأفراد إلى مواقع خاصة للتنسيق والاندماج بين الوسائط البنيوية المتعددة» (ص. 213).

على الرغم من أن منظّري الموجة الثالثة للعقل الممتد على استعداد لتصور نسخة أكثر سيولة وديناميكية للعلم المعرفاني، كما يكشف حديث ساتون (2010) عن التمثيلات المبنيّة على نحو خلاق، إلا أنه يبدو أنه حتى هذا التحول الدراماتيكي في التَّفكير سوف يظل يحتفظ بالفكرة الأساسية لـ RCA- ألا وهي أن الذَّاكرة تعتمد على معالجة محتوى من نوعٍ ما.

2. التذكر التفاعلي امتداديًا:

هناك خطوة أكثر جرأة، في التَّفكير في ما تسهم به الموارد الفردية والمتجاوزة للفرد في أعمال التذكر وكيفية هذه المساهمة، وهي التخلي عن الـ RCA – على الأقل في التَّفكير في عمليات الذَّاكرة الأساسية - والتخلي عن فكرة أن هذه العمليات تنطوي بالضرورة على إنتاج، ومشاركة، ونقل أي محتويات مهما كانت. تقترح الأشكال الأكثر جذرية للتفاعلية الممتدة إعادة التَّفكير في طبيعة الأشكال البيولوجية الأكثر أساسية للذاكرة الفردية وكيف تتحد مع الموارد الخارجية لتمكين العديد من أعمال الاسترجاع العادية.

يتفق التفاعليون الجذريون بشأن الذَّاكرة مع الداخلانيين في قولهم: إنه لا يوجد محتوى معلوماتي تحتويه حرفيًا مفكرة أوتو الذي يصل إليه أوتو عندما يتذكر. ومع ذلك، خلافًا لمعظم المنظّرين الآخرين، ينكرون أيضًا أن دماغ إنغا البيولوجي يمثل وضعًا مختلفًا على نحو مثير للاهتمام. فالتفاعليون الجذريون يعلنون تخطئتهم لطرفيْ RCA، وهذه هي نسختهم للتكافؤ.

في الأساس، يرى التفاعليون الجذريون أن نشاط التذكر لا يُفهم على النحو الأفضل من خلال استعادة المحتويات المتذكَّرة (انظر ;Loader, 2013

Hutto & Myin، 2017). وباتّباع نهج جذري، يرى التفاعليون من هذا الطراز أن الذكريات تظهر «في موقع المشهد on the spot» في أثناء عمليات الاسترجاع، في حين يتخلون عن فكرة أن «السلوك المستمر في مثل هذه الحالات يُفسَّر بالاستناد إلى حاملات المحتوى الداخلي القابلة للتحديد» (Clark, 1998، ص. 100). ومفاد هذا النهج التفاعلي الجذري هو تصور التذكر بِعَدِّه بناء "في أثناء الطيران on-the-fly" يمكن تأسيسه في التغييرات المشبكية synaptic البنيوية في الدماغ وكذلك في التغييرات البنيوية الأخرى في البيئة دون افتراض وجود محتويات مخزَّنة ومستعادة.

إن البحث العلمي في الذّاكرة مليء بتعبيرات "البقايا الذاكرية"، و"المعلومات المرمَّزة والمسترجعة"، و"تخزين واسترجاع المعلومات والتمثيلات". وعلى الرغم من شعبية هذا الأسلوب في الحديث والاستعارات المرتبطة به، إلا أن الفحص الدقيق لكيفية عمل هذه المفاهيم في العلم يكشف عن وجود قيود خطيرة عليها - قيود تجعلها المرشح الأول للشرح التنظيري أو الإلغاء (انظر Roediger، 1980). وكما يلاحظ دي بريغارد (2014):

> «إن مصطلح "تخزين" هو مصطلح مضلل. ما يبدو أنه يحدث عندما نقوم بترميز المعلومات هو تقوية الروابط العصبية بسبب التنشيط المشترك لمناطق مختلفة من الدماغ، ولا سيما في القشرة الحسية، والفص الصدغي الأوسط، والقشرة الجدارية العلوية، وقشرة الفص الجبهي الجانبي. في أثناء الترميز، تؤدي كل منطقة من هذه المناطق وظيفة مختلفة اعتمادًا على اللحظة التي تُعالَج فيها المعلومات. والبقية الذاكرية هي الخاصية النزوعية التي لا بد أن تقوم هذه المناطق بإعادة تنشيطها، عندما تُحفَّز بالإشارة المناسبة، تقريبًا بنمط التنشيط ذاته الذي خضعت له في أثناء الترميز» (ص. 169).

يفترض التفاعليون الجذريون أن تحليل دي بريغارد صحيح في الغالب، مع إنكار أي التزام متبقٍّ في الادّعاءات السابقة القائلة: إن المعلومات أو المحتوى تُرمَّز

وتعالَج بالفعل. وإنما يسعى الجذريون إلى تفسير الأشكال الأساسية للتعلم والذَّاكرة بالكامل من خلال معرفة-كيف[6] المعاد تأديتها.

بالتركيز الحصري على الأنواع الأبسط من الذَّاكرة الإجرائية المنتشرة في مملكة الحيوان، يمكن فهم التذكر على أنه القدرة على إعادة أداء الإجراءات المتجسدة - غالبًا ما تكون مدفوعة ومدعومة بأنماط من الاستجابة تحفزها الظواهر الخارجية.

يستلزم هذا النوع من الذَّاكرة معرفة ما يجب القيام به في الظروف المألوفة. وبالتأكيد ليس من الضروري افتراض محتويات ذهنية مخزنة لتفسير الأساس النزوعي لهذه القدرات (Ramsey، 2007، الفصل الخامس).

إن مساهمة الدماغ الأساسية في هذه القدرات «تُبيِّن أنها مجرد تنظيم للدوائر المشبكيةِ الموجودة في الأنماط السلكية الجديدة أو مجرد تشغيل الجينات في الخلايا العصبية التي تنتج المشابك العصبية الجديدة....إن الدماغ يقوم بكل شيء دون التَّفكير في أي شيء على الإطلاق» (Rosenberg, 2014, pp. 26-27).

من النقاط المهمة أن معرفة-كيف المتجسدة على نحو محض لا ترتكز على، أو يتوسطها، أي نوع من المعلومات أو المعرفة المخزَّنة؛ وإنما يمكن فهمها على أنها الاستجابة الشاملة لنظام معقد التي تشكلت بالعادة والخبرة الماضية (Barandiaran and Di Paolo، 2014).

يمكن تقديم هذا التقرير التفاعلي جذريًا عن الذَّاكرة الأساسية، بدون ثغرات، طالما لم يستند إلى ترميز ومعالجة المعلومات أو التمثيلات. تشكك التقارير التفاعلية جذريًا عن الذَّاكرة في أن قصة معالجة المعلومات تضيف أي

(6) معرفة-كيف هي معرفة نعجز عادة عن صياغتها في عبارات، مثل: كيفية ركوب الدرّاجة، فمعرفة الشّخص بها عملية، فتصعب جدًا صياغتها، أما معرفة-أن، فهي قضوية (مأخوذة من قضية proposition)، ويمكن التعبير عنها بعبارات واضحة (المترجم).

قيمة تفسيرية إلى فهمنا لكيفية تعديل الخبرة للوصلات العصبية والقوى التي تدعم أعمال التذكر. وإذا كانت هذه التقارير على حق، فإن الاستناد إلى المعلومات المخزنة، مهما كان شائعًا، لا داعي له.

علاوة على ذلك، فإن كون استخدام مفهوم المعلومات المخزنة والمحتوى الاستردادي يضيف أي قيمة تفسيرية ليست محل شك فقط، بل من الصعب أن نفهم - في نهاية المطاف - كيف ستواصل هذه التفسيرات طريقها حتى لو كان يُعتقد أنها ضرورية.

من المهم هنا الاعتراف بمشكلة نظرية عميقة - التي وصفها هوتو وميين Hutto and Myin (2013) بأنها مشكلة المحتوى الصعبة Hard Problem of Content، أو HPC. إن HPC تسلط الضوء على مشكلة تتمثل في الاستناد المتساهل إلى فكرة أن الأدمغة بطريقة ما تعالج وتخزن المعلومات أو أنواع أخرى من المحتوى المتذكَّر. تنشأ HPC من حقيقة أن مفهوم المعلومات الذي يمكن استدعاؤه بسهولة للقيام بعمل تفسيري جاد في علوم الذهن -مفهوم قد يملأ التفاصيل المُعَد علميًا لقصة معالجة المعلومات - هو مفهوم المعلومات بِعَدِّها تباينًا متلازمًا information-as-covariance. ووفق مفهوم المعلومات هذا، يقال: إن حالة للأمور تحمل معلومات حول حالة أخرى للأمور إذا، وفقط إذا كانت تتباين على نحو مشروع مع تلك الحالة الأخرى للأمور تباينًا متلازمًا، إلى درجة محددة. والمثال الواضح على ذلك هو مثال أن عمر الشجرة يتباين تباينًا متلازمًا مع عدد حلقاتها. إن المعلومات بهذا المعنى هي سلعة موضوعية تمامًا وموجودة في كل مكان - إنها حرفيًا متبعثرة في الشوارع. علاوة على ذلك، فإن مفهوم المعلومات هذا له معتمد طبيعانيًا بلا شائبة، فهو مستخدم في العديد من العلوم. وبالتالي، يمكن أن يخدم بوضوح احتياجات العلم المعرفاني بطموحات طبيعانية تفسيرية.

ومع ذلك، يواجه المعرفانيون معضلة إذا حاولوا سرد قصة المحتويات المتذكَّرة باستخدام مفهوم المعلومات المعتبر طبيعانيًا. فمن جهة، قد يختارون

مفهوم المعلومات كتباين متلازم، أو، من جهة أخرى، قد يحاولون استدعاء بعض المفاهيم الطبيعانية الأخرى للمعلومات من أجل فهم الذّاكرة على أنها ترميز للمحتوى ومعالجة للمعلومات. والمتابعة في أي ناحية من الناحيتين لها مشاكلها.

عند التعامل مع الخيار الصعب الأول، يمكنهم محاولة تقديم تفسير مُعَد طبيعانيًا لترميز المعلومات ومعالجتها من خلال اللجوء إلى مفهوم المعلومات كتباين متلازم، لكن إذا كان هذا المفهوم هو المفهوم الوحيد المتداول في التنظير المعرفاني بشأن التذكر، فحينئذٍ من الصعب فهم ما يمكن أن يعنيه ترميز المعلومات حرفيًا. كيف يمكن "استخلاص extracted" وانتقاء picked up" العلاقات التي بين حالات الأمور المتباينة على نحو متلازم من البيئة حتى "تُرمَّز" في الأذهان؟

ربما يكون هناك اعتراض مفاده أنه يجب التركيز هنا على الرسالة وليس على الوسيط. في بعض الأحيان تُسرَد القصة المتعلقة بالمحتويات المتذكَّرة بعبارات شبه-تواصلية: تأشير الرسائل واستقبالها. ومع ذلك، ما مدى الجدية التي يجب أن نتعامل بها مع هذه التشبيهات وأساليب الحديث التي من نوع ترميز "الرسائل" وفك ترميزها في الدماغ؟

مرة أخرى هناك أسباب للحذر. على الرغم من الانتشار الواسع لتعبير الإشارات والرسائل المرمَّزة، إلا أن محاولات التفسير الجاد لطبيعة "الرموز" العصبية أو الذهنية ومحتواها المرمَّز المزعوم قليلة ومتباعدة. يمدنا غولدمان (Goldman 2012, p. 73) بتقييم صريح للوضع الحالي: «لا تُوجد معالجة مقبولة بشكل عام لما يجب أن يكون عليه الرمز الذهني...ولم يُكتَب إلا القليل، إن كانت هناك كتابات أصلًا، عن معايير التشابه أو الاختلاف لمثل هذه الرموز. ومع ذلك، فهو فكرة جذابة جدًا، ويؤيده العديد من العلماء المعرفانيين».

والسّؤال الأكثر إثارة للقلق، كيف يجب أن نفهم طبيعة ومصدر أي رسالة من هذه الرسائل ذات المحتوى على ما يُفترض؟ نظرًا لأن المعلومات كتباين

متلازم لا تُفهم على أنها نقل للمعلومات من نظام إلى آخر، فمن المؤكد أن هذا المفهوم ليس قادرًا على مساعدتنا في فهم كيف يمد الإدراك الذهنَ برسائل ذات محتوى - رسائل توفر محتويات يمكن أن تُرمِّزها وتفك ترميزها الأدمغة البيولوجية. على أي حال، نحن نفتقر إلى نظرية طبيعانية للمحتوى تمدنا بتقرير تفسيري موضوعي لكيفية فهم المحتويات أو كيف يمكن تخزينها واسترجاعها.

هل يستطيع المعرفانيون التعامل بنجاح أكبر مع الخيار الصعب الآخر من خياري المعضلة؟ قد يحاولون استدعاء مفهوم آخر للمعلومات مُعَد طبيعانيًا يمكّنهم من سرد قصص ترميز ومعالجة المحتوى بالتفصيل الكامل. يتطلب سرد تلك القصص بطريقة مختلفة تحديد مفهوم بديل للمعلومات معتمد طبيعانيًا يمكنه تحمل العبء التفسيري ذي الصلة. ومع ذلك، على الأقل كما هو الحال حاليًا، من غير الواضح ما إذا كان هناك مفهوم بديل للمعلومات مُعَدًّا علميًا ومتاحة لديه الخصائص الصحيحة للقيام بهذا العمل التفسيري.

في ضوء هذا التحليل، يتضح أن استعارة "التخزين" ليست هي الإشكال الوحيد، ولا حتى الأقوى، في ما يطرحه المعرفاني، مع تقديرنا لعمل دي بريغارد (2014). إذ أن فكرة أن المحتويات المتذكَّرة قد تكون موجود في الأدمغة البيولوجية هي ذاتها تثير ألغازًا علمية خطيرة للغاية. وتظهر هذه الألغاز أمام أي شخص يأخذ على محمل الجد فكرة أن المعلومات هي نوع من السلع التي يمكن الوصول إليها وحاملة للمحتوى. وهذه الألغاز لا بد أن تختفي، بطريقة أو بأخرى، فإما أن تُوضَّح وإما يُتَخلَّص منها.

لكن ما البديل؟ من الممكن أن «الذَّاكرة قد لا تكون مخزنًا على الإطلاق، وأن التذكر قد يكون نشطًا بمعنى أقوى مما يسمح به التقرير الترميمي للذاكرة في حد ذاته - أي: إنه يمكن فهمها فهمًا مثمرًا على أنها نوع من الفعل» (Loader, 2013، ص. 173). إن التعامل مع الذَّاكرة على نحو تفاعلي جذري «لن يركز على الوصول إلى محتويات المخزن، وإنما على التذكر كنوع من الفعل» (Loader, 2013، ص. 168). فالتقرير التفاعلي عن الذَّاكرة، كما يذكر لودر

Loader (2013)، يتحاشى «التمثيل ويفضّل الفعل» (ص175)[7]، متابعًا لنمط تفسيري مشروع فيه يُستخدم لفهم مجموعة من الظواهر المعرفانية الأخرى.

إن الفكرة الجوهرية للتقرير التفاعلي للذاكرة، المفسَّر على هذا النحو، مجسَّدة في الشعارين اللذين قدمهما ستيرن Stern (1991) ونيسير Neisser (1996) «الذَّاكرة: هي القدرة على التَّفكير والتصرف بطرق محددة» (ص. 203) و«التذكر هو نوع من العمل» (ص. 203) على الترتيب. في الواقع، يمكن العثور على عناصر الرؤية التفاعلية في عدد من تقارير الذَّاكرة، تلك التقارير «التي ترفض التمثيلية representationalism (مثل: Ryle, 1949; Malcolm, 1977; Wittgenstein, 1967; Stern, 1991; Neisser, 1996; Shanon، 1998) وتلك التي تؤكد الطبيعة النشطة للذاكرة بطرق تتجاوز مجرد الترميمية reconstructivism (Stern, 1991; Neisser, 1996; Toth & Hunt, 1999)» (Loader, 2013، ص. 174).

إن الذَّاكرة الإجرائية - تذكُّر كيفية تنفيذ أنواع محددة من الأفعال - مناسبة لمعالجة تفاعلية جذريًا؛ وهذا لأن التذكُّر الذي من النوع الإجرائي لا يتطلب سوى إعادة ابتداء نمط مألوف من الاستجابة المستحثَّة، وإن كان ذلك مع تعديلات حساسة ديناميكيًا للتغيرات في الظروف والسياق (Sutton & Williamson، 2014).

على نحو محوري، لأغراضنا، تُميِّز أعمال التذكر المجسَّدة على نحو محض بحقيقة أنها لا تتطلب تمثيل أي حدث أو أحداث ماضية محددة، ولا تتطلب بالخصوص تمثيلها على أنها أحداث ماضية. يمكن وصف التذكر الذي من هذا النوع بأنه تفاعلي تحديدًا؛ لأنه إعادة أداء لا تنطوي على تمثيل representation Casey)، 1987). إن أشكال التذكر المجسَّدة أو التفاعلية، كما

(7) أي تقرير تفاعلي للذاكرة يتجنب فكرة أن عمل الذّاكرة بالأساس هو الوصول إلى المحتويات التمثيلية أو المعلوماتية ومعالجتها سوف يُعَدّ تقريرًا تفاعليًا جذريًا للذاكرة. واتباعًا لاستخدام لودر، نحن نتعامل مع تفاعلية الذّاكرة على أنها متساوية في الامتداد مع التقارير التفاعلية جذريًا عن الذّاكرة.

تتجلى في الذّاكرة الإجرائية، «لا تخزن تمثيلات لحالات خارجية للعالَم» (Schacter & Tulving, 1994, p. 26, see also Michaelian, 2016, p. 26ff).

ومع ذلك، على الرغم من أننا ينبغي ألا نتوقع تقريرًا بلا محتوى للذاكرة التفاعلية يفسر جميع سمات كل نوع من أنواع التذكر، إلا أنه إذا كانت هذه المقاربة مثيرة للاهتمام تفسيريًا، فإن تطبيقها لا بد أن يتجاوز مجرد تقديم تقرير عن الذّاكرة الإجرائية. لأنه، كما يقرّ لودر (2013)، لن يكون هناك شيء «مثير للدهشة أو مفيد على نحو خاص في اعتماد الذّاكرة الإجرائية فقط بِعَدِّها 'تفاعلية'» (ص. 174).

هناك أشكال قائمة ومتطورة للتذكر تتضمن استدعاءً دلاليًا يمكن تفسيره على نحو مناسب بتفاعل الأفراد مباشرة مع الموارد البيئية، دون افتراض الحاجة إلى الوصول إلى المحتويات المتذكَّرة.

فكِّر في مثال أوتو، من الواضح أنه قادر على تكوين اعتقادات ذات محتوى عن العالَم. إذ إن تذكيراته المكتوبة في مفكرته دفعته إلى الحكم - على نحو موثوق وصحيح - بأن متحف الفن الحديث موجود في شارع 53.rd وهذا صحيح على الرغم من أنه ليس من المعقول أنه يسترجع المحتوى المتذكَّر من مفكرته ذاتها - إذ إنها لا تحتوي إلا حبرًا على ورق - أو من ذاكرته البيولوجية المتدهورة. الفكرة المهمة هي أنه في حالة أوتو، يتألف محتوى مناسب على نحو موثوق - فهو يشكِّل ذاكرة دلالية دقيقة حول مكان محدد. وهذه الذّاكرة تصريحية، وليست مجرد ذاكرة دلالية، ولكن يمكن القول: إن محتوى ذاكرة أوتو لا يُتوَصَّل إليه أو يُسْتَرَد من أي نوع من المخازن الذاكرية.

أو فكر في حالة أخرى أثارت إعجاب منظّري العقل الممتد من الموجة الثانية.

تقدِّم تريبل Tribble (2005) تقريرًا متبصرًا عن كيفية استخدام الممثلين الشكسبيريين في العصر الإليزابيثي واليعقوبي لبيئتهم المسرحية من أجل زيادة ودعم ذاكرتهم البيولوجية. يمكن أن تكون مهامهم الذاكرية هائلة، فبعض

الممثلين الرئيسين «كان عليهم أن يظلوا متقنين ما يقارب واحدًا وسبعين دورًا مختلفًا، من بينهما اثنان وخمسون أو ثلاثة وخمسون دورًا جرى تعلمها حديثًا» (Beckerman, 1962, p. 9, as cited by Tribble, 2005، ص. 136).

في تحليل تريبل (2005)، تمكّن الممثلون من تذكر أحداثهم وأجزائهم المطلوبة من خلال استخدام خاص لـ «الموارد المادية والاجتماعية المباشرة خارج كل منهم» (ص. 140). وجزء من تفسير تريبل لتذكراتهم المذهلة هو حقيقة أنهم اعتمدوا على خرائط للأحداث - وهي أوراق بحجم حافظ الملفات تحتوي إشارات محددة حول وقت الدخول والخروج ومكانهما، والتلقينات الصوتية والموسيقية (ص. 144). ومع ذلك، على الرغم من أن هذه الأدوات من شأنها أن تساعد الممثلين في فهم الأداء الكبير الهيكلي للمسرحية - مد وجزر المشاهَد - إلا أنها كانت «هزيلة على نحو مستحيل...إذ إنها [تحتوي] فقط أبسط الإشارات، وأحيانًا مجرد كلمة أو كلمتين» (ص. 151). وعلى هذا النحو، استخدم الممثلون تقنيات مدربة جيدًا للتذكر عن ظهر قلب ومفاتيح توفرها التفعيلات الخماسية، مع التلقينات والمحفزات الأخرى التي قدمها كل من الممثلين الآخرين وهيكل المسرح لإنتاج عروضهم.

باختصار، لقد استخدموا بيئتهم بنشاط من أجل "تحميل under-load" ذاكرتهم. تكمن الإجابة إذًا، وفق تربيل (2005، ص. 151)، هي في استخدام الممثلين الفرص لتجريد أي «معلومات فائضة» وتفريغ «المعلومات» في الهياكل البيئية والاجتماعية المحيطة: المسرح ذاته والممثلين الآخرين.

تحاول تريبل وآخرون تفسير هذه التذكرات الفذة من خلال تفريغ المعلومات، لكن تفاصيل هذا الجزء من تفسيرهم موجز وغير واضح. ما المعلومات، بالتحديد، التي سوف تُفرَّغ؟ وكيف يتحقق ذلك؟ وبمجرد تفريغها، كيف يُحدث المحتوى المعلومات فرقًا في أعمال التذكر؟ هناك تفسير أبسط وكافٍ، وهو أن الممثلين، من خلال الممارسة المتكررة في بيئتهم الخاصة، كانوا قادرين على استخدام تقنيات فردية، مدعومة بموارد في البيئة، وهم جزء

من هذه البيئة بالنسبة لبعضهم البعض، من أجل أن يؤدوا أداءً موثوقًا. مرة أخرى، على الرغم من أن هذا النشاط المعقد لا يُختزَل في مجرد التذكر الإجرائي، إلا أن الوصول إلى المحتويات المتذكَّرة لا يلزم أن يؤدي أي دور في تفسير كيفية تمكّن الممثلين من إنشاء نمط مألوف لمجرى الأحداث.

ربما سوف يُسلَّم بأن الوصول إلى المحتويات، أو معالجتها، لا يلزم أن يؤدي أي دور في تفسير أعمال التذكر التي تصور كيفية استخدام أوتو لمفكرته أو كيفية استخدام الممثلين الشكسبيريين التلقينات الموضعية لتذكر مجرى الأحداث في أثناء المشي على خشبة المسرح. ومع ذلك، قد يُعتقد أنه حتى لو تمكّنت التقارير التفاعلية جذريًا من التعامل مع مثل هذه الحالات من التذكر غير الإجرائي، فإنها لن تستطيع المتابعة.

ومن ثم قد يكون من المُسلَّم به أن التفاعليين الجذريين يمكنهم تفسير أنواع التذكر المدعومة بيئيًا واجتماعيًا - تلك التي يحركها الانخراط المباشر مع الموارد الخارجية - دون الحاجة إلى افتراض محتويات مخزنة ومسترجعة. ومع ذلك، حتى لو ثبت ذلك، فقد يُعتقد أن التقرير التفاعلي للذاكرة لا يزال غير قادر على سرد القصة الكاملة للتذكر البيولوجي الأساسي. وبالتحديد، قد يُنظر إلى التقرير التفاعلي على أنه يفتقر إلى الموارد اللازمة لتفسير نوع الأعمال التخيلية الترميمية التي تشكّل أشكالًا استطرادية غنية خبراتيًا من أشكال التذكر. بالنسبة للكثيرين، من الصعب تخيل هذه الإمكانية.

3. التذكر الاستطرادي كتخيل تفاعلي:

اقترح عدد متزايد من المُنظّرين أن التذكر الاستطرادي يتضمن على نحو مركزي، أو هو ببساطة، شكلًا من أشكال التخيل التخليقي أو المحاكي - نوع من التخيل يمكّننا من بناء وامتلاك حلقات ذاكرية محتملة قد تكون حدثت (Gerrans & Kennett, 2010, De Brigard, 2014, Michaelian، 2016). الافتراض هنا هو أن الذّاكرة الاستطرادية، في هذا الموضع، «تشير تقريبًا إلى شكل الذّاكرة المسؤول

عن السماح لنا بإعادة النظر في حلقات أو أحداث محددة من الماضي الشّخصي» (Michaelian, 2016، ص. 5).

على نحو جوهري، يُنظر إلى نوع الاسترجاع التجميعي المرتبط بالذّاكرة الاستطرادية على أنه خبراتي بطبيعته، وله فينومينولوجيا مميزة (.Debus, 2008, pp 407-408)[8]. يفترض الكثير في هذا المجال أن مثل هذه الخبرات الاستطرادية هي بطبيعتها تمثيلية. فمثلًا يقول بيرنيكر:

"للذاكرة الخبراتية خاصيتان: الخاصية الأولى: يمكن للمرء أن يتذكر خبراتيًا ما اختبره شخصيًا فقط. وتقتصر الذّاكرة الخبراتية على الحالات التي يتضمن فيها ادعاء شخص تذكر شيءٍ ما الادعاء بأنه قد اختبره بنفسه. الخاصية الثانية: **تمثل الذّاكرة الخبراتية المحتوى المتذكَّر من منظور الشّخص الأول** - من "الداخل" - وتتضمن الخبرات الكيفية (الكواليا qualia) والتخيلات. تتألف الذّاكرة الخبراتية من استحضار أجزاء من الخبرة الأصلية في الخيال، ما يسمح للفرد بإعادة اختبار الموقف الأصلي واستعراض شعوره فيه.... لكي يتذكر المرء شيئًا ما خبراتيًا، لا بد ألا يتذكر فقط ما حدث، وإنما أيضًا أن يتذكر كيف كان شعوره" (ص. 13-14، والتشديد من عندنا).

كما يوضح المقطع السابق، عندما ننظر في حالات التذكر الاستطرادي لدى البشر البالغين، قد يبدو كما لو أن المحتوى التمثيلي مبني بطريقةٍ ما في خبرات يُعاد إحياؤها. هذا لأنه، عند التّفكير في مثل هذه الحالات، فإننا، حتمًا، نمثّل تمثيلًا ذا محتوى ونقدم ادعاءات حول تلك الخبرات المعاد إحياؤها. بشكل عام

---

(8) كما توضح ديبوس Debus (2007): «عندما تتذكر آخر حفل عشاء ذهبتَ إليه، قد تمتلك خبرة كما لو كنت ترى مرة أخرى الشّخص الذي جلس أمامك على طاولة العشاء. أو ربما تمتلك خبرة كما لو كنت تسمع مرة أخرى أصوات أو ضوضاء محددة - الفرقعة المفاجئة الآتية من المطبخ في وقتٍ ما، أو النغمة الجديدة التي عُزفت نهاية الحفلة. في الواقع، في محاولتنا وصف تلك الأحداث قد نقول: "إنك ترى الشّخص مرة أخرى أمام عينك الذهنية"، وأنه يمكنك "سماع النغمة في رأسك"، وهكذا بالنسبة للحواس الأخرى» (ص175).

يمكن القول: إن الطابع الفينومينولوجي يمكن أن يتفكك، بل يتفكك في بعض الأحيان (انظر Block, 1990, Hutto, 2009). إذا افترضنا أن هذا النوع من الانفصال يمكن أن يحدث في التذكر الاستطرادي، فهذا يعني أن الطابع الفينومينولوجي للتذكر الاستطرادي لا يستلزم أو لا يكفي، في حد ذاته، أي: محتوى تمثيلي قد يكون مرتبطًا بأعمال التذكر الاستطرادي. في الواقع، قدرة المرء على تقديم ادعاءات حول ماضيه الشّخصي - أي: امتلاك نظرة شرطية-الصدق عليه، كما في حالات الذّاكرة السيرية-الذاتية التي تتميز عن حالات أشكال الذّاكرة الاستطرادية النقية - هي إنجاز استثنائي، يتطلب اكتساب المزيد من الآلية المعرفانية (Hutto، 2017). وعلى وجه التحديد، تقديم ادعاءات ذات محتوى مشروط بالصدق يتطلب إتقان الممارسات الاجتماعية-الثقافية المميزة (Hutto & Satne, 2015; Hutto & Myin، 2017).

قد يُعتقد أنه إذا كانت الذّاكرة الاستطرادية ليست إلا، أو تتضمن على نحو مركزي، تخيلًا محاكاتيًا، فلا بد أن تكون تمثيلية. قد يبدو هذا النهج الفكري مقنعًا؛ لأن التخيل بطبيعته يتعامل مع الحضور في الغياب. إذا كان التخيل بالضرورة تمثيليًا، فإن فشل التقارير التفاعلية جذريًا للتخيل والذّاكرة هو النتيجة السريعة لذلك. ومع ذلك، عند الفحص الدقيق، هناك أسباب قوية للشك في أن الأشكال الأساسية للخيال الحسي هي في الواقع، أو حتى يمكن أن تكون تمثيلية (Medina, 2013; Hutto، 2015).

من الأسباب الرئيسة للشك في أن التخيلات المحاكية تمثيلية على الإطلاق هو أنها، على عكس المواقف المعرفانية المألوفة الأخرى - مثل: الاعتقادات والرغبات - تفتقر على ما يبدو إلى أي شروط متأصلة للصحة أو التطابق congruence. فمثلًا: كما يؤكد غرانس Gerrans (2014)، «لا تمتلك الحالات التخيلية شبه المحاكاتية شروط تطابق» (ص. 105، انظر أيضًا ص. 18). أو كما يخبرنا لانغلاند-حسن Langland-Hassan (2015)، «يتعارض الكثير مما قيل عن التخيل الحسي مع فكرة أن التخيلات لها شروط صحة (أو صدق أو دقة) حقيقية» (ص. 665).

بعكس النهج المعتاد للحجج، إذا اتضح أن التخيلات تفتقر إلى أي نوع من شروط التصحيح على نحو أساسي، فعندئذٍ تكون لدينا أسباب للاعتقاد بأن الأشكال الخالصة للتذكر الاستطرادي بالضرورة لا تتضمن محتوى؛ هذا لأن وجود نوع من شروط الصحة - على الأقل في التقليد التحليلي - يُعد شرطًا ضروريًا للوجود في حالة ذهنية ذات محتوى تمثيلي. لن نحاول حسم هذه المناقشات المهمة حول طبيعة التخيلات الحسية هنا. يكفي لأغراضنا أن نلاحظ أنه مهما كانت حصيلتها النهائية، فبالتأكيد من الممكن مفاهيميًا أن تكون التخيلات، على الرغم من أنها تُحدث فرقًا معرفانيًا، لا تفتقر فقط إلى نوع المحتوى الذي تمتلكه المواقف الذهنية المعتمدة الأخرى، وإنما تفتقر أيضًا إلى أي نوع من المحتوى على الإطلاق.

ومع ذلك، حتى إذا قبلنا هذا، فقد يُعتقد أن التذكر الاستطرادي ينطوي على محتوى بطريقة مختلفة ولسبب مختلف. فعند طرح السّؤال من أسفل إلى أعلى، إن جاز التعبير، يمكن عد المحاكاة التخيلية - حتى لو لم تكن ذات محتوى بطبيعتها وفي حد ذاتها - تعتمد، بالرغم من ذلك، على العمليات تحت-الشّخصية المزعومة التي تنطوي على اكتساب المحتويات المعلوماتية وتخزينها ومعالجتها، وأن أفضل تفسير لها هو تفسيرها بهذه العمليات.

على سبيل المثال: يرى ميكيليان (2016) أن أفضل التفسيرات للتذكر الاستطرادي الذي يُفهم على أنه بنائي ومحاكاتي، تحتاج إلى «تعيين دور مهم لتخزين المعلومات» (ص. 8). وبحسب ميكيليان، لا يمكن تفسير كيف نتخيل الحلقات الماضية إلا من خلال افتراض العمليات التي تصل إلى المعلومات المخزنة. وبافتراض وجود روابط وثيقة بين: التذكر، والتخيل، والإدراك - بما يتماشى مع تقارير المعالجة التنبؤية لهذه العمليات المعرفانية - من المفترض أن ما يُتعرَّف عليه في هذه الحالات هو مزيج مركّب من المحتوى من مصادر متعددة. إذ تُعد بعض المحتويات تأتي بفضل التمثيلات الإدراكية منخفضة المستوى، والبعض الآخر يأتي بفضل المحاكاة الذهنية التي تغذيها جزئيًا المعلومات المخزنة.

يقدم كلارك (2016) تقريرًا مشابهًا. فمن خلال تصور الإدراك، والتخيل، والتذكر كصفقة شاملة، يقدم كلارك لنا تقريرًا مشابهًا قائمًا على التنبؤ للذاكرة الاستطرادية، وهذا التقرير يستخدم بتحرر تعبيرات من نوع خلط محتويات عالية المستوى ومنخفضة المستوى تنبع من المعلومات الواردة والتمثيلات المخزنة (ص. 102). ومثل توصيف ميكيليان (2016)، فإن تقرير كلارك عن التذكر الاستطرادي يتضمن قدرًا كبيرًا من الافتراضات والمفردات المعرفانية.

ومع ذلك، على الرغم من شعبية التوصيفات المعرفانية للتذكر الاستطرادي، إلا أن التصويرات غير التمثيلية ليست ممكنة فحسب، بل يقال: إنها مفضَّلة. فلِمَ ذلك؟

ضع في حسبانك أنه فيما يتعلق بالذَّاكرة الإجرائية، لا يوجد شيء يجب التصريح به ولا شيء يُصرَّح به. ولهذا السبب بالذات، كثيرون على استعداد لموافقة التفاعليين الجذريين في أنه لا يوجد مكسب تفسيري في افتراض أن الإجراءات ذات الصلة متجسدة بشكلٍ ما في المعلومات المخزنة والمرمَّزة داخل الأنظمة المعرفانية (انظر Loader, 2013; Sutton & Williamson, 2014; Michaelian، 2016).

ومع ذلك، فإن البعض يحجم عن التَّفكير في الأشكال التصريحية للذاكرة - الاستطرادية والدلالية - بالمثل. يُعتقد أن الظاهرة الأخيرة تعتمد بطريقةٍ ما على استعادة المعلومات أو المحتوى. وهكذا عندما نتذكر حلقات استطرادية محددة في حياتنا أو نتذكر الوقائع الدلالية، فإننا بطريقةٍ ما نسترجع المعلومات المخزنة في البقايا الذاكرية، ما يجعلها متاحة للكائن الحي مرة أخرى (انظر Michaelian, 2016، ص. 26). ويُزعم أن المعلومات المخزنة تقوم بعمل سببي وتفسيري على نحو خاص في الأشكال التصريحية للتذكر - وهو عمل من النوع الذي لا حاجة إليه ببساطة في أشكال التذكر غير التصريحية. يوضح لنا ميكيليان (2016) هذه النقطة بمثال:

«إن الذكريات التصريحية متاحة للوعي، ومن ثم يمكن أن تؤثر في أنشطة

الأنظمة المعرفانية الأخرى. أنا أتذكر أن الجو كان مشمسًا كل يوم طوال الأسبوع الماضي، وأستنتج أنه سيكون مشمسًا اليوم، ولذلك أغادر المنزل دون مظلة. إن الاستناد إلى المعلومات المُخزنة ضروري لتفسير سلوكي في هذه الحالة؛ لأن الذَّاكرة لا تسبب السلوك بشكل مباشر، ولكن فقط عبر عملية استدلالية وسيطة. والوصول الواعي للمحتويات المخزنة يسمح لها بالدخول في التسبب في السلوك بطرق مختلفة غير مباشرة، من خلال الاستدلال، والتخيل، وغيرها من المسارات، وإذا لم يكن للفاعل مثل هذا الوصول، فلن تتمكن الذَّاكرة التصريحية من توفير مدخلات للعمليات المعرفانية الأخرى. وبالتالي، إذا افترضنا أن الذَّاكرة التصريحية لا تخزن المعلومات، فلن نتمكن من تفسير بعض التعديلات في سلوك الكائن الحي» (ص. 27-28، والتشديد من عندنا).

هنا تسكن الوحوش الفلسفية. إن سرد هذه القصة في سجل طبيعاني بالكامل لن يتطلب فقط التعامل مع مشكلة المحتوى الصعبة، ولكن أيضًا مشكلة الوعي الصعبة، وكذلك مشكلة السببية الذهنية. وعلى الرغم مما يشير إليه ميكيليان (2016) في فصله عند تقديمه لتقديره "البالي musty" كيفيًا modally، فإن القصة التي تتضمن محتوى حول جذور التذكر ليست، في الواقع، هي التفسير الممكن الوحيد المتاح.

بدلًا من الوصول الواعي إلى المحتوى المخزَّن "لقد كان الجو مشمسًا كل يوم على مدار الأسبوع الماضي"، ربما أكوّن هذا الحكم بهذا المحتوى على أساس تنفيذ بعض عمليات المحاكاة الاستطرادية. فقد أعيد أداء[9] شيءٍ ما كنتُ أقوم به في كل يوم من الأيام المختلفة للوصول إلى نتيجة حول طقس هذا الأسبوع. وإذا كان الأمر كذلك، طالما أن مجموعة المحاكاة التي أسست هذا التذكر التصريحي ليست هي ذاتها تنطوي على محتوى، على الرغم من تكوين

(9) أو إعادة تمثيل المرء للأعمال الذي كان يقوم بها، لكنني تجنبتُ كلمة "تمثيل" كي لا تُلتبس بكلمة: "تمثيل representation"، الكلمة المحورية في فلسفة الذهن وفي هذا الكتاب (المترجم).

ذاكرة ذات محتوى، فلن تتكوّن من خلال الوصول الواعي إلى أي محتويات مخزنة. يمكن أن تفسر التخيلات المحاكاتية التخليقية الاستطرادية كيف نتذكر أن الطقس كان مشمسًا كل يوم من أيام الأسبوع الماضي دون الحاجة إلى افتراض أي محتويات معلوماتية مخزنة على الإطلاق. ويبدو أنه لا يوجد سبب ظاهر يجعل من اللازم أن تتضمن إعادة الأداء الفردية ذاتها - حتى في البهاء الفينومينولوجي الكامل - استرجاعًا لأي معلومات مخزنة.

هذا هو صلب الموضوع. لماذا يجب أن نفترض أن الدماغ لا بد أن يجعل المعلومات متاحة للكائنات الحية من أجل تفسير كيفية عمل المحاكاة بالإعادة التخليقية للأفعال السابقة؟ يبدو أنه لا يوجد سبب آخر لافتراض أن المعلومات والمحتويات المخزنة يجب أن تؤدي دورًا في الإعادة المحاكاتية للأداء أكثر مما هو واقع للاعتقاد بأنها تؤدي دروًا في تخليق الأعمال المتكررة التي ينطوي عليها التذكر الإجرائي.

ما نذهب إليه هو التّفكير في الذّاكرة الاستطرادية على أنها ترميمية بقوة (انظر Loader, 2013، ص. 172). لا يرى التفاعليون الجذريون أي سبب على الإطلاق لافتراض أن ما يكمن في جذور الذّاكرة التصريحية يختلف عما يكمن في جذور الذّاكرة غير التصريحية في هذا الصدد الرئيس. في الأساس، لا يَنجز أي شكل من أشكال الذّاكرة عمله عن طريق إتاحة المعلومات أو المحتويات المخزنة في الدماغ للكائن الحي. وإذا كان الأمر كذلك، فإن قدرات إعادة الأداء الخبراتية - تلك التي تظهر في التذكر الاستطرادي الخالص والمرتبطة بامتلاك أنواع محددة من الخبرة الفينومينولوجية - لا تحتاج إلى إتاحة المعلومات المخزنة للكائن الحي، بدلًا من أنماط النشاط التخليقية جزئيًا في المسارات العصبية كاستجابة لإشارات ومحفزات محددة، هكذا ببساطة.

4. الخلاصـــة:

تمدنا الاعتبارات الواردة في هذا الفصل، إن وُضعت معًا في الحسبان، بأسباب للقول: إن جذور التذكر لا يلزم أن تتضمن تخزين واسترداد أي نوع من المحتويات المتذكَّرة، ولا يلزم أن يكون هذا التخزين والاسترداد هو التفسير الأفضل للتذكر. إذا ثبت أن تحليلات هذا الفصل صحيحة، فإنها تصح ليس فقط بالنسبة للأشكال الإجرائية للتذكر، وإنَّما أيضًا بالنسبة لأنواع التذكر المُعقدة التي تستفيد من السقالات البيئية والاجتماعية، وكذلك الأشكال الترميمية للتذكر الاستطرادي الغني خبراتيًا.

إن التقرير الذي نقترحه يتفهم بالفعل الأنواع ذات الصلة من التذكر على أنها نشاط بلا محتوى للذكريات البنائية تفاعليًا باستخدام الموارد: البيولوجية، والبيئية، والاجتماعية.

لا نتوقع أن يكون كلامنا هذا هو الكلام الأخير في هذه القضايا. وبالتحديد، قد يكون منظّرو العقل الممتد (خاصة أولئك الذين سيمثلون الموجة الثالثة القادمة) وأولئك الذين يفضلون التقارير الترميمية للتذكر الاستطرادي قادرين على إعداد ردود على التحديات التي أثيرت سابقًا. وسيكون من المثير للاهتمام أن نرى، على المدى الطويل، إلى أي مدى يجب الإبقاء على الالتزام بالتمثيلات ذات المحتوى ومعالجة المعلومات في أفضل تفسيراتنا لما يكمن في جذور التذكر. وإن اختارت الموجة الثالثة من منظّري العقل الممتد نسخًا أكثر ازدواجية، وديناميكية، وتفاعلية لما يتضمنه التذكر، فسيواجههم سؤال آخر وهو تحديد إلى أي مدى سنحتاج إلى الإبقاء على الالتزام بإطار عمل وظيفي مألوف للتفكير في الذهن (انظر Hutto, Peeters, & Segundo-Ortin، 2017). إن إعادة التَّفكير في كيفية تعاملنا مع التَّفكير في الماضي قد تساعد بالفعل في تغيير جذري لطريقة تفكيرنا في التَّفكير في المستقبل.

المراجع:

Adams, F., & Aizawa, K. (2001). The bounds of cognition. *Philosophical Psychology, 14*(1), 43-64.

Adams, F., & Aizawa, K. (2010). Defending the bounds of cognition. In R. Menary (Ed.), *The extended mind* (pp. 67-80). Cambridge, MA: MIT Press.

Aizawa, K., & Adams, F. (2005). Defending non-derived content. *Philosophical Psychology, 18*(6), 661-669.

Barandiaran, X. E., & Di Paolo, E. A. (2014). A genealogical map of the concept of habit. *Frontiers in Human Neuroscience, 8.*

Barnier. A. J., & Sutton, J. (2008). From individual to collective memory: Theoretical and empirical perspectives. *Memory, 16*(3), 177-182.

Beckerman, B. (1962). *Shakespeare at the Globe.* New York: Palgrave Macmillan.

Bernecker, S. (2010). *Memory: A philosophical study.* Oxford: Oxford University Press.

Block, N. (1990). Inverted earth. *Philosophical Perspectives, 4,* 53-79.

Casey, E. (1987). *Remembering: A phenomenological study.* Bloomington, IN: Indiana University Press.

Clark, A. (1998). Contribution to: Hooker, C. A., O'Brien, G., Quinn, N. et al., Being there: Review symposia. *Metascience, 7,* 95-104.

Clark, A. (2016). *Surfing uncertainty: Prediction, action, and the embodied mind.* Oxford: Oxford University Press.

Clark, A., & Chalmers, D. (1998). The extended mind. *Analysis, 58*(1), 7-19.

Coleman, S. (2011). There is no argument that the mind extends. *Journal of Philosophy, 108*(2), 100-108.

De Brigard, F. (2014). Is memory for remembering? Recollection as a form of episodic hypothetical thinking. *Synthese, 191*(2), 155-185.

Debus, D. (2007). Perspectives on the past: A study of the spatial perspectival characteristics of recollective memories. *Mind & Language, 22*(2), 173-206.

Debus, D. (2008). Experiencing the past: A relational account of recollective memory. *Dialectica, 62*(4), 405-432.

Garry, M., Manning, C. G., Loftus, E. F., & Sherman, S. J. (1996). Imagination inflation: Imagining a childhood event inflates confidence that it occurred.

Psychonomic Bulletin and Review, 3, 208-214.

Gerrans, P. (2014). *The measure of madness.* Cambridge, MA: MIT Press.

Gerrans, P., & Kennett, J. (2010). Neurosentimentalism and moral agency. *Mind, 119*(475), 585-614.

Gertler, B. (2007). Overextending the mind? In B. Gertler & L. Shapiro (Eds.), *Arguing about the mind* (pp. 192-206). New York: Routledge.

Goldman, A. I. (2012). A moderate approach to embodied cognitive science. *Review of Philosophy and Psychology, 3*(1), 71-88.

Heersmink, R. (2017a). Distributed selves: Personal identity and extended memory systems. *Synthese, 194*(8), 3135-3151.

Heersmink, R. (2017b). The narrative self, distributed memory, and evocative objects. *Philosophical Studies,* 1-21.

Huebner, B. (2016). Transactive memory reconstructed: Rethinking Wegner's research program. *The Southern Journal of Philosophy, 54*, 48-69.

Hutto, D. D. (2009). Mental representation and consciousness. In W. Banks (Ed.), *Encyclopedia of consciousness*. New York: Elsevier.

Hutto, D. D. (2015). Overly enactive imagination? Radically re-imagining imagining. *Southern Journal of Philosophy, 53*(S1), 68-89.

Hutto, D. D. (2017). Memory and narrativity. In S. Bernecker & K. Michaelian (Eds), *The handbook of philosophy of memory* (pp. 192-204). London: Routledge.

Hutto, D. D., & Myin, E. (2013). *Radicalizing enactivism*. Cambridge, MA: MIT Press.

Hutto, D. D., & Myin, E. (2017). *Evolving enactivism*. Cambridge MA: MIT Press.

Hutto, D. D., Peeters, A., & Segundo-Ortin, M. (2017). Cognitive ontology in flux: The possibility of protean brains. *Philosophical Explorations, 20*(2), 209-223.

Hutto, D. D., & Satne, G. (2015). The natural origins of content. *Philosophia, 43*(3), 521-536.

Intraub, H., & Richardson, M. (1989). Wide-angle memories of close-up scenes. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory and Cognition, 15*, 179-187.

Janssen, S M. J., Chessa, A G., & Murre, J. M. J. (2006). Memory for time: How people date events. *Memory and Cognition, 34*, 138-147.

Kirchhoff, M. (2016). Composition and transactive memory systems. *Philosophical Explorations, 19*, 59-77.

Langland-Hassan, P. (2015). Imaginative attitudes. *Philosophy and Phenomenological Research, 90*(3), 664-686.

Lindsay, D. S., Hagen, L., Read, J. D., Wade, K. A., & Garry, M. (2004). True photographs and false memories. *Psychological Science, 15*, 149-154.

Loader, P. (2013). Is my memory an extended notebook? *Review of Philosophy and Psychology, 4*, 167-184.

Loftus, E. F. (2005). Planting misinformation in the human mind: A 30-year investigation of the malleability of memory. *Learning and Memory, 12*(4), 361-366.

Loftus, E. F., Miller, D. G., & Burns, H. J. (1978). Semantic integration of verbal information into a visual memory. *Journal of Experimental Psychology: Human Learning and Memory, 4*, 19-31.

Loftus, E. F., & Pickrell, J. E. (1995). The formation of false memories. *Psychiatric Annals, 25*, 720-725.

Medina, J. (2013). An enactivist approach to the imagination: Embodied enactments and fictional emotions. *American Philosophical Quarterly, 50*(3), 317-335.

Michaelian, K. (2012). Is external memory memory? Biological memory and extended mind. *Consciousness and Cognition, 21*, 1154-1165.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge, MA: MIT Press.

Mullally, S. L., & Maguire, E. A. (2014). Memory, imagination, and predicting the future: A common brain mechanism? *The Neuroscientist, 20*(3), 220-234.

Neisser, U. (1996). Remembering as doing. *Behavioral and Brain Sciences, 19*, 203-204.

Neter, J., & Waksberg, J. (1964). A study of response errors in expenditures data from household interviews. *American Statistical Association Journal, 59*, 18-55.

Nigro, G., & Neisser, U. (1983). Point of view in personal memories. *Cognitive Psychology, 15*, 467-482.

Ramsey, W. M. (2007). *Representation reconsidered.* Cambridge: Cambridge University Press.

Ren, Y., & Argote, L. (2011). Transactive memory systems 1985-2010: An integrative framework of key dimensions, antecedents, and consequences. *The Academy of Management Annals, 5*, 189-229.

Roediger III, H. L. (1980). Memory metaphors in cognitive psychology. *Memory & Cognition, 8*(3), 231-246.

Roediger III, H. L., & McDermott, K. B. (1995). Creating false memories: Remembering words not presented in lists. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition, 21*, 803-814.

Rosenberg, A. (2014). Disenchanted naturalism. In B. Bashour & H. D. Muller (Ed.), *Contemporary philosophical naturalism and its implications* London: Routledge.

Rowlands, M. (1999). *The body in mind: Understanding cognitive processes.* Cambridge: Cambridge University Press.

Schacter, D. L., & Addis, D. R. (2009). On the nature of medial temporal lobe contributions to the constructive simulation of future events. *Philosophical Transaction of the Royal Society B: Biological Sciences, 364*, 1245-1253.

Schacter, D. L., Addis, D. R., & Buckner, R. L. (2007). Remembering the past to imagine the future: The prospective brain. *Nature Reviews Neuroscience, 8*, 657-661.

Schacter, D. L., & Tulving, E. (1994). What are the memory systems of 1994? In D. L.

Schacter & E. Tulving (Eds.), *Memory systems* (pp. 1-38). Cambridge, MA: MIT Press.

Shanon, B. (1998). Metaphorical pluralism-not on the substantive level. *Behavioral and Brain Sciences, 21*, 164-165.

Skorburg, J. A. (2017). Lessons and new directions for extended cognition from social and personality psychology. *Philosophical Psychology, 30*(4), 458-480.

Sparrow, B., Liu, J., & Wegner, D. M. (2011). Google effects on memory: Cognitive consequences of having information at our fingertips. *Science, 333*(6043), 776-778.

Stern, D. G. (1991). Models of memory: Wittgenstein and cognitive science. *Philosophical Psychology, 4*(2), 203-218.

Sutton, J. (1998). *Philosophy and memory traces: Descartes to connectionism.* Cambridge: Cambridge University Press.

Sutton, J. (2010). Exograms and interdisciplinarity: History, the extended mind, and the civilizing process. In R. Menary (Ed.), *The extended mind,* (pp. 189-225). Cambridge: MIT Press.

Sutton, J. (2012). Memory. In E. N. Zalta (Ed.), *The Stanford encyclopedia of philosophy* (Winter 2012 ed.). Retrieved from <http://plato.stanford.edu/archives/> win2012/entries/memory/

Sutton, J., Harris, C. B., Keil, P., & Barnier, A. J. (2010). The psychology of memory, extended cognition, and socially distributed remembering. *Phenomenology and the Cognitive Sciences, 9*, 521-560.

Sutton, J., & Williamson, K. (2014). Embodied remembering. In L. Shapiro (Ed.), *The Routledge handbook of embodied cognition.* London: Routledge.

Szpunar, K. K., Watson, J. M., & McDermott, K. B. (2007). Neural substrates of envisioning the future. *Proceedings of the National Academy of Science USA*, *104*, 642-647.

Thompson, C. P., Skowronski, J. J., Larsen, S. F., & Betz, A. L. (1996). *Autobiographical memory: Remembering what and remembering when*. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Tollefsen, D., Dale, R., & Paxton, A. (2013). Alignment, transactive memory, and collective cognitive systems. *Review of Philosophy and Psychology*, *4*, 49-64.

Tribble, E. B. (2005). Distributing cognition in the Globe. *Shakespeare Quarterly*, *56*(2), 135-155.

Wade, K. A., Garry, M., Read, D., & Lindsay, D. S. (2002). A picture is worth a thousand lies: Using false photographs to create false childhood memories. *Psychonomic Bulletin & Review*, *9*(3), 597-603.

Wegner, D., Erber, R., & Raymond, P. (1991). Transactive memory in close relationships. *Journal of Personality and Social Psychology*, *61*, 923-929.

Wheeler, M. (2017). The revolution will not be optimised: Radical enactivism, extended functionalism and the extensive mind. *Topoi*, *36*(3), 457-472.

تَعامَل بعناية

النشاط، والسلبية، والدور الإبستيمي للذكريات الاسترجاعية

دوروثيا ديبوس Dorothea Debus

1. تهيئة المشهد:

يُعنى الفصل الحالي بنوع محدد من الذَّاكرة، وهو الذكريات التي لها خصائص خبراتية. إن هذه الذكريات "الخبراتية" أو "الاسترجاعية" هي أحداث يومية شائعة. فمثلًا: حاول أن تتذكر ما فعلته يوم الأحد الماضي. من المحتمل أنه عندما تقوم بذلك، ستكون لديك على الأقل بعض الذكريات "الاسترجاعية " لبعض الأحداث التي وقعت في حياتك الأحد الماضي.

إن الذكريات الاسترجاعية Recollective memories (أو "الذكريات-R") هي الذكريات التي لها خصائص خبراتية. إنها حالات التذكر التي "تناظر [كخاصية لها] استخدامنا للحواس المتميزة" (Martin, 2002، ص. 403) - أي: إنها ذكريات المرء التي هي "كما لو" أنه: يرى، أو يسمع، أو يلمس، أو يتذوق، أو يشم الحدث المتذكَّر (أو العملية، أو حالة الأمور) مرة أخرى[1].

في حياتنا الذهنية اليومية، تؤدي الذكريات-R دورًا إبستيميًا مهمًا، عند إصدارنا لأحكام حول الماضي، غالبًا ما نعتمد على ذكرياتنا-R للأحداث

(1) من أجل توضيح حالات التذكر التي يجب عدّها "ذكريات-R"، قد يكون من المفيد أيضًا ربط ظاهرة الذَّاكرة-R بالتصنيفات الأخرى لظواهر التذكر المختلفة التي تُقدَّم في الأدبيات الفلسفية والنفسية الحديثة (راجع على سبيل المثال: Shoemaker [1967], Tulving [1983], and Martin [2001: 258ff.]). ولا مجال لذكرها هنا، لكني عرضتها في عملي Debus (2007)، القسم الأول.

الماضية ذات الصلة. ويبدو أيضًا أنه بالمقارنة مع الأنواع الأخرى من الذكريات، فإننا نتعامل مع الذكريات-R تعاملًا جادًا على نحو خاص ونمنحها وزنًا واهتمامًا خاصًا عند إصدار أحكام حول الماضي. وبالتالي:

(ادعاء الدور الإبستيمي): الذكريات-R تؤدي دورًا إبستيميًا مميزًا (ومهمًا)، أي: إنها تؤدي دورًا مميزًا (ومهمًا) فيما يتعلق بمعرفة الشّخص عن الماضي.

وفي الوقت ذاته، يبدو من الصحيح أيضًا:

(ادعاء النشاط والسلبية): للذكريات-R سمات مميزة للنشاط فضلًا عن السمات المميزة للسلبية، فالشّخص الذي يختبر ذاكرة-R يكون سلبيًا على نحو مميز فيما يتعلق بحدوث الذّاكرة-R ذاتها، ومع ذلك، يمكن أن يشارك أيضًا بنشاط، وكثيرًا ما يكون كذلك، فيما يتعلق بذكرياته-R.

هناك العديد من الطرق التي نشارك فيها بنشاط فيما يتعلق بذكرياتنا-R. فمثلًا: عندما حاولتَ للتو، منذ لحظة، أن تتذكر ما فعلتَه يوم الأحد الماضي، فأنت قمتَ بشيء على نحو نشط تمامًا (وهو: التّفكير فيما فعلته يوم الأحد الماضي) الذي بدوره (على الأرجح) أدى إلى امتلاكك ذكريات-R مختلفة عن الأحداث التي وقعت في حياتك يوم الأحد الماضي. من جهة أخرى، يبدو أيضًا أنه من المعقول قبول أن حدوث أو عدم حدوث ذكريات-R ذات الصلة هو بمعنى ما خارج عن تحكمنا، وأن الذكريات-R ذات الصلة نفسها "تأتي إلينا" فقط (وأحيانًا لا تأتي)، وأننا "المتلقون" السلبيون للخبرات ذات الصلة، وبهذا المعنى تكون الذكريات-R سلبية بوضوح. وبالتالي، يبدو أن كلًا من ادعاء الدور الإبستيمي وادعاء النشاط والسلبية لهما إغراء حدسي ما، ويبدو أنهما يستحقان مزيدًا من الاستكشاف. علاوة على ذلك، هناك روابط مهمة بين الدور الإبستيمي الذي تؤديه الذكريات-R من جهة، والسمات المميزة لذكرياتنا-R

المتمثلة في السلبية والنشاط من جهة أخرى، ويمكننا فهم هذين الجانبين لظاهرة الذّاكرة-R على نحو أفضل من خلال الإعداد لفهمهما معًا. ومن ثم يهدف الفصل التالي إلى تطوير كلٍّ من ادعاء الدور الإبستيمي وادعاء النشاط والسلبية معًا، وبالتالي، هو يهدف إلى تعزيز فهمنا لظاهرة الذّاكرة-R ككل.

2. الذكريات-R: هل تكون في بعض الأحيان مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة؟

كيف يمكن أن يكون الدور الإبستيمي الذي تؤديه الذكريات-R؟ ما الدور الذي تؤديه الذكريات-R فيما يتعلق بمعرفتنا بالماضي؟ بالنسبة لظاهرة الذّاكرة ككل، غالبًا ما يرى الفلاسفة أن الذكريات هي شكل محدد من أشكال المعرفة، أي: المعرفة المحفوظة. وعلى هذا الرأي، فإن تذكر شيءٍ ما يعني ببساطة امتلاك المعرفة التي اكتُسبت في الماضي واحتُفظ بها[2] فمثلًا: تتذكر سالي Sally أن شارلمان Charlemagne تُوِّج إمبراطورًا للرومان في العام 800، ويتذكر بيتر Peter أن أول دراجة امتلكها في طفولته كانت حمراء. يبدو من المعقول تمامًا الاعتقاد بأن هذه الذكريات يجب عدّها أجزاء من المعرفة المحفوظة، وأن ذاكرة الشّخص للواقعة ذات الصلة هي جزء من المعرفة التي اكتسبها في الماضي واحتفظ بها.

ومع ذلك، يُقترح في بعض الأحيان أن الذكريات ليست كلها حالات من المعرفة المحفوظة. وإنما، كما قيل: بعض الذكريات تكون، بالنسبة للمتذكِّر، مصدرًا وأساسًا لمعرفة جديدة عن الماضي[3]. سأفهم هنا هذه الادعاءات على النحو التالي:

---

(2) في الأدبيات المعنية، يُطلق على هذا الموقف أحيانًا "الحفظانية"، وللاطلاع على ملخص مفيد لهذا الرأي انظر عمل بيرنيكر وغروندمان Bernecker and Grundmann (2017)، اللذين يقدمان أيضًا قائمة مفيدة بالمساهمات ذات الصلة في الأدبيات الحديثة حول هذا الموضوع (انظر الحاشية الأولى في عملهما).

(3) انظر Bernecker and Grundmann (2017: الحاشية الثانية) للاطلاع على قائمة بالمؤلفين الذين نظروا وأيدوا مؤخرًا نسخًا مختلفة من الرأي القائل: إن الذّاكرة ليست مجرد الاحتفاظ بالمعرفة، وإنما قد "تولّد" معرفة جديدة في بعض الأحيان. في الأدبيات المعنية، يُطلق على هذا الرأي

(المصدر): الحدوث الذهني mental occurrence هو مصدر للمعرفة الجديدة للشخص إذا، وفقط إذا كان يؤدي دورًا سببيًا مهمًا في جلب الجزء ذي الصلة من المعرفة الجديدة.

(الأساس) الحدوث الذهني هو أساس للمعرفة الجديدة للشخص إذا، وفقط إذا كان يمدّ الشّخص بعلّة reason لتأييده الاعتقاد الجديد ذي الصلة، وهذا السبب هو بدوره ضروري للاعتقاد الجديد ذي الصلة حول الماضي ليكون جزءًا من المعرفة.

في محاولة لتطوير الادعاء القائل: إنَّ بعض الذكريات تكون، للمتذكِّر، مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة عن الماضي، يبدو أنه من بين الأنواع المختلفة للذكريات، قد تكون الذكريات-R مرشحًا جيدًا بالخصوص، أي: قد يبدو من المعقول على نحو خاص أن نقول: إن الذكريات-R يمكن أن تكون في بعض الأحيان مصدرًا وأساسًا لمعرفة جديدة عن الماضي. فمثلًا:

> (ذكرى-R لآنا Anna عن محاضرة الأمس) تسأل ماري Mary آنا عما إذا كان بول Paul قد حضر محاضرتها بعد ظهر أمس. وآنا لا تعرف كيف تجيب على هذا السّؤال، لذا في محاولتها العثور على إجابة لسؤال ماري تحاول أن تتذكر بصريًا الجمهور خلال محاضرة الأمس، ونجحت محاولتها، فامتلكت خبرة بصرية تماثل الخبرة البصرية لوجود بول في الزاوية الخلفية اليسرى من غرفة المحاضرة، وعلى أساس ذاكرتها البصرية عن الجمهور خلال محاضرة الأمس، تحكم آنا بأن بول قد حضر بالفعل محاضرتها بعد ظهر أمس[4].

أحيانًا اسم: "التوليدية"، ويقدّم بيرنيكر وغروندمان (2017) في ورقتهما شكلًا جديدًا خاصًا بهما من "التوليدية" فيما يتعلق بالذّاكرة. كما سيتضح بعد قليل، تركز مساهمتي في النقاش هنا على نوع محدد من الذّاكرة، وهو الذّاكرة-R، واقتراح أن الذكريات-R قد تكون أحيانًا مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة بشأن الماضي لدى الشّخص المتذكِّر.

(4) هناك مناقشة مفصلة لحالة مشابهة للحالة الموصوفة هنا في Lackey (2005: 650-653).

يبدو من المعقول أن نقول: إنه في حالات مثل ذكرى-R لدى آنا عن محاضرة الأمس، تكون الذَّاكرة-R مصدرًا للمعرفة الجديدة حول الماضي للمتذكِّر - أي: إن الذَّاكرة-R تؤدي دورًا سببيًا في إحداث جزء جديد من المعرفة المتعلقة بالماضي - وتكون الذَّاكرة-R أيضًا أساسًا للمعرفة الجديدة حول الماضي للمتذكِّر - أي: إن الذَّاكرة-R توفر للمتذكِّر علة لتأييد الاعتقاد الجديد ذي الصلة، السبب الذي بدوره يكون ضروريًا للاعتقاد الجديد ذي الصلة عن الماضي من أجل أن يُعد جزءًا من المعرفة.

وبالتالي، في محاولة تطوير ادعاء الدور الإبستيمي، قد يبدو من المعقول تمامًا قبول:

> (ادعاء المصدر والأساس): في بعض الأحيان، يمكن أن تكون الذكريات مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة بشأن الماضي للمتذكِّر.

وفي الواقع، هذا الادعاء بدوره يمكن دعمه ببعض الاعتبارات المتعلقة بسمة السلبية، التي هي، كما هو موضح في "ادعاء النشاط والسلبية"، سمة مميزة لذكرياتنا-R اليومية.

3. أن تكون سلبيًا: اختبار الماضي واكتساب معرفة جديدة عن الماضي:

عندما يختبر شخصٌ ما ذكرى-R، يكون بمعنى مهمٍّ ما سلبيًا إزاء وقوع الذكرى-R ذاتها، ففي بعض الأحيان، "تأتي إلينا" الذكريات-R - أي: تخطر على البال فجأة ببساطة، وفي أحيان أخرى، نفكر في شيء فعلناه في الماضي، وفي هذا السياق تخطر أفكار مختلفة وذكريات-R مختلفة، لكن في أحيان أخرى، ربما نحاول صراحة تذكر شيءٍ ما عن الماضي، وفي محاولتنا هذه، نسأل أنفسنا أسئلة حول الماضي (مثلًا: "ما الذي قمتُ به يوم الأحد الماضي؟") وحينئذٍ قد تخطر الذكريات-R ذات الصلة "ردًا" على تلك الأسئلة، ولكن ما إذا كانت الذكريات-R ذات الصلة تخطر "ردًا" على تلك

الأسئلة هو أمر لا تحكم للشخص فيه. ومن ثم يبدو أنه في الحالات التي عرضتها للتو، يكون الشّخص هو نفسه سلبيًا فيما يتعلق بالحدوث (أو عدم الحدوث) الفعلي للذكرى-R ذات الصلة. ومسألة ما إذا كانت الذكرى-R ذات الصلة تخطر أو لا هي خارجة عن تحكم الشّخص.

قد تشير سمة السلبية هذه التي يبدو أنها تميز معظم (في الواقع، ربما كل) الذكريات-R، بدورها إلى تشابه بين الذكريات R- من جهة والخبرات الإدراكية من جهة أخرى؛ لأن الخبرات الإدراكية، مثلها مثل الذكريات-R، تتميز أيضًا على ما يبدو بكون الشّخص سلبيًا بطريقةٍ ما فيما يتعلق بالخبرة ذات الصلة[5]. في حالة الخبرة الإدراكية، عادة ما يتفق الجميع على أن السلبية المميزة للشخص في مواجهة الخبرة الإدراكية ترجع إلى البيئة الحالية للشخص التي "تهاجم impinging upon" الشّخص بطريقةٍ ما في الوقت الذي تحدث فيه الخبرة الإدراكية. وعلى نحو مشابه تمامًا، ربما قد نقول، في حالة الذّاكرة-R: إن السلبية المميزة للشخص في مواجهة حدوث الذكرى ترجع إلى البيئة الماضية للشخص التي "تهاجمه" بطريقةٍ ما في الوقت الذي تخطر فيه الذّاكرة- R[6].

---

(5) انظر أيضًا Elian (1998) التي تقدم مناقشة شيقة لتشبيه مماثل.

(6) من الواضح أن الادعاء بأن شيئًا ما "يهاجم" الشّخص مجازيًا إلى حدٍّ ما. ولأغراض تطوير التسلسل الفكري المرسوم أعلاه في النص الرئيس، أظن أنه يمكننا العمل على هذا المستوى المجازي، ولكن بالنسبة لأي شخص يسعى إلى مزيد من الدقة، قد يكون من المفيد إضافة أنني أظن أن بإمكاننا، وينبغي علينا، تطوير الاستعارة المستخدمة هنا بمفردات سببية: فكما في الإدراك يمكن أن يقال: إن البيئة الحالية للشخص "تهاجم" الشّخص؛ لأنها تؤثر سببيًا فيه، يمكن أن يقال بالمثل في الذّاكرة-R: إن البيئة الماضية للشخص"تهاجم" الشّخص؛ لأنها تؤثر سببيًا فيه (قدمتُ بعض الاعتبارات الأكثر تفصيلًا حول هذه المسألة في Debus (2008)، وDebus (2017)). في الواقع، تبدو هذه الطريقة هي الطريقة الأكثر معقولية لتفسير الفينومينولوجيا هنا. بالطبع هؤلاء الذين يرون أنه لا تُوجد علاقة سببية ذات صلة بين حدث سابق وذكرى-R حالية لهذا الحدث السابق عليهم أن يجدوا طرقًا أخرى لتفسير السمة الفينومينولوجية التي وصفتها هنا بالقول: إن شيئًا ما "يهاجم" الشّخص (من هؤلاء مثلًا Michaelian (2016)، وللمناقشة ذات الصلة انظر أيضًا مقال بيرين Perrin (في هذا الكتاب)، ولا يُوجد مجال للانغماس في هذا النقاش في السياق الحالي، لكنني أظن أنه من الواضح أن الاقتراح السببي الموضح هنا سيقدم التفسير الأكثر وضوحًا (وربما أيضًا الأكثر معقولية على نحو مباشر) للفينومينولوجيا. (أشكر دينيس بيرين وكيرك ميكيليان لحثهما إياي على التعليق الحالي).

فكما أن الخبرة الإدراكية سلبية بمعنى ما؛ لأننا في الخبرة الإدراكية نستقبل ما تأتي به بيئتنا الحالية، فإن الذّاكرة-R تكون سلبية بمعنى ما؛ لأننا في الذّاكرة-R نستقبل ماضينا. هناك شيء ما من الماضي "يُعطى" إلينا في الذّاكرة-R، فالشّخص الذي يتذكر-R حدثًا ماضيًا محددًا يُعرَض إليه الحدث الماضي ذو الصلة في الخبرة[7]. لقد اقترحتُ في عملٍ آخر أنه يمكننا تطوير هذا الرأي على نحو أكبر بمساعدة "التقرير العلائقي" عن الذّاكرة-R (انظر، Debus، 2008). ووفق "التقرير العلائقي" للذاكرة-R، فإن الشّخص الذي يتذكر-R حدثًا سابقًا يكون على دراية مباشرة بالحدث الماضي ذي الصلة في الذّاكرة-R، أي: إن الشّخص يكون في علاقة خبراتية مباشرة مع الحدث الماضي ذي الصلة[8]. وإذا كان الماضي "يهاجمنا" عندما نتذكر حدثًا ماضيًا محددًا، أي: إذا "أُعطي" لنا حدث من الماضي في الذّاكرة-R، فيبدو من المعقول جدًا أن نقول: إن الذاكريات-R يمكن أن تكون مصدرًا وأساسًا للمعرفة المتعلقة بالماضي بالنسبة للشخص المتذكِّر ذكريات-R. وبالتالي، إذا قبلنا أن السلبية المميزة للشخص في مواجهة ظهور ذاكرة-R تدل على، وفي الواقع بسبب، بيئته الماضية التي "تعتدي" عليه في الوقت الذي تخطر فيه الذّاكرة-R، أي: إن شيئًا من الماضي "يُعطى" للشخص في الذّاكرة-R، فإنه يبدو أيضًا من المعقول قبول "ادّعاء المصدر والأساس".

4. سمة السلبية دالة Indicative، لكن ليست ضرورية ولا كافية:

ومع ذلك، من المهم أن نذكر أنه في حين أن سمة السلبية التي تتصف بها

---

(7) إن اقتراح أن شيئًا ما "يُعطى" لنا في الذّاكرة-R يجب أن يُفهم هنا بطريقة بريئة تمامًا، فلا خطر هنا من "أسطورة المعطى"، كما ناقشها سيلارز Sellars (1997).

(8) قد يقلق القارئ المنتبه من أن ادعاء أن الماضي "يهاجمنا" في الذّاكرة-R، أي: إن الماضي بطريقةٍ ما يؤثر سببيًا في الشّخص في الوقت الذي تحدث فيه الذّاكرة-R، غير متوافق مع الادعاء القائل: إنه في تذكر-R حدثًا ماضيًا ذا صلة يكون الشّخص على دراية مباشرة بالحدث ذي الصلة. وقد عالجت هذا الشاغل في Debus (2008)، حيث أظهر أن كل من الادعاءين متوافقان جوهريًا (أشكر كيرك ميكليان على حثه على كتابة التعليق الحالي).

الذكريات-R دالة على كونها مصدرًا وأساسًا للمعرفة المتعلقة بالماضية، فإنّ سمة السلبية ذات الصلة ليست ضرورية ولا كافية لخبرةٍ ما لتكون مصدرًا أو أساسًا للمعرفة المتعلقة بالماضي، إذ ربما يكتسب المرء معرفة عن الماضي بأن يباشر بنشاط تخيل الماضي، لكن الخبرات التخيلية ذات الصلة تتميز من جوانب مهمة بنوع من النشاط. ومن ثم ليس من الضروري أن تتصف الخبرة ذات الصلة بالسمات المميزة للسلبية من أجل أن يكتسب الشّخص معرفة جديدة عن الماضي من تلك الخبرة.

وقد يجد المرء نفسه أيضًا يمر بخبرات سلبية على نحو مميز بطريقةٍ ما - أحلام اليقظة القوية مثلًا، التي قد تتميز، مثلها مثل الذكريات-R، بنوع من السلبية - لكن هذا بالتأكيد ينبغي عدم عدّه مصدرًا للمعرفة. وبالتالي، لا يكفي أيضًا أن تتصف الخبرة ذات الصلة بالسمات المميزة للسلبية كي يكتسب الشّخص معرفة جديدة عن الماضي منها.

نحن نجد أن سلبية خبرةٍ ما ليست ضرورة ولا كافية كي تُعد الخبرة ذات الصلة مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة للشخص المختبِر. ومع ذلك، من المعقول التّفكير في السلبية ذات الصلة في حالة الذكريات-R على أنها دالة على البيئة الماضية للشخص التي "تهاجمه" في الوقت الذي تخطر فيه الذّاكرة-R. وبالتالي، فإن حقيقة أن الذكريات-R لها سمة مميزة للسلبية تمدنا بسبب وجيه لنقول ما يلي:

(ادّعاء المصدر والأساس): في بعض الأحيان على الأقل، يمكن أن تكون الذكريات-R مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة المتعلقة بالماضي لدى المتذكِّر.

5. اعتراض دوميت Dummett:

ومع ذلك، لا يقبل الجميع هذا الاستنتاج. في الواقع، ينص مايكل دوميت Michael Dummett على معارضته له معارضة تامة بقوله: «الذّاكرة ليست مصدرًا

للمعرفة، ناهيك عن أن تكون أساسًا للمعرفة، وإنما هي احتفاظ بالمعرفة التي اكتُسبت سابقًا بأي وسيلة كانت» (Dummett, 1996, p. 420f). ويمكن إعادة بناء الحجة التي يقدمها دوميت لدعم وجهة نظره المعارضة على النحو التالي:

اعتراض دوميت:

أ - إذا لم تكن الذّاكرة هي المعرفة المحفوظة وإنما كانت مصدرًا أو أساسًا للمعرفة الجديدة عن الماضي، فإن كل المعرفة المتعلقة بالماضي لا بد أن تكون معرفة استدلالية.

ب - إذا كانت كل المعرفة المتعلقة بالماضي هي معرفة استدلالية، فلا يمكن أن تكون لدينا أي معرفة بالماضي على الإطلاق.

ج - لكننا نمتلك معرفة عن الماضي.

د - وبالتالي، «الذّاكرة ليست مصدرًا للمعرفة، ناهيك عن أن تكون أساسًا لها، وإنما هي احتفاظ بالمعرفة المكتسبة سابقًا بأي وسيلة كانت» (Dummett, 1996, p.420f).

ولنرد على ذلك، ينبغي لنا النظر في المقدمة الأولى للاعتراض (أ) بمزيد من التفصيل. يبدو أن المقدمة (أ) تفترض ضمنيًا أنه يمكننا إسناد الدور الإبستيمي ذاته لجميع الذكريات. كما سنرى لاحقًا، هذا افتراض إشكالي. لكن في البداية، أقترح أن نقيّم الفرضية (أ) كما هي بعناية ونحاول صياغتها بأكبر قدر ممكن الدقة. في الواقع، بالنظر إلى نتيجة المقدمة (أ) تتحدث عن كل المعرفة المتعلقة بالماضي، فإن العنصر الشرطي للمقدمة (أ) يجب أن يُؤخذ على أنه يشير ضمنيًا إلى كل حالات الذّاكرة. وبالتالي، ينبغي أن تكون الصياغة الأدق للمقدمة (أ) على النحو التالي:

أ* - إذا صح أن كل الذكريات، بدلًا من أن تكون معرفة محفوظة، مصدر وأساس للمعرفة الجديدة المتعلقة بالماضي، فإنه يجب أن تكون كل المعرفة المتعلقة بالماضي معرفة استدلالية.

بعد ذلك، ربما نسأل: لماذا يجب أن نقبل أن هذه الشرطية بالتحديد؟ من الواضح أن المدافع عن المقدمة (أ*) يفترض أنه كي يُعد حدثًا ذهنيًا، ذكرى مثلًا، مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة، لا بد أن ينخرط الشّخص في شيء من التَّفكير الاستدلالي كي يكتسب الجزء ذا الصلة من المعرفة على أساس الحدث الذهني ذي الصلة. وهذا الافتراض قد يكون محل خلاف. في الواقع، ربما (وهو احتمال معقول تمامًا في نظري) يرفضه المرء، ويجادل بأن بعض الأحداث الذهنية، مثل: الذكريات-R أو الخبرات الإدراكية، يجب عدّها مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة في حين أن أجزاء المعرفة المكتسبة حديثًا لا تعتمد على أي تفكير استدلالي على الإطلاق، وبالتالي، يجب عدم عدّها معرفة استدلالية، ومن ثم، فإن إحدى طرق مقاومة استنتاج الاعتراض الحالي هو إنكار صحة مقدمته (أ*).

ومع ذلك، لأغراضنا الحالية ربما من الأسهل التسليم جدلًا لخصمنا بصحة الفرضية (أ*)، والتركيز بدلًا من ذلك على بنية الحجة كما هي. في الواقع، وجدنا أنه حتى لو قبلنا الفرضية (أ*) على سبيل الجدل، فبمجرد أن أوضحنا المعنى الفعلي للفرضية (أ) بمساعدة الفرضية (أ*)، يتضح أن "اعتراض دوميت" لا يشكّل أي تهديد على "ادعاء المصدر والأساس". ولذلك، مع وجود المحددات الكمية ذات الصلة في موضعها الصحيح، يمكننا صياغة نسخة أدق من اعتراض دوميت على النحو التالي:

"اعتراض دوميت"*:

أ* - إذا لم تكن الذّاكرة هي المعرفة المحفوظة وإنما كانت كل الذكريات مصدرًا أو أساسًا للمعرفة الجديدة عن الماضي، فإن كل المعرفة المتعلقة بالماضي لا بد أن تكون معرفة استدلالية.

ب - إذا كانت كل المعرفة المتعلقة بالماضي هي معرفة استدلالية، فلا يمكن أن يكون لدينا أي معرفة بالماضي على الإطلاق.

ج - لكننا نمتلك معرفة عن الماضي.

د* - وبالتالي، لا يصح أن كل الذكريات تكون مصدرًا، أو أساسًا، لمعرفة جديدة عن الماضي، وإنما بعض الذكريات على الأقل تكون «احتفاظًا بالمعرفة المكتسبة سابقًا بأي وسيلة كانت» (Dummett, 1996, p. 420f).

للوهلة الأولى، يبدو أن الاستنتاج (د*) يختلف اختلافًا مهمًا عن الاستنتاج (د)، لكن إذا افتراض المرء أن كل الذكريات هي أحداث ذهنية من النوع ذاته، وبالتالي، تؤدي كل الذكريات الدور الإبستيمي ذاته، فإن الاستنتاج (د*) يعادل الاستنتاج (د)[9]. ومع ذلك، يبدو من المعقول قبول أن الأحداث اليومية التي ندرجها في فئة "الذّاكرة" هي من أنواع مختلفة على نحو مهم، ويبدو من المعقول افتراض أن هذه الأنواع المختلفة من الذّاكرة تؤدي أيضًا أدوارًا إبستيميًا مختلفة. في الواقع، يبدو من المعقول تمامًا أن نقول: إن بعض ذكرياتنا - أي: الذكريات الوقائعية - هي حالات من المعرفة المحفوظة (وبالتالي، لا تكون مصدرًا أو أساسًا للمعرفة)، في حين أن بعض الذكريات الأخرى - أي: الذكريات-R - ربما تكون، على الأقل في بعض الأحيان، المصدر والأساس للمعرفة للجديدة للمتذكِّر (وبالتالي، لا تكون معرفة محفوظة، أو على الأقل لا تكون دائمًا معرفة محفوظة).

إن هذا الرأي متوافق تمامًا مع الاستنتاج (د*) في النسخة المنقحة من "اعتراض دوميت". وهكذا، طالما سلّمنا (كما يبدو معقولًا) بأن أنواعًا مختلفة من الذكريات قد تؤدي دورًا إبستيميًا مختلفًا، فإن اعتراض دوميت لا يشكّل أي تهديد لـ "ادعاء المصدر والأساس" على الإطلاق.

---

(9) يمكن التعبير عن ذلك بمزيد من التفصيل على النحو التالي: إذا كانت كل الذكريات تؤدي الدور الإبستيمي ذاته، وإذا كان (كما يقول الاستنتاج (د*)) الدور الإبستيمي لبعض الذكريات على الأقل هو «الاحتفاظ بالمعرفة المكتسبة سابقًا بأي وسيلة كانت»، فيجب أن يكون صحيحًا أيضًا أن «الذّاكرة [بشكل عام، أي: كل الذّاكرة] هي الحفاظ على المعرفة المكتسبة سابقًا بأي وسيلة كانت»، كما جاء في الاستنتاج (د). وبالتالي، إذا افترض المرء أن كل الذكريات هي أحداث ذهنية من النوع ذاته، ومن ثم تكون كل الذكريات تؤدي الدور الإبستيمي ذاته، فإن (د*) لا بد أن يكون معادلًا لـ (د). (أشكر دينيس بيرين على حضه على كتابة التوضيح الحالي).

6. شرط الدراية السابقة:

ومع ذلك، قد لا يزال المعارض راغبًا في مقاومة "ادعاء المصدر والأساس"، ومن ثم قد يقول الخصم: إن "ادعاء المصدر والأساس" غير معقول؛ لأنه يبدو من غير الواضح كيف يمكن أن يكون متوافقًا مع شرط مهم تجب تلبيته؛ كي تُعد أي ذكرى-R ذاكرة، ألا وهو الشرط الذي يُطلق عليه عادة، متابعة لشوميكر Shoemaker (1970)، "شرط الدراية السابقة"، إذ يبدو من المعقول قبول أنه من أجل أن يتذكر شخصٌ ما حدثًا سابقًا استرجاعيًا، من الضروري أن يكون الشّخص المعنى على دراية بطريقةٍ ما بالحدث ذي الصلة عند حدوثه في الأصل، أو بتعبير شوميكر: «إنه لشرط ضروري ليصح أن شخصًا ما يتذكر حدثًا ماضيًا معينًا أن يكون هذا الشّخص، أي نفس الشّخص، قد لاحظ أو اختبر الحدث، أو يعرفه بطريقة مباشرة أخرى، وقت حدوثه» (Shoemaker, 1970، ص. 269).

لكن حينئذٍ، سيقول معارض "ادعاء المصدر والأساس": إذا كان هذا الشرط لا بد من الوفاء به حتى يُعد حدثًا ذهنيًا ما ذكرى-R أصلًا، فلا يمكن أن يكون صحيحًا، لأنه في بعض الأحيان على الأقل تكون الذكريات-R مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة عن الماضي للمتذكِّر، ولأنه إذا كان من الضروري أن الشّخص الذي يتذكر-R الآن حدثًا محددًا قد «لاحظ أو اختبر الحدث المعني، أو عرفه بطريقة مباشرة أخرى» في الماضي، فإنه مهما كانت المعرفة التي قد توفرها الذكرى-R ذات الصلة لا يمكن أن تكون معرفة جديدة لدى الشّخص الآن، لأنه كان يعرف بالفعل الحدث ذي الصلة في الماضي. ووفق ذلك، يستنتج خصمنا أن "ادعاء المصدر والأساس" لا بد أن يكون زائفًا[10].

لتقييم الاعتراض الحالي، ينبغي النظر في "شرط الدراية السابقة" بعناية أكبر، ونسأل: ما هو بالضبط ما قد يتطلبه "شرط الدراية السابقة"؟

---

(10) أنا ممتنة لكريستوف هويرل Christoph Hoerl لأنه اقترح في محادثة أن أنظر في التسلسل الفكري الحالي بتدقيق أكبر.

يبدو من المعقول بدرجة كبيرة قبول أنه لكي يتذكر شخصٌ ما حدثًا سابقًا (أو حالة سابقة للأمور)، من الضروري أن يكون قد شهده بطريقةٍ ما عند حدوثه (أو تحقق حالة الأمور) - أي: أن يكون بطريقةٍ ما على دراية بالحدث (أو حالة الأمور) الذي يتذكره حاليًا، في حين أنه حدث في الأصل (أو تحققت حالة الأمور)، ويبدو إلى حدٍّ كبير أن هذا هو حقيقة مفاهيمية (لأنه يجسّد كيفية استخدامنا لكلمة "ذاكرة" في الحالات ذات الصلة)، وهي حقيقة تهدف الدراية السابقة إلى تجسيدها. في الواقع، يبدو أنه جزء من مفهومنا للذاكرة أنه كي يقال عن الشّخص: إنه يتذكر أي شيء الآن، لا بد أن يكون هذا الشّخص قد اتصل بالمعلومات التي تقدمها له ذاكرته الآن[11]. ومع ذلك، ما يبدو أقل وضوحًا هو نوع "الدراية" المطلوب بالحدث الأصلي وقت حدوثه ليكون الشّخص متذكرًا الحدث المعني. وعلى نحو أكثر تحديدًا، يجب أن نسأل عما إذا كان نوع "الدراية" السابقة المطلوب للذاكرة-R هو ذلك النوع الذي يجب عدّه دائمًا شكلًا من أشكال المعرفة، ما يبدو أنه مضمون قول شوميكر: «إنه لشرط ضروري ليصح أن شخصًا ما يتذكر حدثًا ماضيًا محددًا أن يكون هذا الشّخص، أي: نفس الشّخص، قد لاحظ أو اختبر الحدث، أو يعرفه بطريقة مباشرة أخرى، وقت حدوثه» (Shoemaker, 1970، ص. 269).

في الواقع، قد يشير النظر في حالات مثل: حالة آنا الموصوفة سابقًا إلى خلاف ذلك، إذ عندما سألتْ ماري آنا عما إذا كان بول قد حضر محاضرتها بعد ظهر أمس، كما قلنا سابقًا، لم تكن آنا تعرف كيف تجيب على هذا السّؤال، ولكن بمجرد أن تتذكر بصريًا بول في الزاوية الخلفية اليسرى من غرفة المحاضرة في أثناء محاضرة أمس، تحكُم آنا بأن، وتعرف أن، بول قد حضر محاضرتها بعد ظهر أمس. إذا نظرنا إلى فينومينولوجيا الحالات التي تماثل الحالة الحالية على ظاهرها، ربما يبدو من المعقول أن نقول: إنه في حين أن

(11) كل هذا يبدو معقولًا إلى حدٍّ ما، لكنه ليس محل اتفاق، ففي الواقع يحاول ميكيليان (2016) تطوير تقرير عن الذّاكرة لا يتضمن شرط الدراية السابقة.

آنا ربما كانت على دراية بحضور بول بمعنى ما في وقت المحاضرة، فمن المحتمل ألا نقول عنها ذلك في الوقت الذي عرفتْ فيه أن بول كان حاضرًا[12]. وإنما يبدو من المعقول أن نقول: إن درايتها بحضور بول في ذلك الوقت التي تتأسس عليها ذاكرتها-R الحالية عن حضور بول، هي شكل أكثر أساسية basic، وقد نقول: إنها كانت "على دراية" بحضور بول خلال الحدث الأصلي بقدر ما أن نظامها البصري "سجّل" بطريقةٍ ما حضور بول في ذلك الوقت، وقد يكون من الممكن للنظام المرئي لشخصٍ ما أن "يسجّل" المعلومات ذات الصلة دون أن يكون الشّخص ذاته واعيًا بالمعلومات ذات الصلة في ذلك الوقت، فقد تكون المعلومات ذات الصلة في نطاق الوعي على نحو عابر جدًا، دون أن ينتبه لها الشّخص على الإطلاق. ولذلك، فيما يتعلق بحالة آنا، ربما "سجّل" النظام البصري حضور بول في أثناء المحاضرة، لكن آنا لم تكن واعية حقًا بحضور بول في ذلك الوقت، أو ربما كانت آنا واعية بمعنى ما بحضور بول في ذلك الوقت، لكن على نحو عابر جدًا، وفي كل من الحالتين، في ضوء الموقف كما وُصف سابقًا، يبدو من المعقول حدسيًا أن نقول: إنه في وقت المحاضرة لم تكن لدى آنا أي معرفة بحضور بول أو غيابه، ولم تعرف إلا الآن فقط (وقت تذكر محاضرة الأمس) أن بول قد حضر محاضرة الأمس على أساس ذاكرتها-R الحالية للحدث. يبدو هذا صحيحًا بالنسبة إلى الفينومينولوجيا - إذ يبدو أن الأشخاص الذين يكونون في موقف مماثل لموقف آنا غالبًا ما يختبرون موقفهم على أن موقفًا يكتسبون فيه معرفة جديدة عن الماضي على أساس ذاكرتهم-R الحالية - ويبدو أيضًا أنه متوافق مع شرط الدراية السابقة، فبمجرد أن نستوعب أن النوع ذا الصلة من "الدراية السابقة" المطلوب للذاكرة-R قد يكون في الواقع دراية من نوع أساسي جدًا.

تحدث حالات مماثلة لحالة آنا في السياقات العادية اليومية، ويبدو أن

(12) لقد استُخدمت أمثلة مشابهة في الأدبيات لتوضيح النقطة ذاتها، على سبيل المثال: Lehrer and Richard (1975: 122) اللذين بدورهما نسبا الفضل إلى توماس ريد بِعَدّه المصدر الأصلي للمثال الذي يستخدمانه.

وصفنا للحالة يجسد بعض السمات البارزة للفينومينولوجيا اليومية ذات الصلة. علاوة على ذلك، في ضوء الوصف الذي قدمناه، يبدو أنه لا خلاف على القول: إن آنا تتذكر-R حضور بول في أثناء محاضرتها. من جهة أخرى، بافتراض أن الذّاكرة-R تفترض مسبقًا "الدراية السابقة"، فسيتعين علينا أيضًا أن نقول: إن آنا تلبي "شرط الدراية السابقة" في الحالة المعنية، الأمر الذي يمدنا بدوره بسبب للقول: إن الشّخص يمكنه تلبية "شرط الدراية السابقة" دون اكتساب أي معرفة ذات صلة في ذلك الوقت. وهذا بدوره له تبعتان:

أولًا: نجد أن القراءة المعقولة لـ "شرط الدراية السابقة" لن تتطلب أنه من أجل أن يقال: إن الشّخص يتذكر-R أي شيء على الإطلاق من الضروري أن يكون قد اكتسب مسبقًا أي معرفة متعلقة بما يقال: إنه يتذكره الآن، ولذلك فإن صياغة شوميكر لشرط الدراية السابقة قوية جدًا. لذلك يبدو من المعقول قبول أنه كي يتذكر شخصٌ ما حدثًا سابقًا على نحو استدعائي من الضروري أن يكون الشّخص بطريقة ما على دراية بالحدث ذي الصلة عند وقوعه في الأصل، ولكن ليس من الضروري أن تستلزم الدراية السابقة المعنية لدى الشّخص أي شكل من أشكال المعرفة من جانب الشّخص في ذلك الوقت.

ثانيًا: وهو الأهم لأغراضنا الحالية، بالنظر إلى أن الصياغة المعقولة لشرط الدراية لا تتطلب أن يكون الشّخص قد اكتسب أي معرفة في وقت الدراية السابقة حتى يقال لاحقًا: إنه يتذكر استدعائيًا الحدث المعني أو حالة الأمور المعنية، نجد أيضًا أنه يمكننا الاستمرار تأييد كل من "ادعاء المصدر والأساس" وكذلك شرط الدراية السابقة[13].

---

(13) بالطبع قد يعارض شخصٌ ما التسلسل الفكري الحالي بالقول: إن حالات الدراية السابقة من النوع الموصوف للتو يجب أن تُعد، خلافًا لمظهرها الأولي، حالات للمعرفة في النهاية. ومع ذلك، أشك في أن أي شخص يريد أن يقترح أن استدعاء الحالات ذات الصلة لحالات الدراية السابقة هو الطريقة الأكثر بدهية لوصف المواقف ذات الصلة. وبناءً على ذلك، فإن أي شخص يريد الدفاع عن هذا الرأي ستكون لديه أسباب أخرى (تعتمد على النظرية) حول سبب أهمية بيان أن الحالات ذات الصلة من الدراية السابقة، خلافًا لمظهرها الأولي، يجب عدّها حالات معرفة.

وبالتالي، يفشل الاعتراض الحالي لخصمنا، ونرى، في مقابل افتراضات الخصم، أن 'ادعاء المصدر والأساس' يتوافق مع شرط الدراية السابقة، بمجرد صياغته صياغة مناسبة. ومن ثم يمكننا الاستمرار في قول ما يلي:

(ادعاء المصدر والأساس): في بعض الأحيان على الأقل، يمكن أن تكون الذكريات-R مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة بشأن الماضي للمتذكِّر.

إن سمة السلبية التي هي مميزة للذكريات-R اليومية دالة على ذلك الدور الإبستيمي الاستثنائي الذي يمكن للذكريات-R أن تؤديه في حياتنا الذهنية اليومية.

7. المشاركة النشطة (التبديل بين المنظورات كمثال):

ومع ذلك، في حين أنَّ الذكريات-R اليومية تتميز بسمة السلبية، فإننا أيضًا، كما رأينا سابقًا، نشارك بنشاط في ذكرياتنا-R اليومية، وهذا بدوره قد يثير الشكوك حول ما إذا كانت الذكريات-R يمكن أن تؤدي جوهريًا الدور الإبستيمي حسب وصف 'ادعاء المصدر والأساس'. في بعض السياقات، قد تبدو المشاركة النشطة للشخص في ذكرياته-R اليومية 'غير ضارة' من الناحية الإبستيمية، وقد يُنظر إليها بالفعل على أنها ذات قيمة إبستمولوجيًا. فمثلًا: قد

من المفترض أن أحد أسباب محاولة الدفاع عن هذا الادعاء هو الرغبة في المدفاع عن نظرية الذاكرة التي بموجبها تعد جميع حالات الذاكرة حالات من المعرفة المحفوظة. ومع ذلك، يبدو واضحًا أن أي حجة تعتمد على ادعاء أن كل الذاكرة معرفة محفوظة ستكون بمثابة مصادرة على المطلوب في السياق الحالي، حيث يجب، في السياق الحالي، على المدافع عن الادعاء القائل: إن الحالات ذات الصلة من الدراية السابقة، خلافًا لمظهرها الأولي، يجب عدّها حالات معرفة أن يجد حجة لا تفترض مسبقًا صحة ادعاء أن كل الذاكرة هي معرفة محفوظة، وقد يكون من الصعب تحقيق ذلك. ولكن مهما كان الأمر، كل ما أهدف إلى إظهاره في السياق الحالي هو أن شرط الدراية السابقة نفسه لا يستلزم ادعاء أن الذاكرة لا يمكن أن تكون مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة، وهذا تحقق بنجاح في نظري في النص أعلاه (شكرًا لدينيس بيرين على حثه على التعليق الحالي، وللمناقشة ذات الصلة انظر أيضًا (Bernecker 2010: ch.3).

يطرح شخصٌ ما على نفسه سؤالًا حول حَدَثٍ ماضٍ محدد، وقد تخطر في ذهنه الذكرى-R "استجابة" للسؤال المعني. في تلك الحالات، قد تبدو المشاركة النشطة للشخص ذات قيمة إبستيمولوجيًا؛ لأنه فقط في سياق مثل هذه المشاركة النشطة تخطر الذّاكرة-R ذات الصلة أولًا وقبل كل شيء (التي تكون بدورها مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة).

ومع ذلك، في سياقات أخرى قد يبدو أن إمكانية مشاركتنا بنشاط في ذكرياتنا-R اليومية تمثل مشكلة لأي أحد يرغب في القول: إن الذكريات-R تؤدي الدور الإبستيمي الذي عيّنه "ادعاء المصدر والأساس". فمثلًا: يمكن لبعض الناس "التبديل بين المنظورات" عندما يتذكّرون-R الأحداث الماضية. في البداية، قد يتذكّرون-R حدثًا ماضيًا محددًا من المنظور الذي شهدوا به الحدث في الأصل (في الأدبيات التجريبية، يُطلق على هذا المنظور عادة "المنظور الميداني"). ثم يُطلب منهم "تبديل المنظور" ومحاولة اختبار الحدث الماضي ذاته من "منظور المراقب" الذي لم يكن هو منظورهم في الوقت الذي شهدوا فيه الحدث المعني في الأصل.

وفي الحقيقة، يمكن لبعض الناس معالجة ذكرياتهم-R بهذه الطريقة بنجاح: ففي حين يتذكرون-R أولًا حدثًا ماضيًا محددًا من المنظور الميداني، فإنهم بعد ذلك يتسبّبون، بمعالجتهم لهذه الخبرة وفق التعليمات التي تُقال لهم، في أن تكون لديهم خبرة جديدة ومختلفة، وهي خبرة تماثل خبرة الحدث ذاته الماضي؛ لكنها الآن من منظور المراقب (انظر مثلًا، Rice & Rubin, 2009)[14] ماذا الذي يجب أن نقوله عن المنزلة الإبستيمية للخبرات الناتجة عن مثل هذه المعالجة النشطة والمتعمدة من جانب الشّخص؟

---

(14) يظن بعض الناس أن "ذكريات المراقب" ينبغي عدم عدّها حالات للذاكرة أصلًا، وأنا أبحث طبيعة الأحداث الذهنية بالتفصيل، وأظهر لماذا يمكننا، ويجب علينا، أن نعد الحالات المعنية حالات للذاكرة في Debus (2007). لقد حظيت ظاهرة "ذاكرة المراقب" مؤخرًا أيضًا ببعض الاهتمام الفلسفي الأوسع - انظر على سبيل المثال: Sutton (2010) وماكارول McCarroll (2017).

8. الشاغل الإبستيمي:

ربما يكون هناك سبب للشك فيما إذا كانت أي خبرة ناتجة عن هذا التدخل النشط من جانب المختبِر يمكن، مع ذلك، عدّها المصدر والأساس للمعرفة الجديدة المتعلقة بالماضي التي امتلكها الشّخص؛ لأنه كما رأينا سابقًا، تُعد الذكريات-R مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة (على الأقل في بعض الأحيان)؛ لأن الماضي "يهاجم" المُتذكِّر كمُتلقٍّ سلبي. وهكذا تبدو القيمة الإبستيمية للذاكرة-R مرتبطة بطريقةٍ ما بالخصائص السلبية للذاكرة-R، وأي تدخل نشط من جانب الشّخص المختبِر قد يبدو أنه "يختلس" تلك الخصائص السلبية. ومن ثم قد يُنظر إلى المعالجة النشطة التي يقوم بها شخص لذكرى-R على أنها تجعل الذّاكرة-R عديمة القيمة من الناحية الإبستيمية.

وعلى نحو أكثر منهجية، قد تُدعَّم الشكوك المعنية بشيء مثل التسلسل الفكري التالي:

الشاغل الإبستيمي:

أ - (الشرط السببي): كي تُعَدّ خبرة ما مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة حول حدث ماضٍ محدد (أو عملية، أو حالة للأمور) لدى شخصٍ ما، من الضروري أن يكون ذلك الشّخص المختبِر في علاقة سببية مناسبة مع الحدث الماضي المعني (أو العملية، أو حالة الأمور) الذي يقال: إن الخبرة المتعلقة به تزود المختبِر بمعرفة جديدة[15].

ب - لكن التدخل النشط من طرف الشّخص فيما يتعلق بذكرى-R محددة سوف يغيّر، على الأقل غالبًا (وفي الواقع، ربما دائمًا)، العلاقة السببية التي تتحقق بين الحدث الماضي (أو العملية، أو حالة الأمور) المتذكَّر-R والشّخص الذي يتذكّر-R[16].

---

(15) أناقش هذا الشرط السببي بتفصيل أكبر في Debus (2017).

(16) القول: إن التدخل قد "يغيّر" العلاقة السببية التي تحدث بين الحدث الماضي المتذكَّر-R

ج - أيّ تدخل يغيّر العلاقة السببية المتحققة بين الحدث الماضي (أو العملية، أو حالة الأمور) المتذكَّر-R والشّخص الذي يتذكّر-R قد يجعل العلاقة السببية ذات الصلة غير مناسبة للخبرة التي هي ناتجة عن التدخل حتى تُعد مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة حول الماضي لدى الشّخص.

د - وبالتالي، ربما يؤدي التدخل النشط من جانب الشّخص فيما يتعلق بذكرى-R محددة إلى جعل الخبرة الناتجة عقيمة إبستيميًا.

إن مسألة ما إذا كانت المشكلة المحتملة المعبَّر عنها في استنتاج هذا "القلق الإبستيمي" يجب عدّها في النهاية مشكلة فعلية سوف تعتمد على نحو مهم على ما نفكر فيه بشأن الفرضية (ج) في التسلسل الفكري الحالي. تفترض المقدمة (ج) مسبقًا تمييزًا بين العلاقات السببية "المناسبة" و"غير المناسبة" بين الأحداث الماضية ذات الصلة والأشخاص الذين لديهم في الحاضر خبرات تماثل خبرات الأحداث الماضية. لكن ما السمات التي تجعل علاقة سببية ما مناسبة؟ وما السمات التي تجعل علاقة سببية ما غير مناسبة للأغراض الإبستيمية في السياق الحالي؟ كيف يمكننا التمييز بين العلاقات السببية "المناسبة" و"غير المناسبة" هنا؟

9. السلاسل السببية المنحرفة[17]:

في السياقات الأخرى التي تظهر فيها أسئلة مشابهة (مثلًا في فلسفة الفعل، أو

والشّخص المتذكّر يعني هنا ببساطة أنه بسبب التدخل المعني قد تكون العلاقة السببية ذات الصلة مختلفة عما هي عليه لو لم يحدث التدخل المعني (أشكر كيرك ميكيليان على حثه على التوضيح التالي).

(17) في ما يلي، سوف نركز على قضيةٍ واحدة تتعلق بالدور الذي قد تؤديه السببية في الذّاكرة، أي السّؤال المتعلق بكيفية التميز بين العلاقات السببية "المناسبة" و"غير المناسبة" في هذا السياق. ومع ذلك، بعيدًا عن عمل مارتن ودويتشر (1966) المؤثر، كان السّؤال الأعم حول الدور الذي يجب أن تؤديه السببية في أي تقرير عن الذّاكرة بارزًا في فلسفة الذّاكرة خلال الخمسين عامًا الماضية أو نحو ذلك. وأنا أقدم مسحًا في عملي Debus (2017)، وهناك عمل إضافي ذو صلة قدمه ميكيليان وروبينز (في هذا الكتاب).

فلسفة الإدراك)، يعالج الفلاسفة عادة هذه الأسئلة بتقديم حالات نموذجية للعلاقات السببية التي يجب عدّها غير مناسبة؛ لأنها "منحرفة" على نحو ما. إحدى السمات المشتركة بين الحالات النموذجية المختلفة لـ "السلاسل السببية المنحرفة" هي أن العنصر "المنحرف" المعني في السلسلة السببية ليس عنصرًا سببيًا "موثوقًا"، ولكن يبدو أنه يقع مصادفة بطريقةٍ أو بأخرى، بحيث يكون وقوع الحدث الذي تكون السلسة السببية مهمة له هو ذاته على نحو مهم ناجم عن المصادفة. يبدو هذا صحيحًا بالنسبة لحالة متسلق الجبال لديفيدسون (كما وصفها ديفيدسون في Davidson، 2001، 79)، وكذلك حالات "الهلوسة الصادقة veridical hallucination" (انظر مثلًا، Lewis، 1980)، وفي السياق الحالي قد نصف حالة مماثلة، وهي حالة "هلوسة-ذاكرية صادقة"، على النحو التالي:

> (عالِم أعصاب مجنون): قام عالِم أعصاب مجنون بتعطيل "جهاز التذكر الاسترجاعي" الفسيولوجي العصبي للشخص محل التجربة، لكنه تسبب في أن يمتلك هذا الشّخص خبرات من النوع ذاته بالضبط الذي كان سيمتلكه إذا كان في وضع يسمح له بتذكّر-R الأحداث الماضية المختلفة. هناك سلسلة سببية، من صنع عالِم الأعصاب، تربط بين الأحداث الماضية ذات الصلة والشّخص محل التجربة، ولكن بمجرد أن يتغير مزاج عالِم الأعصاب المجنون لن تعود كل الخبرات التي يمتلكها الشّخص من النوع الذي كان سيمتلكه إذا كان في وضع يسمح له بتذكّر-R ماضيه على الإطلاق.

يبدو من المعقول القول: إنَّ السلسلة السببية التي تتحقق، بفضل عالِم الأعصاب، بين الأحداث الماضية ذات الصلة والشّخص المعني الذي لديه حاليًا خبرات عن هذه الأحداث الماضية هي سلسة سببية منحرفة. يتفق معظم الناس على أن الحالات التي يقال: إنها تتميز بـ "السلاسل السببية المنحرفة" هي حالات يكون فيها الارتباط السببي ذي الصلة غير مناسب، في حين يتفقون

أيضًا على أنه في الحالات العادية الأخرى يجب عد الروابط السببية ذات الصلة مناسبة، وهذا بدوره يدعم الرأي القائل: إنه ينبغي التمييز بين الروابط السببية المناسبة وغير المناسبة (ومع ذلك، في الوقت ذاته من المقبول أيضًا على نطاق واسع أنه لم يتمكن أحد حتى الآن من تقديم إجابة واضحة على السّؤال المتعلق بمدى دقة هذا التمييز).

10. الالتزام بالمعايير الإبستيمية:

كيف يمكن مقارنة الحالات التي يكون فيها الشّخص منخرطًا بنشاط في ذكرياته-R بحالات السلاسل السببية المنحرفة هذه؟

من المؤكد أنه يبدو من المعقول القول: إنه على الأقل في بعض (وربما عديد) الحالات التي يكون فيها الشّخص مشاركًا بنشاط في ذكرياته-R ينبغي عدم عد الروابط السببية المعنية "سلاسل سببية منحرفة" بالمعنى الموصوف للتو. فمثلًا: عندما يعالج الشّخص، الذي يتذكر-R حدثًا ماضيًا، ذاكرته-R فيما يتعلق بمنظورها، فإن السلسلة السببية الناتجة لا يبدو بالتأكيد أنها تنطوي على أي عناصر للمصادفة. على العكس تمامًا في "تبديل المنظور"، حيث يلتزم الشّخص بمعايير محددة - أي: المعايير التي تنظّم المعالجة المكانية للتخيل الذهني المصممة بدورها للحفاظ على المعلومات بدقة في أثناء عملية التدخل. لكن طالما أن الشّخص لا يلتزم بمعايير "الحفاظ على المعلومات" هذه في أثناء معالجة ذكرى-R ما، يبدو أن الخبرة الناتجة عن التدخل ذي الصلة يجب أن يكون لها القيمة الإبستيمية ذاتها التي للذكرى-R الأصلية التي مارس عليها الشّخص عملية التدخل ذات الصلة في البداية.

ينبغي أن يساعدنا هذا بدوره في تقييم المقدمة (ج) في "الشاغل الإبستيمي" قد نؤيد هذه المقدمة، لكننا رأينا الآن أيضًا أن بعض التدخلات النشطة في الذكريات-R من جانب الشّخص المتذكِّر (مثل: تبديل المنظور لذكرى-R ما) لن تجعل العلاقات السببية ذات الصلة غير مناسبة. ومن ثم، على

الأقل فيما يتعلق ببعض حالات التدخل النشط في الذكريات-R من جانب المتذكِّر، فإن "القلق الإبستيمي" يمكن أن يتبدد.

بشكل عام، تشير الاعتبارات الحالية إلى أن التدخلات المعنية لن تشكّل تهديدًا للمنزلة الإبستيمية للذكريات-R كمصدر وأساس للمعرفة الجديدة حول الماضي طالما أن المشاركة النشطة للشخص فيما يتعلق بالذكريات-R يلتزم بالمعايير الإبستيمية ذات الصلة. في الواقع، طالما أن التدخل المعني محكوم بالمعايير الإبستيمية ذات الصلة، فإن التّداخل في الذّاكرة-R لا يجعل العلاقة السببية التي تتحقق بين الحدث (أو العملية، أو حالة الأمور) الماضي المتذكَّر-R والشّخص المتذكِّر غير مناسبة للخبرة التي هي نتيجة للتدخل حتى تُعد مصدرًا أو أساسًا للمعرفة الجديدة حول الماضي لدى الشّخص.

11. تحمّل المسؤولية:

إن ملاحظة أنه يمكننا أن نتبع، لكن قد لا نتبع، بعض المعايير الإبستيمية عند المشاركة بنشاط في ذكرياتنا-R تسلط الضوء بدورها على حقيقة أن كل واحد منا قد يتحمل أيضًا بعض المسؤولية عن الطرق التي نشارك بها، ولا نشارك بها، بنشاط في حياتنا الذهنية بشكل عام تمامًا، وذكرايتنا-R بشكل خاص. قد يلتزم الشّخص الذي يشارك بنشاط في ذكرياته-R بالمعايير المعنية، أو قد لا يلتزم، وطالما أنه يؤول بطريقةٍ ما إلى الشّخص ما إذا كان يلتزم أو لا يلتزم بتلك المعايير في أثناء معالجته لذكرياته-R، فإنه قد يتحمل أيضًا مسؤولية عن التدخلات ذات الصلة.

على سبيل المثال: فكر في حالة مات Matt:

(حالة مات): لدى مات تقدير منخفض جدًا لذاته، ويشعر بعدم الثقة في نفسه بالخصوص في حضور رئيسه، وهو يظن (خطأ) أن رأي رئيسه في عمله سلبي. يتذكر-R مات حاليًا اجتماعًا عقده مع رئيسه الأسبوع الماضي، وفي حين يتذكر-R مات في البداية بدقة ابتسامة رئيسه العريضة

والمتحمسة كرد فعل على بعض اقتراحاته، ينغمس أكثر في المقابلة، ويعالج ذاكرته-R الأصلية و"يضع فوقها" الخبرات التخيلية التي تماثل خبرة أن رئيسه ينظر إليه بخيبة أمل.

إن الخبرة الناتجة - خبرة مكتب رئيسه، وجلوسهما معًا على مكتبه، ونظرته إليه بخيبة أمل - دقيقة في معظم المناحي، ولكن ليس فيما يتعلق بتعبيرات وجه رئيسه.

يمكننا بسهولة تقديم تفسيرات نفسية للسبب الذي يجعل مات يعالج ذاكرته-R على النحو الموصوف أعلاه - فقد نقول: إنَّ تقديره المتدني لذاته هو ما يدفعه إلى البحث، إن لم يكن متاحًا، عن تلفيق دليل (واضح) لدعم اعتقاده أن رئيسه ينتقده بشدة، ومن ثم، فإن تدني تقديره لذاته هو ما يدفعه إلى تخيل رئيسه ينظر إليه بخيبة أمل، على الرغم من أن رئيسه في الواقع كان يبتسم له بحماس في ذلك الوقت. ومع ذلك، يبدو أيضًا من المعقول قبول أنه من الاستهتار بالمسؤولية إبستيميًا أن يستسلم مات لإغراء معالجة ذاكرته-R بهذه الطريقة. فمن أجل أن نستخدم ذكرياتنا-R استخدامًا إبستيميًا، نحتاج إلى التأكد من أن ذكرياتنا-R ما زالت دقيقة. ومن ثم، فإن أحد المعايير التي ننظم بها عادة مشاركتنا النشطة في ذكرياتنا-R هو القاعدة التي تنص على أنه يجب على المرء ألا يُدخل الأكاذيب من خلال التخيل في ذكرياته-R. ومات قد انتهك هذا المعيار، الشيء الذي يمدنا بسبب للقول: إن مشاركته النشطة في ذاكرته-R مستهترة إبستيميًا[18]. وبشكل أعم، تشير الاعتبارات الحالية إلى أنه في حين أن الذكريات-R يمكن أن تكون مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة المتعلقة بالماضي

(18) وفق معظم الرؤى المتعلقة بالمسؤولية، فإن إسناد المسؤولية إلى مات يفترض مسبقًا أن مات يمكن أن يكون، ويكون، بطريقةٍ ما "مشاركًا بنشاط" في كيفية تطوير حياته الذهنية في السياق المناسب، وبالفعل، على افتراض أن مات هو إنسان ناضج معافى، أظن أن هذا الافتراض المسبق معقول. لا يوجد مجال لقول المزيد عن هذا هنا، لكنني بحثت قدرتنا على المشاركة بنشاط في حياتنا الذهنية بشكل عام بتفاصيل أكبر بكثير في Debus (2016). (أشكر دينيس بيرين على حثه على كتابة التعليق الحالي).

لدى الشّخص المتذكِّر-R، فإن الذكريات عمومًا، والذكريات-R خصوصًا، هي أيضًا هشة جدًا (Schacter، 1996). وهكذا، كي تزودنا الذكريات-R بمصدر وأساس للمعرفة الجديدة المتعلقة بالماضي، لا بد أن نُظهر، عندما نشارك بنشاط في ذكرياتنا-R، حساسية كبيرة في مواجهة هشاشتها. وكي نستخدم ذكرياتنا-R أي استخدام إبستيمي من المهم عدم الانخراط في أنشطة تخيلية استعادية "تسُدّ" الماضي عن وعينا الحالي. وإنما علينا أن نتأكد من أننا نظل "مستقبلين" للماضي في الذّاكرة-R، ومن أننا ندع الماضي "يهاجمنا" عندما نتذكر-R الأحداث (أو العمليات أو حالات للأمور) الماضية. أما السّؤال المتعلق بالكيفية الدقيقة لقدرة الأشخاص على إظهار هذه الحساسية، وتحمل المسؤولية الإبستيمية المعنية، عند المشاركة بنشاط في ذكرياتهم-R (وحياتهم الذهنية الأوسع) فلا بد أن ينتظر مناسبة أخرى.

في الوقت الحالي، يمكننا أن نستنتج أن سمة السلبية المميزة للذكريات-R تمدنا بسبب للقول: إن الذكريات-R يمكن أن تكون (أحيانًا) مصدرًا وأساسًا للمعرفة الجديدة عن الماضي، وأن الأشخاص أيضًا يشاركون بنشاط في ذكرياتهم-R، لكن نظرًا لأن الذكريات-R هشة، فإنه من المهم أن يلتزم الأشخاص بالمعايير الإبتسمية ذات الصلة وأن يتحملوا المسؤولية الإبستيمية عندما يشاركون بنشاط في ذكرياتهم-R، بحيث يمكن للذكريات-R ذات الصلة أن تستمر في أداء دورها الإبستيمي[19].

---

(19) ما كان عملي على المادة المقدمة هنا ممكنًا لولا منحة سخية من مشروع "فلسفة وعلم التحكم-الذاتي Philosophy and Science of Self-Control" في جامعة فلوريدا، برعاية مؤسسة جون تمبلتون ومديرها ألفريد ميلي Al Mele؛ والآراء المعبر عنها هنا هي آرائي. أنا ممتنة جدًا لمؤسسة جون تمبلتون، ولا سيما ألفريد ميلي، على دعمهما. قُدمت نسخ من هذه الورقة في ورش عمل ومؤتمرات في: غرونوبل، وأوتاغو، وكامبردج، وكولونيا، وروما، وأنا ممتنة للعديد من الأسئلة والتعليقات التي أفادني بها المستمعون في تلك المناسبات. أتوجه بالشكر الجزيل أيضًا إلى مؤسسة ألكسندر فون همبولت Alexander von Humboldt Foundation التي منحتني زمالة تمكنت خلالها من إعداد المسودة النهائية لهذه الورقة.

المراجع:

Bernecker, S. (2010). *Memory: A philosophical study*. Oxford: Oxford University Press.

Bernecker, S., & Grundmann, T. (2017). Knowledge from forgetting. *Philosophy and phenomenological research*. doi: 10.1111/phpr.12469

Davidson, D. (2001). Freedom to act. In *Essays on actions and events* (pp. 63-81). Oxford: Clarendon Press.

Debus, D. (2007). Perspectives on the past: A study of the spatial perspectival characteristics of recollective memories. *Mind and Language, 22*, 173-206.

Debus, D. (2008). Experiencing the past: A relational account of recollective memory. *Dialectica, 62*, 405-432.

Debus, D. (2016). Shaping our mental lives: On the possibility of mental selfregulation. *Proceedings of the Aristotelian Society, 116*, 341-365.

Debus, D. (2017). Memory causation. In S. Bernecker and K. Michaelian (Eds.), *The Routledge handbook of the philosophy of memory* (pp. 63-75). London: Routledge.

Dummett, M. (1996). Testimony and memory. In *The seas of language* (pp. 411- 428). Oxford: Oxford University Press.

Eilan, N. (1998). "Perceptual intentionality, attention and consciousness." In A. O'Hear (Ed.), *Current issues in philosophy of mind* (pp. 181-202). Cambridge: Cambridge University Press.

Lackey, J. (2005). Memory as a generative epistemic source. *Philosophy and Phenomenological Research, 70*(3), 636-658.

Lehrer, K., & Richard, J. (1975). Remembering without knowing. *Grazer Philosophische Studien, 1*, 121-126.

Lewis, D. (1980). Veridical hallucination and prosthetic vision. *Australasian Journal of Philosophy, 58*, 239-249.

Martin, C. B. and Deutscher, M. (1966). Remembering. *Philosophical Review 75*, 161-196.

Martin, M. G. F. (2001). Out of the past: Episodic recall as retained acquaintance. In C. Hoerl and T. McCormack (Eds.), *Time and memory. Issues in philosophy and psychology* (pp. 257-284). Oxford: Oxford University Press.

Martin, M. G. F. (2002). The transparency of experience. *Mind and Language, 17*, 376-425.

McCarroll, C. J. (2017). Looking the past in the eye: Distortion in memory and the costs and benefits of recalling from an observer perspective. *Consciousness and Cognition, 49*, 322-332.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge, MA: MIT Press.

Rice, H. J., & Rubin, D. C. (2009). I can see it both ways: First- and third-person visual perspectives at retrieval. *Consciousness and Cognition, 18*, 877-890.

Schacter, D. L. (1996). *Searching for memory*. New York: Basic Books.

Sellars, W. (1997). *Empiricism and the philosophy of mind*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Shoemaker, S. (1967). Memory. In P. Edwards (Ed.), *The encyclopedia of philosophy* (pp. 265-274). New York & London: Palgrave Macmillan.

Shoemaker, S. (1970). Persons and their pasts. *American Philosophical Quarterly, 7*, 269-285.

Sutton, J. (2010). Observer perspective and acentred memory: Some puzzles about point of view in personal memory. *Philosophical Studies, 148*, 27-37.

Tulving, E. (1983). *Elements of episodic memory*. Oxford: Clarendon Press.

الجزء الثالث

البُعد الانفعالي للذاكرة

الفصل السابع

الذّاكرة الانفعالية

قليل من العون من خيالنا[1]

مارغريتا أركانجلي Margherita Arcangeli وجيروم دوكيتش Jérôme Dokic

1. مقدمة: لغز الذّاكرة الانفعالية:

كثيرًا ما يحدث أنه عندما نتذكر موقفًا ماضيًا، فإن المضمون العاطفي للأخير يظهر في شكل معدَّل على المستوى الفينومينولوجي لذاكرتنا الحالية. وعندما يحدث ذلك، فإننا نختبر ما يُسمى أحيانًا: "الذّاكرة الانفعالية affective memory".

لقد اختلف منظّرو الذّاكرة حول الذكريات الانفعالية[2]. إذ يزعم المدافعون عن وجود الذكريات الانفعالية أن هناك فئة خاصة من الظواهر العاطفية التي يمكن أن تشارك في التذكر. ووفق وجهة النظر هذه، هناك طريقة عاطفية لتذكر

---

(1) نشكر كريستوف هويرل Christoph Hoerl والحَكم المجهول على التعليقات المفيدة جدًا على نسخة سابقة من هذا الفصل. إن مؤسسة ألكسندر فون هومبولت هي من قامت بتمويل مارغريتا أركانجلي.

(2) كان وجود الذكريات الانفعالية الحقيقية في قلب المجادلات الساخنة في الفلسفة وعلم النفس في مطلع القرن العشرين. انظر Trakas (2015، الفصل الخامس) للاطلاع على وصف تاريخي ونظري مفيد. كما أشارت، كان ثيودول ريبوت Théodule Ribot، ومارسيل ماوكسيون Marcel Mauxion، وفرانسوا بيلون François Pillon، وفريديرك بولهان Frédéric Paulhan، ولودفيك دوغاس Ludovic Dugas، وبول سولبير Paul Sollier، وإرنست هاينريش فيبر Ernst Heinrich Weber من بين المدافعين عن وجود الذكريات الانفعالية، في حين كان من المشككين في وجودها وليام جيمس، وهارالد هوفدينغ Harald Hffding، وإدوارد برادفورد تيشنر Edward Bradford Titchener، وإدوارد كلاباريد édouard Claparède. بالطبع نحن لا نريد أن نوحي بأن كل هؤلاء المؤلفين كانوا يركزون على ظاهرة واحدة. وإنما كانت المسألة الأعم هي طبيعة العلاقة بين الذّاكرة والعاطفة.

موقف ماضي، سواء أكان هذا الأخير قد أثار فعلًا (أو يُتذكَّر أنه أثار) استجابة عاطفية من جانب الشّخص أم لا.

في المقابل، يجادل المشككون في الذكريات الانفعالية بأن العلاقة بين الذَّاكرة والعاطفة يمكن أن تكون من نوعين فقط: إما أن تكون الذَّاكرة حول عاطفة سابقة، وإما أن تسبب عاطفة حاضرة (انظر Debus، 2007). في الحالة الأولى، تكون العواطف جزءًا مما نتذكره. فمثلًا: تتذكر ماريا Maria أنها كانت حزينة، أو أنها كانت فعلًا حزينة، بالأمس. وفي الحالة الأخيرة، تتذكر ماريا عملية قناة الجذر التي أجرتها بالأمس وتشعر الآن بالارتياح؛ لأن العملية قد انتهت. وتسبب ذكراها للعملية في شعور إيجابي منفصل داخلها. في هذا التصور، لا مكان لفئة الذكريات الانفعالية.

إنَّ هذا الفصل هو دفاع عن الذَّاكرة الانفعالية كظاهرة ذهنية أصيلة. وزعمنا الرئيس هو أن الذَّاكرة الانفعالية هي حالة من الذَّاكرة الاستطرادية التي يُمثَّل فيها الموقف الماضي من خلال استخدام خاص للخيال. فعندما نتذكر موقفًا من الماضي، غالبًا ما نعيش الموقف من جديد تخيليًا كما لو كان حاضرًا. بمعنى آخر: نحن نمثل الموقف من منظور ذهني محدد، وقد يختلف عن منظورنا الحالي الفعلي. واعتمادًا على مفهوم بيتر غولدي Peter Goldie للسرديات الذهنية، نُظهر أنه يجب التمييز بين ثلاثة مستويات من المنظورات (القسم الثاني): منظور الشّخص الممثَّل (الشّخصية character، إن وُجدت)، ومنظور الشّخص الممثِّل (المؤلِّف)، والمنظور الوسيط للسارد. وفي كثير من الحالات، يظل السارد افتراضيًا، ولا يتحقق سوى طريقة محددة لتمثيل الموقف. فمثلًا، يمكن أن تمثل السرديات المختلفة حقًا الموقف ذاته بطرق ذهنية مختلفة. أو بعبارة فتغنشتاين، عالَم الرجل السعيد يختلف عن عالم الرجل التعيس (Wittgenstein، 1961، 6,43).

بمجرد الاعتراف بالطابع ثلاثي المنظور للسرديات الذهنية، يمكن وصف العديد من الظواهر الذهنية من حيث العلاقات الاعتمادية بين المنظورات. ما

نسميه "الانغماس القوي strong immersion" ينطوي على ما محاذاة بين كل المنظورات الثلاثة. وفي المقابل، يشير "الانغماس الضعيف weak immersion" إلى الحالات التي يحدث فيها محاذاة لمنظور السارد ومنظور الشّخصية. هناك عدوى عاطفية تحدث عندما "يقبض" المؤلف على عواطف السارد، في حين تُظهر المقاومة التخيلية الاتجاه المعاكس للتأثير، أي: إن منظور المؤلف يحدّ من منظور السادر (القسم الثالث). ومع ذلك، فإن المحاذاة ليست سوى كيفية modality واحدة للاعتمادية. ففي بعض الأحيان، يمكن إقران منظور ما بمنظور آخر على الرغم من عدم وجود محاذاة بينهما. عندما نستخدم خيالنا لنكتشف ما هو ممكن أو غير ممكن في موقف محدد (على سبيل المثال: ما إذا كانت أريكتنا الجديدة تناسب غرفتنا المعيشية)، فإن منظور المؤلف يتقيد بمنظور السارد (القسم الرابع).

إن الذكريات الانفعالية هي على وجه التحديد حالات يكون فيها للمنظور العاطفي للسارد آثار مباشرة على المنظور العاطفي للمؤلف، حتى لو كان الأول يختلف نموذجيًا عن الأخير (القسم الخامس). ويتضمن التَّفكير المستقبلي الاستطرادي، أي: القدرة على تخيل المواقف المستقبلية المحتملة ذاتيًا بالتفصيل، أيضًا تخيلات مقيدة بهذا المعنى (القسم السادس). أيًا ما كان التفسير المقدم لعدم التساوقية asymmetry بين الذَّاكرة الاستطرادية والتَّفكير المستقبلي الاستطرادي، فإن نقطتنا الرئيسة لا تزال قائمة، وهي أن الذكريات الانفعالية حقيقية ولا يمكن اختزالها في ذكريات عن العواطف الماضية أو الذكريات التي تسبب العواطف الحالية.

2. المنظورات في السرديات: تقرير ثلاثي الجوانب:

1.2 مفهوم المنظور الذهني:

تُقدِّم أي حالة ذهنية ذات محتوى تمثيلي منظورًا ذهنيًا للموقف الممثَّل. ويمكن لمفهوم المنظور الذهني، أو المنظور باختصار، أن يشير إلى ثلاثة أنواع على الأقل من السمات (Goldie، 2003؛ 2012):

أولًا: يمكن أن يكون المنظور مفاهيميًا، بمعنى أن الموقف يُمثَّل بمفاهيم أكثر أو أقل تعقيدًا. فمثلًا: يمكننا التَّفكير في شكل هندسي محدد على أنه ألفي الأضلاع (له 1000 ضلع)[3] أو مجرد مضلع معقد.

ثانيًا: يمكن للمنظور أن يكون إبستيميًا، بمعنى أن تمثيل موقف ما منظور محدد قد يتطلب بعض الوصول المؤدي إلى المعرفة إلى الموقف. والمنظورات البصرية إبستيمية؛ لأن الإدراك البصري يفضي إلى المعرفة، فهو يمكّن من المعرفة، لا مجرد تمثيل الموقف فحسب.

ثالثًا: يمكن في نهاية المطاف، أن يكون المنظور عاطفيًا، بمعنى أنه يعكس تقييمًا انفعاليًا محددًا للموقف. إذ إننا نشعر على سبيل المثال بالحزن حيال موقفٍ قد يشعر الأشخاص الآخرون تجاهه بعدم الاهتمام، أو حتى بالسعادة.

تُحدَّد سمات المنظور إما من خلال نمط الحالة الذهنية (الموقف النفسي psychological attitude)، وإما من خلال محتواه التمثيلي وتُحدَّد السمة المفاهيمية بوضوح بالمحتوى الذي تكون مكوناته هي المفاهيم ذات الصلة أو تتضمنها. في المقابل، تُحدَّد السمات الأخرى، الإبستيمية والعاطفية، من خلال النمط. يختلف منظورنا الإبستيمي عندما نعرف حالة محددة للأمور أو نكتفي بتخمينها، لكن التمثيل المعني يمكن أن يكون هو ذاته. وبالمثل، يختلف المنظور العاطفي عندما يكون المرء حزينًا أو سعيدًا بشأن موقف محدد ممثَّل.

يمكن أن تكون المنظورات الذهنية إما حقيقية وإما محاكاة، فعندما تشعر ماريا بالسعادة لفوزها في مباراة التنس، يتحدد المنظور العاطفي للموقف الممثَّل بحالة السعادة الحقيقية التي لديها. الآن يمكن أيضًا محاكاة نوع من الحالة الذهنية أو "إعادة خلقه" عبر الخيال (انظر Currie & Ravenscroft، 2002،

---

(3) المضلع الألفي (chiliagon) في الهندسة هو مضلع له ألف ضلع، واستخدمه الفلاسفة قديمًا وحديثًا تفريقيًا عادة، أي: لتحديد أوجه الاختلاف بين التمثيلات أو المنظورات (المترجم).

وللاستكشاف التصنيفي لأنواع الحالات الذهنية المُعاد خلقها في الخيال، (Dokic and Arcangeli, 2015a). وبصفة سام Sam خصمًا لماريا، لا يشعر بالسعادة بشأن تلك المباراة، ولكن يمكنه تخيل سعادة ماريا. وبالخيال، يعيد سام خلق حالة من السعادة يعزوها (عن حق، في هذه الحالة) إلى ماريا. تتضمن حالة المحاكاة هذه منظورًا عاطفيًا محددًا، ويختلف عن المنظور العاطفي الذي قدّمته الحالة الذهنية الفعلية لسام التي يمكن أن تكون مثلًا: حالة غضب من خسارة المباراة. لاحظ أنَّ مشاعر سام لها أسس معرفانية مختلفة، فسعادته المحاكاتية تنشأ من تخيله للعالَم وفق ماريا، في حين أن غضبه الحقيقي ينبع من اعتقاده أنه خسر المباراة.

حتى بين الفلاسفة المتعاطفين مع الرأي العام القائل بإمكانية إعادة خلق الحالات الذهنية بالخيال، هناك إشكالية محددة حول طبيعة العواطف المعاد خلقها. إذ يجادل بعضهم بأن العواطف المُعاد خلقها هي عواطف عادية (Carroll, 1990; Currie & Ravenscroft, 2002; Weinberg & Meskin، 2006)، في حين يزعم آخرون أنها عواطف خيالية في جوهرها أو عواطف من نوع "كما لو" (Goldman, 2006; Velleman, 2000; Walton، 1994). يمكننا أن نظل محايدين بشأن هذه المسألة هنا. إذا كانت العواطف المعاد خلقها هي عواطف عادية، فيجب أن نسمح لفاعل عقلاني أن يكون في حالات عاطفية عدة في وقت واحد (بشرط أن تكون أسسها المعرفانية متميزة)، أو على الأقل على التوالي في سياق سرد خيالي ديناميكي.

المنظورات الخارجية في مقابل المنظورات الداخلية:

يمكن وصف الحالات الذهنية التمثيلية، بقدر ما تكون منظورية، على أنها سرديات ذهنية (Goldie، 2003؛ 2012). إذ يتضمن السرد الذهني منظورًا ما حول ما يُمثَّل، ولكن لا يلزم أن يكون سرديًا - وإذا كان كذلك، فستكون النتيجة سردًا لغويًا، أي قصة عن العالَم الممثَّل. على عكس السرديات اللغوية،

التي هي قضايا أو عبارات، لا تحتاج السرديات الذهنية إلى حاملات لغوية أو محتويات مفاهيمية[4].

أشار بيتر غولدي إلى أن جميع السرديات تتضمن نوعين من المنظورات، ويطلق عليهما: "الخارجي"، و"الداخلي":

إن السردية، سواء أُسردت أم لا، تتضمن دائمًا منظورًا خارجيًا، وأي منظور خارجي يختلف بالضرورة عن أي منظور داخلي. هذا هو الحال حتى عندما يكون المنظوران، كما في التذكر السيري-الذاتي، لنفس الشّخص (Goldie, 2003 ص. 310-311).

إن مفهوم المنظور الداخلي واضح على نحو معقول، فبعض السرديات تقدم الشّخصيات التي يُجرى تمثيلها على أنها تتمتع بحالات ذهنية مختلفة، على أنها سعيدة مثلًا. والمنظورات الذهنية التي لدى الشّخصيات للموقف الممثَّل هي منظورات داخلية. في المقابل، فإن فكرة غولدي عن المنظور الخارجي أعقد، إذ يبدو أنه يشير إلى منظور مؤلف السرد. إذا تذكّر سام موقفًا سابقًا كان سعيدًا فيه، فإن المنظور الخارجي هو المنظور الحالي للشخص المتذكِّر. ويختلف عن المنظور الداخلي الذي امتلكه سام في الماضي. فمثلًا: قد يشعر سام بالحنين حاليًا لتذكر سعادته كشاب بالغ. تختلف هذه المنظورات العاطفية، كما أشار غولدي، حتى لو كان الشّخص نفسه يمتلكها، أي: سام. إن سام هو مؤلف وشخصية ذاكرته.

لا إشكال حتى الآن. لكن غولدي يُعرِّف أيضًا المنظور الخاجي على أنه «منظور خارجي للأفعال والأحداث التي تُسرَد» (Goldie, 2003، ص. 302). الآن نحن نريد أن نقترح أن منظور المؤلف ليس هو المنظور الخارجي الوحيد بهذا المعنى. فكّر في ذكريات المراقب (في مقابل الذكريات الميدانية، انظر

---

(4) إن الدور التفسيري أو التوضيحي على الأقل لمفهوم السرد في تقرير الحالات الذهنية التمثيلية قد أقرّ به العديد من المؤلفين، ومنهم ريكور Ricoeur (1983) وولهايم Wollheim (1948).

القسم 1.3، Nigro & Neisser, 1983; Suttonو، 2010). تمثل ذاكرة المراقب الموقف الماضي من وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر الماضية للشخص وتشتمل عليها، فمثلًا: يتذكر سام آخر مرة تسلق فيها جبله المفضل، ومن خلال تبني وجهة نظر ملاحظ افتراضي، يمكنه رؤية نفسه يتسلق من الجانبين أو من الخلف بطريقةٍ ما. في هذه الحالة، يجب التميز بين ثلاثة مناظير إبستيمية:

أولًا: هناك المنظور الداخلي للسرد، أي: المنظور البصري الذي كان لدى سام في الموقف الماضي.

ثانيًا: هناك المنظور البصري الجانبي للسارد الذي يختلف عن المنظور الداخلي. ثالثًا: هناك منظور إبستيمي حالي لسام (المؤلف) الذي يختلف بوضوح عن كل من منظور الشّخصية ومنظور السارد.

في المثال السابق، لا بد أن يكون لدى سام منظور المؤلف ومنظور الشّخصية بالضرورة. فماذا عن منظور السارد؟ نحن نتعاطف مع الرأي القائل: إن منظور السارد يمكن أن يكون فارغًا، على الرغم من أنه محل نزاع. تتضمن ذاكرة سام إعادة خلق خبرة بصرية كان من الممكن أن يتمتع بها شخصٌ ما في الماضي، لكن لا يلزم أن تُنسب هذه الخبرة البصرية إلى أي شخص حقيقي في الماضي أو في الحاضر. فكّر على سبيل القياس في مثال بيركلي Berkeley الشهير، حيث يحاول الشّخص أن يتخيل بصريًا شجرة غير مرئية. في كل من الحالتين (على الرغم من رأي بيركلي نفسه)، يُمثِّل الموقف من منظور بصري لا يمتلكه أحد[5]. علاوة على ذلك، فإنَّ حقيقة أنَّ منظور السارد في ذاكرة سام فارغ تدل على أن ذكريات المراقب لا يلزم أن تكون ذكريات مشوَّهة (خلافًا لـ Fernndez، 2015). ربما يكون المنظور البصري ذو الصلة نفسه متاحًا في الموقف السابق، حتى لو لم يكن لدى أي مراقب حقيقي الخبرة ذات الصلة. من

(5) للدفاع عن إمكانية وجود منظورات بصرية ليست لأحد في الخيال، انظر: وليامز Williams (1976)، ونوردهوف Noordhof (2002)، ودوكيتش وأركانجلي Dokic and Arcangeli (2015b)). ولمناقشة نقدية، انظر بيكوك Peacocke (1985) ومارتن Martin (2002).

حيث المبدأ، يمكن أن تكون ذكريات المراقب صادقة تمامًا (للاطلاع على نقطة مماثلة، انظر McCarroll، 2017).

يوضح مثال ذكريات المراقب أننا يجب أن نتجاوز غولدي ونعترف بمنظورين "خارجيين" بجانب المنظور الداخلي للسرد. إن منظور السادر خارجي بالنسبة إلى الشّخصية، لكنه لا يزال داخليًا، إذا جاز التعبير، بالنسبة للسرد ذاته. يوجد الآن منظور خارجي لكل من السارد والشّخصية، أي: منظور المؤلف. ومن أجل البحث، دعونا نسمِّ هذه المنظورات الثلاثة[6]:

المنظور الأول 1P: منظور الشّخصية (الشّخص الممثَّل).

المنظور الثاني 2P: منظور السارد (طريقة التمثيل).

المنظور الثالث 3P: منظور المؤلف (الشّخص الممثِّل).

على الرغم من أن منظور المؤلف ومنظور السارد متميزان تصوريًا على الأقل، إلا أنهما لا يختلفان دائمًا. فالخبرة البصرية أو الاعتقاد، مثلًا، لا تتضمن منظور السارد متميزًا عن منظور المؤلف. نقترح أن ينبثق منظور السارد كمنظور متميز فقط عندما يعيد المؤلف خلق حالة ذهنية لا تُنسب إلى الشّخصية. ويترتب على ذلك أن 2P يختلف عن 3P فقط عندما تكون الحالة الذهنية تخيلية أو تنطوي على تخيل. على الرغم من أننا لا نعتقد أن الذكريات تخيلات (خلافًا لـ Hopkins، يصدر قريبًا)، إلا أن من الواضح أن بعض الذكريات تنطوي على الخيال أو تعتمد عليه. وذاكرة المراقب لدى سام هي مثال على ذلك. فهي تنطوي على تخيل ماريا من منظور بصري يشمل سام نفسه أيضًا.

بالطبع يُظهر مثال ذاكرة المراقب لدى سام فقط أن سردًا واحدًا يمكن أن يتضمن ثلاثة منظورات إبستيمية متميزة، وسنقترح أن المفهوم الطموح للذاكرة الانفعالية يسير جنبًا إلى جنب مع إمكانية أن تتضمن الذّاكرة ثلاثة منظورات عاطفية متميزة. وبالتالي، قد يقبل القارئ وصفنا لذاكرة المراقب الخاصة بسام،

(6) لقد قدمنا وصفًا أوليًا لهذه المنظورات في Arcangeli and Dokic (2015).

ولكنه يصر على أنه لا يمكن إعطاء أي مثال لسرد واحد يتضمن ثلاثة منظورات عاطفية متميزة. فمثلًا: قد يرغب القارئ في المجادلة بأن المنظور العاطفي للسارد يمكن اختزاله في منظور المؤلف أو المنظور العاطفي للشخصية. فعندما تتعلق ذكرى بموقف سعيد، فإن سعادة السارد قد تنتمي فقط إلى الشّخصية، بمعنى أن الشّخص لا يلزم أن يكون سعيدًا حاليًا، ولكن يمكنه تمثيل الموقف من وجهة نظر انفعالية في الماضي. وعندما لا تنتمي سعادة السارد إلى الشّخصية (لأن الشّخص لم يكن سعيدًا في الموقف الماضي)، فقد لا تكون سوى سعادة المؤلف، أي: إن الشّخص يسعد بتذكر الموقف الماضي.

من المُسلّم به أنَّ فكرة وجود فجوة منظورية عاطفية ثلاثية الاتجاه هي فكرة مثيرة للجدل، وتحتاج إلى أن يُدافَع عنها بعناية. وفي الأقسام التالية سنناقش حالات السرديات الذهنية التي تنطوي على علاقات محاذاة مختلفة أو أنواع أخرى من علاقات الاعتماد بين المنظورات العاطفية. ثم نعود إلى مفهوم الذّاكرة الانفعالية ونقترح تعريفًا يقوم على الاعتمادية، ولكن ليس المحاذاة، بين المنظور العاطفي للسارد والمنظور العاطفي للمؤلف.

3. الانغماس التخيلي والمحاذات المنظورية:

1.3 الانغماس القوي في مقابل الانغماس الضعيف:

إنَّ أشد أشكال المُحاذاة جذرية هو ما نطلق عليه "الانغماس القوي". في الانغماس القوي، تكون كل المنظورات الثلاثة (1P، و2P، و3P) في علاقة محاذاة، بحيث يبدو أن الشّخص يعايش الموقف الممثَّل. في مجال الذّاكرة، قد يوضح ما يسمى بـ: "ذكريات الومضة flashbulb memories" مثل هذه المحاذاة (Conway، 1995). فعندما تكون لدى المرء ذكرى ومضية لمشهد سابق (غالبًا ما تكون محمّلة عاطفيًا)، يكون لدى المرء انطباع بأنه يعيد معايشة المشهد فعلًا - يُمثِّل الماضي على نحو خاطئ على أنه حاضر، إذا جاز التعبير. بعبارة أخرى: يُخدَع المتذكر مؤقتًا في امتلاك الخبرة المعاد خلقها فعليًا.

أما الشكل الأبسط من المحاذاة، فيتعلق فقط بمنظور السارد (2P) ومنظور الشّخصية (1P). إذ يُمثَّل الموقف من وجهة نظر الشّخصية حصرًا، في حين يظل منظور المؤلف متميزًا. وعندما تكون هناك هذه المحاذاة للمناظير بدون انغماس قوي يجب أن نقول: إن المتذكِّر منغمس على نحو ضعيف في منظور الشّخصية.

يمكن توضيح فكرة الانغماس الضعيف الجوهرية هنا من خلال مفهوم الذكريات الميدانية (Nigro & Neisser, 1983; Sutton، 2010). فعلى عكس ذكريات المراقب، فإن الذكريات الميدانية هي حالات يُتذكَّر فيها الموقف الماضي من وجهة النظر الأصلية للمتذكِّر. كما رأينا في القسم الأخير، توضح ذكريات المراقب الفجوة الإبستيمية بين منظور السارد ومنظور الشّخصية: منظور السارد (2P) هو منظور المراقب الافتراضي، وهو يختلف عن منظور الشّخصية (1P)، الذي هو المنظور الذي كان لدى المتذكِّر في الماضي بالفعل. في المقابل، تتميز الذكريات الميدانية بمحاذاة بين هذه المنظورات: إذ الموقف الماضي يُمثَّل من وجهة نظر شخصيته الرئيسية، المتذكِّر نفسه. لا يوجد هنا انغماس قوي؛ لأن منظور المؤلف ليس في محاذاة مع المنظور الذي يتشاركه السارد والشّخصية. ويكون المتذكِّر منغمسًا على نحو ضعيف في منظوره الماضي لنفسه.

إلى جانب الانغماس القوي والضعيف، هناك مثالان آخران على المحاذات المنظورية جديران بالمناقشة، وهما: العدوى العاطفية، والمقاومة التخيلية اللذان يمكن وصفهما أيضًا بتقريرنا الثلاثي.

2.3 العدوى العاطفية[7]:

في تقريرنا، هناك عدوى عاطفية عندما "يقبض" الشّخص صاحب التمثيل على نحو غير عقلاني على عاطفة السارد الافتراضية، أي: عندما يصبح 2P هو 3P

(7) نحن نركز على حالات العدوى العاطفية التي تنشأ فيها العواطف من الخيال (التي قد ترتبط أو لا ترتبط بالذاكرة). أما مسألة ما إذا كانت العدوى العاطفية تنطوي دائمًا على الخيال (على عكس، مثلًا، الإدراك)، فيمكننا تركها مفتوحة هنا.

من خلال الخلط بين الموقف الممثَّل لدى الشّخص والموقف الفعلي (أو الحاضر). وهناك مثال مشهور ودرامي على العدوى العاطفية في قصة غوستاف شواب Gustav Schwab المشهورة "الفارس وبحيرة كونستانس Horseman and the Lake of Constance" (التي ذكرها فرويد لاحقًا في رسالته إلى مينا بيرنايز Minna Bernays[8]، إذ يعبر فارس ليلًا بحيرة كونستانس المتجمدة دون أن يعرف أنها كذلك. وعندما يصل إلى الشاطئ المقابل، ويخبره أحد القرويين من أين أتى، يموت رعبًا. في هذه القصة، يبدأ الفارس بتذكر (أو ربما مجرد تخيل) موقف سابق من وجهة نظر سارد افتراضي مذعورًا من حقيقة أن ما يبدو كأرض مغطاة بالثلج هو في الواقع بحيرة بها طبقة رقيقة من الجليد. بعد ذلك، يختبر الفارس بالفعل خوف السارد. هذه العدوى العاطفية بالطبع غير عقلانية أو على الأقل غير مناسبة، لأن الفارس أصبح الآن على أرض آمنة، بحيث لا يوجد ما يخشاه حاليًا.

لاحظ أن 3P ملوّث بـ 2P وليس بـ 1P: فمنظور الشّخصية نفسها ليس هو الذعر، وإنما التركيز والعزم على إيجاد مكان للراحة. قد يتساءل المرء عما إذا كانت حالات العدوى العاطفية الأخرى تنطوي على تلوث لـ 3P بـ 1P. فمثلًا: تصبح ماريا حزينة بمجرد تخيل شخصٍ ما (ربما هي نفسها) حزين. ومع ذلك، فإننا نحدس بأن العدوى العاطفية يتوسطها دائمًا منظور السارد الافتراضي، أي: 2P. في السيناريو الأخير، تصبح ماريا حزينة بتخيل شخص حزين فقط؛ لأن السارد الافتراضي يرسم الموقف المتخيل باللون الأسود، بحيث يكون 3P ملوثًا بـ 2P في النهاية الذي يتناسب في هذه الحالة عاطفيًا مع 1P.

ما العلاقة بين العدوى العاطفية ونوعي الانغماس اللذين قدمناهما سابقًا؟ بقدر ما لا تعتمد العدوى العاطفية على نحو مباشر على منظور الشّخصية (1P)، تكون متوافقة مع الانغماس القوي، لكنها لا تستلزمه. فمثلًا: توضح الذكريات الومضية المحمّلة عاطفيًا العدوى العاطفية والانغماس القوي. على النقيض من

(8) أعيد نسخ رسالة فرويد في مختارات لونغفلو Longfellow (2011).

ذلك، فإن العدوى العاطفية غير متوافقة على نحو مبتذل مع الانغماس الضعيف؛ لأن الجمع بينهما يعني ضمنًا انغماسًا قويًا (انهيار كل المنظورات الثلاثة).

3.3 المقاومة التخيلية:

لاحظ هيوم في كتابه "معيار الذوق Of the Standard of Taste" (1757) كما هو مشهور أنه من الصعب على نحو شخصي تخيل مواقف لا تتوافق مع المنظور الأخلاقي الفعلي للمرء. فمثلًا: قد نشعر بعدم الارتياح عند تخيل عالَم يُسمح فيه أخلاقيًا بوأد الأطفال (Walton, 1994; Moran, 1994; Gendler Szabó، 2000). وكما افترضنا في العدوى العاطفية، نفترض أن المقاومة التخيلية تنطوي على مسامية porosity بين منظور صاحب التمثيل (3P) ومنظور السارد (2P). ومع ذلك، هناك نوعان من الاختلافات المهمة:

أولًا: اتجاه التأثير مختلف. فبينما العدوى العاطفية تنطوي على تلوث لـ 3P بـ 2P، فإن المقاومة التخيلية تنطوي على تلوث لـ 2P بـ 3P. إذ تؤثر المعتقدات الأخلاقية للشخص المتخيِّل في طريقة السارد في تمثيل الموقف المتخيَّل. يسهل تمثيل الموقف المتخيل إذا كانت المنظورات الإبستيمية والعاطفية للسارد أقرب إلى المنظورات الفعلية للمتخيِّل (بهذا المعنى، كما ذكر كثيرون، لا تقتصر المقاومة التخيلية على المعتقدات الأخلاقية).

ثانيًا: ليس من الواضح أن المقاومة التخيلية تشبه العدوى العاطفية في كونها ظاهرة غير عقلانية. تمنعنا المقاومة التخيلية من بناء عالم في الخيال يعكس معتقدات غير مقبولة أخلاقيًا. وهذا يشير إلى وجود قيود معرفانية من جانبنا، ولكن ليس بالضرورة فشل العقلانية.

يمكن للمقاومة التخيلية أن تمنع الانغماس الضعيف والقوي. يتعرض الانغماس الضعيف للخطر إذا كان منظور الشّخصية (1P) يتضمن معتقدات غير مقبولة أخلاقيًا. وفي هذه الحالة، لا يمكن بسهولة محاذاة منظور السارد (2P) مع منظور الشّخصية. فمثلًا: ربما عانى العديد من القراء من الانزعاج في أثناء

قراءة رواية مثل: "المختل النفسي الأمريكي American Psycho" لـ بريت إيستون إليس Bret Easton Ellis التي تُروى حصرًا من وجهة نظر مختل اجتماعيًا (خياليًا). ونتيجة لذلك، فإن العالَم كما هو ممثل في مثل هذه الروايات بعيد أخلاقيًا جدًا عن عالمنا بحيث يصبح الانغماس في الخيال صعبًا، إن لم يكن مستحيلًا. ومن باب الأَوْلى، فإن الانغماس القوي، الذي يتطلب محاذاة بين المنظورات الثلاثة جميعًا، معرض للخطر أيضًا (يلخص الجدول 7,1 حالات المحاذاة المختلفة التي نُوقشت للتو).

	P1 Character	P2 Narrator	P3 Author
Strong immersion			
Weak immersion			
Emotional contagion			
Imaginative resistance			

الجدول 1.7 تنوعات علاقات المحاذاة المنظورية

1P الشّخصية. 2P السارد. 3P المؤلف. الانغماس القوي. الانغماس الضعيف. العدوى العاطفية. المقاومة التخيلية.

4. التخيل الحر في مقابل التخيل المقيَّد:

لنقل: إن خيالنا حر إذا كان منظور السارد (2P) يمكن أن يتغير بحرية دون أن يؤثر كثيرًا في منظور الشّخص المتخيِّل (3P). وفي المقابل، يكون خيالنا مقيدًا إذا كان 2P يؤثر تأثيرًا مباشرًا في 3P، أي: إن الشّخص المتخيِّل يقوم تلقائيًا أو على نحو غير تفكّري بتحديث نموذجه الفعلي للواقع على أساس ما يتخيله.

عندما يكون الخيال مقيَّدًا، يثار سؤال حول طبيعة القيد المعني. يمكن أن يكون الأخير مجرد قيد سببي، أو يمكن أن يعكس الحساسية العقلانية للشخص تجاه العالم الفعلي. من الواضح أن العدوى العاطفية، حيث يَتبنى منظور صاحب التمثيل على نحو أعمى منظور السارد، تنطوي على مجرد قيد سببي

وغير عقلاني. فإذا شعرتُ بالذعر فقط لأنني أتخيل حدثًا إرهابيًا عشوائيًا غير واقعي، فإن شعوري غير مناسب. وهو أيضًا غير مناسب كاستجابة لتذكري لحدث إرهابي ماضٍ، على الرغم من أن ذاكرتي بالطبع يمكن أن تجعل من المناسب لي الخوف من مخاطر حاضرة مماثلة.

في المقابل، تتضمن الاستخدامات الإبستيمية للخيال منظور السارد الذي يقيد على نحو عقلاني منظور الشّخص. افترض أن ماريا تريد شراء أريكة جديدة لغرفة معيشتها. هي تذهب إلى متجر الأثاث وتجد أريكة لطيفة. وتستخدم الآن خيالها لتحديد ما إذا كانت الأريكة ستناسب غرفة معيشتها. وتتخيل الأريكة بشكلها وحجمها الفعليين في مكان محدد في غرفة المعيشة. إن استخدام ماريا لخيالها مقيد إبستيميًا؛ لأن ما تتخيله له عواقب فورية على ما تعتقد، على سبيل المثال: إن أريكة محددة لا تناسب غرفة معيشتها. علاوة على ذلك، فإن الاعتقادات التي تكتسبها ماريا من خلال الخيال يمكن أن ترقى إلى المعرفة أو على الأقل يمكن تبريرها، ومن ثم، فإن اعتماد منظورها الحالي على منظور السارد هو أمر عقلاني[9].

تتضمن الذّاكرة الاستطرادية عادة استخدامًا إبستيميًا للخيال. عندما نستخدم ذاكرتنا ونعيد معايشة حلقة من ماضينا، فإن منظور السارد يمثل الحلقة على أنها حاضر ولكننا نشكّل اعتقادات ماضية تعتمد محتوياتها منهجيًا على محتويات الحالة الذهنية المعاد خلقها للسارد؛ ونظرًا لأن بعض هذه الاعتقادات مبررة ويمكن أن ترقى إلى المعرفة (الذّاكرة الاستطرادية، حتى عندما تنطوي على خيال، هي مصدر للمعرفة حول ماضي المرء)، يمكن أن يكون اعتماد منظور الشّخص على منظور السارد عقلانيًا.

في ما تبقى من هذا الفصل، سنركز على البُعد العاطفي للذاكرة الاستطرادية.

---

(9) انظر Kind (2016) ومقالات أخرى في Kind and Kung (2016). تشمل الأمثلة الأخرى للقيود العقلانية في الخيال التّفكير الجهوي القائم على الخيال (انظر، على سبيل المثال: Gendler، Szabŏ and Hawthorne، 2002)، والمحاكاة الذهنية (انظر، على سبيل المثال: Goldman، 2006).

نحن مهتمون بالحالات التي يؤثر فيها المنظور العاطفي للسارد على نحو مباشر على المنظور العاطفي للمتذكِّر، حتى عندما يكون هذان المنظوران متميزين. في هذه الحالات، تكون الطريقة العاطفية للسارد في تمثيل الموقف ليست محايدة للمتذكِّر، ويعدّل حالته العاطفية الفعلية. نحن نجادل بأن الشّخص لديه ذاكرة عاطفية حقيقية.

5. الذَّاكرة الانفعالية:

نحن الآن في وضع يسمح لنا أن نرى كيف أن التقرير الثلاثي عن الطابع المنظوري للسرديات الذهنية يؤدي إلى توضيح فكرة الذَّاكرة الانفعالية. باختصار، الذَّاكرة الانفعالية هي حالة الذَّاكرة الاستطرادية التي تتوقف على الخيال المقيَّد عاطفيًا.

تأمل المثال التالي لذكرى انفعالية. كانت ماريا ليلة أمس تقود سيارتها على الطريق السريع متوجهة إلى منزلها، ولأنها كانت متعبة جدًا، غفَتْ على عجلة القيادة لبضع ثوانٍ فقط. وبسبب ذلك، كانت سيارتها على وشك الاصطدام بالحاجز الجانبي، لكن لحُسن الحظ عادت إلى السيطرة بعد أجزاء من الثانية، وعدلت مسارها في اللحظة الأخيرة. عندما تتذكر ماريا الآن هذا المشهد، فإنها تمثله على أنه حلقة خطيرة للغاية. ومع ذلك، لم يكن الخوف جزءًا من خبرتها الأصلية. على العكس، فهي تتذكر أنها كانت مسترخية ونائمة، ولم تخف الاصطدام بالحاجز الجانبي. كما أن الخوف ليس جزءًا من خبرتها الحالية أيضًا. إذ إن ماريا ليست خائفة الآن من الاصطدام بالحاجز الجانبي. على النقيض من ذلك، هي تشعر بالارتياح لتفادي وقوع حادث خطير. وبالتالي، يختلف المثال الحالي بوضوح عن الأمثلة التي تتضمن عدوى عاطفية، حيث تكون هناك محاذاة بين منظور المؤلف ومنظور السارد. يتضمن منظور المؤلف (3P) الارتياح، ويتضمن منظور السارد الافتراضي (3P) الخوف، ويتضمن منظور الشّخصية (1P) الهدوء وراحة البال.

بالتوازي مع ذاكرة المراقب لدى سام (انظر القسم 2)، يبدو أن ذاكرة ماريا تتضمن منظورًا للموقف الممثَّل الذي لا يزال شاغرًا، فلا أحد كان خائفًا أو يخاف من الاصطدام بالحاجز الجانبي. ربما يكون تصور فكرة المنظور العاطفي الفارغ أصعب من تصور منظور بصري فارغ. نعتقد أنه من الممكن تمثيل قيم محددة، مثل الخطر، من منظورات عاطفية معاد خلقها فقط، وأن الحالات الذهنية المعاد خلقها بشكل عام يجب ألا تُنسب إلى أي شخص في الموقف الحقيقي أو الممثل. فكر في تخيل خالٍ من الشّخصية، على سبيل المثال: يتخيل سام كيف ستكون الأرض بعد الحرب العالمية القادمة. قد يبني سام عالمه المتخيل بحيث تكون فيه البشرية منقرضة. ولا يمكن لأي عاطفة أن تكون جزءًا من محتوى تخيله. ومع ذلك، قد يرسم سام الموقف على نحو كئيب أو محبط. يقدم المنظور العاطفي لدى السارد مساهمة فينومينولوجية للتخيل، وقد يختلف عن منظور سام العاطفي الحالي. وعلى الرغم من أن سام نفسه قد يكون مكتئبًا أو محبطًا من خلال تخيل هذا الموقف المستقبلي المحتمل، إلا أنه قد يكون أيضًا أكثر هدوءًا، ربما لأنه متفائل جدًا، بحيث لا يعد هذا الموقف موقفًا مستقبليًا محتملًا.

على أي حال، إذا كنا مخطئين وكان من الواجب ألا يكون منظور السارد فارغًا في الموقف الممثَّل، فإن الذكريات الانفعالية ستكون مشوَّهة بالضرورة. وبناء على هذا الرأي، فإن ذاكرة ماريا ليست صادقة تمامًا؛ لأنها تجلب مراقبًا تخيليًا خائفًا من الأحداث والأفعال في الموقف الممثَّل. ومن وجهة نظر إبستيمية، ستكون هذه النتيجة مؤسفة، لكنها لن تمس الادعاء بوجود ذكريات انفعالية حقيقية.

لاحظ أن خطورة الموقف تُمثَّل خبراتيًا، وعاطفيًا على نحو أكثر تحديدًا. تُقدَّم حقيقة أن السيارة كانت على وشك الاصطدام بالحاجز الجانبي على أنها مخيفة، وليس بعبارات أكثر حيادية. إذا تركنا هذا البُعد العاطفي للذاكرة، فإن استجابة ماريا العاطفية الحالية لن تكون مفهومة، تشعر ماريا بالارتياح الفوري، جزئيًا على الأقل؛ لأن الموقف يُمثَّل على أنها مخيف. على النقيض من ذلك،

فإن الانتقال من إعادة خلق شعور الخوف إلى الراحة الحالية لماريا أمر معقول تمامًا، على الرغم من أن ماريا لا تفعل ذلك، ففي الواقع هي لا تتذكر أنها كانت خائفة في ذلك الوقت. بعبارة أخرى: يقترن منظور الشّخص (3P) ومنظور السارد (2P) على المستوى العاطفي.

إن ارتياح ماريا هو استجابة عقلانية لخوف السارد الافتراضي. وما يجعل ذاكرة ماريا عاطفية هو حقيقة أنها تتضمن خيالًا مقيدًا عاطفيًا.

هنا مثال آخر للذاكرة الانفعالية. يشعر سام بالحنين حاليًا لتذكر حياته عندما كان شابًا بالغًا التي يتصورها الآن على أنها أكثر سعادة وإيجابية مما كان سيعترف به في ذلك الوقت. في هذا المثال، المنظور العاطفي للشخص (3P) هو الحنين إلى الماضي، والمنظور العاطفي للسارد (2P) هو السعادة أو الفرح بشأن الأحداث والأفعال التي في الموقف الماضي، في حين أن منظور الشّخصية (1P) هو أقرب إلى التهور أو عدم الاهتمام. مرة أخرى، لا تتضمن ذاكرة سام انغماسًا ضعيفًا أو عدوى عاطفية، ويبدو أن منظور السارد يقدم مساهمة خاصة في فينومينولوجيته.

وفق التقرير الحالي، يمكن أن تكون ذاكرة محددة انفعالية حتى لو يتضمن الموقف المتذكَّر أن الشّخصية كانت تشعر بعاطفةٍ ما. ما يجعل الذَّاكرة انفعالية هو اعتماد المنظور العاطفي للمؤلف على المنظور العاطفي للسارد (وليس المنظور العاطفي للشخصية). الآن، في بعض الحالات ستكون هناك فضلًا عن ذلك محاذاة بين منظور السارد ومنظور الشّخصية. بعبارة أخرى: يمكن أن تكون الذكريات الانفعالية إما ذكريات ميدانية وإما ذكريات مراقب، اعتمادًا على ما إذا كان منظور السارد محاذيًا لمنظور الشّخصية.

ما طبيعة الاعتماد المتضمن في الذَّاكرة الانفعالية؟ إن ماريا لا تتخيل الحدث فحسب، وإنما تتذكره أيضًا. وهكذا، فإن منظور السارد تتحكم فيه المعلومات الاستطرادية.

إن المدى الذي يكون فيه ارتياح ماريا هو الاستجابة المناسبة ويعكس

حساسيتها العقلانية للحدث المتذكَّر يعتمد على وجود مبادئ العقلانية العاطفية. كتقريب أولي، فإن شعورها الحالي بالارتياح يكون مناسبًا فقط، في الموقف المتذكَّر، إذا كانت عاطفة الخوف مناسبة (بصرف النظر عما إذا كانت هذه العاطفة قد شعرت بها فعليًا في ذلك الوقت) التي بدورها تتعلق بما إذا كان ما حدث بعد ذلك قد عرّض الشّخص بالفعل للخطر[10].

بصرف النظر عن المسألة الأخيرة، يمكننا الآن أن نرى الخطأ الكامن في حجة المشككين في الذّاكرة الانفعالية. إذ بمجرد الإقرار كما يجب بوجود ثلاثة مناظير متميزة، يكون هناك مجال لفئة الذكريات الانفعالية. عندما يكون منظور السارد (2P) عاطفيًا ويقيد المنظور العاطفي للمتذكِّر (3P)، تكون هناك طريقة عاطفية لتذكر حدثٍ ما. ووفق هذا الرأي، تكون الذكريات عاطفية عندما يكون منظور السارد محمّلًا عاطفيًا ويؤثر تأثيرًا مباشرًا في المنظور العاطفي، بصرف النظر عما إذا كانت عاطفة ماضية ما جزءًا مما يُتذكَّر أو لا.

قد يعترض المرء على تقريرنا بأن الذكريات الانفعالية ليست ذكريات حقيقية، وإنما هي مزيج من الذكريات والتخيلات. فالذكريات الانفعالية هي مجرد ذكريات عادية مصحوبة بالخيال الانفعالي. في المقابل، قد يقرّ المرء بحالات التخيل التي تنطوي على منظورات عاطفية ثلاثية الاتجاه، لكنه يجادل بأن الذكريات لا تُظهر نفس البنية.

وردًا على هذا الاعتراض نقول: إننا نتفق على أننا لم نُظهِر أنَّ الذكريات الانفعالية هي أنواع حقيقية من الذّاكرة، وليست ذكريات مرتبطة عرضيًا فقط بالتخيلات. وهذا لا يمثل أي إشكال؛ لأننا نريد تفسير ظاهرة ذهنية بارزة فينومينولوجيًا قد تتوافق أو لا مع جوهر ذهني. ومع ذلك، ما يستخف به الاعتراض هو طبيعة العلاقة بين الذكريات الانفعالية والتخيلات التي تقوم عليها. إن الذكريات الانفعالية ليست مجرد ذكريات صادف أنها مصحوبة بتخيلات. وإنما

(10) نشكر كريستوف هويرل على اقتراح هذه الصيغة. إن الادعاء العام القائل: إن هناك مبادئ للعقلانية العاطفية خلافي، لكنه (في اعتقادنا) معقول.

التخيلات المعنية مقيدة بالمعلومات الاستطرادية التي يمتلكها الشّخص. عندما تكون لدينا ذاكرة عاطفية قد نتمتع بخبرة واعية موحدة، على الأقل إذا لم تتجلى حيازتنا للمعلومات الاستطرادية ذات الصلة في خبرة ذاكرية منفصلة، ولكن تُستخدم فقط في سياق تخيلنا للماضي من منظور محدد (للسارد). ما يجعل الخبرة الكاملة للشخص خبرة ذاكرية هو أن تخيله (منظور السارد على نحو أدق) تتحكم فيه المعلومات الاستطرادية، بطريقة تمكّن من التقييد العقلاني لمنظور الشّخص[11].

6. السفر الزمني الذهني:

كما رأينا، تتضمن الذّاكرة الاستطرادية نموذجيًا القدرة التخيلية على إعادة معايشة المرء لحلقة من ماضيه. ووفق البحوث الأخيرة في العلم المعرفاني، فإن القدرة التخيلية ذاتها تعمل أيضًا عندما يعيش المرء مسبقًا ذهنيًا حلقة من المستقبل المتوقع (Schacter & Addis, 2007; Michaelian, 2016a). بعبارة أخرى: فإن القدرة الذهنية ذاتها التي تُسمى: «السفر الذهني عبر الزمن» لها تدريبات موجهة نحو الماضي وموجهة نحو المستقبل. تتضمن الذّاكرة الاستطرادية التدريبات السابقة، في حين أن الأخيرة هي حالات لما يسمى: «التّفكير المستقبلي الاستطرادي» (Atance and O'Neill، 2001).

إن التّفكير المستقبلي الاستطرادي ليس مجرد حالة تخيل موقفٍ ما، ربما يكون موقفنا المستقبلي. عندما يكون السفر الزمني الذهني معطوبًا، كما هو الحال في أشكال محددة من فقدان الذّاكرة، يظل المريض قادرًا على تخيل حقائق عامة عن المستقبل. وما يُفقد هو قدرة المرء على تخيل الحلقات التفصيلية لمستقبله المحتمل على نحو شخصي. وبالتالي، فإن التّفكير المستقبلي الاستطرادي ينطوي على طريقة محددة لتمثيل مستقبل المرء.

---

(11) يتوافق تقريرنا مع وجهة النظر التي دافع عنها أحدنا (Dokic، 2014) التي وفقه تتضمن الخبرة الذاكرية عادة، فضلًا عن ذلك شعور فوق-ذاكري metamemory يميز المحتويات ذات الصلة على أنها تأتي مباشرة من خبرة الفرد الماضية.

في رأينا، ينطوي التَّفكير المستقبلي الاستطرادي على استخدام مقيد للخيال. وعندما يكون القيد المعني عاطفيًا، فإن التَّفكير المستقبلي الاستطرادي يعدّل مباشرة حالاتنا العاطفية الحالية. وتمامًا مثل الذَّاكرة الاستطرادية، يمكن أن يكون التَّفكير المستقبلي الاستطرادي عاطفيًا، وكثيرًا ما يكون كذلك. افترض أن ماريا تتوقع امتحانًا مهمًا يجب أن تمتحنه الأسبوع القادم. وهي تعتقد أنها مستعدة جيدًا له، وتتخيل نفسها تجيب على سؤال بسيط بشعور قوي بالثقة (1P). ومع ذلك، تتخيل ماريا هذا الموقف من منظور السارد الافتراضي الذي يعرف أن ماريا تبالغ في ثقتها في نفسها، وتجيب فيه الإجابة الخطأ. ويضفي السارد على الموقف المستقبلي المتخيل الخجل والإحراج (2P). ونتيجة لذلك، تشعر ماريا حاليًا بالقلق من احتمالات عدم الإعداد الجيد للامتحان (3P). ما يجعل هذا المثال حالة من حالات التَّفكير المستقبلي الاستطرادي في مقابل حالات تخيل المستقبل الأخرى هو الاعتماد العاطفي لمنظور الشّخص على منظور السارد. فما تتخيله ماريا له عواقب مباشرة على حالتها العاطفية الحالية، دون وساطة الاعتقادات أو التمثيلات المفاهيمية الأخرى[12].

لنقارن مثال الامتحان بمثال آخر يتضمن خيالًا حرًا عاطفيًا. في هذه المرة تتخيل ماريا نفسها مرشحة للرئاسة وتنتظر نتائج الانتخابات. في الحياة الواقعية، لم تُحفَّز ماريا على الإطلاق لتصبح رئيسة، لكنها تتخيل هذا الموقف لمجرد التسلية. ومع ذلك، يمكنها أن تتخيل نفسها متحفزة لتكون الرئيسة، بحيث تكون قلقة للغاية بشأن النتائج. هذا هو المنظور الداخلي للسرد الذهني (1P). الآن يمكن للسارد الافتراضي أن يمثل ماريا على أنها في موقف واعد، أي: على

(12) إن الادعاء الذي مفاده أن التَّفكير المستقبلي الاستطرادي يتضمن خيالًا مقيدًا (وليس حرًا) له يتقارب في بعض النقاط مع تقرير غيرانز وموليغان Gerrans and Mulligan (2013) لما يطلقان عليه: "الخيال الهجين hybrid imagination". وهما يقترحان أنه في التَّفكير المستقبلي الاستطرادي، «نحاول العمل على ما يمكن أن يحدث من خلال تخيل المستقبل ضمن القيود السياقية التي توفرها المعرفة القضوية» (254 p.). ومع ذلك، يبدو أنهما يختزلان الخيال الهجين في الخيال المتعلق بالمقول .de re ونعتقد أنه ليس كل حالات الخيال المتعلق بالمقول يجب أن تكون مقيدة بالمعنى الذي نقدمه.

أنها قد فازت في الانتخابات (على الرغم من أنها لمَّا تعرف النتائج بعد). بعبارة أخرى: العاطفة الافتراضية للسارد (2P) هي السعادة أو الرضا التي تلوّن المشهد المتخيل. يتميز 2P بوضوح عن 1P، على الأقل من الناحية الإبستيمية والعاطفية. على نحو لافت للنظر، 2P أيضًا ليس هو منظور الشّخص المتخيَّل الذي لا يبالي على الإطلاق بمسألة كونه الرئيس. والمنظور العاطفي للشخص المتخيَّل (3P) هو اللامبالاة أو ربما التسلية، في حين أن منظور السارد هو السعادة ومنظور الشّخصية هو القلق. الآن تخيُّل ماريا حر؛ لأنه يحدث لمجرد التسلية، ولا يؤدي إلى أي تعديل في نظرتها الفعلية للواقع. فما تتخيله ليس له تأثير، أو له تأثير ضعيف، على ما تعتقده أو تشعر به تجاه العالم الفعلي.

إن السّؤال المثير للاهتمام هو ما إذا كانت اعتمادية المنظورات العاطفية في التّفكير المستقبلي الاستطرادي عقلانية أو لا. كما في حالة الذّاكرة الاستطرادية، تعتمد الإجابة على وجود مبادئ العقلانية العاطفية. فمثلًا: يناقش دي سوزا de Sousa (2007، 2008) ما يسميه «مبدأ فيليبوس Philebus Principle» الذي وفقه يجب أن تكون المتعة المتحققة في توقع حدث مستقبلي متناسبة مع المتعة التي تتحقق بالفعل عند اختبار الحدث. وعلى هذا الرأي، فإنه «من غير العقلاني أن يستمتع المرء كثيرًا بتوقع شيء يعلم أنه لن يجلب له سوى متعة قليلة، أو لن يجلب له أي متعة، عندما يحدث. في المقابل، يبدو من المعقول تمامًا الفزع من احتمالية المعاناة في المستقبل» (2007، ص. 151). يمكن القول: إن قلق ماريا الحالي هو استجابة عقلانية لمنظور السارد في المستقبل. يبدو أنه عاطفة تتناسب بالمعنى ذي الصلة مع العاطفة التي يختبرها السارد (الافتراضي)[13].

لا تزال هناك قضية مهمة متبقية، تتعلق بالعلاقة الدقيقة بين الذّاكرة

(13) انظر أيضًا بوير Boyer (2008) للاطلاع على تقرير عن السفر الزمني الذهني الذي وفقه «قد يكون وظيفيًا إلى الحد الذي يوفر العواطف التي تتجاوز الأهداف الحالية فضلًا عن الاقتطاع الزمني، ومن ثم يمدنا بمكافآت فورية مقابل الحافز الانتهازي» (ص22).

الاستطرادية والسفر الذهني الزمني. في الفرضية الاستمرارية، ليس الذَّاكرة الاستطرادية والتَّفكير الاستطرادي المستقبلي سوى تدريبات من النوع الطبيعي النفسي ذاته، أي: السفر الزمني الذهني. ويُتحكَّم في كل من السفر الزمني الذهني الموجه نحو الماضي والموجه نحو المستقبل بالمعلومات الاستطرادية، وهذه المعلومات هي دائمًا نتيجة بنية يصنعها الدماغ. نحن نصنع ماضينا تمامًا كما نصنع مستقبلنا. أما وفق الفرضية الانقطاعية، فإن الذَّاكرة الاستطرادية تتضمن ما هو أكثر من مجرد السفر الزمني الذهني. ويُتحكَّم بإحكام في الذَّاكرة الاستطرادية بالمعلومات الاستطرادية الموثوقة عن الماضي، ولا يزال السفر الزمني الذهني الموجه نحو المستقبل حساسًا للمعلومات الاستطرادية (حيث من المعروف أن البناء التخيلي للمواقف التفصيلية يتضمن معلومات استطرادية)، ولكن فقط على نحو فضفاض جدًا، من خلال تأمل الاحتمالات الذاتية بشأن الأحداث المستقبلية[14].

على الرغم من أننا يمكن أن نظل محايدين هنا بشأن هذه المسألة، إلا أننا نميل إلى تفضيل الانقطاعية. إذا كانت الانقطاعية صحيحة، فقد نتساءل عما إذا كان هناك تدريبات موجهة للماضي للسفر الزمني الذهني لا تتضمن ذاكرة استطرادية. وإذا كانت هناك هذه التدريبات، فإن حجة الانقطاعية ستتقوى. يبدو أن التخيلات المقيدة الموجهة للماضي التي هي ليست ذكريات للموقف الماضي متاحة. يمكننا تمثيل موقف ماضي بطريقة تقيد منظورنا الحالي إبستيميًا وعاطفيًا، ليس لأننا نتذكر الموقف الماضي، وإنما لأننا نتصوره على أنه الأرجح حدوثًا في ضوء رؤيتنا للعالم الحالية. على سبيل المثال: يتخيل سام أن ماريا كانت تخونه عندما كان غائبًا نهاية الأسبوع الماضي. قد يكون منظور السارد حساسًا

---

(14) نستعير هذا الاصطلاح من ميكيليان (b2016) وبيرين (2016) اللذين يفضلان المذهب الاستمراري والمذهب الانقطاعي على الترتيب. إحدى الحجج التي يُستشهد بها على نحو متكرر لصالح المذهب الانقطاعي هي حجة إبستيمية، بينما تكون الذَّاكرة الاستطرادية مصدرًا للمعرفة حول الموقف الماضي الممثَّل، لا يمكن أن يكون التَّفكير المستقبلي الاستطرادي مصدرًا للمعرفة حول الموقف المستقبلي الممثَّل (على الرغم من أنه يمكن أن يُنتج معرفة جيدة، مثلًا: حول استعداد ماريا الحالي لامتحانها القادم).

للمعلومات الاستطرادية بطريقة تقيد الاستجابة العاطفية الحالية لسام. وربما يشعر سام حينئذٍ بالغيرة فقط من خلال تخيله موقفًا ماضيًا محتملًا للغاية، على الرغم من أنه لم يكن موجودًا ليشهده ولا يمكنه تذكره.

باختصار، مهما كان مصير الجدل بين الاستمرارية والانقطاعية، فإننا اتخذنا موقفًا بشأن طبيعة السفر الزمني الذهني ذاته. إن السفر الزمني الذهني ليس سوى القدرة على الانخراط في تدريبات الخيال المقيد. فمن جهة يُعد التَّفكير المستقبلي الاستطرادي في حد ذاته حالة من الخيال المقيد، فالشّخص يتأثر تأثيرًا مباشرًا بتخيلاته الموجهة نحو المستقبل. ومن جهة أخرى، تتضمن أمثلة الذَّاكرة الاستطرادية التي نُوقشت هنا على الأقل الخيال المقيد، فالشّخص يتأثر تأثيرًا مباشرًا بتخيلاته الموجهة للماضي. لاحظ أننا نتجاوز الادعاء القائل: إن السفر الزمني الذهني هو مجرد خيال، موجه نحو الماضي أو المستقبل. يتضمن السفر الزمني الذهني استخدامًا خاصًا للخيال الذي يتميز باعتمادية منظور الشّخص على منظور السارد (انظر الجدول 2.7 لملخص للمناقشة).

	P3 constrained by P2	*P2 controlled by episodic information*
Free imagination	– (not much)	– (not much)
Episodic memory	++	++
Episodic future thinking	++	+/–
Unconscious recollection[14]	– (not much)	++

الجدول 2.7 الأشكال المختلفة للخيال الحر والمقيد

3P مقيَّد بـ P2. P3 تتحكم به المعلومات الاستطرادية. الخيال الحر. الذَّاكرة الاستطرادية. التَّفكير المستقبلي الاستطرادي. الاسترجاع اللاواعي[15]. (ليس كثيرًا).

(15) هنا نفكر في الشّخصية الشهيرة التي قدمها مارتن ودويتشر Martin and Deutscher (1966) التي ترسم منزلًا لا يتناسب تمامًا مع منزل طفولتها دون علمها. يبدو أن الرسام يتخيل منزلًا بحرية، لكن منظور السارد تتحكم فيه المعلومات الاستطرادية في الواقع.

7. الخلاصـــة:

ينشأ لغز الذَّاكرة الانفعالية لأنه قد يبدو من الصعب فهم كيف يمكن أن تكون الذَّاكرة محمّلة عاطفيًا إذا لم تكن العاطفة ذات الصلة هي موضوع الذَّاكرة ولا الأثر المنفصل لها.

يمكننا أن نتذكر عواطفنا الماضية، ويمكن لذكرياتنا أن تسبب عواطف مختلفة فينا، ولكن لا تُظهر أي ظاهرة من الظاهرتين فكرة أن هناك طريقة عاطفية لتذكر الماضي.

في هذا الفصل، اقترحنا طريقة لحل هذا اللغز. عندما نعيد معايشة موقفًا ماضيًا ذهنيًا من الذَّاكرة، فإننا نتخيل الموقف من منظور السارد الافتراضي. إن هذا المنظور ليس هو المنظور الحالي ولا المنظور الماضي للشخص. بمجرد وجود هذا البُعد العاطفي لذلك المنظور الوسيط والاعتراف به على النحو الصحيح، يمكن عد الذَّاكرة الانفعالية ظاهرة حقيقية. تنطوي الذَّاكرة الانفعالية على اعتمادية (ولكن ليس محاذاة) بين منظور السارد ومنظور الشّخص، وبتعبير أدق: الأخير مقيد عاطفيًا بالأول، على نحو يمكن أن يعكس الحساسية العقلانية لدى الشّخص تجاه العالم.

إن الخيال المقيَّد هو ما يحدث في السفر الزمني الذهني. وقد اقترحنا أن تدريبات السفر الزمني الذهني الموجهة نحو الماضي والموجهة نحو المستقبل تتضمن اعتمادية إبستيمية وعاطفية لمنظور الشّخص على منظور السارد. وتقريرنا للسفر الزمني الذهني محايد نسبيًا فيما يتعلق بمسألة ما إذا كانت الذَّاكرة الاستطرادية والتَّفكير المستقبلي الاستطرادي ينتميان إلى نوع نفسي واحد الذي هو القدرة على السفر ذهنيًا في الوقت المناسب. يجيب القائلون بمذهب الاستمرارية بالإيجاب على هذا السّؤال، في حين يزعم القائلون بمذهب الانقطاعية أن الذَّاكرة الاستطرادية تتضمن ما هو أكثر من السفر الزمني الذهني. في رأينا، يتخلص الجدل بين الاستمرارية والانقطاعية في مسألة ما إذا كان يمكن تعريف الذَّاكرة الاستطرادية كنوع نفسي من الخيال المقيد الموجه نحو الماضي.

خلاصة القول: الوجود المنفصل لمنظور السارد وتأثيره العاطفي المباشر في منظور الشّخص هما شرطان لإمكانية الذّاكرة الانفعالية. علاوة على ذلك، فإن تقريرنا الثلاثي عن التخيلات يضع الذّاكرة الانفعالية ضمن فضاء منطقي يتضمن ظواهر عقلية أخرى (أكثر أو أقل عقلانية)، مثل: التّفكير المستقبلي الاستطرادي، ولكن أيضًا الذكريات الميدانية وذكريات المراقب، والذكريات الومضية، والعدوى العاطفية، والمقاومة التخيلية.

المراجع:

Arcangeli, M., & Dokic, J. (2015). Voyage mental dans le temps: quand l'imagination nous engage. In A. Berthoz and C. Debru (Eds.), *Anticipation et Prédiction. Du geste au voyage mental* (pp. 233-246). Paris: Odile Jacob.

Atance, C. M., & O'Neill, D. K. (2001). Episodic future thinking. *Trends in Cognitive Sciences*, *5*(12), 533-539.

Boyer, P. (2008). Evolutionary economics of mental time travel? *Trends in Cognitive Sciences*, *12*(6), 219-224.

Carroll, N. (1990). *The philosophy of horror*. New York: Routledge.

Conway, M. (1995). *Flashbulb memories (essays in cognitive psychology)*. Hove: Lawrence Erlbaum.

Currie, G., & Ravenscroft, I. (2002). *Recreative minds: Imagination in philosophy and psychology*. Oxford: Oxford University Press.

de Sousa, R. (2007). *Why think? Evolution and the rational mind*. Oxford: Oxford University Press.

de Sousa, R. (2008). Inference and epistemic feelings. In G. Brun, U. Doguoglu, & D. Kuenzle (Eds.), *Epistemology and emotions* (pp. 185-204). Ashgate: Aldershot.

Debus, D. (2007). Being emotional about the past: On the nature and role of pastdirected emotions. *Noûs*, *41*(4), 758-779.

Dokic, J. (2014). Feeling the past: A two-tiered account of episodic memory. *Review of Philosophy and Psychology*, *5*(3), 413-426.

Dokic, J., & Arcangeli, M. (2015a). The heterogeneity of experiential imagination. In T. Metzinger and J. M. Wind (Eds.), *Open MIND: 11(T)*. Frankfurt am Main:

MIND Group Retrieved from http://open-mind.net/papers/the-heterogeneityof- experiential-imagination [published in 2016 in T. Metzinger and J. M. Wind (Eds.), *Open MIND: Philosophy and the mind sciences in the 21st century* (pp. 431-450). Cambridge, MA: MIT Press.]

Dokic, J., & Arcangeli, M. (2015b). The importance of being neutral: More on the phenomenology and metaphysics of imagination. Reply to Brüggen. Metzinger, T., & Wind, J. M. (Eds.). *Open MIND: 11(T)*. Frankfurt am Main: MIND Group Retrieved from http://open-mind.net/papers/the-importance-of-being-neutralmore-on-the-phenomenology-and-metaphysics-of-imagination2014a-reply-toanne-sophie-brueggen

[published in 2016 in Metzinger, T., & Wind, J. M. (Eds.), *Open MIND: Phllosophy and the mind sciences in the 21st century* (pp. 461-465). Cambridge, MA: MIT Press.]

Fernández, J. (2015). What are the benefits of memory distortion? *Consciousness and Cognition, 33*, 536-547.

Gendler Szabó, T. (2000). The puzzle of imaginative resistance. *Journal of Philosophy, 97*(2), 55-81.

Gendler SzabŸ, T., & Hawthorne, J. (Eds.). (2002). *Conceivability and possibility*. Oxford: Oxford University Press.

Gerrans, P., & Mulligan, K. (2013). Imagination, default thinking and integration. *Rivista di estetica, 54*(3), 239-271.

Goldie, P. (2003). One's remembered past: Narrative thinking, emotion, and the external perspective. *Philosophical Papers, 32*(3), 301-319.

Goldie, P. (2012). *The mess inside: Narrative, emotion, and the mind*. Oxford: Oxford University Press.

Goldman, A. (2006). *Simulating minds: The philosophy, psychology, and neuroscience of mindreading*. Oxford: Oxford University Press.

Hopkins, R. (forthcoming). Imagining the past: On the nature of episodic memory. In F. Dorsch & F. MacPherson (Eds.), *Perceptual imagination and perceptual memory*. Oxford: Oxford University Press.

Kind, A. (2016). Imagining under constraints. In A. Kind & P. Kung (Eds.), *Knowledge through imagination* (pp. 145-158). Oxford: Oxford University Press.

Longfellow, H. W. (Ed.). (2011). *Poems of places: An anthology in 31 volumes. Switzerland and Austria: Vol. XVI. 1876-79*. New York: Bartleby.

Martin, C. B., & Deutscher, M. (1966). Remembering. *Philosophical Review, 75*, 161-196.

Martin, M. G. M. (2002). The transparency of experience. *Mind and Language, 17*(4), 376-425.

McCarroll, C. J. (2017). Looking the past in the eye: Distortion in memory and the costs and benefits of recalling from an observer perspective. *Consciousness and Cognition, 49*, 322-332.

Michaelian, K. (2016a). *Mental time travel. Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge, MA: MIT Press.

Michaelian, K. (2016b). Against discontinuism: Mental time travel and our knowledge of past and future events. In K. Michaelian, S. B. Klein, & K. K.

Szpunar (Eds.), *Seeing the future. Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel* (pp. 62-92). Oxford: Oxford University Press.

Moran, R. (1994). The expression of feeling in imagination. *The Philosophical Review, 103*(1), 75-106.

Nigro, G., & Neisser, U. (1983). Point of view in personal memories. *Cognitive Psychology, 15*, 467-482.

Noordhof, P. (2002). Imagining objects and imagining experiences. *Mind and Language, 17*(4), 426-455.

Peacocke, C. (1985). Imagination, possibility and experience: A Berkeleian view defended. In J. Foster & H. Robinson (Eds.), *Essays on Berkeley* (pp. 19-35). Oxford: Oxford University Press.

Perrin, D. (2016). Asymmetries in subjective time. In K. Michaelian, S. B. Klein, & K. K. Szpunar (Eds.), *Seeing the future. Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel* (pp. 39-61). Oxford: Oxford University Press.

Ricoeur, P. (1983). *Temps et Récit. Tome I: L'intrigue et le récit historique.* Paris:ditions du Seuil.

Schacter, D. L., & Addis, D. R. (2007). The cognitive neuroscience of constructive memory: Remembering the past and imagining the future. *Philosophical Transactions of the Royal Society of London. Series B: Biological Sciences, 362*(1481), 773-786.

Sutton, J. (2010). Observer perspective and acentred memory: Some puzzles about point of view in personal memory. *Philosophical Studies, 148*(1), 27-37.

Trakas, M. (2015). *Personal memories.* PhD dissertation. Paris: Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales (Doctoral School 286).

Velleman, J. D. (2000). On the aim of belief. In *The possibility of practical reason.* Oxford: Oxford University Press.

Walton, K. (1994). Morals in fiction and fictional morality. *Proceedings of the Aristotelian Society*, Supplementary Volumes *68*, 27-50.

Weinberg, J. M., & Meskin, A. (2006). Puzzling over the imagination: Philosophical problems. In S. Nichols (Ed.), *The architecture of the imagination: News essays on pretence, possibility, and fiction.* Oxford: Oxford University Press.

Williams, B. (1976). *Problems of the self: Philosophical papers 1956-1972.* Cambridge: Cambridge University Press.

Wittgenstein, L. (1961). *Tractatus Logico-Philosophicus* (D. Pears & B. McGuiness, trans.). London: Routledge.

Wollheim, R. (1984). *The thread of life.* Cambridge: Cambridge University Press.

الفصل الثامن

الذكريات المؤلمة

فيليب غيرانس Philip Gerrans

1. مقدمة: الامتلاك الأنوي mineness والذّاكرة:

تلتقي المناقشات الأخيرة حول الذّاكرة الاستطرادية في فكرة أنها تتضمن «دراية فريدة بإعادة اختبار هنا والآن لشيءٍ ما حدث من قبل، في وقت آخر وفي مكان آخر» (Klein & Nichols، 2012).

إن فينومينولوجيا إعادة الاطلاع الشّخصية على أحداث ماضية هي ذاتوية معمَّدَة baptized autonoesis، وهو مصطلح قدمه إندل تولفنغ Endel Tulving (Wheeler, Stuss, & Tulving, 1997; Tulving, 2002; Tulving، 2005). إنه يشير إلى خبرة أن يكون المرء موضوعًا للخبرة subject of experience. هذه الخبرة دقيقة ويصعب وصفها، وكما هو الحال مع بعض الفينومينولوجيات الدقيقة الأخرى، فإن طبيعتها ودورها يبرزان على نحو أوضح عندما تتضرر بعينها بالاضطرابات النفسية-العصبية والطبية-النفسية.

إن الخبرة الذاتوية، كما يلاحظ جوردي فيرنانديز Jordi Fernandez (تحت الطبع)، هي شكل من أشكال "الامتلاك الأنوي mineness"، وهو مصطلح تقني طوره الفلاسفة لتحليل بنية الدراية الذاتية. تُميز ماري غيلوت Marie Guillot الامتلاك الأنوي عن شكلين آخرين من الدراية الذاتية (Guillot، 2017). الأول والأكثر أساسية هنا هو الدراية الذاتية الأدنوية minimal. والدراية الذاتية هنا هي "مجرد مفعولية dative" كما وصفها زهافي Zahavi ذات مرة، فهي نتاج حقيقة أن الخبرة تنطوي على مفعولًا للخبرة. الشكل الآخر من أشكال الدراية الذاتية

ينطوي على تمثيل الذات ككائن لديه الخبرة. والتشبيه الأفضل هنا هو الطريقة التي يمثل بها الذهن الأشياء على أنها كيانات تلتحم فيها السمات. ونتيجة لذلك، فإن الخبرة الإدراكية هي للأشياء وليست لمجرد مجموعة متماسكة من الخصائص. بالمثل، يمثل الذهنُ الانتظامات والاستمراريات في الخبرة الذاتية من خلال معاملتها على أنها تحدث في كيان مستمر: أنا Me. وتسمي غيلوت الشكل الناتج من الدراية الذاتية "الأنوية Me-ness". وتُخصص مصطلح الامتلاك الأنوي mineness لنوع الخبرة الذي يفيد الموضوع (أنا) بمدى أهمية الأشياء، بالنظر إلى تاريخه وأهدافه واهتماماته. وكما تقول، فإن المحتوى «يتردد صداه بطريقة محددة لدى الأشخاص» وخبرة هذا الصدى هي الشعور بالامتلاك الأنوي. ووفق بعض وجهات النظر، لا تُعَدّ الأنوية Me-ness ولا الامتلاك الأنوي Mineness شكلًا متميزًا للتمثيل، ولكنهما يعبّران عن جوانب مختلفة من الدراية الذاتية.

إن أحد أسباب التمييز بين مجرد الدراية الذاتية المفعولية والأنوية عن الامتلاك الأنوي هو الظروف الطبية-النفسية والعصبية-النفسية التي يفيد فيها الأشخاص بأن الخبرة لا تبدو وكأنها خبرتهم، أو أنهم منفصلون عن الخبرة، مع عدم إنكار أنهم يتمتعون بالخبرة بأدنى معنى، أو أنهم كيانات/ ذوات يمتلكون الخبرة. في بعض مثل هذه الحالات، يبدو أن ما تسميه غيلوت "الامتلاك الأنوي" هو إعاقة انتقائية، مما يؤدي إلى عدم المساس بالأنوية والحد الأدنى من الدراية الذاتية.

في الواقع، إحدى الحجج التي اقترحها ستانلي كلاين Stanley Klein للتقرير العلائقي للذاتوية هي دراسة حالة نفسية-عصبية للمريض R.B، الذي «استهدفتْ إعاقتُه الانتقائية الذاتويةَ وتركتْ المحتوى المخزَّن سالمًا». وهكذا يخلص كلاين إلى أن الذاتوية ترتبط بالمحتوى المختبَر بكيفيات modalities مختلفة، وليست جوهرية في الخبرة الكيفية ذاتها، وفي ظروف غير عادية يمكن أن تنفصل عن هذا المحتوى. وفي هذا الصدد، هي تتباين (فينومينولوجيًا على الأقل) مع الشكل المفعولي للدراية الذاتية الذي يبدو متأصلًا في أي خبرة.

إن أساس هذا الاستنتاج هو شهادة المريض R.B كما جاءت في عمل كلاين Klein 2012:

«عندما أتذكر المشهد مع أصدقائي، ونحن ندرس، أتذكر نفسي وأنا أمشي في الغرفة...و...أشياء أخرى فعلتها وشعرت بها...لكنه يبدو وكأن شيئًا لم أختبره...(شيء) أخبرني به شخص آخر. كل هذا مُحير للغاية» (التشديد مني)

ويتابع قائلًا:

«بإمكاني أن أرى المشهد في رأسي...أنا أدرس مع أصدقائي في صالة السكن. لكن لا أشعر أنه ملكي...أنه شيء أمتلكه. إنه يشبه تخيل الخبرة، لكن يصفه لي شخص آخر».

من الواضح أن المريض R.B كان موضوعًا للحلقة المسترجَعة، وأنه هو الشّخص الذي يسترجعها، لكنه لا يشعر أنها ملكه.

يشير جوردي فرنانديز (تحت الطبع) إلى أن فقدان الذاتوية بالنسبة للذاكرة هو مجرد مثال على فقدان الشعور بالأنوية بالنسبة للخبرة، ويقترح أن مثل هذا الانفصال هو وسيلة لتطوير تقرير عام عمًّا ينطوي عليه اختبار محتوى ذهني على أنه ملك للشخص، وبعبارته:

«ربما تُوجد حالات مرضية أخرى يتبرأ فيها الشّخص من بعض حالاته الفينومينولوجية والظروف التي يمكن أن نستشهد بها لتبرير الشعور بالامتلاك الأنوي».

أظن أن هذا صحيح. على وجه التحديد، تقدم خبرة تبدد-الشّخصية/ تبدد-الواقعية[16] شبيهًا وثيقًا للغاية لخبرة R.B وأظن أن أفضل تفسير لحالة R.B هو

(16) تبدد الشّخصية هي ترجمة لـ depersonalization وتبدد الواقعية هي ترجمة لـ: derealization.

أنه يعاني من حالة تبدد-الشّخصية فيما يتعلق بالذّاكرة. وللدفاع عن فكرة أن "فقدان الامتلاك الأنوي للذاكرة" هو حالة تبدد للشخصية أناقش بعض الأدبيات التجريبية/ الفلسفية حول تبدد-الشّخصية/ تبدد-الواقعية. سأجادل بأن الامتلاك الأنوي كما عرّفته غيلوت، والذاتوية التي قدمها تولفنغ، هما حالة لما يسمى: "الحضور الشّخصي subjective presence" في تلك الأدبيات. يشير كل مصطلح إلى شكل من أشكال الدراية الذاتية معطوب انتقائيًا في الحالات المرضية مثل: حالة R.B.

يبدو أن المريض R.B قد فقد الحضور الشّخصي فيما يتعلق بالذّاكرة، ولكن هناك العديد من الحالات الأخرى التي يُفقَد فيها أو يتضاءل الحضور الشّخصي. إن حالة الانفصال عن الألم Pain asymbolia هي مثال صارخ. ففي هذه الحالة يقول الأشخاص إنهم يختبرون الألم، لكنه لا يشغلهم، أو كأنه لا يحدث لهم. وقد قدّم كولين كلاين Colin Klein تفسيرًا نافذ البصيرة لهذه الحالات، وقارنها بتبدد الشّخصية، إذ يقول:

> "قد تشبه فينومينولوجيا الانفصال عن الإحساس نوعًا من متلازمة تبدد الشّخصية...حيث يشعر المريض بالانفصال عن الإحساس، والمريض بتبدد الشّخصية بشكل عام، بإحساسات مغتربة عنهما- فلا يعدّانها إحساساتهما كما نشعر على نحو طبيعي".

إنَّ الفكرة هنا هي أن المنفصلين عن الإحساسات لديهم خبرة تمثيل الضرر الجسدي (أي: لديهم محتوى حس الألم nociceptive)، لكن لا يربطون هذه الخبرة بالامتلاك الأنوي. وهذا يشير إلى استراتيجية عامة لفهم الامتلاك الأنوي. وهي التحقيق في طريقة إنتاجه وفقدانه لمحتويات محددة كيفية (مثل: الذّاكرة، والألم، والإدراك، وحس الألم، والاستنباه الداخلي interoception)، وكذلك

وتبدد الواقعية هو حالة ذهنية يشعر فيها الفرد المصاب بأنه مفصول عن ما يحيط به، ويشعر بأنه كل ما حوله ليس حقيقيًا، فالواقع متبدد بالنسبة له (المترجم).

في الحالات الشديدة من اضطراب تبدد الشّخصية (depersonalization disorder DPD)، حيث يقول المصابون إنهم يشعرون كما لو أنهم لم يكونوا حاضرين في كل الخبرات. لفهم حالة R.B. فهمًا كاملًا، نحن بحاجة إلى فهم كيفية إنتاج الحضور الذاتي للذاكرة وفقدانه.

يعتمد جزء كبير من تقريري على النظر في الخصائص المعرفانية للآليات العصبية المعنية. يعتقد ستانلي كلاين أن التركيز على الآليات التي تنتج الخبرة الذاتوية وربطها بالخبرة الاسترجاعية هو خطأ مقولي category mistake: «إنه خلط بين الذّاكرة وشروطها المسبقة» على حد تعبيره.

على الرغم من أنني لا أنازع في هذه النقطة المفاهيمية، إلا أن هذه الفينومينولوجيا تتميز عن الآليات الكامنة، وأظن أن التفسير الآلي للفينومينولوجيا الذاتوية مفيد للغاية، فهو يخبرنا أن المحتوى الذاتوي عاطفي على نحو أساسي، ويخبرنا كيف ولماذا يمكن فصل المحتوى الذاتوي عن النشاط الذهني، ويخبرنا لماذا يمتلك المحتوى العاطفي خاصية الامتلاك-الأنوي/ الذاتوية، ويقترح أن المريض R.B مصاب بشكل من أشكال تبدد الشّخصية متعلق بالذّاكرة. وسوف أجادل بأنه يتناسب أيضًا مع التقرير البنائي عن الذّاكرة (Michaelian، 2016) (الذي رفضه كلاين)، وأنه يفسّر السمة الجوهرية للاستكشاف prospection أو السفر الزمني الذهني الموجه نحو المستقبل، أي: إننا نحتاج إلى الشعور بأن محتوى الذّاكرة والخيال الممثّل هو ملكنا إذا أردنا استخدامه كأساس لاتخاذ القرار. في البداية سأنظر في اقتراح جوردي فرنانديز بشأن طبيعة الامتلاك الأنوي، كطريقة للدخول في المشكلات وكمقدمة لتقريري.

2. تقرير المصادقة Endorsement لفرنانديز عن الامتلاك الأنوي:

يلاحظ فرنانديز أن حالة R.B تثير أسئلة حول طبيعة الامتلاك الأنوي أجيب عليها بطرق مختلفة التي يُطلق عليها: "الهوية identification"، و"المصادقة endorsement". وفق نموذج الهوية، فإن الخبرة التي يفتقر إليها R.B هي الشعور

بأنه يماهي عدديًا numerically identical الشّخص الذي هو موضوع الخبرة الاسترجاعية. ومع ذلك، كما يذكر فرنانديز، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا تمامًا؛ لأن R.B لا يشك بناءً على خبرته في أنه نفس الشّخص الذي امتلك الخبرة المسترجَعة، فالمريض R.B يخبر عن شعوره بـ "كما لو" أن الخبرة ليست خبرته هو، و"كما لو" أنه يتخيلها استجابة لتعليمات، بدلًا من إعادة معايشتها. يقول:

«عندما أتذكر مشاهد من قِبل الإصابة، لا أشعر بها كما لو أنها حدثت لي - على الرغم من أنني أعرف من الناحية الفكرية أنها حدثت لي - وأشعر كما لو أنها حدثت لشخص آخر». (التشديد مني).

إن التعبير "كما لو" الذي استخدمه R.B. مهمًا للغاية لسببين:

السبب الأول: هو أن خبرات "كما لو" قد أدت دورًا في الأدبيات التي تتعامل مع الأوهام على أنها تبريرات عقلانية لخبرات "كما لو" الشاذة. فمثلًا: قد تشعر مريضة تعاني من وهم التحديد الخاطئ للهوية نتيجة تلف نظام التعرف على الوجوه "كما لو" أنها تنظر إلى شخص غريب عندما ترى زوجها. ووفق الفرضية المذكورة، فإن وهم أن زوجها قد حل محله مخادع مطابق له في المظهر هو تبرير عقلاني لخبرة "كما لو" هذه.

السبب الثاني: هو أن التعبير "كما لو" ينشأ عادة في حالات تبدد الواقعية وتبدد الشّخصية، المحلية والعابرة (كما هو الحال في متلازمات التحديد الخاطئ للهوية، ووهم سبق الرؤية deja والمألوف المنسي (jamais vu) أو الشاملة و/ أو المستدامة كما هو الحال في اضطرابات تبدد الشّخصية وتبدد الواقعية (Phillips et al., 2001; Baker, Hunter et al., 2003; Medford, Brierley et al., 2006; Medford, 2012; Billon, in press). وبالتالي، هناك بعض الدوافع للتحقيق في فكرة أن R.B. يواجه شكلًا من أشكال تبدد-الشّخصية/ تبدد-الواقعية فيما يتعلق بالذّاكرة.

ومع ذلك، قبل متابعة هذه الفكرة يمكننا تهيئة المشهد من خلال النظر في الطريقة التي يستخدم فيها مفهوم المصادقة لتفسير فقدان R.B للامتلاك الأنوي لذكرياته.

لقد طُوِّرت تقارير المصادقة لتفسير أوهام التحديد الخاطئ للهوية، مثل: وهم كابغرا Capgras delusion، حيث يعتقد المرضى أن الأشخاص المألوفين قد حل محلهم أشخاص مماثلون لهم أو مخادعون على نحو غير قابل للتمييز. وأحد التفسيرات القياسية هو أن المريض يعاني تلفًا في الدوائر الكهربية التي تربط التعرف على الوجه بالاستجابة العاطفية، مما يؤدي إلى أن الشّخص المرئي يبدو مطابقًا للشخص المألوف، لكن المريض لا يشعر بالعاطفة المنتظرة. إن الشّخص المرئي يبدو مألوفًا، لكن الشّخص يشعر بأنه "كما لو" أنه يرى شخصًا غريبًا. علمًا بأن المريض لا يقول ذلك. هو يقول: "أرى مخادعًا". إن فكرة أن الخبرة التي تحفز الوهم هي خبرة "كما لو" هي استنتاج مبنى على نظرية العلاقة بين المعالجة العاطفية ومعالجة الوجوه (Stone & Young، 1997).

جرى استيراد نموذج المصادقة للتعرف الوهمي من التقارير الفلسفية المتعلقة بتثبيت الاعتقاد التجريبي، إذ يُتعامل مع الخبرة كـ: دليل، أو مبرر، أو أساس لاعتقاد تجريبي، في ضوء الاعتقادات الخلفية المتعلقة بأرجحية أن يكون المحتوى الخبراتي حقيقيًا. تشير تقارير المصادقة عن تثبيت الاعتقاد التجريبي إلى أن الأوهام تنشأ عندما يؤيد الشّخص محتوى خبراتيًا، وهذا يعني تقديم الدعم لاعتقاد تجريبي يحافظ على محتوى الخبرة. يلاحظ فرع مهم هذا الجدل أنه في بعض حالات خبرة التحديد الخاطئ للهوية لا يواصل المرضى وهمهم (أي: إنهم لا يصادقون على خبرتهم)، وإنما يذكرون أن الشّخص المعني يبدو "كما لو" أنه مخادع أو مماثل له تمامًا.

ولذلك، فإن تقرير المصادقة هو استنتاج مفاده أنه في حالة الوهم، ينتقل المريض من خبرة "كما لو" إلى اعتقاد تجريبي يدعم تلك الخبرة. وإذا لم يُصادَق على الخبرة، فإن الشّخص يذكر أنه يشعر بأنه "كما لو" أن خبرته هي

رؤية شخص غريب لا يمكن تمييزه عن شخص مألوف. تركزت معظم المناقشة الفلسفة لأوهام التحديد الخاطئ للهوية على ما إذا كان، وبأي معنى، من المعقول لشخص موهوم عد خبرته الشاذة تبريرًا لاعتقاد يحافظ على محتواها.

يشير تقرير المصادقة بعد توسيع الفكرة لتشمل حالة R.B إلى أن R.B لديه خبرة المحتوى الذاكراتي الذي يفتقر إلى الامتلاك الأنوي، فهو يشعر "كما لو" أن الخبرة ليست له، في حين أنها تمثل ماضيه بدقة من جميع المناحي الأخرى. ومع ذلك، من المثير للاهتمام أن R.B لا يطور الاعتقاد الوهمي بأن ذكرياته ليست هي ذكرياته، كما أنه لا يخطئ في تحديدها على أنها ذكريات، فهو يقول: إنها ذكريات يشعر "كما لو" أنها تخيلات، وبالتالي، فهو لا يصادق على خبرته.

يحلل فرنانديز فقدان R.B. للامتلاك الأنوي بطريقة إبستيمية في جوهرها، فهو يقترح أن خبرة الامتلاك الأنوي التي يفتقر إليها R.B تكمن في «خبرة يُعرَض فيها للشخص حالة فينومينولوجية على أنها ملائمة fitting، أو مستحقة، أو مناسبة "appropriate". يشير الحديث عن الملاءمة إلى أن العملية المعنية هي عملية تؤدي فيها الخبرة دورًا تسويغيًا أو إبستيميًا، وقد تأكد ذلك عندما طوّر فرنانديز هذه الفكرة: «خبرة العثور على أسباب لِعَدِّها مناسبة».

يقترح فرنانديز دعمًا للتفسير الإبستيمي أنَّ المرضى الذين يعانون من أوهام تحكّم الدخيل (حيث يزعمون أن أفعالهم هي نتاج لنيات أناس آخرين) هم نتيجة الخبرة السلبية التي تنتج عن فقدان الإحساس بـ "الامتلاك الأنوي" للأفعال. وأنا أوافق على أن هؤلاء المرضى قد فقدوا الإحساس بأن أفعالهم هي أفعالهم. ومع ذلك، تصف معظم التقارير المشكلة على أنها فقدان "الشعور بالفاعلية" للفعل.

إن هذا الفقدان هو نتيجة لفرط نشاط (بشكل خاص) في الفصيص الجداري السفلي inferior parietal lobule، وهو عقدة في دائرة كهربية تؤدي دورًا رئيسًا في مراقبة الفعل والتحكم فيه (Spence, 2001; Blakemore, Oakley, & Frith,

2003; Jardri, Delevoye-Turrell et al. 2009; Jardri, Pins et al. (2011). وهـــــذه الدائرة سليمة وتعمل على نحو طبيعي في حالة R.B وفي العديد من الحالات الأخرى لفقدان الامتلاك الأنوي. ولهذا السبب، فإن أوهام تحكّم الدخيل ليست الدليل الأفضل على نظرية عامة عن الامتلاك الأنوي وفقدانه. بل هي دليل على أن الأنظمة الجدارية تؤدي دورًا جوهريًا في مراقبة الفعل عن طريق مقارنة الحركة الجسدية الفعلية بالحركة الجسدية المرادة. يقول المريض: إن الحركة يتحكم فيها نيات شخص آخر، بسبب خلل في نظام التحكم الحركي، فهو ليس على دراية بالدور السببي لنيته.

على مستوى عالٍ من التجريد، يمكن بالطبع توحيد كل حالة من حالات المحتوى الدخيل بمصطلحات إبستيمية كأساس لاعتقاد أن الخبرة هي "ملكي" أو "ليست لي" لأنها مناسبة/ غير مناسبة لهذا السياق. ومع ذلك، فإن تكلفة ذلك ستكون فقدان القدرة التفسيرية لظواهر محددة. وعلى وجه التحديد، سوف يفصل التحقيق الفينومينولوجي والفلسفي عن التحقيق التجريبي. وأنا أعتقد أنه من المهم جدًا أن تكون الآليات مختلفة في أوهام التحكم الدخيل وحالة R.B وهذا يتركنا مع السّؤال المتعلق بسبب فقدان R.B شعوره بالامتلاك الأنوي لذاكرته. ويتركنا مع سؤال آخر: ما "الامتلاك الأنوي" بالضبط؟ وكيف يُفقَد؟

3. الامتلاك الأنوي، وتبدد الشّخصية، وتبدد الواقعية:

تمدنا غيلوت بإشارة عندما تقول: إن الامتلاك الأنوي هو مسألة خبرة «يتردد صداها بطريقة محددة» للذات. بالطبع هذه استعارة، لكنها تشير إلى أن صلب الموضوع هو أهمية المحتوى للشخص.

لدينا مفتاح آخر لحل اللغز يتمثل في التعبير "كما لو". ومن الأسباب التي تجعل هذا التعبير مثيرًا هو أنه مميّز لاضطرابات تبدد الشّخصية وتبدد الواقعية.

في الواقع يضع فرنانديز الأساس لمتابعة المقارنة بين هذه الاضطرابات في مناقشته لذكريات R.B فهو يقول: «إنه لا يشعر بها كما لو أنها "حدثت له".

يبدو أن هذه طريقة طبيعية للتعبير عن شعور غريب بأن المشاهد ليست حقيقية» (التشديد من عندي).

تصف الجمعية الأمريكية للطب النفسي اضطراب تبدد الشّخصية (DPD) على النحو التالي: «التغير في إدراك أو اختبار الذات بحيث يشعر المرء بالانفصال عن عملياته الذهنية، كما لو كان مراقبًا خارجيًا لها» (التشديد من عندي).

جادل ألكسندر بيلون Alexandre Billon بأن الـ DPD هو نتيجة لفقدان دائم وشامل للإحساس بالامتلاك الأنوي. وكما يقول، «يكمن تبدد الشّخصية في فقدان سمة فينومينولوجية تميز خبراتي على أنها خبراتي أنا، التي تُسمى عادة "الامتلاك الأنوي"، و...تشكّل دراسة تبدد الشّخصية تحقيقيًا تجريبيًا لا يُضاهى لتقييم نطاق ودور بل طبيعة الامتلاك الأنوي» (Billon، تحت الطبع). وبعد استطلاع مجموعة كبيرة من الأمثلة السريرية والتاريخية لأكثر من قرن من الزمان قَسّم تبدد الشّخصية إلى أشكال مختلفة وفق العملية المتضمنة في إنتاج المحتوى ذي الصلة. إن التدهور العقلي هو فقدان الامتلاك الأنوي للحالات النفسية، والتدهور الحركي هو فقدان الامتلاك الأنوي للحالات الجسدية، والتدهور الفاعلي هو فقدان الامتلاك الأنوي للفاعلية، وفي أكثر الحالات الشمولية تطرفًا يكون "الموت وعدم الوجود" «حالة من العدم...كما لو أنني ميت».

يؤكد بيلون أيضًا أن تبدد الشّخصية يُعبَّر عنه دائمًا تقريبًا بالتعبير "كما لو". فعلى سبيل المثال: ينقل عن مريض قوله: «يبدو الألم كما لو أنه ألم شخص آخر»، وهذا عكس الحالات الوهمية التي يعتقد فيها الناس أن شخصًا آخر يشعر بالألم، ولديه الأفكار أو الذكريات ذات الصلة، أو في الحالات القصوى التي يشعرون فيها بأنهم لم يعد لهم وجود.

يتمثل أحد الجوانب المهمة في نظرية بيلون في أنه، كحال معظم المشتغلين في هذه المنطقة، يتعامل مع تبدد الشّخصية وتبدد الواقعية على أنهما جوانب للظاهرة ذاتها. إنهما يعكسان فقدان الامتلاك الأنوي لظواهر معرفانية

مختلفة: تمثيلات العالم الخارجي (تبدد الواقعية) والحالات الداخلية للشخص على التوالي. وبتعبير كريتشلي وجارفينكل Critchley and Garfinkel: «يمكن تلخيص الـ DPD كحالة علة نفسية تتميز بالنقصان الانتقائي للواقعية الشّخصية للذات والعالم» (Garfinkel & Critchley، 2013).

إن الواقعية الشّخصية مصطلح مهم؛ لأنه في الـ DPD يكون العالم وجسد المريض وحالاته الداخلية ممثَّلين على نحو صادق، لكن الشّخص يختبر شعورًا بالغرابة أو اللاواقعية.

وفق مصطلحات بيلون، يبدو أن تقرير R.B هو حالة نموذجية للتدهور العقلي، إذ هو فاقد الإحساس بالامتلاك الأنوي لذاكرته في الوقت ذاته الذي يمثل فيه بدقة الحلقات ذات الصلة التي حدثت في ماضيه. إن ذكرياته ليست «حقيقية على نحو شخصي» بالنسبة له، لماذا؟

4. ما الامتلاك الأنوي؟

عند هذه المرحلة، من المفيد فحص الآليات العصبية لتبدد-الشّخصية/ تبدد الواقعية. النقطة الأولى التي يجب ذكرها هي أن التعرف[17] لا يزال سليمًا من جهة أخرى. إذ يُتعرَّف على العالم والشّخص على أنهما طبيعيان، لكن محتواهما التمثيلي يُختبَر كما لو كان الشّخص غائبًا عن الخبرة. هذه هي الحقائق الأساسية للتقارير العلائقية عن الامتلاك الأنوي. يبدو كما لو أن الامتلاك الأنوي يمكن أن ينفصل عن التعرف.

إن النشاط العصبي المناظر لفقدان الامتلاك الأنوي هو نقص نشاط القشرة الجزيرية الأمامية (anterior insula cortex AIC) أو تلفها (Sridharan, Levitin, & Menon, 2008; Craig, 2009; Craig, 2009; Singer, Critchley, & Preuschoff, 2009;

---

(17) أترجم كلمة cognition في معظم أنحاء هذا الكتاب بـ "المعرفانية"، لكن في مواضع قليلة أترجمها بـ: "التعرف"؛ لأنها تكون أقرب إلى مقصد مؤلف الورقة (المترجم).

Medford & Critchley, 2010; Terasawa, Shibata et al., 2012; Terasawa, Shibata et al., 2013; Gasquoine, 2014; Moayedi، 2014). وهذه القشرة هي بنية ملغزة تشارك في العديد من جوانب التعرف، ولكن هناك إجماع أصبح بارزًا على أن أحد أدوارها الرئيسة هو عند قمة ما يُسمى بـ: "الشبكة البازرة Salience network" التي تقوم بتأشير signal أهمية المعلومات للكائن الحي.

هناك طريقة مختصرة لشرح هذا الدور وهي ملاحظة أنه من الضروري، ولكن ليس كافيًا، للذهن أن يمثل حالات العالم، وجسد الذات، والأداء المعرفاني. هذا هو دور أنظمة الإدراك والتعرف، التي تكون سليمة في تبدد-الشّخصية/ تبدد-الواقعية. ومع ذلك، فحتى التمثيل الصادق للعالم وحالاته غير كافٍ لاحتياجات الكائن الحي. فالكائن الحي يحتاج أيضًا إلى تمثيل أهمية تلك المعلومات الممثَّلة في ضوء السياق الحالي وأهدافه وأولويتها النسبية. يختلف ارتفاع ضغط الدم إذا كان استجابة تكيفية لتسلق السلم، أو كان استجابة لإهانة في جدال، أو كان ارتفاعًا مفاجئًا خلال فترة راحة. والخبرة تعكس تلك الاختلافات. ففي الحالة الأولى، لا يشعر به الكائن الحي على أنه ذو أهمية عاطفية ويمثله الذهن في سياق التنظيم الجسدي، وفي الحالة الثانية يكون جزءًا من العلامة الفينومينولوجية للغضب، وفي الحالة الثالثة قد يشعر به الكائن الحي كشكل مقلق من اليقظة المفرطة، ربما كعرض من الأعراض.

إن الـ AIC هو النظام الذي يسمح لنا بأن نشعر بأهمية المعلومات الممثلة في الذهن بكامله، وبالتالي، فهو محور للدوائر الموزَّعة التي تقوم بجمع المعلومات ذات الصلة ودمجها وتفسيرها بآفاق الشّخص. وهذا النظام يؤدي هذا الدور من خلال دمج تمثيلات حالة الجسد (مثلًا: ضغط الدم) التي تنتجها أنظمة التنبه الداخلي، مع تمثيلات العالم وأهداف الكائن الحي لتحديد أهمية تلك الحالات الجسدية في السياق.

وبطبيعة الحال، هذا النظام يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتسلسل الهرمي لأنظمة المعالجة العاطفية التي تنظم معالجة المعلومات المتصلة بأهداف الكائن الحي،

وتتراوح من المستوى الأساسي جدًا (الحفاظ على التوازن الجسدي، والوقاية من الإصابات) إلى المستوى العالي (منع تلوث السمعة)؛ ونظرًا لأن الأهداف متنوعة وأن تحديد الأولى منها يستجيب للسياق، فإن المعالجة الوظيفية تتضمن دمج أنظمة مختلفة تعمل على مستويات مختلفة من التعرف.

يحدث تأشير لنتيجة هذه العملية التكاملية عن طريق التنشيط في الـ AIC. في الواقع هو يستقصي التمثيل من الرتبة الأولى لحالات الجسم ويقيم أهميتها في السياق المعرفاني. ونتيجة لذلك، لا تُمنح الأولوية للمعلومات الأكثر بروزًا فحسب، وإنما تُميَّز عاطفيًا وتظهر في الوعي كشعور ملتحق بالمحتوى المعرفاني ذي الصلة. فمثلًا: عندما نرى وجهًا مألوفًا يبتسم لنا نشعر بشعور سريع بالألفة والتأثر الإيجابي.

يمكننا التعبير عن ذلك بطريقة أخرى، فنقول: إن الـ AIC يسمح بالتمثيلات ذات الصلة بالدخول إلى مساحة العمل الشاملة في شكل مشاعر تُخبِر عن المعالجة التأملية (Sridharan, Levitin et al. 2008; Craig, 2009; Füsts, Gramann et al. 2013). ويلخص كريتشلي Critchley فكرة أن الـ AIC يسمح لنا بالشعور بالأهمية العاطفية على النحو التالي:

> «تلتقي الأدلة الآتية من مجموعة متنوعة من المصادر في الإشارة إلى أن تمثيل الاستجابات اللاإرادية والعصبية داخل القشرة الجزيرية الداخلية، حيث تكون هذه المعلومات، خاصة على الجانب الأيمن، قابلة لوصول الدراية الواعية لها، مما يؤثر في المشاعر العاطفية» (Critchley، 2005).

أشار ويتش Wiech (وتريسي Tracey) إلى النقطة ذاتها عند مناقشة دور نقص نشاط الـ AIC في حالات الانفصال عن الألم (فقد الامتلاك الأنوي للألم). إذا كان الـ AIC لا يؤدي وظيفته الصحيحة، فسيظل محتوى حس الألم محسوسًا، أي: إن الشّخص سيكون على دراية بالضرر الجسدي، لكن أهمية هذا الضرر في السياق لن يُشعَر بها على أنها عاطفة مؤلمة. وبعبارتهما:

«تضمن القشرة الجزيرية الأمامية أن المحفزات البارزة مثل المنبهات المؤلمة، سيكون لها وصول تفضيلي إلى موارد الانتباه والذّاكرة العاملة للدماغ» (Wiech & Tracey، 2013).

إن هذا يفسر كون تبدد الشّخصية هو في الأساس اضطراب «تبدد العاطفية de-affectualization» كما يصفه ميدفورد Medford. عندما يكون الـ AIC ناقص النشاط، فإننا لا نشعر بالبروز العاطفي للمعلومات التي يمثلها الذهن. لكن لتفسير سبب كون "تبدد العاطفية" يؤدي إلى تبدد الشّخصية وتبدد الواقعية نحتاج إلى عنصر آخر. في النهاية لا يقول الأشخاص فقط: إن العالَم يبدو منزوع العاطفة (مع التأكيد على أنهم يقولون ذلك)، لكن يبدو أنه غير واقعي و/ أو أنهم ليسوا جزءًا من الخبرة. لماذا يؤدي فقدان الاستجابة العاطفية إلى تبدد-الشّخصية/ تبدد-الواقعية؟

الإجابة المختصرة هي أن الذهن يستخدم نماذج تنبؤية للعالم وجسدَ الشّخص لبناء تمثيلاته (Hohwy, 2013; Barrett & Simmons، 2015). لا تتنبأ هذه النماذج بحالات العالم وحالات الجسد فحسب، بل تتنبأ أيضًا بالاستجابات العاطفية التي تثيرها مواجهات الحياة. في الواقع، تعمل تلك التنبؤات العاطفية كقيود وحدوس تفسيرية للتعرف. فمثلًا: عندما نرى وجهًا مألوفًا، فإن المعالجة العاطفية ترجع إلى عملية التعرف لتعديل الانتباه ومسح الوجه. ويؤدي التعديل المستمر للعاطفة في أثناء تفاعلنا مع العالم الفعلي أو المتخيل أو المسترجع إلى إحداث تغييرات في نوعية quality الشعور، مما يمنح الشّخص إحساسًا بأنه يباشر طريقه في العالم.

من المهم أن نلاحظ أن هذه الخبرة تلقائية ومستمرة ومتكاملة على نحو وثيق للغاية مع التعرف، لدرجة أن كل خبرة تقريبًا تتأثر عاطفيًا. وفقط عندما يختفي هذا الاتصال الحميم، نصبح على دراية بدوره. إن العالم و/ أو الجسد الخامل عاطفيًا في موقف تُتوقع فيه الاستجابة العاطفية شاذ للغاية. ومن الأمثلة الكلاسيكية على ذلك الذهان الاكتئابي بعد الولادة، حيث تقول المريضة: إن

طفلها دمية (تبدد الواقعية)، أو تشعر المريضة أنها [المريضة] اختفت (تبدد الشّخصية). وأحد العوامل المساهمة هو الدرجة العالية من التوقع (ضمنًا وصراحة) للاستجابة العاطفية الإيجابية للولادة (Brockington & Kumar، 1982). وعندما يكون هذا التوقع مرتبكًا بسبب غياب العاطفة عند تقديم الطفل للوالدة (ربما بسبب اكتئاب ما بعد الولادة أو اضطراب هرموني)، يمكن للأم أن تشعر بشعور الغربة.

إن فكرة أن تدفق العاطفة يمثل تغييرات على كيان مستمر، أي: الشّخص، هي «تمثيل استدلالي [طبيعي] للذات» (Moutoussis, Fearon et al. 2014) تمامًا مثل افتراض كائن مادي يجعل تدفق المعلومات الحسية معقولًا. من المهم أن نلاحظ أن هذا "الاستدلال" لا يحدث دائمًا بوعي وعلى نحو صريح، حاله كحال الاستدلال بأن الخصائص الإدراكية تُمثَّل في الموضوعات. وبتعبير سيث Seth:

> «ترتكز العاطفة والأنانة selfhood المتجسدة على الاستدلال النشط لتلك التأشيرات التي من الأرجح أن تكون "أنا me" عبر نطاقات التنبيه الداخلي والخارجي» (Seth، 2013).

للتلخيص: الذهن يُنمذج التقلبات الانفعالية ويتنبأ بها من خلال نسبتها إلى الذات المستمرة. ويسمح لنا "نموذج الذات" هذا ليس فقط باختبار الطريقة التي تكون عليها الأشياء، وإنما أيضًا كيف تهمنا في ضوء: تاريخنا، وأهدافنا، واهتماماتنا (Gerrans, 2013; Hohwy & Michael, 2017; Gerrans & Letheby، 2017).

عندما تفشل هذه العملية التكاملية (بسبب نقص النشاط في الـ AIC أو الأنظمة التي تربط المعالجة العاطفية بالتعرف)، لكن يُمثَّل العالَم والجسد بدقة بطريقة أخرى، يشعر الشّخص بأن هناك خطأ ما.

في مثل هذه الحالات، يشعر الشعر كما لو أن التعرف سليم وأن خبرته

اللاحقة تسير كما هو متوقع (على سبيل المثال: يعرف R.B أن ذكرياته دقيقة)، لكن الذات لا تستجيب كما ينبغي. إن الاستدلال الذي يقوم به الذهن هو أن موضوع الخبرة الطبيعي، الكائن الذي تكون الأشياء بالنسبة له مهمة، غائب. وفي الوقت ذاته، يعرف هذا الشّخص أنه حاضر وأن تعرّفه يبدو حقيقيًا. وبالتالي، فهو مُجبر على أن يعبّر بتعبير "كما لو"، كما لو أن الخبرة ليست له.

5. السفر الزمني الذهني وتعاطف الشّخص مع ذاته:

في هذا القسم، أطبّق تلك الأفكار من أجل فهم دقيق للسفر الزمني الذهني (Mental Time Travel (MTT كما هو معروف. إن MTT هو المصطلح الذي يطلق على استخدام الذّاكرة والخيال لتمثيل أحداث الماضي الفعلي، والمستقبل المحتمل، وحلقات الخبرة السيرية-الذاتية في التخطيط واتخاذ القرار. والفكرة البدهية هي أننا نستخدم معرفتنا بتاريخنا الماضي لتخيل مستقبل بديل ممكن لأنفسنا. والاستعارة الحاضرة هي أننا "نسافر في الزمن"، وهي إسقاط نفسي في الماضي وفي المستقبل يمكّننا من اتخاذ قرارات شخصية تكيفية من خلال إعادة الاختبار أو الاختبار المسبق للحلقات السيرية-الذاتية الفعلية والمحتملة (Michaelian، 2016).

يشير كلاين ونيكولز Klein and Nichols في مناقشتهما لحالة R.B إلى أن الذاتوية ضرورية إذا أريد لهذه الخبرات أن تؤدي ذلك الدور التي تؤديه في التفكر. وبدونها لا يُختبَر المحتوى الذاكراتي بِعَدِّه مهمًا على نحو شخصي، وتفقد الذّاكرة (والخيال) قوتها التحفيزية.

في الواقع، تحل ذاتوية الذّاكرة الشّخصية مشكلة التعاطف ذاتها. إن اهتمامنا بالآخرين وتحفزنا من أجل فعلٍ ما في مصلحتهم يتعززان إذا تمكّنا من مشاركة بعض خبراتهم العاطفية. وينطبق الشيء ذاته على أنفسنا الماضية والمستقبلية: نحن نهتم بهم أكثر إذا تقاسمنا معهم خبرتهم. فإذا شعرتُ بمحنة مستقبلية على سبيل التوقع، فإنني أتحمس لتجنب الخطر أكثر مما لو كنتُ أعرف

فقط أن مسارًا للعمل خطير. بالمثل، استرجاع حلقة ماضية خطيرة لن يساعدني في التصرف على نحو تكيفي في المستقبل ما لم أشعر أيضًا بقشعريرة الخوف. هذا هو أحد الأسباب التي تجعل أناسًا مثل R.B الذين لديهم إعاقة في قدراتهم الذاتوية، لديهم أيضًا إعاقة في اتخاذ القرار.

من المثير للاهتمام أن كلاين لا يؤيد النظرية البنائية الكاملة للسفر الزمني الذهني، لأنه يفضّل النظرية الاستردادية للذاكرة على أسس مفاهيمية، وتُعَدّ مناقشته للذاتوية جزءًا من حجة مفاهيمية مفادها أن مصطلح الذَّاكرة يجب أن يُطبَّق فقط على استرداد المحتوى المُخزَّن المرتبط بمشاعر الذاتوية، ويجادل كلاين أيضًا بأنه ينبغي عدم توصيف الذَّاكرة بالعمليات التي تؤدي إلى نشأتها. إن هذا التصور للذاكرة يتعارض مع نظريات الذَّاكرة المؤثرة حاليًا التي (أ) تضع تفسيرها في سياق أوسع من التخطيط واتخاذ القرار، و(ب) تتعامل معها كعملية بنائية، وهذه النظريات تجادل في الواقع بأن الذَّاكرة هي تخيل الماضي، وليس استرداد المحتوى الخبراتي المخزن، و(ج) يمكن تصنيفها حسب العمليات الكامنة. هذه النقاط الثلاثة معًا هي الركائز المفاهيمية الثلاثة لنظرية السفر الزمني الذهني.

تعتمد النظرية البنائية للذاكرة اعتمادًا كبيرًا على طبيعة الآليات المعنية. تشير حقيقة أن الذَّاكرة الاستطرادية، والتخيل، للخبرة ذاتها يشتركان في الأسس العصبية إلا أنَّ محتوى الخبرة قد بناه نظام مصمم لمُحاكاة الخبرات في حالة عدم وجود محفز حاضر، «نظام الفص الصدغي الإنسي medial temporal lobe الذي لطالما عُدَّ أنه جوهري لتذكر الماضي. وقد يكتسب بالفعل قيمة تكيفية بفضل قدرته على توفير التفاصيل التي تعمل بمثابة اللبنات الأساسية لمحاكاة الأحداث المستقبلية (Schacter, Addis et al، 2008). تتعزز هذه الفكرة بالنتائج التي تفيد بأن الضرر الذي يلحق بهذه الدائرة الكهربية لا يؤثر في الذَّاكرة الاستطرادية فحسب، وإنما يؤثر أيضًا في الاستكشاف prospection وفي مجموعة من العمليات المعرفانية التي تتميز بالاستقلال عن المحفز والتمثيل الذاتي Hassabis, Kumaran et al. 2007a, Hassabis, Kumaran et al. 2007b; Hassabis &)

Maguire, 2007; Hassabis & Maguire، 2009). فاجترار الأفكار، والتخطيط، والاستكشاف الاجتماعي، والخيال التعاطفي، وأحلام اليقظة، والمعرفانية الأخلاقية، والأحلام كلها جنود في هذا النظام.

لقد أدت هذه النتائج إلى فكرة أنه على مستوى الحوسبة العصبي neural computation لا يوجد ذلك التمييز الشعبي بين الذّاكرة الاستطرادية والتخيل المستقبلي، فكلا العمليتين هما في الأساس محاكاة: الخيال الشّخصي والذّاكرة الاستطرادية هما حالتان يبني فيهما الذهن تمثيلات للحلقات الفعلية والمحتملة من حياة الشّخص في غياب الانتزاع الإدراكي الفعلي. ينتج التّداخل بين الذّاكرة والخيال من بناء الصور بالآلية العصبية ذاتها (Michaelian، 2016).

إنَّ هذه العمليات البنائية التي تنتج حلقات ذاتوية هي جزءٌ مُهم من النظرية، وعادة ما تُوصَف الأنظمة المعنية بأنها «ذاتية الإحالة self-referential» (Gusnard, Akbudak et al., 2001; Spreng, Mar, & Kim، 2009). ومع ذلك، فإن طبيعة هذه المعالجة ذاتية الإحالة والعلاقة بين الامتلاك الأنوي، والمعالجة العاطفية، والمحتوى الذاكراتي ذاتي الإحالة لمَّا يُكتشفا بعد.

تعتمد القدرة على "إعادة الاختبار" و"الاختبار المسبق" لنوبات العاطفة على بنية عصبية معقدة.

فكّر في حالة نموذجية للاستكشاف prospection، حيث نقوم بتقييم الأفعال المستقبلية البديلة من حيث نتائجها المحتملة بالنسبة لنا. فعندما اصطدمتُ بشيء على منحدر جليدي في أثناء التزلج بتهور، شعرت بالألم والضيق. وبعد سنوات، عندما أجلس على شرفة الشاليه وأتأمل التزلج الذي يحدث مرة أخرى في يوم ضبابي جليدي، ولم أعد تنشيط تلك القنوات الحسية، لا أشعر بأي كسور في العظام أو بتمزق في العضلات والأربطة، لكنني ما زلتُ أشعر بقشعريرة الخوف عندما أتخيل نفسي أتدحرج بتسارع بلا تحكم، وأتذكر أصوات الزلاجات على الجليد قبل أن ينتهي احتكاكها به بلا رجعة. وأقرر البقاء في الشاليه.

من الواضح أنني لا أشعر بألمٍ فعلي عندما أجلس في الشرفة، لكنني أشعر بالنفور وأنا أفكر في احتمالية وقوع حادث آخر. ومشاعر النفور هذه حيوية، فلو لم نشعر بالخوف عند التَّفكير في الخطر المستقبلي لن يكون لدينا الدافع لتجنبه. لا يكفي أن تعرف أن منطقة التزلج جليدية وشديدة الانحدار، وإنما لا بد من الشعور بذلك. كيف نولد مشاعر النفور إذا لم يكن هناك حافز إدراكي يسوق المعالجة الانفعالية؟

الجواب: هو أننا في مثل هذه الحالات نستحضر المحتوى الانفعالي للخبرة التي نتذكرها من أجل تقييم أهميته، وللقيام بذلك ننشّط الـ AIC الخاص بنا، وهو النظام الذي يسمح لنا بالشعور بأهمية المحتوى الممثَّل.

إن هذا الاقتراح المتعلق بدور الـ AIC في MTT مدعوم من خلال اكتشاف مثير للاهتمام بشأن التخيل الطوعي للحالات الحسية. في هذه الحالات، لا يحاكي الناس حسّ الألم (المتعلق بتمثيل الضرر الجسدي)، وإنما عواقبه الانفعالية، مما يجعل الخبرة ذات صلة على نحو شخصي. وهذا يفسر اكتشاف أن:

> «تصور إحساسات الحالة الداخلية يعني زيادة النشاط في مناطق المعالجة الحسية داخلية التنبه، بما في ذلك القشرة الجزيرية الأمامية والوسطى في النصف الأيمن للدماغ. يُعدّ هذا اكتشافًا مهمًا، حيث يشير إلى أن تلك القشرة الأساسية داخلية التنبه، الموجودة في القشرة الجزيرية الخلفية، لم تشارك مشاركة معتبرة في تصوير إحساسات الحالة الداخلية» (Bennett & Baird، 2009).

تشير مثل هذه الحالات إلى أنه عندما نتخيل خبرةً ما أو نتأملها، فإننا لا نعيد خلق تمثيل كامل لتلك الخبرة. وإنما (نعيد) بناء الاستجابة الانفعالية لتلك الخبرة. بعبارة أخرى: نحن لا نمثل ما يحدث لنا، ولكن نمثل ما يهمنا. نحن نتعاطف مع ماضينا أو مستقبلنا من خلال تنشيط الدوائر الكهربية التي لا تمثل

الحالة الجسدية في حد ذاتها، وإنما أهمية الحالة الجسدية. وللقيام بذلك، نحتاج إلى أن نكون قادرين على التحكم في الـ AIC على نحو مستقل عن الانتزاع الإدراكي/ الحسي. ومن أجل ذلك، نستغل تكيفًا يسمح لنا بتنظيم نشاط الـ AIC على نحو مستقل عن موارده (الجسدية) العادية داخلية الاستنباه interoceptive.

يتضح هذا التكيف في إدارة استجابات الألم، وهو جزء من تفسير حالات الانفصال عن الألم (هنا أنا أؤيد فقط فكرة كلاين القائلة: إن الانفصال عن الإحساس هو شكل من أشكال تبدد الشّخصية فيما يتعلق بالألم)، يمكننا تقليل الاستجابة للألم حتى لو نتمكن من تغيير الضرر الجسدي وتمثيله الأليم.

وبالتالي يتوقع المرء أنه في مثل هذه الحالات سيكون النشاط في الـ AIC منخفض التنظيم، في حين لن يتأثر النشاط في الأنظمة التي مثل القشرة الجزيرية الخلفية (PIC) التي تراقب حالة الجسد في حد ذاتها. سوف نقوم في الواقع بنزع الطابع الشّخصي للخبرة على نحو طفيف.

في الواقع، يبدو أن هذا هو الحال في إبلاغات اختبار الألم تحت تأثير المسكنات الأفيونية، حيث أفاد المرضى أن الألم لم يخمد، ولكن «لم يعد مهمًا». إحدى الاكتشافات الرئيسة هنا هو أن المواد الأفيونية لا تستهدف فقط الـ AIC كما قد يتوقع المرء، وإنما تستهدف الـ AIC والهياكل الحوفية limbic المتعلقة به والمشاركة في المعالجة العاطفية. بل إن الـ AIC أكثر استجابة من الـ PIC للجرعات المنخفضة من المواد الأفيونية. من الأسهل للكائن الحي تنظيم الاستجابة العاطفية الأولية للضرر الجسدي بدلًا من إصلاح الضرر الجسدي. وبالتالي، في السياقات التي لا يستطيع فيها الكائن الحي تخصيص موارد للإصلاح، فإنه يثبط النظام الذي ينتج عاطفة سلبية استجابةً للضرر الجسدي، ومن ثم يمنع الألم من جذب الانتباه عن الأنشطة الأخرى ذات الصلة. تستغل المواد الأفيونية هذا التكيف، أو تحاكيه، وتؤدي إلى خفض تنظيم الـ AIC، مما يقلل الأهمية المحسوسة للألم.

«تشير بيانات التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي إلى أن المسكنات الأفيونية يمكن أن تؤثر تأثيرًا مباشرًا في الاستجابات العاطفية مع الجرعات المنخفضة التي لا تؤثر في الجوانب الحسية للألم» (Lee, Wanigasekera, & Tracey، 2014).

وبالمثل، لم يعد مرضى الانفصال عن الألم يعطون أهمية عاطفية للضرر الجسدي، بسبب نقص النشاط في الـ AIC الخاص بهم. ولهذا السبب وُصف الانفصال عن الألم على نحو صحيح بأنه شكل من أشكال اضطراب تبدد الشّخصية.

لا يصح ذلك بالنسبة لمحاكاة ألمنا فحسب، بل يصح أيضًا بالنسبة للمحاكاة التعاطفية لآلام الآخرين. فعندما نتعاطف مع آلام الآخرين، فإننا لا نعيد خلق المصفوفة الكاملة لتفعيل الألم في دماغنا، وإنما نقوم بتنشيط الـ AIC الخاص بنا الذي يخبرنا أن الألم مفزع، ويتضمن التعاطف محاكاة الأهمية العاطفية المحسوسة، وليس حالة الجسد في حد ذاتها. نحن «لا نشعر بألم الآخرين» تخيليًا، مثلما أننا لا نشعر بألمنا المستقبلي أو الماضي تخيليًا.

إن هذه الفكرة مدعومة بدراسة بارعة للتعاطف مع خبرة الألم قام بها روتغن Rutgen وآخرون (2015) الذين استخدموا تأثيرات المسكنات لاستكشاف طبيعة التعاطف مع الألم. كانوا يفحصون الفرضية القائلة: إنه «إذا كان التعاطف يعتمد على تجنيد التمثيلات والعمليات العصبية التي ينشطها الألم المباشر، فإن تغيير هذه التمثيلات تجريبيًا سيؤثر أيضًا في التعاطف مع الألم» (Rütgen, Seidel et al. 2015). وقد قاموا بذلك باستخدام مُسكّن وهمي placebo، وكان المتوقع أن الأشخاص الذين اختبروا المسكن الوهمي يجب أن يشعروا بقدر أقل من التعاطف مع الألم؛ بسبب انخفاض شدة شعورهم بالألم، ثم عُكس الدواء الوهمي عن طريق إعطاء النالوكسون naloxone: وهو مضاد antagonist أفيوني، مع ما يترتب على ذلك من توقع التعاطف المتزايد ('استعادة الطبيعي normalization') مع الألم. كانت النتائج كما هو متوقع. إذ قلل المسكّن الوهمي

من التعاطف مع الألم واستعاد المضاد الأفيوني التعاطف. والسمة المثيرة للاهتمام هي أن الدائرة المستهدفة هنا كانت القشرة الجزيرية الأمامية والقشرة الحزامية الوسطى mid cingulate cortex، وهما «منطقتان رئيستان في شبكة المناطق التي ينشطها الألم، ونشاطها مرتبط ارتباطًا مباشرًا بالعنصر الانفعالي-التحفيزي للألم» (Rütgen, Seidel et al. 2015).

هناك طريقة أخرى لصياغة هذه الفكرة، وهي أن نقول: إنه للتعاطف مع ألم الآخرين (أو حتى ألمنا الماضي أو المستقبلي)، فإننا لا نعيد خلق الضرر الجسدي الفعلي أو تمثيله، وإنما نعيد خلق الخبرة الانفعالية. هذا هو السبب في أن الانفصال عن الألم والمسكنات الأفيونية اللذين يعملان على إلغاء تنشيط الـ AIC يقللان الضيق الناتج عن الألم وليس الإحساس بالألم.

إن النقطة العامة هنا هي أن الأهمية الشّخصية للمحتوى الممثَّل تعتمد على ارتباطها بنشاط الـ AIC. ويمكن لهذا النشاط أن يتنوع على نحو مستقل عن المحتوى الممثل كعملية تكيف تنظيمية. لكن هذه الاستقلالية تعني أن نشاط الـ AIC يمكن أن ينفصل عن المحتويات الأخرى، ففي حالة تلف الـ AIC أو تعطيله إراديًا يشعر المرء "كما لو" أن المحتويات الممثلة ليست جزءًا من خبرته.

كان الهدف من هذا القسم هو إظهار أن السفر الزمني الذهني يتطلب القدرة على توليد العاطفة والإبقاء عليها في حالة عدم حضور حافز بحيث يكون لتلك الخبرة محتوى ذاتوي كما لها محتوى معرفاني. والدور العام للـ AIC هو في قمة الشبكة البارزة، ويشير دوره المحدد في تنظيم الألم، استقلالًا عن حس الألم، جانب قلة النشاط في حالات تبدد-الشّخصية/ تبدد-الواقعية إلى الأساس الحاسم للخبرة الذاتوية.

6. نسخة روجر Roger's Version:

لقد جادلتُ بأنَّ الاستجابة الانفعالية المنسوبة إلى كيان مستمر تخلق شعورًا

بالمشاركة في خبرة الذاتوية المعمَّدة أو الامتلاك الأنوي، وزعمتُ أيضًا أن الذاتوية التي تُفهم على هذا النحو هي العنصر الجوهري في السفر الزمني الذهني، ما يسمح لنا في الواقع بالتعاطف مع أنفسنا الماضية أو المستقبلية. وقد استند جزء كبير من هذه الحجة إلى النظر في الآليات المعنية. تشير إلى الأدلة المتلاقية إلى وجود الـ AIC وتقترح أيضًا أن القدرة على تنشيط AIC بالتنسيق مع الذَّاكرة أو الخيال تولد الشعور بالامتلاك الأنوي الضروري للسفر الزمني الذهني.

بروح هذه الفصل الميكانيكية، يجب أن أرد على التحدي الذي طرحته مناقشة حالة روجر، وهو مريض مصاب بأضرار جسيمة في القشرة الجزيرية، وكذلك في: اللوزة الدماغية، والقشرتين الحزاميتين الأمامية والجبهية البطنية ventromedial prefrontal. ولدى روجر مجموعة من أوجه القصور المعرفاني والانفعالي، ومنها فقدان تقدمي شديد للذاكرة anterograde amnesia.

وفق وجهة نظري، لا بد أن يعاني روجر من قصور شديد في: "الامتلاك الأنوي"، أو "الذاتوية"، أو "الحضور الشّخصي"، أيًّا كان المصطلح التقني المفضَّل. إن الهياكل الضرورية لخلق استجابة انفعالية مدفوعة إدراكيًا (اللوزة) واستجابة انفعالية مدفوعة ذاكراتيًا أو تخيليًا (القشرة الجبهية البطنية) والسماح لنا بالشعور بهذه الاستجابات في السياق المعرفاني (AIC) تالفة أو مدمرة.

ومع ذلك، عندما فحص فيليبي Philippi وآخرون روجر بمجموعة من الاختبارات المعيارية للدراية الذاتية (self awareness SA) وجدوا أن «R هو إنسان واعٍ، وعلى دراية بذاته، ويشعر بما حوله، على الرغم من التدمير الواسع للمناطق القشيرية التي يُزعم أنها تؤدي دورًا جوهريًا في SA، وهي القشرة الجزيرية، والقشرة الحزامية الأمامية، والقشرة الجبهية الإنسية» (Philippi, Feinstein et al. 2012). استنتج المجربون أن روجر كان على دراية بذاته بفضل قدراته على دمج الإشارات الجسدية جدًا الناشئة في جذع الدماغ مع معرفته التصريحية والدلالية عن حياته وسماته الشّخصية، ووجدوا «دعمًا ضئيلًا

للفرضيات التي تتضمن أن القشرة الجزيرية جوهرية لكل جوانب SA».

ليس ذلك فحسب، بل كانت استجابة روجر النافرة للمنبهات المؤلمة ليست سليمة فقط، وإنما تضخمت أيضًا. فعلى عكس الشّخص العادي، لا يبدو أن روجر يتعود على سلسلة من المحفزات المؤلمة، ولكنه يجد كل مناسبة متساوية ومؤلمة حديثًا.

وبالتالي، من المغري جدًا استنتاج أن روجر لديه استجابات انفعالية سليمة للألم. ومن الردود الواضحة على ذلك هو الادعاء بأن روجر قد عوّض خسارته، وهذا في الواقع أحد تفسيرات أعراض روجر:

«اختباره العاطفي السليم للألم ناتج عن اللدونة plasticity، فالدور التكيفي لعاطفة الألم ضروري للغاية بحيث يمكن للدماغ أن يجدد أسلاكه تلقائيًا لخدمة الحفاظ على الذات....[وهذا يشير إلى أن] الخبرة العاطفية يمكن أن تمثلها instantiate بنى دماغية خارج تلك التي يُفترض تقليديًا أنها جوهرية لعاطفة الألم» (Feinstein, Khalsa et al. 2015).

بدلًا من ذلك، قد يعوّض روجر القصور الذي لديه باستخدام استراتيجيات معرفانية بديلة. فمثلًا: من المرجح جدًا أن قدرته السليمة على الشعور بضربات قلبه لا تعتمد على الاستنباه الداخلي، وإنما يشعر بها عبر سطح جلد صدره. وعندما خُدِّر هذا السطح تراجعت قدرة روجر، على عكس عناصر التحكم[18] الذين يُفترض أنهم استخدموا المسار الاستنباهي الداخلي السليم (Philippi, Feinstein et al. 2012).

إن صح ذلك، فمن الممكن الإبقاء على الهيكل الأساسي لتقريري، فقد أعاد روجر تثبيت reinstalled البنية الهندسية المعرفانية للاستجابة الانفعالية للألم من خلال مزيج من: اللدونة العصبية، وإعادة الانتشار، والتكيف. ومع ذلك،

---

(18) عنصر التحكم هو المتغير المتحكَّم فيه في أثناء التجربة، فهو يمثل ضوابط وقياسات للتجربة لذلك يُحتفظ به لتقييم متغيرٍ ما، سواء أكان شخصًا أم غير ذلك (المترجم).

فإن فكرة إعادة تثبيت المرء للبنية الهندسية العاطفية/ المعرفانية/ التأثرية بسلاسة تبدو غير مرجحة. والأرجح هو مزيد معقد من التعويض والعجز. وهناك تفسير أعقد يشير إلى أن روجر يعاني في الواقع بعض أشكال العجز الخطيرة التي تتلف إحساسه بالأهمية العاطفية للألم.

يبدأ هذا التفسير من حقيقة أن روجر قد بالغ في سلوك الألم ولم يلطفه، فهو لا يعتاد التجارب المؤلمة المتواصلة. وفي هذا الصدد، هو يشبه بعض المرضى الذين يعانون أضرارًا في القشرة الحزامية البطنية، ولا يتعلمون من الخبرة السلبية (ولا غرابة في ذلك، حيث إن روجر يعاني أضرارًا في القشرة الحزامية البطنية). واستجاباته للألم، السلوكية واللفظية، تشبه استجابات الفزع المفاجئ.

تذكّر أن أحد الأدوار المهمة للقشرة الجزيرية الأمامية هو إتاحة المشاعر العاطفية في سياق التّفكير التأملي، للسماح لنا بتحديد أهمية الحالات الجسدية. وعند مناسبة الموقف يمكننا إعادة توجيه الانتباه أو تركيزه، أو منع الاستجابة العاطفية أو المبالغة فيها. يمكننا أن نقرر إنهاء مهمة ما قبل استشارة الطبيب، وتناول الأسبرين، والاستلقاء أو الاندفاع إلى المستشفى وفق شدة الألم وصلته بأهداف مهمة عاطفيًا. ويمكننا، إلى درجة مدهشة (وهذا لا يحدث في حالات الإصابة الشديدة للغاية كما هو واضح)، أن ننظم على نحو مستقل، تلقائيًا أو بتحكم من مستوى أعلى، المكون العاطفي لخبرة الألم.

ليس لدى روجر أي شيء من هذه المؤهلات، فهو فقط لديه حس الألم، والسلوك التالي لمحفّزٍ ما، والتعرف ذو الرتبة الأعلى. اقتراحي هو أن روجر لا يقيّم ألمه عاطفيًا في الحقيقية، حتى عند المستويات المنخفضة. هو فقط يختبر الانتقال التلقائي من حس الألم إلى التعبير السلوكي. وبالتالي، فإن هذا الشعور مؤلم بالنسبة لروجر، ولكنه لا يوضع في سياقه عاطفيًا.

إن هذا التفسير قد اقترحته التجارب بالفعل:

«تشير البيانات إلى أنَّ البنى الحوفية المرتبطة على نحو مشترك بالألم قد

تؤدي دورًا أساسيًا في تنظيم الألم. ووفق هذا الرأي، فإن المناطق المفقودة في دماغ روجر ستضعف قدرته على التحكم في استجاباته للأم وتقليل تنظيمها» (Feinstein, Khalsa et al. 2015).

إن هذا يشير إلى أن روجر في الواقع ربما يفتقد على وجه التحديد القدرة الانفعالية التي يتطلبها الشعور. التنظيم والرقابة. وهذا الفقد للقدرة على الشعور بأهمية حالاته (وليس مجرد الاستجابة الانعكاسية) يجب أن يظهر، وفق تقريري، في فقدان الاستجابة الانفعالية للألم. إن حالة روجر تتوافق مع هذا الفقدان على الرغم من معرفته الدلالية السليمة بحالته.

لسوء الحظ كل من مراكز الرتبة الأدنى والرتبة الأعلى (اللوزة الدماغية والقشرة الجبهية البطنية) لنظام المعالجة العاطفية لدى روجر متضررة، وهو يعاني فقدان الذَّاكرة بشدة فضلًا عن "قصر النظر للمستقبل myopia for the future"، حسب التعبير اللطيف لأنطوان بشارة Antoine Becchara. وبالتالي، لا يمكنه تنفيذ رحلة زمنية ذهنية على الرغم من أنه يستطيع التَّفكير في المستقبل والماضي. وهذا يفسر سعادته المستمرة.

«يبدو روجر غير مهتم على نحو لافت بحالته، فهو نادرًا ما يشتكي، وبشكل عام، لا يُظهر سوى القليل من القلق على أي شيء في الحياة. ويزعم والداه وأخته بحرارة أن "روجر سعيد دائمًا"، وهي ملاحظة تتفق مع انطباعنا. علاوة على ذلك، استنادًا إلى بلاغ عائلته، من المفارقات أن روجر أكثر سعادة الآن مما كان عليه قبل تلف دماغه» (Feinstein et. al. 2010).

لا يستخدم روجر في الحقيقة السفر الزمني الذهني المعدَّل انفعاليًا للتنقل في عالمه. عندما نركز على إحساس بالذات ملوّن انفعاليًا، موجود بمرور الوقت، يبدو أن روجر لا يفتقر إليه فقط، ولكنه لا يشعر بأن هذا الافتقار هو خسارة. لقد عاش في العالم العاطفي ذاته غير المُعدَّل لمدة ثلاثين عامًا بوضع أوّلي default setting واحد لا يعتمد على الأداء الطبيعي لنظام السفر الزمني الذهني الذي يضفي على المحاكاة عنصر الانفعال.

من المثير للاهتمام مقارنة حالة روجر بحالة أخرى من حالات فقدان الذّاكرة الاستطرادية.

يمتلك KC معرفة حُصَينية hippocampal موسعة تُضعف أيضًا قدرته على تخيل المستقبل (الأفانتازيا aphantasia). ومن الأمور المذهلة بشأن KC هو عدم وجود استجابة انفعالية للأحداث البارزة عاطفيًا. فعلى سبيل المثال: هو لا يتذكر التفاصيل العاطفية للمآسي العائلية والحوادث الشّخصية (Rosenbaum, McKinnon et al. 2004).

ومع ذلك، كان KC يؤدي أداءً مناسبًا في مهمة مصممة لاختبار تقييمه للمكافآت المستقبلية، وكان هذا على الرغم من حقيقة أن «KC قد أبلغ عن حالة ذهنية "فارغة blank" عندما طُلب منه تشييد مسارات قد يستخدم فيها المكافآت المستقبلية التي فضّل اختيارها على اختيار المكافآت الفورية» (Kwan, Craver et al. 2012). في بعض المناحي، تتعارض هذه النتيجة مع الفرضية القائلة: إن السفر الزمني الذهني هو تكيف لاتخاذ قرار تكيفي. إذ تتيح لنا القدرة على معايشة المستقبل بحيوية أن نشعر بالآفاق المستقبلية وأن نعرفها. وانسجامًا مع هذه الفرضية يعتمد معظم الأشخاص في هذه الحالة على مزيج من المعرفة الدلالية والاستكشاف الاستطرادي (على سبيل المثال: "فكّرتُ في كيفية إنفاق المال بعد تقاعدي") والبنى غير الاستطرادية (على سبيل المثال: "قدّرتُ الفائدة المتراكمة") الموجهة إلى المستقبل. وبالطبع لا يستطيع KC القيام بذلك، لكنه أخبر عن اعتماده على "الشعور الغريزي gut feel" لترتيب تفضيلاته. أقترح أن هذا يرجع إلى أن الوظيفة اللوزية لديه سليمة التي تسمح له بالفعل بتقييم الخيارات كما لو كانت متاحة حاليًا. وبالتالي، وُضعت المكافأة اللاحقة الأكبر في مرتبة أعلى من المكافأة الحالية الأدنى؛ لأن القرار ليس له بُعد زمني بالنسبة له، فهو بالنسبة لهذا المريض مسألة حسابية يكملها شعور غريزي، وقد جمع المريض بين هذا الشعور ومعرفته الدلالية السليمة وقدرته على التَّفكير لتنفيذ المهمة.

على الرغم من أن المجرّبين قد خلصوا إلى أن السفر الزمني الذهني لم يكن ضروريًا لتجنب الخصم المستقبلي[19]، إلا أن استنتاجهم يتوافق مع فكرة أن السفر الزمني الذهني الذي ينطوي على شعور ينفصل عن الذّاكرة الدلالية، وتشير "النتائج الحالية إلى أنه في غياب الذّاكرة الاستطرادية، فإن اتخاذ القرار بشأن الأمور المستقبلية يمكن أن يستند إلى الذّاكرة الدلالية. وتدعم هذه النتائج التمييز بين تخيل المستقبل ومعرفته".

7. الخلاصـــة:

إن الذاتوية ظاهرة انفعالية مُعقدة في الأساس، فالذات التي نشعر بها في الحلقات الذاتوية هي كيان يستدل عليه الذهن للتنبؤ بالطريقة التي يسبب بها العالم مشاعرنا وتفسيرها. تشير الدلائل المتلاقية إلى أن أساسها العصبي هو القشرة الجزيرية الأمامية، وبالتالي في حالات مثل حالة R.B، نتوقع أن يكون الـ AIC معطوبًا أو ناقص النشاط أو مفصولًا عن الدائرة الكهربية (خاصة VMPFC) الذي ينسق ربط الشعور بالتمثيلات الأخرى التي تشتمل على سيناريوهات جرى التدريب عليها في السفر الزمني الذهني.

المراجع:

Baker, D., Hunter, E., Lawrence, E., Medford, N., Patel, M., Senior, C., Sierra, M., Lambert, M. V., Phillips, M. L., & David, A. S. (2003). Depersonalisation disorder: Clinical features of 204 cases. *The British Journal of Psychiatry*, *182*(5), 428-433.

Barrett, L. F., & Simmons, W. K. (2015). Interoceptive predictions in the brain. *Nature Reviews Neuroscience*, *16*(7), 419-429.

Bayne, T., & Pacherie, E. (2005). In defence of the doxastic conception of delusions. *Mind & Language*, 20(2), 163-188.

Bennett, C. M., & Baird, A. A. (2009). The processing of internally-generated interoceptive sensation. *Neuroimage*, 47(1), S84.

---

(19) أي: إسقاط المستقبل من الحسابات، فالمريض KC كان يفضل المكافآت المستقبلية ولا يسقطها (يخصمها) من حساباته من أجل المكافآت الفورية، وذلك دون اعتماد على السفر الزمني الذهني (المترجم).

Billon, A. (in press). What is it like to lack "mineness." Depersonalisation as a probe for the scope, nature and role of mineness.

Blakemore, S.-J., Oakley, D. A., & Frith, C. D. (2003). Delusions of alien control in the normal brain. *Neuropsychologia*, 41(8), 1058-1067.

Brockington, I. F., & Kumar, R. (1982). *Motherhood and mental illness*. London: Academic Press.

Craig, A. (2009). Emotional moments across time: A possible neural basis for time perception in the anterior insula. *Philosophical Transactions: Biological Sciences*, 1933-1942.

Craig, A. D. (2009). How do you feel-now? The anterior insula and human awareness. *Nature Reviews Neuroscience*, 10(1), 59-70.

Critchley, H. D. (2005). Neural mechanisms of autonomic, affective, and cognitive integration. *Journal of Comparative Neurology*, *493*(1): 154-166.

Feinstein, J. S., Khalsa, S. S., Salomons, T. V., Prkachin, K. M., Frey-Law, L. A., Lee, J. E.,... Rudrauf, D. (2015). Preserved emotional awareness of pain in a patient with extensive bilateral damage to the insula, anterior cingulate, and amygdala. *Brain Structure and Function*, 1-13.

Feinstein, J. S., Rudrauf, D., Khalsa, S. S., Cassell, M. D., Bruss, J., Grabowski, T. J., & Tranel, D. (2010). Bilateral limbic system destruction in man. *Journal of clinical and experimental neuropsychology*, *32*(1), 88-106.

Fernandez J. (in press). The ownership of memories. In M. Garcõa-Carpintero & M. Guillot (Eds.), *The Sense of Mineness*. Oxford: Oxford University Press.

Füsts, J., Gramann, K., Herbert, B. M., & Pollatos, O. (2013). On the embodiment of emotion regulation: interoceptive awareness facilitates reappraisal. *Social Cognitive and Affective Neuroscience*, *8*(8), 911-917.

Gallagher, S. (2005). Phenomenological approaches to self-consciousness. In S. Gallagher & D. Zahavi (Eds.), *Blackwell companion to consciousness*. Oxford: Blackwell.

Garfinkel, S. N., & Critchley, H. D. (2013). Interoception, emotion and brain: New insights link internal physiology to social behavior. *Social Cognitive and Affective Neuroscience*, 8(3), 231-234.

Gasquoine, P. G. (2014). Contributions of the insula to cognition and emotion. *Neuropsychology Review*, 24(2), 77-87.

Gerrans, P. (2013). Delusional attitudes and default thinking. *Mind & Language*, *28*(1): 83-102.

Gerrans, P., & Letheby, C. (2017). The self unbound: Ego dissolution in psychedelic experience. *Neuroscience of Consciousness*, *3*(1): nix016

Guillot, M. (2017). I me mine: On a confusion concerning the subjective character of experience. *Review of Philosophy and Psychology*, 8(1), 23-53.

Gusnard, D. A., Akbudak, E., Shulman, G. L., & Raichle, M. E. (2001). Medial prefrontal cortex and self-referential mental activity: Relation to a default mode of brain function. *Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America*, 98(7), 4259-4264.

Hassabis, D., Kumaran, D., & Maguire, E. A. (2007a). Using imagination to understand the neural basis of episodic memory. *Journal of Neuroscience*, *27*(52), 14365-14374.

Hassabis, D., Kumaran, D., Vann, S. D., & Maguire, E. A. (2007b). Patients with hippocampal amnesia cannot imagine new experiences. *Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America*, *104*(5), 1726-1731.

Hassabis, D., & Maguire, E. A. (2007). Deconstructing episodic memory with construction. *Trends in Cognitive Sciences*, 11(7), 299-306.

Hassabis, D., & Maguire, E. A. (2009). The construction system of the brain. *Philosophical Transactions of the Royal Society of London B: Biological Sciences, 364*(1521), 1263-1271.

Hohwy, J. (2013). *The predictive mind.* Oxford: Oxford University Press.

Hohwy, J., & Michael, J. (2017). Why should any body have a self? In *The subject's matter: Self-consciousness and the body.* F. Vignemont, & A. Alsmith, A. (Eds.). Cambridge, MA: MIT Press.

Jardri, R., Pins, D., Lafargue, G., Very, E., Ameller, A., Delmaire, C., & Thomas, P. (2011). Increased overlap between the brain areas involved in self-other distinction in schizophrenia. *PloS One*, 6(3), e17500.

Jardri, R., Delevoye-Turrell, Y., Lucas, B., Pins, D., Bulot, V.,... Goeb, J.-L. (2009). Clinical practice of rTMS reveals a functional dissociation between agency and hallucinations in schizophrenia. *Neuropsychologia*, 47(1), 132-138.

Klein, C. (2015). What pain asymbolia really shows. *Mind*, 124(494), 493-516.

Klein, S. B., & Nichols, S. (2012). Memory and the sense of personal identity. *Mind*, 121(483), 677-702.

Kwan, D., Craver, C. F., Green, L., Myerson, J., Boyer, P., & Rosenbaum, R. S. (2012). Future decision-making without episodic mental time travel. *Hippocampus*, 22(6), 1215-1219.

Lee, M. C., Wanigasekera, V., & Tracey, I. (2014). Imaging opioid analgesia in the human brain and its potential relevance for understanding opioid use in chronic pain. *Neuropharmacology*, *84*, 123-130.

MCA, D., Phillips, M., Medford, N., Senior, C., Bullmore, E., Suckling, J.,...Williams, S. (2001). Depersonalization disorder: Thinking without feeling. *Psychiatry Research: Neuroimaging*, *108*, 14560.

Medford, N. (2012). Emotion and the unreal self: Depersonalization disorder and de-affectualization. *Emotion Review*, *4*(2), 139-144.

Medford, N., Brierley, B., Brammer, M., Bullmore, E. T., David, A. S., & Phillips, M. L. (2006). Emotional memory in depersonalization disorder: A functional MRI study. *Psychiatry Research: Neuroimaging*, *148*(2), 93-102.

Medford, N., & Critchley, H. D. (2010). Conjoint activity of anterior insular and anterior cingulate cortex: Awareness and response. *Brain Structure and Function*, *214*(5-6), 535-549.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge: MIT Press.

Moayedi, M. (2014). All roads lead to the insula. *Pain*, *155*(10), 1920-1921.

Moutoussis, M., Fearon, P., El-Deredy, W., Dolan, R. J., & Friston, K. J. (2014). Bayesian inferences about the self (and others): A review. *Consciousness and cognition*, *25*, 67-76.

Philippi, C. L., Feinstein, J. S., Khalsa, S. S., Damasio, A., Tranel, D., Landini, G.,... Rudrauf, D. (2012). Preserved self-awareness following extensive bilateral brain damage to the insula, anterior cingulate, and medial prefrontal cortices. *PloS One*, *7*(8), e38413.

Rosenbaum, R. S., McKinnon, M. C., Levine, B., & Moscovitch, M. (2004). Visual ima-

gery deficits, impaired strategic retrieval, or memory loss: Disentangling the nature of an amnesic person's autobiographical memory deficit. *Neuropsychologia, 42*(12), 1619-1635.

Rütgen, M., Seidel, E.-M., Silani, G., Rieèanski, I., Hummer, A., Windischberger, C.,... & Lamm, C. (2015). Placebo analgesia and its opioidergic regulation suggest that empathy for pain is grounded in self pain. *Proceedings of the National Academy of Sciences, 112*(41), E5638-E5646.

Schacter, D. L., Addis, D. R., & Buckner, V. (2008). Episodic simulation of future events. *Annals of the New York Academy of Sciences, 1124*(1), 39-60.

Seth, A. K. (2013). Interoceptive inference, emotion, and the embodied self. *Trends in Cognitive Sciences, 17*(11), 565-573.

Singer, T., Critchley, H. D., & Preuschoff, K. (2009). A common role of insula in feelings, empathy and uncertainty. *Trends in Cognitive Sciences, 13*(8), 334-340.

Spence, S. (2001). Alien control: From phenomenology to cognitive neurobiology. *Philosophy, Psychiatry, and Psychology, 8*(2-3), 163-172.

Spreng, R. N., Mar, R. A., & Kim, A. S. N. (2009). The common neural basis of autobiographical memory, prospection, navigation, theory of mind, and the default mode: A quantitative meta-analysis. *Journal of Cognitive Neuroscience, 21*(3), 489-510.

Sridharan, D., Levitin, D. J., & Menon, V. (2008). A critical role for the right frontoinsular cortex in switching between central-executive and default-mode networks. *Proceedings of the National Academy of Sciences, 105*(34), 12569-12574.

Stone, T., & Young, A. (1997). Delusions and brain injury: The philosophy and psychology of belief. *Mind and Language*, 12, 327-364.

Terasawa, Y., Shibata, M., Moriguchi, Y., & Umeda, S. (2012). Anterior insular cortex mediates bodily sensibility and social anxiety. *Social Cognitive and Affective Neuroscience*, nss108.

Terasawa, Y., Shibata, M., Moriguchi, Y., & Umeda, S. (2013). Anterior insular cortex mediates bodily sensibility and social anxiety. *Social Cognitive and Affective Neuroscience, 8*(3), 259-266.

Tulving, E. (2002). Episodic memory: From mind to brain. *Annual Review of Psychology, 53*(1), 1-25.

Tulving, E. (2005). Episodic memory and autonoesis: Uniquely human. *The Missing Link in Cognition: Origins of Self-Reflective Consciousness*, 3-56.

Wheeler, M. A., Stuss, D. T., & Tulving, E. (1997). Toward a theory of episodic memory: The frontal lobes and autonoetic consciousness. *Psychological Bulletin, 121*(3), 331.

Wiech, K., & Tracey, I. (2013). Pain, decisions, and actions: A motivational perspective. *Front Neurosci, 7*, 46.

الجزء الرابع

الذّاكرة في المجموعات

الفصل التاسع

التذكر المشترك والانفعال الموزَّع:

الأشكال المتنوعة للاعتماد-البيني النفسي

جون ساتون John Sutton

إنَّ إحدى السمات المهمة للحياة البشرية هو اعتمادنا-البيني النفسي، فحالاتنا المعرفانية والانفعالية ترتبط بتلك الخاصة بالآخرين من حولنا، بامتدادات مختلفة وعبر سياقات ثقافية متنوعة. نحن نعمل معًا ونتشارك الخبرات مع: الشركاء، وأفراد الأسرة، والأصدقاء، وزملاء العمل، وغيرهم من الذين نرتبط بهم في حياتنا اليومية. ونتيجة لذلك، فإن ما يشعر به كل منا ويتذكره، وما يهم كل منا بشأن الحاضر والماضي، والطريقة التي نتخيل بها المستقبل ونخطط له، يمكن أن يتأثر بـ: ما يشعر به الآخرون، ويتذكرونه، ويهتمون به. ويحدث هذا في اللحظة التي تُعدَّل فيها: عواطفي، أو حالاتي المزاجية، أو قراراتي، أو أفكاري بأفعال أو استجابات، أو أحكام، أو تقييمات شخص قريب مني. ولكنه يحدث أيضًا بمرور الوقت، وفي كثير من الحالات على مدار سنوات، أو عقود، أو على مدى الحياة. وهذا الاعتماد-البيني لا يعني أننا نفكر، أو نتذكر أو نشعر بالطريقة ذاتها تجاه الأشياء. ففي كثير من الحالات، يهمني بشدة أن تختلف عواطف أو ذكريات شخصٍ ما أهتم به عن عواطفي وذكرياتي. يمكن أن تكون حياتنا النفسية في ظروف محددة ذات اعتماد بيني، وتتأثر على نحو متبادل، بدرجات مختلفة وبطرق مختلفة تتكامل مع بعضها البعض، سواء أكان المحتوى الدقيق أو أسلوب أفكارنا، وذكرياتنا، ومشاعرنا متطابقة أم لا.

يدمج هذا الفصل على نحو تكاملي أربعة اتجاهات حديثة في فلسفة الذَّاكرة وفلسفة العلوم المعرفانية، وكلها تتناول ظواهر الاعتماد-البيني النفسي:

أولًا: الطرق التي يتكامل بها التذكر أو يتشابك عادة مع العمليات المعرفانية والانفعالية، مع التخيل والشعور، يُعترف بها ويُسلَّط عليها الضوء (Sutton, 2009; Keightley & Pickering, 2012; Goldie، 2012).

ثانيًا: يُنظر إلى الجوانب الاجتماعية للذاكرة على أن من الممكن أن تكون مفيدة: فالأشخاص الآخرون ليسوا فقط مصادر للخطأ أو المعلومات المضللة، ولكن يمكنهم في ظروف محددة دعم شكل الاسترجاع ومحتواه، وبناؤه على نحو جمعي (Campbell, 2008; Sutton، 2008).

ثالثًا: الذَّاكرة هي حالة اختبار للمزاعم القائلة بإمكانية توسيع التعرف أو توزيعه (على نحو أفضل) عبر مجموعة من الإيكولوجيات المعرفانية غير المتجانسة التي تشمل الموارد العصبية والجسدية والبيئية (Sutton et al., 2010; Tollefsen, Dale, & Paxton، 2013)، وما يتصل بذلك من أفكار حول القصدية الجمعية (Michaelian & Sutton، 2017).

رابعًا: في الأدبيات الحديثة التي أركز عليها، يُنظر إلى العواطف أيضًا على أن من الممكن توزيعها على الجسد والعالم وكذلك الدماغ (Colombetti & Krueger، 2015).

إنني أهدف إلى تحديد الروابط الوثيقة التي لا تحظى بالتقدير الكافي بين هذه النقاط الأربع، خاصة بين الطبيعة الاجتماعية للتذكر وتوزيع الظواهر الانفعالية؛ ونظرًا لأن الذَّاكرة غالبًا ما تكون قيد الاستخدام رغم أنها ليست محل البحث على نحو صريح، فقد لا يرى المنظّرون الذين ينصب اهتمامهم الأساسي على مجال آخر مدى تضمنها. تمامًا كما أن التقارير المعقولة لعملية اتخاذ القرار في فاعلية المجموعية تفرض متطلبات على آليات ذاكرة المجموعة لتتبع التاريخ واستخدامه استخدامًا فعالًا (Sutton، 2008)، فإن مجموعة من أشكال التذكر المتفاعلة تشارك في ظاهرة "الانفعال الموزَّع distributed affectivity Slaby، 2016). وقد دللت على ذلك في القسم الثاني من خلال اختيار أربع سمات ذات صلة للانفعال الموزع. وهذه السمات هي سمات مهمة

في حد ذاتها، فهي تؤكد كمجموعة الروابط الوثيقة في هذه السياقات بين العاطفة والتذكر. ثم في القسم الثالث أتوجه إلى سؤال محدد حول ما يُشارَك بالضبط في التذكر المشترك، في مثل هذه الأنظمة الموزَّعة اجتماعيًا: مرة أخرى بالنظر إلى العاطفة والذَّاكرة معًا، أجادل بأن العلاقات التكميلية بين مختلف الأشخاص غالبًا ما تكون أكثر أهمية من التلاقي أو التوافق عبر الأفراد المتفاعلين.

1. الانفعال الموزَّع:

بعض السياقات الفلسفية التجريدية حول ميتافيزيقا المعرفانية الممتدة والموزعة تخاطر بفقدان رؤية سياقات العالم الحقيقي التي حفزت تلك المقاربات (Hutchins, 1995; Clark, 1997; Michaelian & Sutton، 2013). في المقابل، ينشأ العمل الحديث المبتكر في هذا المجال من تحول إلى: معالجة الظواهر الانفعالية - العواطف، والمشاعر، والحالات المزاجية، وما شابه ذلك - في سياقات شخصية واجتماعية محددة. إذا كانت عمليات الاعتقاد، والتذكر، واتخاذ القرار في ظروف محددة تنتشر عبر الموارد: العصبية، والجسدية، والبيئية، فقد ينطبق الشيء ذاته على: الأسف، والحب، وأنواع أخرى من الشعور. وهذا يبدو معقولًا، بالنسبة للكثيرين منا؛ لأنَّ العمليات العاطفية والمعرفانية غالبًا ما تكون متشابكة بإحكام، وتؤثر في الحياة العاطفية في حدِّ ذاتها، وتتكشف خلال نطاقات زمنية متعددة. كما يقترح المنظّرون في هذا المجال، يمكن تقديم حجة للطبيعة التوزيعية للعديد من الظواهر الانفعالية، سواء أكانت الحادثة أم النزوعية، من حلقات العاطفة اللحظية إلى: المشاعر، والمزاجات، والسمات الشّخصية، والحالات المزاجية (Colombetti & Roberts، 2015)، وأنا أتبعهم في استخدام التسمية الشاملة "الانفعال الموزع" للإشارة إلى هذا النطاق الواسع (Slaby, 2016; Candiotto، 2016). يتبع عرضي للاتجاهات الواعدة من الأعمال الحديثة، على وجه الخصوص، الخطوط الفكرية التي طورها جويل كروغر Joel Krueger، وجيوفانا كولومبيتي Giovanna

Colombetti، وزملاؤهم في أوراق قوية تبحث في الانفعال الموزع في إطارات محددة - التفاعلات العاطفية بين: الآباء والرضع، والاكتئاب والأسف، والموسيقى والرقص، وغير ذلك (Krueger, 2014a, 2015; Varga & Krueger, 2013; Colombetti & Krueger, 2015; Krueger & Szanto, 2016; Colombetti, 2015, 2017; Colombetti & Roberts, 2015; see also Griffiths & Scarantino, 2009; Stephan, Walter, & Wilutzky, 2014; Mühlhoff, 2015; Greenwood, 2013, 2015; LeŸn, Szanto, & Zahavi، 2017). وبعد أن أصف المقاربة باختصار، أستخرج أربع سمات تبني معًا حجتي، وهي أن الانفعال الموزع يشمل أيضًا الذّاكرة، وعلى وجه الخصوص التذكر المشترك، بطرق مباشرة على نحو مدهش.

لإثبات الانفعال العاطفي، يركز كروغر وزملاؤه على عمليات تنظيم العواطف. يلاحظ كروغر أن تقارير تنظيم العاطفة في علم النفس المعرفاني والسريري والاجتماعي السائد (على سبيل المثال: Gross، 1998) تُقرّ بالطرق المتنوعة والمتجسدة غالبًا التي يمكننا بها - إمكانًا عرضة للخطأ لكن كثيرًا ما يكون فعالًا - إعادة توظيف الانتباه، أو تعديل الاستجابة الانفعالية، أو تحويل تقييمنا وخبرتنا للأحداث والمواقف البارزة عاطفيًا. ولكن على مدى فترات زمنية أطول، ننخرط أيضًا في "المعالجات المتواصلة ongoing manipulations" المؤداة ببراعة لعوالمنا التي لها وظائف عاطفية على وجه الخصوص، وتوزيع آليات تنظيم العواطف عبر بيئاتنا الاجتماعية، والمادية، والثقافية. نحن نصمم منازلنا وغرفنا، ومكاتبنا أو سياراتنا، وأجهزنا وشبكاتنا جزئيًا لتحمِل عواطفنا أو تضخمها أو تضبطها. وعادة ما نذهب إلى حديقة محددة أو مقهى محدد، أو نختار ملابس أو لوازم تكميلية accessories محددة، أو نستمع إلى أنواع محددة من الموسيقى، أو نتحدث إلى أصدقاء أو أقارب محددين؛ لأننا من خلال الخبرة المترسبة المتكررة قمنا ببناء عادات ومعايير عاطفية بشأن هذه الموارد الخارجية (Colombetti & Krueger, 2015; Krueger، 2015). وبمرور الوقت، نبني، ونسكُن، ونعدّل الأنظمة الانفعالية المتكاملة المستمرة التي تتضمن كل من الموارد الاجتماعية والبيئية، بما في ذلك أنواع من الارتباط المتكرر الغني الذي يؤشر العمليات الموزعة حقًا.

من خلال تفريغ حياتنا العاطفية ومعالجتها وتنظيمها بطرق أخرى معقودة خارجيًا مع مرور الوقت، نصل أحيانًا إلى العواطف الأكثر ثراء أو دقة مما قد نختبره بطريقةٍ أخرى، أو على الأقل نجد عوالمنا الانفعالية تتشكّل أو تتحول بشكل مختلف نتيجة لذلك. فمثلًا: قد يؤدي الاستماع بعمق للموسيقى لبعض الناس بمرور الوقت إلى نحت "مخزون فينومينولوجي موسع"، ومن ثم «يمكنهم الوصول إلى عالم موسع من حالات المشاعر وأنماط التعبير التي يتعذر الوصول إليها إلى حد كبير خارج السياق الموسيقي؛ لأن الموسيقى تتألف من ديناميكيات تعبيرية أكثر رشاقة وشاعرية وظلالًا من نظائرها السلوكية» (Krueger, 2014b، ص. 209). يمكن أن تتطور التحولات الانفعالية الموازية في الأشكال الموزعة اجتماعيًا من التنظيم العاطفي، وفي بعض الأحيان لا يمكننا أن نشعر بخبرات عاطفية محددة، أو نتعامل معها، في غياب عواطف أخرى مهمة (Varga & Krueger، 2013).

تنبثق هذه الحجج التي لصالح الانفعال الموزع من طريقة محددة لتطوير مقاربة التعرف الموزع، وتنسجم معها. إذا تجاوز التنظيم العاطفي الموزع وتضمن الموارد: العصبية، والجسدية، والاجتماعية، والتكنولوجية، والبيئية، فهناك العديد من الاختلافات المهمة عبر الأجزاء التكوينية للأنظمة الموزعة ذات الصلة. وهذا التنوع، كما يلاحظ كروغر، هو ميزة، حيث إن هذه الموارد المتباينة، أينما كان موضعها ومهما كانت أشكالها وخصائصها، لها سمات تكميلية تدعم في ظروف معين القدرة على التشابك أو الاندماج في أنظمة أكبر ذات خصائص جديدة أو مختلفة (Krueger, 2014a, p. 538; cf Greenwood، 2013). سأعود إلى هذه النقطة لاحقًا، لكن حاليًا، لدينا ما يكفي من التخطيط العام للمضي قدمًا وتوضيح المقاربة من خلال استخراج السمات الأربع لظاهرة الانفعال الموزع.

2. السمات الأربعة للانفعال الموزع:

من خلال تحديد أربع خصائص رئيسة للانفعال الموزع، أقوم ببناء تصور للظواهر أكثر ثراءً، وأُظهر مدى شمولها للذاكرة في تلبية متطلبات تتبّع التفاعلات عبر الأنظمة الانفعالية المتكاملة بمرور الوقت.

1.2 تضمن الانفعال الموزع للتذكر المتجسد

نحن ننخرط في تنظيم متجسد ومستمر للعواطف على عدد من المستويات. تتضمن الخبرة العاطفية، ويمكن أن تتأثر في كثير من الأحيان بـ: تعديل الأبعاد التعبيرية والفسيولوجية للعاطفة، وإعادة تشكيل الوضع الجسدي أو الإيماءة، أو الحركة أو التنفس، أو مجرد الانتباه لهذه العمليات (Krueger, 2015; and on moods Colombetti، 2017). هذه الأبعاد الجسدية للخبرة العاطفية، وقدراتنا المستمرة غير المعصومة والجزئية (لكنها حقيقية) على الوصول إليها والتأثير فيها، يقترنا أحيانًا بالأوضاع البيئية. إن ما يؤسس الراحة العاطفية السلسة هو الإحساس المتجسد أو الارتياح لغرف أو مناظر محددة، أو قطع أثاث أو زوايا مقاهي مألوفة، مثل: تلك التي أكتب فيها هذه الكلمات. في المقابل، غالبًا ما ينطوي الارتحال إلى أماكن غير مألوفة، أو التعامل مع أجهزة أو مواقف غير مألوفة، على إثارة القلق الجسدي النافر، و، أو كأساس، للعواطف غير السارة والتعرفات غير اليقينية.

يظهر معنى من معاني تضمن الانفعال الموزع للتذكر المتجسد من خلال أنماط الاستجابات الجسدية والعاطفية بمرور الوقت، مثل: الاستجابات السابقة. وكما يجادل الفلاسفة الفينومينولوجيون، فإن الشعور السلس أو المضطرب بالوجود في العالم، أو الطبيعة الطلقة أو غير الطلقة لمواجهته، أو التوافق التفاعلي بين الجسد والمحيط، كلها تنطوي على عمليات كُلّانية holistic، عمليات تعتمد على التاريخ على نحو قبل-تأملي pre-reflectively، وتنطوي على ترسب الخبرة جسديًا (Behnke, 1997; Casey, 2000; Fuchs،

2012). إن هذه الارتباطات الحية، والاستجابات البديهية، والعادات الانفعالية للانخراط في العالم هي أشكال للتذكر المتجسد أكثر مرونة وحساسية من ردود الفعل المنعكسة.

على الرغم من أن الأبعاد الجسدية للانفعال الموزع لا تقتصر، كما سأناقش، على هذه الأشكال الأكثر ضمنية من معرفة-الكيف knowhow المتجسدة، إذ يمكننا بالفعل أن نرى أن أنظمة العاطفة الموزعة هذه دياكرونية بالأساس، وأن الذّاكرة المتجسدة هي أحد الأسس الرئيسة التي يُنعش التاريخ من خلالها الخبرة العاطفية. إن مفهومَي التذكر "المتجسد" والتذكر "الإجرائي" يغطيان نطاقًا واسعًا من الظواهر، وباستخدامهما نحتاج إلى تجنب أي إشارة ضمنية إلا أن الأشكال الأخرى للتذكر لا تتجسد بطريقةٍ ما (Sheets-Johnstone, 2009; Sutton & Williamson، 2014). علاوة على ذلك، عند الإشارة إلى مركزية التذكر المتجسد للانفعال الموزع، فأنا لا أقترح أن الخبرة العاطفية المحددة المتجسدة الماضية تُحمل "في" الجسد أو "تُخزَّن" في شكل منفصل. إذ عادة ما تكون آثارها وتأثيراتها أكثر تراكمية وكُلّانية، ويجب ألا تكون قابلة للعزو على نحو شخصي إلى الماضي (على عكس الأشكال الأساسية للتذكر الشّخصي أو الاستطرادي): فمن وجهة نظرنا التجسدية تتخذ الخبرة العاطفية المتجسدة الأشكال التي تتخذها دون توجيهنا إلى مصادرها في الماضي ودون أن تكون عن هذه المصادر.

أخيرًا، الجوانب المجسدة للانفعال الموزع ليست فردية أو محدودة على وجه الحصر. ربما يكون هذا أوضح ما يكون عند التّفكير في العلاقات الحميمة والصداقات الوثيقة، حيث يمكن للتلامس بين طرفي العلاقة، ووجودهما المتجسد، ونشاطهما المشترك أن يتوسط أو يشكّل الحب أو الثقة. لكن المجموعات الصغيرة الأخرى لها أنماط انفعالية جسدية أيضًا (Slaby، 2016).

إن حقيقة أن الناس قد انخرطوا معًا في ممارسات محددة مرات عدة من قبل يمكن أن تشكّل شعورهم باجتماعهم معًا مرة أخرى. مرة أخرى، هناك

علاقة محكمة من الإنعاش المتبادل بين التذكر الموزع اجتماعيًا وعاطفيًا وبين التفاعل المتجسد والذّاكرة المتجسدة.

2.2 تضمن الانفعال الموزع للسقالات الذاتية Self-Scaffolding النشطة:

تعمل بعض عمليات الانفعال الموزع على نحو قبل-تأملي، وتشكّل عالمًا من الخبرة العاطفية المجسدة التي يمكن عدّها أمرًا مفروغًا حتى يحدث لها خللٌ ما، لكن هذه الخصائص الضمنية أو المترسبة لا تنصف تلك الظواهر بأي حال من الأحوال. فكما يجادل كروغر وزملاؤه، نحن ننخرط، فرديًا وجماعيًا، في تعديل نشط ومنتظم ومُلِح للبنى التحتية الانفعالية، فنحن نعيد تصميم مكاتبنا، ونعيد حزم حقائبنا، ونغيّر عاداتنا، ونعيد النظر في صداقاتنا، ونعيد التَّفكير في جداولنا، وعندما نتردد، أو نطلب النصيحة، أو نبحث على الإنترنت عن طرق جديدة للقيام بمثل هذه الأمور، فإننا نفعل ذلك ليس فقط لأسباب أداتية ولتحسين الكفاءة أو الإنتاجية، وإنما من أجل أن نشعر أيضًا بشعور أفضل عند تشغيل أجهزتنا، أو عند ولوجنا غرفاتنا المفضلة، أو عندما ندرج في يومنا تمرينًا ما. يُعدّ ضبط الممارسات اليومية وإعادة هندسة سمات بيئاتنا المألوفة شكلين رئيسين من السقالات الذاتية النشطة للانفعال الموزع. تمامًا كما أن اختيارنا ذا المرتبة الأولى لبعض المصنوعات أو المقطوعات الموسيقية أو الأفعال هو وسيلة عادية للتحفيز الذاتي العاطفي، فكذلك نحن نختار المواقف ونعالجها "لتعديل فينومينولوجيتنا العاطفية". لذلك ننخرط أيضًا بمرور الوقت في تعديل من الرتبة الثانية لبيئاتنا «يلتحم بنا مرة أخرى بطرق معقدة ويشكل ما نشعر به وكيف نشعر به». ومن خلال إعداد سمات لعالمنا المأهول المألوف، يمكننا استخدامها بمرور الوقت «المنح إمكانية الوصول إلى أنواع من الخبرات التي لم يكن من الممكن أن نحصل عليها بدون مدخلاتها التنظيمية» (Krueger, 2015، ص. 266).

لقد حُدِّد هذا النوع من «السقالات الذاتية» (Bickhard، 2005) على نحو

معقول كعلامة رئيسة للتعرف الممتد أو الموزع، على سبيل المثال: أسّس كولومبيتي وروبرتز Colombetti and Roberts (2015) حجتهما للعاطفة الموزعة بالكامل على الحالات ألتي فيها «يقترن نظامٌ ما بعنصر بيئي يقوم من خلاله النظام بعقد نوع من نشاط التحفيز الذاتي، ويوضع هذا النشاط التحفيزي الذاتي على وجه الخصوص في موضعه ويُحافظ عليه بمرور الوقت» لأداء أدوار انفعالية محددة داخل النظام الأكبر (قارن بـ Clark، 2005). تتحدى مثل هذه الظواهر أي تمييز دقيق بين الخبرات العاطفية النشطة والسلبية، كما ينبغي أن تقول أفكار المعرفانية الممتدة والموزعة. فمن جهة، تظهر استجاباتنا الانفعالية أو تُحوَّل من خلال التفاعل مع سمات محددة لبيئاتنا. ومن جهة أخرى، نحن نقوم في كثير من الأحيان على نحو نشط ومتكرر بـ: خلق، وتعديل، ورعاية، وتقييم، وإعادة تقييم هذه السمات بعينها، وتلك التفاعلات بعينها.

تفرض مثل هذه السقالات الذاتية النشطة مزيدًا من المتطلبات على الذّاكرة.

يجب علينا بمرور الوقت، كأفراد أو مجموعات صغيرة، تتبع عمليات منتجاتنا، وأمورنا الروتينية، وتفاعلاتنا الاجتماعية، وتحديد وتقييم أنماط الاستجابة العاطفية. وبالنظر إلى ما نعرفه عن الطبيعة البنائية للذاكرة، من الجيد أيضًا ألا يكون هذا التتبع كاملًا، فالنقطة المهمة هي أننا عادة لا نبدأ من الصفر في تصميم أو تعديل كيفية العمل داخل عوالمنا العاطفية، وبالتالي، فإننا نعتمد على قدراتنا في تذكر بعض التفاعلات ذات الصلة والأولوية على الأقل. هناك عدد من أشكال الذّاكرة متضمنة هنا، إذ غالبًا ما تكون هناك حاجة إلى كل من التذكر الشّخصي المتجسد لإجراء تعديلات داخل نظام عاطفي موزع على أساس الخبرة السابقة.

3.2 الانفعال الموزع دياكروني:

عادة ما تمتد ظواهر الانفعال الموزع زمنيًا، فالعواطف أو الحالات المزاجية

المعنية ليست أحداثًا عينية[1] token معزولة توجد فقط في لحظة خاطفةٍ ما، وإنما تستغرق وقتًا، وينطبق هذا على الأحداث العاطفية التي تشبه الحلقة والخبرات ذات الشعور النوعي الفريد (Colombetti & Roberts, 2015, pp. 1256-1260)، وكذلك النزعات العاطفية الدائمة. في معظم الحالات على الأقل، عند توزيع: الأسف واليأس، والغضب والبهجة، عبر الموارد: الجسدية، والبيئية، والاجتماعية، والعصبية، فإن هذه الأحداث العاطفية ظواهر معقدة أو نظامية تُدمج حالات وعمليات متباينة تستمر بمرور الوقت. وفي نطاقات زمنية أطول، فإن نوع السقالات التكرارية للبيئات الانفعالية التي وصفتها سابقًا يتضمن دورات من التعديل المتبادل، حيث يقوم الأشخاص المتجسدون بتغيير عوالمهم العاطفية، وبالتالي، يتناغمون ديناميكًا مع العوالم التي تغيّرت بهذه الطريقة.

من ثلاثة جوانب، يمكن دفع فكرة أن الانفعال الموزع دياكروني في اتجاهات أكثر طموحًا من الجهة الميتافيزيقية. في كل حالة، ما أقوله هنا يتوافق مع الرأي الأقوى، لكنه لا يتطلبه الهدف الديالكتيكي هو جعل حجة الانفعال الموزع مقبولة على نطاق واسع قدر الإمكان:

أولًا: لست بحاجة أن أجادل: بأنه لا يمكن أن تكون هناك عواطف سانكرونية أو لحظية تمامًا، وإنما أقول فقط: إن الحالات الجوهرية للانفعال الموزع لا تأخذ هذا الشكل.

ثانيًا: لستُ بحاجةٍ إلى أن أعد مثل هذه الظواهر الانفعالية دياكرونية بالضرورة، بالطريقة التي يتعامل بها بيتر غولدي مع شعور الأسف على أنه عملية ممتدة زمنيًا بالضرورة (Peter Goldie، 2011)، وخاصة الصفحات 125، 126، 137).

---

(1) العيني token (أو الرمزي أو المنطوق) يأتي في مقابل النوعي type، فمثلًا: كلمة tree، تحتوي ثلاثة أنواع من الحروف، هي: 't'، و'r'، و'e'، لكنها تحتوي أربعة حروف منطوقة أو عينية، فتمييز العيني-النوعي هو تمييز بين الفئة وما يندرج تحتها كأمثلة محددة (المترجم).

ثالثًا: لستُ بحاجةٍ إلى تبني مقاربة دياكرونية حصرًا لكل المعرفانية الممتدة والموزعة بشكل عام، كما هو الحال في هجوم مايكل كيرشوف Michael Kirchhoff على إمكانية حدوث أي حالات سانكرونية خالصة من التمدد المعرفاني (Kirchhoff، 2015). مرة أخرى، النقطة المهمة هي أن الجزء الأكبر من الحالات المعقولة التي يمكن رؤيتها بشكل واقعي على أنها مثال للانفعال الموزع جرى مدّها زمنيًا.

هذا يكفي لإعطاء الذّاكرة دورًا رئيسًا في تأسيس الطرق ودعمها التي نصمم بها أنظمة تنظيم العواطف لدينا، ونجندها، ونستند إليها، ونعدلها. إن استجاباتنا الجسدية في المواقف البارزة انفعاليًا هي أشكال من التذكر المتجسد. وتتبُّع تفاعلات محددة هو التذكر الاستطرادي، وعادة ما يتجسد في سرديات أو موضوعات حياتية أكمل تبني الذّاكرة السيرية-الذاتية. والذّاكرة الدلالية في شكل معرفتنا الخلفية، العامة والمهمة على نحو شخصي، تُخبر سقالاتنا الذاتية النشطة. هناك شكل آخر واسع الانتشار للانفعال الموزع، وهو الذي يتضمن التذكر المرتقب للمستقبل، حيث غالبًا ما تكون العواطف والحالات المزاجية فيه ذات صلة، كما هو الحال عندما نتتبع ونراجع نياتنا للأفعال المستقبلية وعندما نفكر بشأن المستقبل على نحو أعم.

لكن جوهريًا، لا يقتصر الانفعال الموزع على كل هذه الأشكال المميزة للذاكرة على نحو منفصل. إذ عادة ما تشكّل الخبرات السابقة الإيكولوجيات والاستجابات العاطفية بعدة طرق في وقت واحد. ومن خلال التمييز أولًا بين هذه الأشكال من التذكر، يمكننا تركيز البحث على الطرق العديدة التي تتفاعل بها أو تنتعش بها على نحو تبادلي. فعندما أشعر بالسعادة أو الراحة العاطفية في العودة إلى مكان أو غرفة أحبهما كثيرًا، مثلًا: قد أتذكر خبرات محددة هناك، وأشعر بالراحة المتجسدة التي تنبع من العديد من الزيارات المتكررة لذلك المكان، وأتمتع بومضات حية من الصور أو الذكريات الحسية، وأعتمد على الاعتقادات أو المواقف attitudes العامة التي تشكّلت على مدى سنوات أو أحدثها. بعبارة أخرى: قد تتداخل وتتشابك أشكال التذكر متعددة الكيفيات

والوسائط عادة عندما تحلّق خبرتي العاطفية عبر العالم في مواقف كهذه. تتخلل التاريخ: أنظمة الذّاكرة، وعمليات الدماغ، والجسد، والعالم بطرق متشابكة.

4.2 تضمن الانفعال الموزع للتذكر المشترك:

كأمر طبيعي، تقع السمة الأخيرة للانفعال الموزع التي سنبحثها هنا خارج النقاش السابق، وتحتل بقية الفصل. فهي النقطة الأساسية التي مفادها: إن الانفعال الموزع متشابك بعمق مع الذّاكرة، إذ إن كل من الذّاكرة الفردية في جميع أشكالها، كما هو الحال في العديد من الحالات التي نوقشت سابقًا، والتذكر المشترك، في (أو خاصة في) الحالات الأقوى من التذكر المشترك للخبرات المشتركة أو الأفعال المشتركة (Sutton، 2008). يمكن استخلاص مقاربة مباشرة أخرى لهذه النقطة من مناقشة كولومبيتي وكروغر (2015) للثقة بَعَدِّها سقالة مركزية من السقالات العاطفية البين-شخصية. فقد لاحظا في هذا المجال أن ثقة شخص في مورد في (شيء أو شخص آخر) لا تتعلق بموثوقيته في قول الحقيقة بشأن العالَم، مثلما يؤكد كلارك وتشالمرز Clark and Chalmers (1998) وستيرلني Sterelny (2010) بالنسبة للمجال المعرفاني. وإنما الثقة هي اعتماد موثوقية بعض التأثيرات على حالاتنا العاطفية، فمثلًا: قد يكون لدينا «توقع أن يكون للآخرين تأثير تغييري محدد في حياتنا العاطفية» (2015، pp. 1162، 1166). يواصل كولومبيتي وكروغر فيقولان:

> «جزء من السبب الذي يجعلنا نختبر المودة مع العائلة والأصدقاء هو أننا نعرف نوع الاستجابة العاطفية التي يمكن أن نتوقعها منهم. فمثلًا: بناءً على التفاعلات السابقة، نعرف أي فرد من العائلة يجب أن نذهب إليه لنسمع منه التأكيد اللازم لتحسين مزاجنا، أو أي صديق نتصل به ليضحكنا» (2015، ص. 1167).

إن هذا يكشف عن بعض الطرق الدقيقة التي ننتقل بها في العالم الاجتماعي.

لاحظ كيف أن الذَّاكرة متضمنة على نحو مركزي، فنحن نحمل تاريخ هذه "التفاعلات السابقة" ونتصرف على أساسها. عادة ما يُسلَّم بكل هذا، فالذَّاكرة قيد الاستخدام على الرغم من أنها ليست محل البحث على نحو صريح، وعلى الرغم من أنه عندما تتغير الأمور أو تُحبط التوقعات قد نتذكر الأحداث والخبرات السابقة التي أدت إلى تلك التوقعات، وربما نعيد تقييمها على عجل. مرة أخرى، يمكن تشغيل عدد من الجداول الزمنية التفاعلية في وقت واحد: السرديات الراسخة حول أفراد العائلة أو الأصدقاء التي يمكن أن تبقى لفترة تتجاوز الأعمار الفردية، وتُشكّل وتتشكَّل بتقييماتنا العاطفية للمقايضات التي تحدث على مدار أيام وأسابيع، ضمن الفضاء القياسي للعلل البين-شخصية التي هي ذاتها متأصلة في عمليات المحاذاة والتفاعل المتجسد التي قد تفلت من الوعي (Bietti & Sutton، 2015).

على نحو جوهري، هذه العلاقات هي علاقات تبادلية نموذجيًا، إذ يتذكر أفراد عائلتنا أو أصدقاؤنا أنماط استجابتنا والتاريخ المشترك بيننا، تمامًا كما نتذكر عن أنفسنا: «نحن نشعر بالراحة في هذه العلاقات لأننا نقوم، إلى حدٍّ ما، بتفريدها individualized...وبالتالي، فإننا نؤدي دورًا نشطًا في تشكيل الطريقة التي تعمل بها علاقاتنا البين-شخصية كسقالات عاطفية موثوقة» (Colombetti & Krueger, 2015، ص. 1170).

في مجموعات صغيرة من هذا النوع، يميل كل شخص إلى معرفة ما يشعر به الشّخص الآخر وكيف يمكن أن يستجيب عادة في ظروف محددة، وكيف يمكن أن تؤثر هذه الاستجابات بدورها في الآخرين. هذا هو البُعد الانفعالي لما أطلق عليه فيغنر Wegner (1987): "نظام الذَّاكرة التبادلية transactive memory"، حيث يمكن لكل عضو من خلال الخبرة الطويلة والتواصل الفعال أن يرسم الذكريات المميزة للأعضاء الآخرين ويصل إليها حسب الحاجة. يؤثر التفاعل العاطفي في عمليات الذَّاكرة الموزعة، ويؤثر التذكر المشترك في الانفعال المُوزَّع. ويفتح هذا المجال أمام مجموعة من المسائل الفاتنة التي ما زالت محل بحث، ويتخذ الجزء المتبقي من هذا الفصل بعض الخطوات المبكرة.

3. هل تلاقٍ أم تكامل؟ ما الذي يُشارَك shared في الأنظمة الموزعة؟

لقد كنتُ أناقش توزيع العواطف والذكريات على أكثر من شخص، واستخدمت تعبير "المشاركة" sharing لوصف علاقة أعضاء المجموعة بعواطف أو ذكريات محددة. ولكن ماذا تعني "مشاركة" الحالات أو العمليات المعرفانية أو الانفعالية في هذه السياقات؟

مثلما توجد طرق مختلفة يمكن للناس من خلالها مشاركة الأشياء المادية، فكذلك المشاركة النفسية تأتي بأشكال عديدة. من الأسهل إحكام مفهوم الخبرات الإدراكية المشتركة. عندما يشاهد شخصان معًا الشيء ذاته، يمكنهما إنشاء أرضية مشتركة إدراكية والحفاظ عليها. على الرغم من أنك وأنا ننظر الآن إلى الشمعة التي على الطاولة من منظورات بصرية-مكانية مختلفة، إلا أننا ننظر إليها معًا، وكل منا يعرف هذا، فمثل هذه الخبرات تتحد من حيث إنها تجعل المعرفة متاحة، ليس المعرفة المتعلقة بالعالم الخارجي فحسب، وإنما أيضًا المتعلقة بالحالة الإبستيمية لبعضنا البعض (Seemann، 2011، 2017). لأسباب مختلفة، في الذّاكرة والعاطفة قد يكون النوع ذاته من العلاقة مع الإمدادات البيئية الحالية مفقودًا. لذلك من المحتمل أن يكون التذكر أو الشعور "بالمشاركة" ظاهرة أقل شيوعًا، وأن يستغرق وقتًا أطول بكثير ليصبح راسخًا من المنحى النمائي (Hoerl & McCormack، 2005).

أنا هنا أنظر نظرة نقدية في مقاربة واحدة لهذه المسائل من أجل تقرير مفترض للتذكر المشترك والانفعال الموزع. هذه هي الفكرة السائدة في بعض الأبحاث حول كل من الذّاكرة والعاطفة، وهي أن الشكل الأساسي أو الأهم من الاعتماد-البيني - "العلامة" الأفضل على التذكر أو الشعور المشترك الحقيقي - هو التلاقي أو التشابه بين أعضاء المجموعة المعنية. هل يلزم، من أجل أن يحدث توزيع الذكريات أو العواطف حقًا بين شخصين أو أكثر، أن يتذكر أو يشعر هؤلاء الأشخاص بالأشياء ذاتها، وبالطرق تقريبًا ذاتها؟

بعبارة أخرى: نريد أن نعرف ما يجب أن يكون صحيحًا فيما يتعلق

بالأعضاء الفرديين في مجموعة ثنائية أو صغيرة يُوزَّع فيها الانفعال (أو الذَّاكرة)، أو ما الذي يمكن أن يحدث لهؤلاء الأعضاء عندما تستمر التفاعلات الموزعة؟

المقاربة الأولى التي أنظر فيها تعامل التلاقي على أنه الشكل المركزي للمشاركة في الذَّاكرة والعاطفة، ثم أعود إلى الاعتبارات النظرية الآتية من الجدل المتعلق بالمعرفانية الممتدة والموزعة، مما يشير إلى أن سبب التشكيك في التلاقي يمكن أن نجده في مقاربة "الموجة الثانية" المعقولة على نحو مستقل التي تؤكد تكامل الموارد غير المتجانسة في الأنظمة المعرفانية الموزعة. وقد وظفتُ هذا الخط الفكري للمجادلة بأن الأشكال غير المتساوقة asymmetric من الاعتماد-البيني هي الخاصية الأكثر تمييزًا وأهمية في التذكر المشترك والانفعال الموزع.

1.3 التلاقي، والسانكرونية، والاندماج:

لنأخذ الذَّاكرة أولًا، يُزعم أحيانًا أن التلاقي هو العلامة المميزة لعملية جماعية حقيقية. بالنسبة للأشكال الأكبر نطاقًا للذاكرة الجماعية التي دُرست في العلوم الاجتماعية، فإن إحدى العبارات الكلاسيكية التي تعبّر عن هذا الرأي هي عبارة بيتر نوفيك Peter Novick. يهدف نوفيك تحليليًا إلى «فصل الذكريات غير المهمة نسبيًا والعابرة عن الذكريات التي تبقى وتشكّل الوعي»، ويباين بشدة بين الذَّاكرة والوعي التاريخي، ومن ثم يكتب: «الذَّاكرة الجماعية تبسّط الأحداث، فهي ترى الأحداث من منظور واحد ملتزم، ولا تحتمل أي نوع من الغموض؛ وتختزل الأحداث في نماذج أوّلية أسطورية» (Novick, 1999، ص. 4). في علم النفس المعرفاني، هناك اتجاه قوي من الحركة الأخيرة التي تتعامل مع الذَّاكرة الجماعية والتعاونية بجدية يتعامل مع التلاقي بِعَدِّه شرطًا ضروريًا، فبالنسبة لهيرست ومانييه Hirst and Manier «لا يمكن القول: إن الذَّاكرة الجماعية تتشكل إلا إذا التقى المجتمع في استدعاء مشترك» للماضي (2008، 193). عندما يذكر

هيرست أن «الفهم المشترك للماضي» يمكن أن ينشأ عندما تنحت التأثيرات الاجتماعية «ذكرياتنا حتى نتذكر جميعًا نفس التفاصيل»، فإن هذه النقطة هي النتيجة الوحيدة النافعة للتأثيرات الاجتماعية المذكورة في مقال شعبي حديث حول «الطرق التي يمكن للآخرين من خلالها تشويه ذكرياتك ways that other people can warp your memory» (Robson، 2016). يدرس برنامج هيرست البحثي المزدهر «انبثاق تمثيلات ذاكراتية مشتركة تحافظ على عضوية المجموعة وهويتها»، ويسعى إلى تحديد الطرق التي يؤدي بها «التذكر الحواري إلى تلاقي ذاكراتي متزايد» (Coman & Hirst, 2015; Yamashiro & Hirst، 2014).

بالمثل، عند النظر مرة أخرى في الأبحاث الحديثة المتعلقة بالعاطفة المشتركة والموزعة، نجد تركيزًا على بناء وإبقاء السانكرونية الانفعالية عبر الأفراد. وهذا يرجع جزئيًا إلى الاعتماد على دراسات الأفعال المتضامنة المنسقة coordinated joint actions، حيث إن الحركة السانكرونية أو السلوك السانكروني، أو إحداث الجلْب[2] entrainment عبر الأفراد المتفاعلين «على مستويات متعددة من الفسيولوجيا إلى بناء الجملة» قد ثبت أن لها تأثيرات نظامية، وغالبًا ما تكون إيجابية على المعرفانية والعاطفة في المجموعات (von Zimmerman & Richardson، 2016).

يُستخدم مفهوم السانكرونية بطرق في هذه الأدبيات، فبالاستخدام الضيق له، تتباين التفاعلات السانكرونية مع حالات تفاعلات تكميلية يحقق فيها الأشخاص هدفًا مشتركًا لكل منهم بانخراط كل منهم في أفعال مختلفة Dale et al., 2013; Skewes et al) 2015). وعلى هذا الاستخدام، تُعرَّف السانكرونية بأنها تنطوي على: «انسجام الأفعال في وقت محدد مع الآخرين» (Mogan, Fischer, & Bulbulia، 2017)، وهي «حالة خاصة للتنسيق» حيث الأفراد المتفاعلون فيها «يميلون إلى إظهار السلوك ذاته في الوقت ذاته» (Paxton & Dale، 2017). بدلًا من ذلك، يمكن الاستشهاد بمفهوم أوسع للسانكرونية

(2) أي: إن عملية تجلب عملية أو تجرها (المترجم).

ليشمل أشكالًا أكثر تنوعًا للتنسيق أو الاعتماد-البيني، وهذا هو ما يدور في ذهن منظّري الانفعال الموزع، مثلًا: عند الإشارة إلى ظواهر «التنسيق الانفعالي الثنائي بين الوالد والرضيع مبكرًا» التي «تتميز بسمة السانكرونية الجوهرية» (Varga & Krueger, 2013, pp 272-273). واستنادًا إلى أن التفاعل السانكروني المبكر الفعال أو المعطل بين الرضع ومقدمي الرعاية يشكل شكلًا من أشكال «تنظيم العاطفة الموزع ثنائيًا مع تنائج معرفانية وانفعالية طويلة الأمد، يقترح فارغا Varga وكروغر Kruger أن «السانكرونية في التنظيم العاطفي الموزع» موجودة أيضًا في بعض علاقات البالغين. وأشارا، باستشهاد منهما أيضًا بأبحاث حول الفعل المشترك، إلى أشكال السانكرونية التفاعلية الجسدية والعاطفية في كل من العلاقات التي بين المعالج والمريض والعلاقات الرومانسية الحميمة (2013، 286-7).

طالما أن النطاق الكامل لظواهر الاعتماد-البيني عبر هذه المجالات مُعترف به، فإن اختيار المصطلحات للأشكال المختلفة لا يلزم أن يتسبب في خلاف. وأنا أفضّل الاحتفاظ بمصطلح "السانكرونية" للحالات الأقرب إلى: التلاقي، أو المطابقة، أو المماهاة، وبالتالي، رؤيتها على أنها نوع واحد من أنواع التنسيق. نريد أن نميز بين الأشكال المختلفة من الاعتماد البيني، وأن نعاملها معاملة مختلفة عبر مجالات: الفعل، والعاطفة، والذّاكرة، مثلًا: لطرح أسئلة جديدة حول العلاقات بين هذه الأشكال المميزة وعبر هذه المجالات. هناك بالفعل حالات يصبح الناس فيها أكثر تشابهًا، على الأقل في بعض المناحي، في سياقات محددة. وسواء أكان التلاقي في استدعاء مشترك للماضي، أم في التحرك معًا في الوقت المناسب، أو في تنظيم الانفعال الإيجابي، أو في دمج جوانب من هوية المحب (راجع Hofstadter, 2007, pp. 233-235). يختبر الناس أشكالًا قوية من الاتحاد. ولا يُقصد بأي مما يلي إنكار هذه الظواهر أو التقليل من شأنها. لكن التلاقي أو السانكرونية، المفهوم بهذا المعنى الضيق، ليس الطريقة الوحيدة أو الأهم لمشاركة الذكريات أو العواطف. كي أمهد للنقطة المحددة القائلة: إن هناك أنواعًا أخرى من

الاعتماد-البيني المعرفاني والعاطفي في هذه المجالات، أعود أولًا باختصار إلى الحجة الأكبر للمعرفانية والانفعال الموزَّعين.

2.3 التكامل:

لقد أشرت سابقًا إلى أن منظّري الانفعال الموزع يقرّون بتنوع الموارد التي ندمجها في أنظمة أكبر لإدارة الحالة المزاجية وتنظيم العاطفة. تعمل كل من: الموسيقى، والملابس، والغرف، والمقاهي، والعادات، والأجهزة، وما إلى ذلك بطرق تختلف عن العمليات العصبية التي تؤدي أدوارها الفريدة والأساسية في حياتنا الانفعالية. وتختلف تنسيقات، وآليات، ومعدلات التغيير لمكونات النظام الخارجية هذه اختلافًا كبيرًا عن تلك الخاصة بالمكونات الموجودة في الجمجمة. إن التشابه بين الأجزاء الداخلية والخارجية للنظام الانفعالي العابر للحدود غير مطلوب، فما يهم هو أن العلاقات والتفاعلات بين هذه العناصر المتباينة «تسفر عن أنظمة أكبر متكاملة» (Clark, 1998, p. 99; 1997, p. 220; Sutton، 2010)، ومن المهم أيضًا كيف يحدث ذلك.

هذا التشديد على تكامل الموارد الداخلية والخارجية هو تركيز مختلف على (أو طريق نحو) المعرفانية والانفعال الموزَّعين ينبع من الفكرة التي نحتاجها لتأسيس التكافؤ بين الموارد الداخلية والخارجية. ما هو مهم ليس أي حدس متعلق بأوجه التشابه بين مواردنا الداخلية والأنظمة الخارجية ذات الصلة، وإنما طبيعة وشدة التكامل عبر هذه الموارد غير التجانس: «ومن ثم يندرج في التكافؤ ويأخذ الأسبقية منه» (Sutton, 2010, p. 206; Sutton et al., 2010, pp. 524-527; cf Krueger, 2014a).

لتقييم أي التفاعلات بين الموارد الداخلية والخارجية التكاملية والمتباينة قد تكون علامات على التذكر أو الانفعال الموزَّعين، نقوم بدراسة العلاقات المحددة في كل حالة. قد تشمل الأبعاد ذات الصلة، اعتمادًا على السياق والمشروع التفسيري، معايير كلارك وتشالمرز الأصلية للثقة وتلاصق العلاقات

(1998)، وربما الأبعاد الإضافية المتعلقة بشدة، وفرادة، وشكل الاقتران التفاعلي المعني (Wilson & Clark, 2009; Sterelny, 2010; Heersmink، 2015).
إن هذه الأبعاد هي، جوهريًا، مسألة درجة، وهذا ما نريده بالضبط. يُوزَّع كل من الذَّاكرة والانفعال في الممارسة بشكل أو بآخر، حسب الموقف. نحن نريد إنشاء مساحة متعددة الأبعاد للتحقيق في مثل هذه الأنظمة الموزعة بشكل أو بآخر، بدلًا من السعي وراء تمييز حاد، نريد، في إطار العمل ذاته، فحص حالات الذَّاكرة والعاطفة المحمية أو المعزولة بشكل أكبر فضلًا عن تلك الحالات الموزَّعة بشكل أكبر (Sutton et al. ، 2010، 534-8).

عندما لا نتعامل مع العلاقات بين الفاعلين ومفعولاتهم، وإنما، كما تعاملنا طوال هذا الفصل، مع حالات التعرف أو العاطف الموزَّعين اجتماعيًا حسب ما هو مفترض، فقد نتساءل عما إذا كان «مبدأ التكافؤ الاجتماعي» المعدّل قد ينجح، كما هو مقترح في العمل الخصب الذي قدمه تولفسن Tollefsen وآخـــــرون (Tollefsen, 2006; Theiner, 2013; cf Gallagher & Crisafi، 2009). وحينئذٍ تكون النقطة المهمة هي أنه عندما يكون "المورد الخارجي" ذو الصلة شخصًا آخر وليس شيئًا، فإنه لا توجد اختلافات عميقة في النوع والآلية والعملية بين أجزاء النظام الموزع: شريكي ومعالجي، لحُسن الحظ، هما أشبه بي في المناحي ذات الصلة من هاتفي الذكي أو حقيبة يدي. قد يبدو أن هذا يدعم فكرة أن التلاقي، أو السانكرونية، أو حتى الاندماج هو النموذج الصحيح للانفعال الموزع والتذكر المشترك.

أظن أن هذا الدرس ليس هو الدرس الصحيح الذي يجب أن نستخلصه، وأنه حتى في حالة التعرف الموزع اجتماعيًا، فإن التكامل، وليس التكافؤ، هو المسار الصحيح، والموجة الأكمل. بالنظر إلى: الفعل، والانفعال، والذَّاكرة، يمكنني أن أجادل بأن التلاقي ليس سوى شكل واحد أو نموذج واحد للاعتماد-البيني المعرفاني-العاطفي، وليس الأكثر صلة أو إثارة للاهتمام من مناحٍ كثيرة. إن الاستجابة العامة ليست أصلية. في حالة العاطفة، مثلًا: يجادل راينر مولهوف Rainer Mühlhoff في تطويره لمفهوم "الصدى الانفعالي affective resonance" أنه

في التفاعل الاجتماعي الثري وجهًا لوجه قد «لا تشبه سلوكيات المتفاعلين وخبراتهم العاطفية بعضها بعضًا بالضرورة، لكنها مع ذلك ديناميكية خُلقت وشُكّلت بالاشتراك ضمن التفاعل العلائقي» (2015، 2): وإنما الصدى، على حد تعبيره، «لا يتعلق بالتشابه في السلوك بقدر ما يتعلق بالتأسيس المشترك للسلوك (الذي يحتمل أن يكون متشعبًا) ضمن تفاعل ديناميكي مشترك» (2015، 4). أريد التأكيد على هذا النهج الفكري وتوسيعه ليشمل مجموعة المجالات التي كنا ننظر فيها.

3.3 الاعتماد-البيني الشبكي واللاتساوقي:

تتطلب العديد من الأفعال المشتركة مساهمات مختلفة من الأشخاص الفاعلين معًا. مثلما يمكن أن تحدث محادثة سلسلة ومتدفقة مع المشاركين الذين يأخذون أدوارًا مختلفة ويسهمون بأرقام وأطوال مختلفة تمامًا من المنعطفات الحوارية، فإن العديد من الأنشطة الجسدية والممارسات الثقافية تتضمن سلوكًا مختلفًا من كل مشارك عبر التسلسلات الزمنية الممتدة (Bckler, Knoblich, & Sebanz, 2010; Dale et al. ، 2013). ففي معظم أنواع الموسيقى والرياضة، ينشأ الأداء الناجح أو المثير للاهتمام عندما يقوم أعضاء الفرقة أو الفريق بعملهم الخاص - يمارسون مجموعة المهارات الخاصة بهم - بطرق مختلفة تكمل على نحو أفضل ما يقوم به الآخرون (Sutton & Tribble, 2014; Williamson & Sutton، 2014). وفي المستويات العليا، هناك الكثير مما يتقاسمه المشاركون - أهداف الأداء، والخطط والرؤى الجمالية أو الاستراتيجية، مثلًا - ولكن في العديد من الأفعال المعقدة، فإن الطريقة التي «تتشابك» بها الخطط الفرعية للأفراد على نحو أفضل، كما هو تعبير مايكل براتمانMichael Bratman، لن تلزم هؤلاء الأفراد بأن يقوموا بالأشياء ذاتها مثل بعضهم البعض (Bratman, 2013; Pacherie، 2014). إن السانكرونية، لا تستوعب أشكال التنسيق في الفعل المشترك، ولا أنواع الجلب والمحاذاة التي تقوم فيها بعض الديناميكيات المحددة صوريًا بتحريك الأفعال المتشابكة لاثنين أو أكثر من المشاركين. خاصة عندما ننظر إلى

الارتباطات التي تكون عبر نطاقات زمنية مميزة للفعل المشترك، إذ نجد مجموعة من العمليات التعاونية بثراء لا تتضمن مثل هذه الأشكال البسيطة أو الحَرْفية من التنسيق (Bietti & Sutton، 2015).

بالمثل لو انتقلنا من الفعل إلى الانفعال، إذ لا يوجد سبب للاعتقاد بأن التوزيع الاجتماعي للعاطفة يجب أن يتضمن تشابهًا، أو سانكرونية، أو تساوقًا بين المشاركين المتفاعلين. وكما يؤكد كروغر نفسه في موضع آخر، فإن الاعتماد-البيني العاطفي الثري بين الرضيع ومقدم الرعاية قد يعتمد في الواقع على الاختلافات التي بين الاثنين. حتى عندما تكون أفعالهم قد جُلبت داخل الكيفيات الحسية أو عبرها بطرق أكثر بساطة، فإن الحالات والعمليات العاطفية للمشارك البالغ تتكامل أو تتشابك مع تلك الخاصة بالرضيع، بدلًا من أن تطابقها أو تتلاقى معها (Krueger, 2013; Greenwood، 2013). بالمثل في العلاج النفسي، إذ إن فارغا وكروغر على دراية بأن الكفاءة في الوضع العلاجي أو نظام «التنظيم العاطفي الموزع ثنائيًا والإصلاح التفاعلي» (2013، 287) قد تعتمد تحديدًا على قدرة المعالج على الحفاظ على الحالات والعمليات العاطفية المختلفة تمامًا عن الحالات والعمليات العاطفية للمريض، وإدارتها. حتى عندما يستخدم المعالج أشكالًا محددة من المطابقة السلوكية السانكرونية والتلاقي غير اللفظي كجزء من العملية، فإنه يفكر في الوقت ذاته في الاستجابات الجسدية والانفعالية والمعرفانية التي قد تتباعد تباعدًا عظيمًا (للاطلاع على مثال مذهل، انظر Straker 2007). نعم، يجب أن يكون المعالج متجاوبًا على نحو ثري ومهذب مع المريض، وأن يحافظ على نوع مكثف من الاعتماد-البيني أو الاقتران المعرفاني-الانفعالي يُحدث فيه ما يقوله ويقوم به ويشعر به كل طرف فرقًا حساسًا باستمرار وديناميكية لما يقوله الطرف الآخر ويقوم به ويشعر به. لكن وسيط هذا الاعتماد-البيني لا يلزم أن يكون هو التلاقي.

يمكننا إنشاء الرابط التالي، من العاطفة إلى الذَّاكرة مرة أخرى، من خلال النظر في العلاقات الحميمة بين الأصدقاء أو العشاق. ينظر دوغلاس هوفستاتر Douglas Hofstadter في فائدة التَّفكير في الزوجين على أنهما «فرد من مرتبة

أعلى مؤلَّف من شخصين عاديين» (2007، 222)، ويشير إلى الطرق المكررة، والمكثفة، والمستمرة التي يكون من خلالها لكل شريك أن "يفكر" ببعض مواقف attitudes، وأذواق، واعتقادات، وقيم الآخر، بل يتبنى بعض ذكريات الآخر بالتفويض على أنها ذكرياته. لكن هوفستاتر لا يقترح أن هذا ينطوي على الاندماج merger، أو إنكار الاختلافات المتبقية وغير القابلة للاسترداد أو الفجوات بين الذوات المتجسدة. بالطبع تتضمن بعض العلاقات اعتمادًا مشتركًا أكثر من غيرها، لكن هذا يمكن أن يتخذ أشكالًا مختلفة. هناك جدل تجريبي لم يُحسَم في العمل على الرضا الحياتي بين الزوجين بين "نظرية التلاقي العاطفي" التي تشير إلى أن التشابه بين الشركاء يتنبأ بالرضا على المدى الطويل، وبين المقارَنة القائمة "التكامل" التي «تشير إلى أنه كلما كان الشريكان معًا لفترة أطول، أصبحا أكثر اختلافًا» (Schade et al. ، 2016). يُنظر أحيانًا إلى علاقات "الاعتماد العالي" أو "الاندماج" التي يراها بعض علماء النفس السريري على أنها أحد عوامل الخطر للأسف "المعقّد" بعد فقدان الطرف الآخر (Johnson et al. ، 2007) على أنها أضداد قطبية لـ "الاستقلال" (Maccallum & Bryant, 2013، ص. 719). لكن الاعتماد-البيني المعرفاني والانفعالي يجب ألا يكون اندماجيًا، ولا يلزم أن يستبعد الاستقلال الجوهري. يمكننا أن نرى ذلك من خلال العودة إلى مفهوم الذَّاكرة التبادلية (Wegner, 1987; Gupta & Hollingshead، 2010).

يمكن أن تتضمن العلاقات الوثيقة المختلفة، سواء أكان بين الشركاء المقربين أم في فرق العمل ذات الخبرة، أنماطًا أو توزيعات مختلفة تمامًا للمعلومات. في حالة الذكريات، أحيانًا ما ينطوي هذا الانتشار ذو المرتبة الأولى على تمايز أو تخصيص عالٍ. بين بعض الأزواج، قد يتذكر أحد الشركين كل شيء عن السيارة أو كل الأحداث التي حدثت في الإجازة، في حين يتذكر الآخر كل شيء مهم عن المنزل أو عن الأحفاد، وفي حالات أخرى، لا تُوجد مجالات محددة من الخبرة المنفصلة، وتُؤخذ بقايا التاريخ المشترك كله على نحو متساوٍ من الشريكين. بين بعض فرق العمل، يُفرض تقسيم العمل بصرامة

بحيث لا يكون هناك تكرار، وفي البعض الآخر تُشجَّع الخبرة المتبادلة، ويسهل على الأعضاء أن يكملوا أدوار بعضهم البعض. فما يهم - ما يجعل أي نوع من النظامين نظام ذاكرة تعاملياً حقًا - ليس الطريقة التي تُوزَّع بها الذكريات ذات المرتبة الأولى، وإنما الفهم المشترك بين جميع أطراف هذا النمط التوزيعي، مما يدعم الوصول المتبادل إلى المعلومات ذات الصلة كما هو مطلوب.

وبالتالي، فإن التشابه، أو التّداخل، أو التلاقي المهم في الذَّاكرة ما هو إلا حالة مقيدة من حالات الذَّاكرة التبادلية أو المشتركة. إن أنظمة الذَّاكرة الأكثر تمايزًا شائعة وفعالة. وكما يؤكد فغنر، هناك عدم استقرار أو تقلب جوهري في منظمات الذَّاكرة المتمايزة أو المتخصصة، فإذا كانت الأنواع الصحيحة من أنظمة الوسم labelling، والوصول، والاسترجاع قائمة، فإن بعض المعلومات التي يمتلكها طرف واحد فقط ستتاح للجميع كما هو مطلوب، في العمليات التي تقود ديناميكات التذكر في المجموعة. لكن يمكن أن تظل الفئات والمهارات المتمايزة نسبيًا قائمة، على سبيل المثال: إذا كانت للثنائي أو المجموعة هوية مشتركة واضحة وأهداف مشتركة، وتتشارك في نطاق من الأفعال التعاونية، وعندما يكون الأعضاء على دراية بنطاق المجموعة والتباين الداخلي.

ستكون هناك حدود واضحة لهذا التباين، في كل من الذَّاكرة والعاطفة. فإذا كان هناك خلاف شديد حول طبيعة أحداث ماضية محددة، مثلًا، أو حول أهميتها العاطفية، فمن غير المرجح أننا نتعامل مع مجموعة مستمرة تسود فيها حقًا مفاهيم الذَّاكرة الموزعة أو الانفعال الموزع. لكن ضمن هذه الحدود، لا يوجد سبب لقبول أن التلاقي أو الاتفاق ضروري. إذ ربما تكون للزوجين الرومانسيين الحميمين أوصاف مختلفة عن لقاءاتهما الأولى والسمات المهمة عاطفيًا لأيامهم الأولى معًا، لكن طالما أنهما يتشاركان في فهم والتزام من مستوى رفيع، فإنه لا يلزم أن تكون حقيقة أن تصوراتهم للماضي البارز لم تُتقاسم بدقة من حيث المحتوى ذات أهمية. وبالمثل على المستويات الأكبر، إذ يمكن للمجموعة أن تشمل وتتسامح - ضمن حدود - مع مجموعة من المواقف

attitudes المتميزة تجاه الأحداث الماضية، مع عدم وجود التبسيط أو التلاقي الضروريين لاستمرار وجود نظام الذّاكرة الجماعية أو الموزعة الأوسع.

في البشر، الأنظمة المعرفانية والانفعالية الموزعة اجتماعيًا ليست حالات من "ذكاء السرب"، حيث ينتج عن التفاعل التجميعي لعناصر مؤلّفة أكثر أو أقل تجانسًا، يتبّع كل منها إجراءات بسيطة نسبيًا، نتائج منبثقة على نطاق أوسع (Sutton & Tribble، 2014):

أولًا: أعضاء هذه المجموعات البشرية مختلفون تمامًا عن بعضهم البعض في الجوانب النفسية ذات الصلة، مما يوفر خصائص، وقدرات، ومهارات متميزة للموقف التفاعلي.

ثانيًا: ما يفعله الأفراد في مجموعاتهم غالبًا ما يكون أكثر تعقيدًا وتمايزًا إلى حد كبير، ويعتمد على نحو أكبر على التاريخ المشترك، من الاستجابات الضمنية المعتادة للوحدات المتجمعة أو المحتشدة غير المتمايزة.

ثالثًا: يمكن أن تكون بعض العمليات التفاعلية المعنية واعية على نحو أكبر، ومنفتحة على التأثير الشّخصي والبين-شخصي، وفي بعض الأحيان تنطوي صراحة على نظر تأملي ذاتي في: طبيعة المجموعة، واستراتيجيتها، وذكرياتها، وتقييماتها الانفعالية، بل إعادة النظر فيها.

لقد قلت في البداية: إن الانفعال الموزع يتضمن التذكر المشترك في عدد من الأشكال ولعدد من الأسباب. وفي طريقي لتقييم ما "يُشارَك" في كل حالة، اقترحتُ أن ما "يُشارَك" يمكن أن يظل على مستوى أعلى من مستوى أي من العملية أو المحتوى. ويمكن أن يأخذ الاعتماد-البيني المعرفاني والانفعالي الغني شكل التنظيم المشترك اللاتساوقي دون تشابه أو تناظر. إن قيامنا، أو شعورنا، أو تفكيرنا، أو تذكرنا الشيء ذاته هو مجرد طريقة من العديد من الطرق التي نؤثر فيها على نحو متبادل في بعضنا البعض. قد تترك الاستراتيجيات المشتركة هذه الاختلافات قائمة على وجه التحديد، أو حتى تشجعها وتؤدي إلى تفاقمها، إذ كثيرًا ما ينطوي الاعتماد-البيني الفعال والناجح والممتع بين

الشركاء أو الأصدقاء أو الزملاء على تشابك تكميلي لـ: القدرات، والمهارات، والذكريات، والعواطف غير المتساوقة. آمل أن أكون قد أشرت في هذا الفصل إلى بعض المسائل المتعلقة بالعلاقات بين الاعتماد-البيني المعرفاني والانفعالي، والمتعلقة بمجموعة الطرق التي يمكننا من خلالها تشارك الذكريات والعواطف التي تستحق المزيد من البحث: النظري، والتجريبي، والإثنوغرافي.

شكر:

أعبّر عن امتناني للمحررين على صبرهم وعونهم، ولاثنين من المراجعين المجهولين على تعليقاتهما المفيدة.

قُدِّمت النسخ السابقة لأجزاء من هذا الفصل في ورش عمل في دنيدن Dunedin وكامبردج، شكرًا لكيرك ميكيليان Kirk Michaelian، وليزا بورتولوتي Lisa Bortolotti على تنظيم هذه الأحداث، وشكرًا للمستمعين على اقتراحاتهم المفيدة. على الرغم من قوة تأثير العديد من المتعاونين الرائعين معي في هذا العمل - لا سيما تأثير أماندا بارنييه Amanda Barnier، وسيليا هاريس Celia Harris، وريتشارد هيرسمينك Richard Heersmink، ودوريس ماكولين Doris McIlwain، وكيرك ميكيليان ولين تريبيل Lyn Tribble - إلا أنهم لا يتفقون بالضرورة مع قدر كبير من ورقتي هذه. أتت مساعدة أخرى ممتدة أقدّرها كثيرًا من: جيوفانا كولومبيتي، ودوروثيا ديبوس، وتيم فاونز Tim Fawns، وغرايم فريدمان Graeme Friedman، وكريستين هاريس-سميث، وجويل كروغر، وماك آرثر مينغون McArthur Mingon .

المراجع :

Behnke, E. A. (1997). Ghost gestures: Phenomenological investigations of bodily micro-movements and their intercorporeal implications. *Human Studies, 20*(2), 181-201.

Bickhard, M. H. (2005). Functional scaffolding and self-scaffolding. *New Ideas in Psychology, 23*, 166-173.

Bietti, L. M., & Sutton, J. (2015). Interacting to remember at multiple timescales: Coordination, collaboration, cooperation and culture in joint remembering. *Interaction Studies, 16*(3), 419-450.

Bckler, A., Knoblich, G., & Sebanz, N. (2010). Socializing cognition. In B. Glatzeder (Ed.), *Towards a theory of thinking* (pp. 233-250). Springer: Berlin.

Bratman, M. E. (2013). *Shared agency: A planning theory of acting together*. Oxford: Oxford University Press.

Campbell, S. (2008). The second voice. *Memory Studies, 1*(1), 41-48.

Candiotto, L. (2016). Extended affectivity as the cognition of primary intersubjectivity. *Phenomenology and Mind, 11*, 232-241.

Casey, E. (2000). The ghost of embodiment: On bodily habitudes and schemata. In D. Welton (Ed.), *Body and flesh* (pp. 207-225). Oxford: Blackwell.

Clark, A. (1997). *Being there: Putting brain, body, and world together again*. Cambridge, MA: MIT Press.

Clark, A. (1998). Author's response: Review symposium on *Being There*. *Metascience, 7*, 95-103.

Clark, A. (2005). Word, niche, and super-niche: How language makes minds matter more. *Theoria, 20*(3), 255-268.

Clark, A., & Chalmers, D. (1998). The extended mind. *Analysis, 58*(1), 7-19.

Colombetti, G. (2015). Enactive affectivity, extended. *Topoi, 36*(3), 1-11.

Colombetti, G. (2017). The embodied and situated nature of moods. *Philosophia, 45*(4), 1437-1451.

Colombetti, G., & Krueger, J. (2015). Scaffoldings of the affective mind. *Philosophical Psychology, 28*(8), 1157-1176.

Colombetti, G., & Roberts, T. (2015). Extending the extended mind: The case for extended affectivity. *Philosophical Studies, 172*(5), 1243-1263.

Coman, A., & Hirst, W. (2015). Social identity and socially shared retrieval-induced forgetting: The effects of group membership. *Journal of Experimental Psychology: General, 144*(4), 717-722.

Dale, R., Fusaroli, R., HÓkonsson, D. D., Healey, P., Mnster, D.,... Tylén, K. (2013). Beyond synchrony: Complementarity and asynchrony in joint action. *Proceedings of the 35th Annual Meeting of the Cognitive Science Society*, 79-80.

Fuchs, T. (2012). The phenomenology of body memory. In S. C. Koch, T. Fuchs, M. Summa, & C. Müller (Eds.), *Body memory, metaphor and movement* (pp. 9-22). Amsterdam: John Benjamins.

Gallagher, S., & Crisafi, A. (2009). Mental institutions. *Topoi, 28*(1), 45-51.

Goldie, P. (2011). Grief: A narrative account. *Ratio, 24*(2), 119-137.

Goldie, P. (2012). *The mess inside: Narrative, emotion, and the human mind.* Oxford: Oxford University Press.

Greenwood, J. (2013). Contingent transcranialism and deep functional cognitive integration: The case of human emotional ontogenesis. *Philosophical Psychology, 26*(3), 420-436.

Greenwood, J. (2015). *Becoming human: The ontogenesis, metaphysics, and expression of human emotionality.* Cambridge, MA: MIT Press.

Griffiths, P., & Scarantino, A. (2009). Emotions in the wild. In M. Aydede & P. Robbins (Eds.), *The Cambridge handbook of situated cognition* (pp. 437-453). Cambridge: Cambridge University Press.

Gross, J. J. (1998). The emerging field of emotion regulation: An integrative review. *Review of General Psychology, 2*(3), 271-299.

Gupta, N., & Hollingshead, A. B. (2010). Differentiated versus integrated transactive memory effectiveness: It depends on the task. *Group Dynamics: Theory, Research, and Practice, 14*(4), 384-398.

Heersmink, R. (2015). Dimensions of integration in embedded and extended cognitive systems. *Phenomenology and the Cognitive Sciences, 14*(3), 577-598.

Hirst, W., & Manier, D. (2008). Towards a psychology of collective memory. *Memory, 16*(3), 183-200.

Hoerl, C., & McCormack, T. (2005). Joint reminiscing as joint attention to the past. In N. Eilan, C. Hoerl, T. McCormack, & J. Roessler (Eds.), *Joint attention, communication, and other minds: Issues in philosophy and psychology* (pp. 260- 286). Oxford: Oxford University Press.

Hofstadter, D. (2007). *I am a strange loop.* New York: Basic Books.

Hutchins, E. (1995). *Cognition in the wild.* Cambridge, MA: MIT Press.

Johnson, J. G., Zhang, B., Greer, J. A., & Prigerson, H. G. (2007). Parental control, partner dependency, and complicated grief among widowed adults in the community. *Journal of Nervous and Mental Disease, 195*(1), 26-30.

Keightley, E., & Pickering, M. (2012). *The mnemonic imagination.* London: Palgrave Macmillan.

Kirchhoff, M. D. (2015). Extended cognition and the causal-constitutive fallacy: In search for a diachronic and dynamical conception of constitution. *Philosophy and Phenomenological Research, 90*(2), 320-360.

Krueger, J. (2013). Ontogenesis of the socially extended mind. *Cognitive Systems Research, 25-26*, 40-46.

Krueger, J. (2014a). Varieties of extended emotions. *Phenomenology and the Cognitive Sciences, 13*(4), 533-555.

Krueger, J. (2014b). Musical manipulations and the emotionally extended mind. *Empirical Musicology Review, 9*(3-4), 208-212.

Krueger, J. (2015). The affective "we": Self-regulation and shared emotions. In T. Szanto & D. Moran (Eds.), *The phenomenology of sociality: Discovering the "We"* (pp. 263-280). London: Routledge.

Krueger, J., & Szanto, T. (2016). Extended emotions. *Philosophy Compass, 11*(12), 863-878.

LeŸn, F., Szanto, T., & Zahavi, D. (2017). Emotional sharing and the extended mind. *Synthese.*

Maccallum, F., &. Bryant, R. A. (2013). A cognitive attachment model of prolonged grief: Integrating attachments, memory, and identity. *Clinical Psychology Review, 33*(6), 713-727.

Michaelian, K., & Sutton, J. (2013). Distributed cognition and memory research:

History and current directions. *Review of Philosophy and Psychology, 4*(1), 1-24.

Michaelian, K., & Sutton, J. (2017). Collective memory. In K. Ludwig & M. Jankovic (Eds.), *The Routledge handbook of collective intentionality* (pp. 140- 150). London: Routledge.

Mogan, R., Fischer, R., & Bulbulia, J. A. (2017). To be in synchrony or not? A metaanalysis of synchrony's effects on behavior, perception, cognition and affect. *Journal of Experimental Social Psychology, 72*, 13-20.

Mühlhoff, R. (2015). Affective resonance and social interaction. *Phenomenology and the Cognitive Sciences, 14*(4), 1001-1019.

Novick, P. (1999). *The Holocaust in American life*. New York: Houghton Mifflin Harcourt.

Pacherie, E. (2014). How does it feel to act together? *Phenomenology and the Cognitive Sciences, 13*(1), 25-46.

Paxton, A., & Dale, R. (2017). Interpersonal movement synchrony responds to high- and low-level conversational constraints. *Frontiers in Psychology, 8*(1135).

Robson, D. (2016, September 20). Four ways that other people can warp your memory. *BBC Future*. Retrieved from www.bbc.com/future/story/20160920-fourways-that-other-people-can-warp-your-memory Schade, H. M., Hülür, G., Infurna, F. J., Hoppmann, C. A., & Gerstorf, D. (2016).

Partner dissimilarity in life satisfaction: Stability and change, correlates, and outcomes. *Psychology and Aging, 31*(4), 327-339.

Seemann, A. (2011). The role of joint experience in historical narratives. *Journal of the Philosophy of History, 5*(2), 201-229.

Seemann, A. (2017). Reminiscing together: Joint experiences, epistemic groups, and sense of self. *Synthese*, 1-16.

Sheets-Johnstone, M. (2009). Animation: The fundamental, essential, and properly descriptive concept. *Continental Philosophy Review, 42*, 375-400.

Skewes, J. C., Skewes, L., Michael, J., & Konvalinka, I. (2015). Synchronised and complementary coordination mechanisms in an asymmetric joint aiming task. *Experimental Brain Research, 233*(2), 551-565.

Slaby, J. (2016). Mind invasion: Situated affectivity and the corporate life hack. *Frontiers in Psychology, 7*.

Stephan, A., Walter, S., & Wilutzky, W. (2014). Emotions beyond brain and body. *Philosophical Psychology, 27*(1), 65-81.

Sterelny, K. (2010). Minds: Extended or scaffolded? *Phenomenology and the Cognitive Sciences, 9*(4), 465-481.

Straker, G. (2007). A crisis in the subjectivity of the analyst: The trauma of morality. *Psychoanalytic Dialogues, 17*(2), 153-164.

Sutton, J. (2008). Between individual and collective memory: Coordination, interaction, distribution. *Social Research, 75*(1), 23-48.

Sutton, J. (2009). Looking beyond memory studies: Comparisons and integrations. *Memory Studies, 2*(3), 299-302.

Sutton, J. (2010). Exograms and interdisciplinarity: History, the extended mind, and the civilizing process. In R. Menary (Ed.), *The extended mind* (pp. 189-225).

Cambridge, MA: MIT Press.

Sutton, J., Harris, C. B., Keil, P. G., & Barnier, A. J. (2010). The psychology of memory, extended cognition, and socially distributed remembering. *Phenomenology and the Cognitive Sciences*, *9*(4), 521-560.

Sutton, J., & Tribble, E. B. (2014). The creation of space: Narrative strategies, group agency, and skill in Lloyd Jones's *The Book of Fame*. In C. Danta & H. Groth (Eds.), *Mindful aesthetics: Literature and the sciences of mind* (pp. 141-160). London: Bloomsbury/ Continuum.

Sutton, J., & Williamson, K. (2014). Embodied remembering. In L. Shapiro (Ed.), *The Routledge handbook of embodied cognition* (pp. 315-325). London: Routledge.

Theiner, G. (2013). Onwards and upwards with the extended mind: From scaffolding individual cognition to scaffolded group cognition. In L. Caporael, J. Griesemer, & W. Wimsatt (Eds.), *Developing scaffolds in evolution, culture, and cognition* (pp. 191-208). Cambridge, MA: MIT Press.

Tollefsen, D. P. (2006). From extended mind to collective mind. *Cognitive Systems Research*, *7*(2), 140-150.

Tollefsen, D. P., Dale, R., & Paxton, A. (2013). Alignment, transactive memory, and collective cognitive systems. *Review of Philosophy and Psychology*, *4*(1), 49-64.

Varga, S., & Krueger, J. (2013). Background emotions, proximity and distributed emotion regulation. *Review of Philosophy and Psychology*, *4*(2), 271-292. von Zimmermann, J., & Richardson, D. C. (2016). Verbal synchrony and action dynamics in large groups. *Frontiers in Psychology*, *7*.

Wegner, D. M. (1987). Transactive memory: A contemporary analysis of the group mind. In B. Mullen & G. R. Goethals (Eds.), *Theories of group behavior* (pp. 185- 208). New York: Springer.

Williamson, K., & Sutton, J. (2014). Embodied collaboration in small groups. In C.

T. Wolfe (Ed.), *Brain theory: Essays in critical neurophilosophy* (pp. 107-133). London: Palgrave Macmillan.

Wilson, R. A., & Clark, A. (2009). How to situate cognition: Letting nature take its course. In P. Robbins & M. Aydede (Eds.), *The Cambridge handbook of situated cognition* (pp. 55-77). Cambridge: Cambridge University Press.

Yamashiro, J. K., & Hirst, W. (2014). Mnemonic convergence in a social network: Collective memory and extended influence. *Journal of Applied Research in Memory and Cognition*, *3*(4), 272-279.

الذَّاكرة، والانتباه، والتذكر المشترك

فيلبي دي بريغارد Felipe De Brigard

1. مقدمـــة:

نظرًا لأنَّ مدرستي الابتدائية كانت بعيدة عن المنزل، فقد تحملتُ في كثير من الأحيان انتقالات طويلة بالحافلة في حركة مرور مزدحمة. ولتجنب الملل، اعتدتُ أنا وأصدقائي لعب "Veo Veo" - أنا أرى، أنا أرى" - المعادل الكولومبي للعبة "آي سباي I spy [أنا أتجسس]" كان أحدنا، وهو يحدق عبر نافذة الحافلة، يلقي نظرةً على مشهد المدينة المزدحم. في هذه الأثناء، كان الجميع يغلقون أعينهم. وفي النهاية، الطفل الذي يستطلع المشهد سوف يميز شيئًا محددًا ويقول: "Veo Veo" - "ماذا ترى؟"

وحينئذٍ يقدم لنا إلماحة، سمة محددة للشيء المحدد، ثم نحاول تخمين الشيء الذي كان يدور في ذهنه. ويمكننا طرح ما يصل إلى خمسة أسئلة من نوع: "هل لدى ذلك الشيء X؟" حيث X هي خاصية للشيء الذي اعتقدنا أن الطفل كان ينتبه إليه. وإذا قال الطفل: "لا"، فذلك يعني أننا كنا نركز على الشيء الخطأ، لذلك سيتعين علينا الاهتمام بشيء آخر. وإذا قال الطفل: "نعم"، فيمكن لكل منا أن يواصل بسؤال آخر - للتأكد من الشيء الصحيح الذي كان يدور في ذهن الطفل - أو يمكن أن يحاول كل منا تخمين ماهية الشيء. وإذا كنتَ مخطئًا، فستخسر في اللعبة. ولكن إذا خمنتَ تخمينًا صحيحًا، فسيتعين عليك اختيار الشيء التالي. كان الهدف من اللعبة أن تكون أول من يصل إلى الشيء الذي اختاره الطفل.

ما كنّا نفعله كان تمرينًا رائعًا على ما يسميه علماء النفس الانتباه المشترك joint attention، أي: قدرتنا على الانتباه إلى الموضوع الخارجي ذاته، وأن ينجح الشّخص في الانتباه إلى الشيء الذي ينتبه إليه الآخر (Moore & Dunham، 1995). فكّر في اللحظة التي يعي فيها الطفل الذي اختار ذهنيًا الشيء الذي في مجاله البصري أن طفلًا آخر قد خمّنه على النحو الصحيح. كيف يعرف الأول أن فكره يشير إلى الشيء ذاته الذي يدور في ذهن الأخير؟

أولًا: يحتاج كلاهما إلى أن يكون الشيء المحدد في مجالهما البصري. ومع ذلك، هذا ليس كافيًا، حيث من المرجح أن يكون لدى الأطفال الآخرين، في مرحلةٍ ما، الشيء المحدد في مجالاتهم البصرية، فضلًا عن ذلك، يحتاج كلاهما إلى تمييز هذا الشيء عمّا يحيط به، ويجب أن يكون كلاهما قد انتبه إليه على نحو انتقائي، لكن مرة أخرى، هذا لا يكفي. فربما هناك طفل آخر، سواء أكان يلعب هذه اللعبة أم لا، ينتبه إلى الشيء ذاته، في تلك اللحظة بالذات، دون أن يدري أن موضوع انتباهه كان هو الموضوع الذي اختاره الطفل انتقائيًا. إذًا، ما هو مطلوب هو نوع من التثليث الانتباهي attentive triangulation، حيث يكون كل من الطفلين على دراية بالموضوع وببعضهما البعض مع معرفانية أن كل منهما يعرف أن الشيء الذي ينتبه إليه هو الشيء المختار. ووفق كامبل Campbell (2002)، فإن هذا التنسيق الانتباهي يجعل الشّخص الآخر، وكذلك الشيء، مكونات لمحتوى حالتهما الذهنية المشتركة.

لنفترض الآن أننا نريد لعب لعبة مختلفة، لعبة قد نسميها: "أنا أتذكر، أنا أتذكر"، إنها مثل لعبة: "أنا أرى، أنا أرى"، باستثناء أنه في هذه النسخة يتذكر أحد المشاركين شيئًا محددًا يحاول الآخرون تخمين ما يدور في ذهنه. يبدو الأمر أصعب بكثير، أليس كذلك؟ في النهاية، على عكس حالة الانتباه الإدراكي المشترك، لا يمكن تلبية العلاقة التأسيسية المزعومة بين المدركين وموضوع الانتباه. ففي حالة التذكر المشترك، لا يكون الموضوع المقصود حاضرًا، بل ربما لا يكون موجودًا. علاوة على ذلك، على عكس الانتباه الإدراكي المشترك، ليس مطلوبًا أن يكون كل من الشّخصين في الوقت ذاته على

اتصال مباشر بالشيء الموجود في ذاكرتهما. فمثلًا: يمكن للمرء أن يتذكر أستاذًا قديمًا التقى به للتو بالتعاون مع خريج آخر من المدرسة ذاتها. بالطبع قد يكون من الممكن، في سياق التذكر المشترك، أن يستوعب كلاهما أنهما كانا يتشاركان فصلًا دراسيًا، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنهما كانا، في ذلك الوقت، على دراية بانتباههما المشترك إلى الأستاذ.

لكن من المدهش أننا ننخرط في تذكر مشترك طوال الوقت. فما الذي يتطلبه منا الانخراط في ذكريات مشتركة؟ على وجه التحديد، كيف يمكن لشخصين أو أكثر أن يشيروا معًا إلى شيء مضى منذ زمن بعيد - أو على الأقل غير موجود في محيطهم؟ في هذا الفصل، أقدم إجابة من ثلاثة أجزاء على هذا السّؤال:

أولًا: أقترح أن قدرتنا على تذكر الأشياء المقصودة في أثناء الاسترجاع الذاكري تعتمد على قدرتنا على توجيه انتباهنا داخليًا نحو المكوّن ذي الصلة من المحتوى الذاكري - وهو عمل ذهني أسميه، على طريقة برينز Prinz (2007)، التأشير الذهني mental ostension.

ثانيًا: أنا أزعم أنه لكي نشير إلى الأشياء المقصودة المتذكَّرة، يجب أن نمتلك القدرة على الإشارة إليها بشكل مباشر 'أو مُرحَّل deferredly' عن طريق التأشير الذهني تجاه محتوى ذهني حالي، وباختصار، يجب أن نكون قادرين على الانتباه الذهني المُرحَّل.

ثالثًا: أدعي أنه من أجل التذكر على نحو مشترك، يجب أن تكون لدينا القدرة على توجيه انتباه شخص آخر داخليًا نحو الجانب ذي الصلة من المحتوى الذهني الذي نريد منهم أن يركزوا عليه حتى يصبحوا على دراية بالشيء الماضي الذي نشير إليه على نحو مُرحَّل. وأنا أطلق على هذا الانتباه الذهني المُرحَّل المشترك. وسأشرح كل عنصر من عناصر هذا التقرير.

2. الذَّاكرة والتأشير الذهني:

تخيل هذا الحدث: أنا أتسوق من البقالة، وأتجول في الممرات، وفجأة أسمع صوتًا أنثويًا خلف ظهري ينادي اسمي. فكّر فيما يحدث كنتيجة لسماع هذا التسلسل الموجز من الصوتيات:

أولًا: نظرًا لأنني كنت أركز بصمت على مشهد بصري محدد، فإن هذا الضجيج جعل انتباهي ينتقل من الرفوف إلى المحفز الآتي من ورائي. وبالنظر إلى الصمت المحيط بي، فإن أي محفز سمعي كان سيحدث هذا التأثير بطبيعة الحال، لكن هذا الضجيج كان تسلسلًا صوتيًا ذا صلة على نحو خاص، فقد كان اسمي. إذ لو كان أي صوت آخر على خلفية صاخبة، ربما لم أسمعه. إن دماغي متناغم مع بعض الأصوات التي تكون ذات صلة بي اجتماعيًا، ونتيجة لذلك، يجعلني على وعي بها حتى لو كنتُ حساسًا للضوضاء الخلفية المكافئة من ناحية النغمة وجهارة الصوت (Wood & Cowan، 1995). هذا التحول في الانتباه إلى المحفز الخارجي الذي كان دماغي قد استوعب بالفعل أنه وثيق الصلة بي اجتماعيًا، يؤدي بدوره إلى تغيير النمط المعرفاني الذي أنا فيه إلى ما أطلق عليه تولفنغ (1983) «نمط الاسترداد retrieval mode»: وهو حالة ذهنية أكون فيها متأهب لاسترداد المعلومات من الذَّاكرة، ويحدث هذا التحول عندما أدير ظهري نحو مصدر التحفيز، بعد 500 مللي ثانية على الأقل من بدايته. يشكّل الوجه، ونبرة الصوت، وسلوكيات المرأة التي خلفي الإشارات الإدراكية التي أحاول الآن التعرف عليها - ولكن دون جدوى. وربما بعد أن لاحظتْ تعبيرات وجهي المليئة بالحيرة، ألحقت نداءها بعبارة جديدة: «لقد التقينا الأسبوع الماضي في حفلتك». هذا الوتر الجديد من المعلومات السمعية، الذي أضيف إلى الإشارات الإدراكية قيد التشغيل بالفعل، أعاد تنشيط المزيد من المحتويات الحسية التي أحول إليها الآن انتباهي داخليًا. وأقوم الآن بمسح خفي للمحتويات الذهنية الحسية المختلفة. وتُعرَض هذه المحتويات لي على شكل لقطات ضبابية، وربما لقطات متحركة، لمشاهد تُظهر منزلي وأصدقائي في

مواقف أستوعب أنها حدثت الأسبوع الماضي خلال حفلتي. وفجأة، هناك تطابق بين الإشارات الإدراكية والمحتويات الحسية التي أنا على دراية بها - الظاهرة التي يسميها سيمون Semon (1904/ 1921): «التآزر ecphory».

لقد ركز انتباهي على منطقة محددة من مشهدٍ أرى فيها شخصًا يشبه إلى حد كبير محاورتي، وأراها ترقص وترتدي قبعة ذات مظهر مضحك.

(1) أنا أتذكر تلك القبعة:

أقول هذه العبارة الآن للمرأة التي أمامي وهي تبتسم باستحسان. لم يمر أكثر من بضع ثوانٍ منذ أن نطقت باسمي.

لفهم هذا المثال، نحتاج أولًا إلى فهم كيفية درايتنا للمحتويات الذاكرية الاستردادية، وهذا بدوره يتطلب منا فهم كيفية إدارتنا لاسترداد المحتويات الذاكرية. دعونا نبدأ مع الاسترداد. كانت معظم التقارير الفلسفية عن الاسترداد الذاكري مجرد تكهنات تستند إلى الفكرة المعقولة القائلة: إن الخبرات تُحفظ بطريقةٍ ما في مخزن مجازي، حيث تفقد حيويتها بمرور الوقت كما لو الغبار يتراكم عليها، في انتظار استردادها في نهاية المطاف في أثناء الاسترجاع. وقد أظهرت التطورات الأخيرة في علم النفس المعرفاني وفي علم الأعصاب أن هذا الرأي خاطئ. أولًا، توطيد الذّاكرة memory consolidation- أي: العملية الفيزيائية التي يتغير بها الدماغ من أجل ترميز المعلومات المختبرة في مسار الذّاكرة - هو عملية انتقائية للغاية. فليست كل المعلومات المدركة تُرمَّز في البداية، وليست كل المعلومات المرمَّزة متاحة للاسترداد. إذ إن هناك فقدان للكثير من معلوماتنا الحسية بسبب عدم الانتباه وحدود الذّاكرة العاملة، فضلًا عن التحلل الطبيعي الناجم عن عدم التوطيد المتكرر والانتقائي للذاكرة في أثناء النوم (Paller & Voss، 2004). فضلًا عن ذلك، لا تظل المعلومات المرمّزة مستقرة بمرور الوقت. إذ أظهرت ما يقارب من أربعة عقود من البحث في علم النفس المعرفاني للذكريات الخاطئة والمشوهة أنه في أثناء الاسترداد، تصبح

الذكريات مرنة وعرضة للتلوث بمعلومات دخلية (Roediger، 1996). أخيرًا، تشير الأدلة أيضًا إلى أن الأحداث التي تُرمَّز على نحو تخطيطي فقط يمكن تذكرها بالتفصيل عبر عمليات إكمالية-القالب pattern-completion التي تملأ المعلومات المفقودة بطرق موثوقة على نحو مدهش (McClelland et al. ، 1995).

ونتيجة لذلك، يوجد الآن إجماع واسع بين علماء الأعصاب على الطابع الترميمي لذاكرتنا (Schacter et al., 1998; Schacter & Addis، 2007). لا يتألف التذكر من الاستنساخ الدقيق للخبرات السابقة، وإنما هو إعادة بناء المحتويات الذهنية التي سبق امتلاكها عن طريق إعادة تنشيط مناطق الدماغ التي عالجتها في أثناء الترميز (Rugg et al., 2008; De Brigard، 2012). وبالطبع إعادة التنشيط ليست هي كل لوازم التذكر؛ لأننا بحاجة إلى التفريق بين ذكريات الأحداث السابقة وخبرات الأحداث الجارية. يتمكن الدماغ من القيام بذلك من خلال أن يدمج، في أثناء الاسترداد، المناطق الدماغية التي لم تكن متورطة في أثناء الترميز وإعادة توظيف بعض المناطق ذاتها لأغراض مختلفة. على وجه التحديد، ففي حين أن الترميز يجنّد القشريات الحسية والفصوص الصدغية الإنسية، فإن الاسترداد يجنّد فضلًا عن ذلك القشريات الجبهية والجدارية (Buckner & Wheeler، 2001) التي من المرجح أنها تشارك في العمليات المعرفانية-الفوقية مثل مراقبة المصدر.

لفهم هذه العملية فهمًا أفضل، تذكر المثال السابق، وفكر في كيفية ترميز ذاكرتي عن قبعة المرأة أولًا، ثم استعادتها. لنفترض أنني، في حفلتي، كنت أنتبه بالفعل إلى المرأة وقبعتها. عالجت قشرياتي الحسية هذا الإدراك العابر بطريقة موزعة (أي: المعلومات البصرية في القشرة القذالية occipital، والمعلومات السمعية في القشرة السمعية... إلخ). منذ أن انتبهت لها ولقبعتها، جرت معالجة (معظم) هذه المعلومات الإدراكية بذاكرتي العاملة، وبعضها، بدوره، كان مرتبطًا معًا - بالحُصين على الأرجح - كحدث واحد وموحد. تشير الدلائل الفسيولوجية-العصبية إلى أن المنطقة 3CA في الحصين تقوم بهذا الربط

وتخزن نوعًا من فهرسة الحلقة (McClelland, McNaughton, & O'Reilly، 1995). ومع ذلك، لا تتضمن هذه الفهرسة أي معلومات حسية في حد ذاتها، وإنما تسجل الطريقة التي حدث بها نمط التنشيط الحسي في أثناء خبرتي الإدراكية من أجل إعادة أدائه عند الاسترداد (De Brigard، 2017). وهكذا، عندما تُقدَّم إشارة - نطق اسمي في هذه الحالة - يدخل الدماغ في نمط الاسترداد الذي يبدو أن أساسه هو القشرة الأمامية-القطبية (fronto-polar cortex (Rugg & Wilding، 2000). وباستخدام كل جزء من البيانات الحسية كإشارة محتملة للاسترداد (على سبيل المثال: صوت المرأة، وهيئتها الجسدية... إلخ) يحاول دماغي الحصول على الفهرسة الحصينية لإعادة تنشيط نمط إدراكي ما. ومع ذلك، فقط عند نطق الإشارة الحسية - في مثالنا هي معلومة دلالية سياقية - يتحقق هذا التآزر، ويعيد الفهرس الصحيح تنشيط نمط النشاط العصبي، بشكل أو بآخر الذي كان عليه عندما أدركت تلك المرأة لأول مرة في حفلتي. بالمناسبة، حقيقة أنه في كل مرة يجرى فيها إعادة تنشيط لبقية ذاكرية تحدث في سياق عصبي وخبراتي مختلف (مثلًا: الحالة الذهنية التي كان المرء فيها وقت الاسترجاع) تعني أن كل إعادة تنشيط للذاكرة هي أيضًا مثال على إعادة التوطيد (Moscovitch et al، 2005)، الأمر الذي يساعد في تفسير سبب أن الاسترداد يجعل الذكريات عرضة للتشويه (Hardt, Einarsson, & Nader، 2010). باختصار، محتوى ذاكرتي هو نتيجة لعملية معقدة من إعادة التنشيط الحسي، حيث ترتبط فيها تمثيلات المستوى الفردي ببعضها البعض لإعادة بناء المحتوى المدرَك في أثناء الاسترداد.

الآن، كيف أصبحتُ على دراية بهذا المحتوى؟ وبشكل أكثر تحديدًا، كيف يُعرَض لي المحتوى المسترد على أنه يتعلق بقبعة هذه المرأة التي كانت في حفلتي؟ اقتراحي هو أنني أصبح واعيًا به عندما أركز انتباهي خفية على منطقة تمثيلي المسترد الذي يصوّر قبعة المرأة. وعند ذلك فقط تمكنت (على نحو تحت-شخصي) من مطابقة المحتوى المسترد بإدراكي الحالي، وحينها فقط تمكنت من التعرف عليها على أنها المرأة التي أتحدث إليها الآن، فضلًا عن

ذلك، فقط عندما أصبح محتوى تمثيلي المنتبَه إليه محور خبرتي الواعية تمكنتُ من القول: إنني أتذكرها وهي ترتدي قبعة في حفلتي. بعبارة أخرى: سُلِّط الضوء ذهنيًا على هذا الجانب من المشهد من خلال التحديد الذهني لمنطقة محددة من محتواي القصدي، وكان هذا التسليط هو الذي جعل ذلك الجانب متاحًا لإبلاغاتي الواعية. إن هذه العملية هي في الأساس المكافئ الذاكري لما يسميه كامبل (2002) الفرضية السببية Causal Hypothesis للإدراك البصري: «عندما تجيب، على أساس الرؤية، على السّؤال: "هل هذا الشيء هو F؟" ما يسبب أن يتحكم اختيار المعلومات ذات الصلة في استجابتك اللفظية هو انتباهك الواعي إلى الشيء المشار إليه» (ص. 13). وزعمي هو أن الآليات ذاتها التي تنتبه بها بوعي إلى منطقة من الفضاء هي المسؤولة عن تسليط الضوء في الخبرة الذاكرية. وأنا أسمي هذا التسليط الخبراتي "التأشير الذهني" (وهو يعادل ما يسميه برنز Prinz (2007) «التعيين الذهني mental pointing»). إن التأشير الذهني لجانب من المحتوى القصدي هو تركيز الانتباه داخليًا على هذا الجانب. والتأشير الذهني هو الآلية التي من خلالها يصبح المحتوى الذهني - أو منطقة المحتوى الذهني - متاحًا للوعي (De Brigard & Prinz، 2010).

تجد هذه الفرضية دعمًا قوية في النتائج الآتية من علم النفس المعرفاني وعلم الأعصاب. في السنوات الأولى للعلم المعرفاني، كان يُعتقد أن الانتباه ضروري للترميز، لكنه ليس ضروريًا للاسترداد. وتحديدًا، قيل على أساس أشكال القصور الانتباهي (Critchley، 1953) والمعالجات manipulations التجريبية (Baddeley et al، 1984) أن ضعف الانتباه يؤثر سلبًا في التذكر عند الترميز فقط، وليس عند الاسترجاع. ومع ذلك، أوضح فرنانديز وموسكوفيتش Fernandes and Moscovitch (2000) أن هذا الاستنتاج لا مبرر له عندما تكون المهمة الثانوية متطابقة ماديًا، فمثلًا: إذا كانت المهمة الاستردادية لفظية، فقد تكون المهمة الثانوية القائمة على الكلمات أكثر ضررًا على الاسترجاع الناجح من المهمة القائمة على الأعداد أو المهمة القائمة على الصور (Fernandes et al.، 2005). أظهرت الدراسات الأحدث أيضًا أنه في ظل ظروف الترميز

العميقة مقابل الضحلة (Hicks & Marsh، 2000)، وكذلك الترميز الاستراتيجي مقابل الترميز غير الاستراتيجي (Lozito & Mulligan، 2006)، فإن مهام الانتباه المقسمة تكون ضارة في أثناء الاسترجاع، ويمكن أن تؤثر سلبًا ليس فقط في معدلات إصابة الهدف، ولكن أيضًا على الأحكام الفوق-ذاكرية (Skinner, Fernandes, & Grady، 2009). كما طُعن في الأدلة العصبية النفسية. فعلى الرغم من أن الضرر الذي يصيب القشرة الجدارية الخلفية عادةً ما يتسبب في قصور في الانتباه (على سبيل المثال: الإهمال الحيزي النصفي (hemispatial neglect)، إلا أنه يُعتقد عادة أن عمليات الاسترداد تظل سليمة، لكن أظهرت دراسة أجريت على مريضين مصابين بأضرار بالغة في القشرة الجدارية البطنية تناقصًا شديدًا في الاسترجاع الحر للذكريات السيرية-الذاتية بالنسبة إلى عناصر التحكم (Berryhill et al .، 2007). في الواقع، الدراسة الكلاسيكية التي أجراها بيسيش ولازاتي Bisiach and Luzzatti (1978) على الإهمال الحيزي النصفي، إن نظرنا إليها على أنها اختبار test استرجاع، تدعم أيضًا الزعم القائل: إن الانتباه قد يكون مطلوبًا عند الاسترداد. ففي هذه الدراسة طلب بيسيش ولازاتي (1978) من مريض يعاني من الإهمال الحيزي النصفي بشدة أن يتذكر الميدان الرئيس في ميلان، المدينة التي عاش فيها طوال حياته. وعلى الرغم من أن قدراته اللغوية لا خلل فيها، إلا أن إبلاغاته أغفلت جميع المباني التي على يسار الميدان عندما تذكّر أنها تواجه اتجاهًا واحدًا. ثم طُلب منه تخيل عبور الميدان والعودة للخلف، بحيث يواجه الآن الجانب الآخر. مرة أخرى، فشل في الإبلاغ عن المباني اليسرى - على الرغم من أن هذه المباني كانت تلك المباني التي أبلغ عنها للتو.

يأتي آخر دليل داعم لهذه الفرضية من التصوير العصبي. إن تورط مناطق الانتباه للقشرة الجدارية في أثناء الاسترجاع هو اكتشاف متكرر في دراسات التصوير المقطعي البوزيتروني PET والرنين المغناطيسي الوظيفي fMRI للاسترجاع الاستطرادي (Rugg & Henson، 2002). ونتيجة لذلك، يقترح بعض المنظّرين أن القشرة الجدارية قد تؤدي دورًا متشابهًا في أثناء الاسترجاع للدور

الذي تؤديه في أثناء الإدراك. فمثلًا: وفق فرضية "الانتباه إلى الذَّاكرة Attention to Memory" (AtoM) (Cabeza et al. ، 2008)، فإن القشرة الجدارية الظهرية dorsal parietal cortex، التي تُربط عادة بالانتباه من أعلى إلى أسفل، تشارك في الاسترداد الطوعي الموجه نحو هدف، في حين يبدو أن القشرة الجدارية البطنية ventral parietal cortex، المتضمنة عادة في الانتباه من أسفل إلى أعلى، مرتبطة بالاسترجاع اللارادي. تشير فرضية ذات صلة إلى أن القشرة الجدارية قد تؤدي دورًا مشابهًا لحاجز مؤقت للذاكرة العاملة، حيث تقوم بفتح الباب للمعلومات المخزنة من أجل اتخاذ القرار والفعل (Wagner et al. ، 2005). أخيرًا، يشير الارتباط القشري للنشاط العلائقي Cortical Binding of Relational Activity (CoBRA)) إلى أن القشرة الجدارية قد تعدّل على نحو انتقائي إعادة تنشيط المكونات الحسية المجزَّأة في أثناء الاسترداد من أجل ربطها معًا - وإعادة بنائها - كخبرة استرجاعية موحدة (Shimamura، 2011). على الرغم من الاختلافات الدقيقة بين هذه الآراء، إلَّا أنَّ ما يهم هو أنَّ هناك اتفاقًا عامًا على أنَّ النشاط المرتبط بالاسترداد في القشرة الجدارية يحدد دوره الجوهري في انتقاء المعلومات (إما إراديًا وإما لاإراديًا) المولدة داخليًا وتعديلها (إما من أعلى إلى أسفل وإما من أسفل إلى أعلى) والحفاظ عليها، وإذا قبلنا توصيفًا وظيفيًا للانتباه مثل تصفية المعلومات واختيارها وتعديلها (De Brigard & Prinz، 2010)، فإن تصفية المعلومات واختيارها وتعديلها المتولدة داخليًا (Chun, Golomb and Turk-Browne، 2011) التي تُعد محتوياتها الذاكرية فئة فرعية لها، هي بمثابة قبول أن الانتباه الداخلي ضروري لاسترداد المحتويات الذاكرية (De Brigard، 2012).

حتى الآن، الأدلة التي استعرضناها تدعم الادعاء القائل: إنَّ الانتباه الداخلي ضروري لاسترداد محتويات ذكرياتنا، ولكن هل هناك حاجة لجعل هذه المحتويات محل وعي؟

إن السّؤال المتعلق بالآليات الدقيقة التي تسمح لنا بأن نكون على دراية بمحتويات ذهنية محددة هو موضع جدل ساخن. ومع ذلك، يؤدي الانتباه دورًا

محوريًا في أبرز النظريات العصبية عن الوعي، ومنها الفرضية المؤثرة "مساحة العمل العصبية الشاملة Global Neuronal Workspace" (GNW) (Dehaene & Changeux، 2000؛ 2011). تقريبًا، تفترض GNW مساحتين حوسبتين في الدماغ: شبكات معالجة محلية ومضمنة بالمعلومات ومتخصصة، وGNW ترابطية وموزعة وغير مضمنة بالمعلومات.

يمكن أن تصبح المحتويات التي تعالَج بالشبكات المحلية محل وعي عندما تُبث على GNW. وعلى نحو جوهري، يُقترح الانتباه على أنه الآليات التي تسمح بحدوث هذا التضخيم المعلوماتي. هل لدينا أي دليل على أن الانتباه الداخلي عند الاسترداد يعدّل التضخيم المعلوماتي اللازم لبث المحتويات على GNW؟

الإجابة هي: "نعم" في اعتقادي، فنحن نعرف أنَّ الانتباه يعمل على الشبكات المحلية من خلال تعديل إطلاقها السانكروني (Steinmetz et al.، 2000). وترتبط هذه التغييرات العصبية بالزيادات في تردد غاما gamma، التي لا تتنبأ فقط بالترميز الناجح (Sederberge t al., 2003; Paller, Voss, & Westerberg، 2009)، وإنما أيضًا باسترداد العناصر القديمة، والرفض الصحيح للعناصر الجديدة (Gruber et al., 2004; Osipova et al., 2006; Jensen, Kaiser, & Lachaux، 2007). علاوة على ذلك، في دراسة تضمنت التسجيلات الكهربية للدماغ داخل الجمجمة، اكتشف سيدربيرغ Sederberg وزملاؤه (2007) أن نمط نشاط تردد-غاما ذاته الذي يتنبأ بالترميز الناجح يظهر مرة أخرى عند الاسترداد. يظهر هذا النشاط التذبذبي في القشرة الجبهية الأمامية والحصين، ثم ينتشر في القشرة الحسية (Osipova et al.، 2006)، متتبعًا نمط النشاط ذاته الذي لُوحِظ في شبكة القشرة الجبهية/ الإنسية-الصدغية/ الجدارية الكامنة وراء الاسترداد الواعي.

تمنح النتائج العصبية-النفسية مزيدًا من الدعم للادعاء القائل: إن الانتباه الداخلي يفتح الباب للذكريات للدخول في الوعي. إذا كانت المناطق الجدارية، كما هو مفترض، تعدّل إتاحة التمثيلات الحسية المحلية لـ GNW، يجب على

المرء أن يتوقع إحساسًا متناقصًا بـ: "إعادة الاختبار" في المرضى الذين تعيق أضرارهم الجدارية مثل هذا البث. هذا هو بالضبط ما أخبر به بيريهيل Berryhill وآخرون (2007): المرضى الذين يعانون من الأضرار الجدارية الثنائية يبلغون عن عدد أقل من التفاصيل الاستطرادية ومستويات أقل من الوضوح في أثناء الاستدعاء الحر للذكريات السيرية-الذاتية، مما يشير إلى أن عددًا أقل من المحتويات الحسية قد أتيح فعليًا لخبرتهم الواعية. وفي هذا الصدد، أفاد ديفيدسون Davidson وآخرون (2008) أن المرضى الذين يعاون من الأضرار الجدارية أظهروا عددًا أقل من استجابات "التذكر" التي ترتبط بزيادة الخبرة الذاتية للاسترجاع، بالنسبة إلى كل من استجابات "يعرف know" وعناصر التحكم (Drowos, Berryhill, & Olson، 2010). أخيرًا، وجد سيمونز Simons وآخرون (2010) أن المرضى الذين يعانون تلفًا جداريًا ثنائيًا أظهروا أن مستويات ثقة أقل فيما يتعلق بمهام استرجاع المصدر، وهي نتيجة يفسرونها على أنها تشير إلى أن أضرار الفص الجداري تضعف الخبرة الشّخصية للتذكر الاستطرادي. إن الرأي القائل: إن الانتباه الداخلي مطلوب للاسترجاع الواعي يتوافق مع تفسيرهم.

دعونا نلخص ما سبق:

في هذا القسم جادلتُ بأن استرداد المعلومات الاستطرادية يتضمن إعادة بناء تمثيلات المستوى تحت-الشّخصي من خلال ربط المعلومات الحسية المعاد تنشيطها في عملية تتضمن تفاعلات بين القشريات: الجدارية، والإنسية، والجبهية-الأمامية (De Brigard، 2014; 2017)، ثم اقترحتُ أن المحتوى الذي يصبح متاحًا للوعي هو الذي نوجه انتباهنا الداخلي إليه. أخيرًا، اقترحت أن تصبح المحتويات الانتباهية حاضرة للوعي عندما تتاح إلى الـ GNW، ما يجعلها تُستعمل في الذّاكرة العاملة، وبالتالي الإنتاج اللغوي. عندما يكون الإنتاج اللفظي الناتج صوتيًا، فإنه يشكّل كلامًا - نيات ومقاصد صادقة تواصلية - يهدف إلى الإخبار عن الحالة الذهنية التي تكون هي الفحوى. إذا صح تقريبًا هذا التقرير عن ما يحدث عندما أنطق التعبير: "أنا أتذكر هذه القبعة" في

الموقف الذي مثلنا به سابقًا، فعندئذٍ تكون لدينا المكونات التي نحتاجها لتوضيح الجزء الأول من الإجابة ثلاثية الأجزاء لسؤال التذكر المشترك الذي بدأت به هذا الفصل: التأشير الذهني لجانب من جوانب محتوى ذهني هو انتباه داخلي لهذا المحتوى. نحتاج الآن أن نرى كيف يمكننا الانتقال من التأشير الذهني إلى المرجع، ومن ثم إلى التذكر المشترك الكامل.

3. التذكر كتأشير ذهني مُرحَّل:

إذا كان التقرير السابق يسير على المسار الصحيح، فإن تذكر شيئًا ماضيًا يتضمن، في المقام الأول، قدرتنا على التأشير الذهني نحو محتوى خبراتي، ومن خلال التأشير الذهني نحو هذا المحتوى يمكننا جعله متاحًا للوعي. ومع ذلك، فإن وجهة النظر هذه، على حالها الآن، تطرح سؤالًا صعبًا. في حالة الإدراك، يكون الشيء المؤشَّر إليه ذهنيًا - أو «مسلط عليه الضوء خبراتيًا»، بتعبير كامبل (2002) – على اتصال مباشر مع المدرِك. في الواقع، في النظرة العلائقية (الواقعية) التي طرحها كامبل، يصبح الموضوع أحد مكونات المحتوى الخبراتي. وبالتالي، بالنسبة لكامبل، ليست هناك حاجة للفصل بين المحتوى القصدي وموضوعه عندما يتعلق الأمر بجعلهما متاحين للوعي. ومع ذلك، في حالة الذَّاكرة، لا يكون الشيء الذي يسترجعه المرء على اتصال مباشر معه. في الواقع، لا يكون موضوع ذاكرة المرء غائبًا فقط عندما يتذكره، بل العادة أنه لم يعد موجودًا. كيف يمكننا أن نكون على دراية بشيء أو حدث لم نعد على تصال مباشر به؟

أمامنا أكثر من مسار ممكن، فمن الممكن أن نسير في المسار الواقعي المباشر (Reid)، 1785/ 1849)، ووفق هذا الرأي، فإن التذكر يعادل الإدراك المباشر في أن الأشياء المقصودة تُعقَّل مباشرة. وبالتالي، يتخلص هذا الرأي من المحتويات القصدية، ولا سيما المحتويات التمثيلية. ووفق الواقعية المباشرة، فإن التذكر يشبه الإدراك تمامًا، باستثناء أن موضوعاته - أي: ما يُتذكَّر – غير موجودة في الوقت الحاضر، فهي كانت موجودة في الماضي. على الرغم من أن

الواقعية المباشرة في الذّاكرة كانت شائعة نسبيًا في الماضي (Laird، 1920)، إلا أنها فقدت سمعتها، فهي في النهاية تواجه عقبات صعبة. فمثلًا: تقترح الواقعية المباشرة تماثلًا بين الذّاكرة والإدراك، لكنها لا تحدد مدى تشابههما، أو كيفية استيعاب اختلافاتهما الواضحة. على سبيل المثال: تختلف الذكريات فينومينولوجيًا عن الإدراكات، وعادة ما تكون غير مصقولة أكثر من الإدراكات. ويختلف التذكر عن الإدراك أيضًا في القدرة على إمدادنا بمعلومات تمييزية. فمثلًا: بينما يمكننا التمييز بصريًا بين ظلال حمراء متشابهة عند إدراكها في وقت واحد، لا يمكننا الاعتماد على الذّاكرة فقط (Nemes, Parry, & McKeefry، 2010). أيضًا، الذكريات تتحلل وغالبًا ما تكون ضبابية ولا حياة فيها. وتميل الأحداث غير البارزة إلى أن تُنسى أكثر من الأحداث البارزة، حتى لو كانت الأحداث البارزة قد حدثت منذ فترة طويلة. من الصعب رؤية ما يعادل هذا النوع من تأثير البروز في حالة الإدراك. أخيرًا، هناك مشكلة الذكريات الزائفة. إن العديد من ذكرياتنا الصادقة هي في الواقع نتيجة للآليات ذاتها التي تمنحنا ذكريات غير صادقة (Schacter, 1995, De Brigard، 2014). لكن الذكريات غير الصادقة تدور حول أحداث لم تقع قط، وبالتالي، سوف يتعين على الواقعي المباشر أن يفسر ليس فقط كيف يمكن للذاكرة أن تكون على اتصال مباشر بحدث لم يعدِ موجودًا - أو كان موجودًا في الماضي - وإنما أيضًا بأحداث لم توجد قط. يمكن لبعض المناورات الميتافيزيقية أن تحل هذه المسائل، لكنني أشك في أننا نريد دفع هذا الثمن عندما يكون البديل هو قبول وجود محتويات تمثيلية (Furlong، 1948).

يقترح كامبل، درايةً منه بهذه المشكلات، بديلًا غير تمثيلي مختلفًا، استنادًا إلى فكرة ماكورماك McCormack وهورل Hoerl عن التراجع الزمني temporal decentring: «القدرة على التراجع المؤقت هي القدرة على النظر في المنظورات الزمنية البديلة للأحداث وعلى فهم العلاقة بين هذه المنظورات والمنظور الحالي للفرد» (McCormack & Hoerl, 1999; Evans، 1982). ووفق ذلك، يقترح كامبل أن قدرتنا على الإشارة إلى الأشياء أو الأحداث المتذكَّرة

تعتمد على قدرتنا على التراجع زمنيًا. فقط عندما نكتسب القدرة على التراجع الزمني يمكننا فهم شروط-الصدق للأحكام المتوترة في أوقات مختلفة عن وقت النطق بها. وعلى ذلك، فمن أجل فهم الجملة:

(2) أنا أرى أنك ترتدي قبعة في حفلتي:

عند النطق بها في حضور موضوع الانتباه (أي: الشّخص الذي يرتدي قبعة في حفلتي)، نحتاج فقط إلى أن نكون قادرين على فهم شروط-صدق الحكم كما ينطبق على الموقف الحالي. ولكن من أجل فهم الجملة (1) نحتاج إلى أن نكون قادرين على الابتعاد عن الموقف الزمني الحالي، وفهم شروط-صدق الحكم كما لو كان قد صدر في وقت مختلف، أي: اللحظة الماضية ذات الصلة. ولذلك، ليس هناك حاجة للاتصال المباشر مع الموضوع الماضي، ولا إحالة إلى تمثيلات ذهنية وسيطة. كل ما هو مطلوب هو اكتساب مهارة محددة - أي: التراجع الزمني - حتى نتمكن من الإشارة إلى موضوع استرجاعنا الواعي كما لو كنا نتحدث عنه في وقت مختلف (Campbell، 2002: 181).

على الرغم من أنني لستُ غير متعاطف بالكليّة مع هذا الرأي، إلا أنني أجده غير مُرضٍ لسببين:

أولًا: وفق ماكورماك وهورل (1999)، يعتمد نماء الذّاكرة الاستطرادية على اكتسابنا للتراجع الزمني الذي يعتمد بدوره على اكتساب مفهوم الزمن الشّخصي/ المنظوري. وعلى الرغم من أن هذه الفرضية تبدو مناسبة لبعض البيانات في أدبيات علم النفس النمائي، إلا أنها تواجه صعوبة في استيعاب البيانات الآتية من علم النفس العصبي. ففي النهاية، الأفراد الذين يعانون من فقدان الذّاكرة قادرون تمامًا على استخدام المفاهيم الشّخصية/ المنظورية، وبالتالي، فهم قادرون تمامًا على التراجع الزمني، على الرغم من تلف ذاكرتهم الاستطرادية (Craver et al., 2014; De Brigard & Gessell، 2016). وهذا يشير إلى أن التراجع الزمني مستقل عن الذّاكرة الاستطرادية.

ثانيًا: تعريف الشيء على أنه مهارة أو قدرة معرفانية لا يمنعه من تطلب تمثيلات، سواء أكانت بوعي أم بغير وعي، فمثلًا: قد تتطلب المهارات الحركية تمثيلات في شكل برامج يجب تنفيذها أو تسلسلات حركية (Pavese، 2015).

الخبر السار هو أنه يمكننا الإبقاء على الحدس القائل: إن التأشير الذهني هو الآلية التي يمكننا بها الإشارة إلى موضوع ذكرياتنا دون الاضطرار إلى قبول مفهوم التراجع الزمني، أقترح أن ما يسمح لنا بالإشارة إلى الأشياء الماضية عندما نتعامل بوعي مع محتوى ذهني محدد يعرض ذاته على أنه يتعلق بخبرة سابقة هو المكافئ السري لقدرتنا العلنية على الإظهار على نحو مرحَّل. لاحظ أن جذر المشكلة التي نواجهها هو أن ما نشير إليه ذهنيًا عندما نتذكر ليس مطابقًا لما نشير إليه. فكر في الجملة (1) مرة أخرى. عندما نطقت هذه الجملة، فأنا لم أكن أتحدث عن خبرتي الذهنية، وإنما عن الحدث الماضي الذي ينطوي على قبعة تلك المرأة في حفلتي. وهو حدث لم يعد موجودًا. لكن ما أنتبه إليه داخليًا - ما أقوم بتأشيره ذهنيًا - هو منطقة من المحتوى القصدي الذي أدري به الآن، حيث إنني أمتلك خبرة ذهنية لتذكر قبعة المرأة. تخطيطيًا، إذا كانت "p" تعني الموضوع القصدي لذاكرتي، فإن "r" تعني المحتوى القصدي لذاكرتي، ووفق تقريري المقترح، فإنني عندما أتذكر أن p، فإنني أتحدث عن p في أثناء تأشيري لـ r. لغويًا، تُعرف ظاهرة التأشير لشيء محدد "r" للإشارة إلى شيء مختلف "p" بـ: التأشير المرحَّل (deferred ostension Quine، 1968: 194). تأمل المثال الكلاسيكي الذي يعود إلى إيفانز Evans (1981: 199). نحن نسير في الشارع وأشير إلى سيارة متوقفة عليها بطاقة مخالفة الوقوف في الممنوع. وأقول، مشيرًا إليها: "ذلك الرجل سوف يحزن". الحدس هنا هو أنه على الرغم من أنني أشير إلى السيارة - أي: على الرغم من أن إظهاري (Kaplan، 1989) موجّه نحو السيارة - إلا أن الشيء محل الإظهار أو المشار إليه ليس السيارة، وإنما مالك السيارة. أو تأمل الموقف الذي أشير فيه إلى مجموعة من آثار الأقدام وأقول: "يجب أن يكون عملاقًا"، أو الحالة التي أحمل فيها نسخة من رواية "تحالف الأغبياء The Confederacy of Dunces" وأقول: "إنه مؤلِّفي

المفضل" (Brog، 2002). هذه أيضًا حالات أشير فيها إلى شيءٍ ما (مثلًا: آثار أقدام، كتاب) في حين أحيل إلى شيء آخر (مثلًا: الحيوان الذي ترك آثار الأقدام أيًا ما كان، جون كينيدي تول John Kennedy Toole).

اقتراحي هو أن نوع الظاهر ذاته يحدث عندما نتذكر الذكريات الاستطرادية. لفهم موضوعات ذكرياتنا، وبالتالي، القدرة على التحدث عن موضوعات ذكرياتنا، نتعلم أولًا كيف نشير ذهنيًا إلى شيء غير موجود في بيئتنا، ولكنه مع ذلك موجود في خبرتنا الواعية. لقد ناقش علماء علم النفس النمائي على مدى عقود ما إذا كان الأطفال لديهم ذاكرة استطرادية قبل أن يكتسبوا مهارة النطق[1]. ومع ذلك، من المحتمل أن يتفق كل علماء علم النفس النمائي على أن التقليد المُرحَّل deferred imitation لتسلسلات الفعل يوضح في الواقع ظهور الذَّاكرة الاستطرادية (Barr, Rovee- Collier, & Campanella، 2005). علاوة على ذلك، فإن كبار السن الذين يعانون تلف الفص الصدغي الإنسي، وكذلك الذين يعانون فقدان الذَّاكرة النمائي يواجهون مشكلة في هذه المهمة، مما يشير إلى علاقتها الحميمة بالذَّاكرة الاستطرادية (Adlam et al.، 2005). في هذا النموذج، يظهر للرضع تسلسلًا غير معتاد نسبيًا من الأفعال مع موضوع محدد. فمثلًا: قد يُظهر المجرِّب للطفل أنه من أجل إخراج المفتاح من الصندوق عليه أولًا أن يقرع الصندوق ثلاث مرات بطرف العصا السحرية، ثم مرة واحدة بقاعدتها. ثم يُترك الطفل بمفرده (ويُسجَّل) أو يغادر المجرِّب بضع دقائق ويعود بالعصا، ويسأل الرضيع عما إذا كان بإمكانه إخراج المفتاح من الصندوق. قبل بلوغ الأطفال ستة أشهر من عمرهم، يكونون غير قادرين تمامًا على إنتاج تسلسلات الفعل التي تعملوها سابقًا. هناك بعض الأدلة على أنه يمكنهم إجراء تقليد مرحَّل للتسلسلات القصيرة بعد بلوغهم ستة أو سبعة أشهر

---

(1) يقترح بعض علماء علم النفس النمائي أن مهام المقارنة الزوجية البصرية، حيث يُعرض على الأطفال أشياء جديدة في مقابل أشياء مألوفة وقياس معدلاتهم في التفاعل، هي مؤشرات جيدة على أصول الذَّاكرة الاستطرادية. ومع ذلك، لا يوافق آخرون كثيرون على ذلك؛ لأنه من الممكن دائمًا تفسير هذا النموذج على أنه يرصد الذَّاكرة الضمنية وليس الذَّاكرة الصريحة.

من عمرهم، طالما أن فترة الاستبقاء - أي: الوقت المنقضي بين الدراسة والاختبار - تظل قصيرة (Barr & Hayne، 1996). يتعلم الأطفال تدريجيًا كيفية تنفيذ تسلسلات من الأفعال التي تزداد تعقيدًا، ولها فترات استبقاء أطول، وتُسترجع بعلامات أقل تحديدًا (Hayne, Boniface, & Barr، 2000). وبحلول السنة الثانية من العمر، تترسخ تسلسلات الأفعال المُرحَّلة ترسخًا كبيرًا.

لاحظ أنه قبل أن يبلغ الأطفال ستة أشهر يكونون قادرين على التأشير. فإذا أظهر شخصٌ ما لطفل عمره أربعة أشهر العصا السحرية، فإنه يستطيع أن يشير إليها. ومع ذلك، فهذا الطفل لا يرى أن ذلك مرتبط بأي شيء حدث من قبل. إنه مجرد موضوع آخر في المجال البصري، مهما كان مثيرًا للاهتمام. وبعد أن يبلغ الرضيع ستة أو سبعة أشهر، يبدو أنه قادر على رؤية العصا السحرية كشيء أكثر من مجرد موضوع موجود. فهو يرى العصا السحرية مرتبطة بحدث سابق. لقد أصبح الآن المحتوى الذهني الناتج عن إدراك العصا مختبر على أنه يتعلق بشيءٍ آخر غير الرغبة. وتصبح العصا إلماحة cue. الآن بإمكان المجرِّب أن يؤشر على العصا، في حين يعي بها الرضيع، ويسأل عن التسلسل الصحيح من الأفعال: "هل يمكنك إخراج المفتاح من الصندوق؟" إن حقيقة أن الرضيع يمكنه بالفعل التوصل إلى التسلسل الصحيح من الأفعال توحي بقوة بأنه يعرف أنه يمكنه التحدث عن "p" سابقة - تسلسل من الأفعال - في أثناء الإشارة إلى "r" موجودة - أي: العصا السحرية.

مع مرور الوقت، يمكن أن تصبح الإلماحات الإدراكية أقل تعيينًا، أي: أقل شبهًا بإدراك الحدث الأصلي. وفي النهاية، يمكن لعصا خيالية أن تثير الذَّاكرة، ثم مجرد استخدام الإصبع، والتلفظ بكلمة. وفجأة، يصبح إظهار الإلماحة، وربما الإلماحة ذاتها، غير ذي صلة. كل ما يهم هو أن الإلماحة يمكن أن تثير استرداد النوع الصحيح من المحتوى الذهني، ويمكنها أن تسلط الضوء خبراتيًا على الخاصية ذات الصلة للخبرة الواعية الناتجة. لم ينجح سماعي لصوت المرأة ولا رؤيتي لوجهها في تحفيز المحتوى الذاكري الصحيح. وإنما حدث التآزر ecphory عندما أعطتني تلك المرأة المعلومات السياقية، ثم

استُرِدَّ المحتوى القصدي الصحيح[2]. الآن، المعلومات الحسية التي عُرضت لي تسلط الضوء ذهنيًا على جانب محدد من هذا المحتوى الذي أختبره كإعادة للحدث الإدراكي المتجسد في رؤية هذه المرأة وهي ترقص وترتدي قبعة. ومن ثم، فإن التأشير الذهني هو مهارة مكتسبة، والتأشير الذهني المُرحَّل هو طريقة نتعلم بها الإشارة الذهنية إلى شيء آخر - وعادة ما يتسبب في بدء المحتوى القصدي المسترد[3]. لذلك، يتلخص اقتراحي في ما يلي فقط:

يمكننا التحدث عن الموضوعات القصدية لذكرياتنا؛ لأننا نستطيع الإشارة إليها على نحو مُرحَّل بالتأشير الذهني على المحتويات القصدية التي تختبرها عن استردادها بالإلماحة الصحيحة. إن تذكر شيء ماضٍ هو حالة تأشير ذهني مُرحَّل[4].

---

(2) من المفترض أن يكون الحُصين العامل مطوبًا لحدوث التآزر، ففي غياب النوع الصحيح من الفهرسة الحصينية، يُحال دون عملية إكمال القالب المطلوبة لإعادة التنشيط الحسي، ومن ثم لا يُستَرَد أي محتوى ذهني يمكن به توجيه انتباه الفرد إلى الداخل. وهذا من شانه أن يفسر سبب فشل الذين يعانون تلف الفص الصدغي الإنسي في نموذج تسلسلات الأفعال المرحَّلة، وبالمناسبة هو يفسر، جزئيًا، سبب فشلهم في استرداد الذكريات غير الموطَّدة.

(3) حتى الآن، تحدثتُ فقط عن التأشير الذهني المرحَّل، على غرار التأشير اللغوي المرحَّل. وأتساءل عما إذا كان ما قلته هنا له أيضًا قد تكون له بعض التطبيقات على الظاهرة اللغوية أيضًا. في دراسة شاملة عن التأشير المرحَّل، توضح إيما بورغ Emma Borg (2002) أن استراتيجية التعامل مع الاستخدامات المرحَّلة لأسماء الإشارة كنوع دلالي مختلف من المؤشرات، هي استراتيجية خاطئة عنيدة. وتقدم بورغ حججًا مقنعة مفادها: يجب استيعاب الاختلافات على المستوى التداولي. وفي الواقع، هي تقترح أن القاعدة التداولية انها التي تعمل مع الاستخدامات الإدراكية لأسماء الإشارة تعمل أيضًا مع الاستخدامات المرحَّلة، طالما أن الطفل يتعلم أن هناك أكثر من طريقة للإشارة إلى موضوعٍ ما. إذًا، اقتراحها هو: «ببساطة أن هناك العديد من الطرق للفت الانتباه إلى موضوعٍ ما لتسهيل استخدام تعبير إشاري، والإشارة مباشرة إلى الموضوع هي مجرد طريقة واحدة من بين طرق أخرى - أي: الطرق التي تتضمن الإشارة إلى موضوع ذي صلة» (Borg, 2002, p. 509). ربما يوفر نماء الذّاكرة الاستطرادية الأساس النفسي لأحد هذه الأشكال، ومن المحتمل أن تكون الأشكال الأخرى قد نمت بالمثل (انظر، على سبيل المثال: Hoerl & McCormack، 2004، حيث في هذا العمل استكشاف لتعلم الإشارة إلى الأسباب البعيدة من خلال الإشارة إلى الأحداث المدركَة الحالية).

(4) ادعائي هنا متعلق بالضرورة وليس بالكفاية، فالتأشير الذهني المرحَّل ضروري للإحالة الذاكرية، لكن من المرجح أنه ليس كافيًا. فمن الممكن أننا قد نحتاج، فضلًا عنه، إلى الاعتقاد بأن

4. التذكر المشترك كتأشير ذهني مُرحَّل محدد:

في القسم الثاني، جادلتُ بأن المحتويات الذاكرية يُعاد بناؤها من تمثيلات المستوى تحت-شخصي من خلال عملية إكمال-القالب التي تعيد تنشيط القشريات الحسية، بشكل أو بآخر[5] التي كانت تعمل في أثناء إدراك الحدث المتذكر، ثم جادلتُ بأننا نعي هذه المحتويات الذهنية عندما نوجه انتباهنا داخليًا إليها. وقد أطلقت على هذه العملية اسم التأشير الذهني. لقد اقترحتُ أن المحتويات الذاكرية التي نؤشر عليها ذهنيًا هي بالتالي قابلة للإبلاغ عنها، حيث تأهبت للتحكم اللفظي في الذّاكرة العاملة. ثم، في القسم الثالث، زعمتُ أن التأشير الذهني لم يكن كافيًا لتفسير كيف يتحدث المتذكِّر عن الأشياء التي ليست في محيطه. وجادلتُ بأن القدرة على الحديث عن شيء غير موجود في أثناء التأشير على شيء ما كان مطلوبًا حتى يتمكن المتذكِّر من التحدث عن الموضوعات المتذكَّرة. ومتابعة للاصطلاح المتفق عليه في علم اللغويات، سميتُ هذه القدرة التأشير الذهني المرحَّل. والآن، في هذا القسم الأخير، أقترح أنه من أجل اكتساب القدرة على التذكر المشترك، نحتاج إلى معرفة كيفية توجيه انتباهنا داخليًا جنبًا إلى جنب مع غيرنا من المتذكرين من أجل تقديم تمثيلات ذاكرية بالمحتويات ذاتها التي بدروها تسمح لنا بالتحدث عن الموضوعات التي تمثلها تلك المحتويات.

لنتأمل مرة أخرى الموقف الذي أنطق فيه الجملة (1). تخيل أنه بعد لقائي القصير في البقالة بتلك المرأة، قابلتُ صديقًا أعرف أنه كان في حفلتي، وحدث الحوار التالي: "لقد التقيتُ للتو بالمرأة التي سكبت النبيذ على بساطي في الحفلة" فيسألني صديقي: "أي امرأة منهن؟" أجيبه: "لا أتذكر اسمها"،

المحتوى المسترَد المؤشَّر عليه ذهنيًا يمثل موضوعًا لم يعد موجودًا (شكرًا لجوردي فرنانديز على هذا الاقتراح).

(5) أقول "بشكل أو بآخر": لأن الأدلة العصبية تشير إلى أنه على الرغم من وجود إعادة تنشيط على مستوى الأنظمة، إلا أن هناك تغيرات تحدث على المستوى العصبي المحلي. والعلاقة الدقيقة بين إعادة التنشيط على مستوى الأنظمة والتغيرات العصبية على المستوى المحلي غير معروفة.

فيقول: "أتقصد المرأة التي كانت ترتدي قبعة؟" فأقول: "نعم هي". ماذا حدث للتو؟ فكر فيما حدث خلال هذا التبادل الحواري الموجز. قابلتُ صديقي وبذكر لقائي الأخير في البقالة، قمتُ بتحويل حالته المعرفانية إلى حالة تذكرية، وعندما سألني: "أي امرأة منهن؟" أفترض أنه كان يحاول تمييز فرد محدد من خبرته الذاكرية عن حفلتي. بعبارة أخرى، جملتي الافتتاحية كانت بمثابة محفز لفظي لبقيته الذاكرية الخاصة بالحفلة. وهو الآن يقوم بمسح ذاكري لمحتواه القصدي، من خلال آليات الانتباه الذي من أعلى من أسفل. لكنه بالطبع لا يعرف حتى الآن عمن أتحدث. إذ كانت هناك العديد من النساء في حفلتي. ولذلك سألني عن سمة مميزة قد تساعده في تمييزها: اسمها. وبما أنني لا أعرف اسمها حاول أن يسألني عن سمة أخرى: القبعة. إنه الآن يشير ذهنيًا إلى منطقة محتواه القصدي الذي يصوّر المرأة ذات القبعة، لذلك يطلب تأكيدي. وقولي: "نعم، هي". يؤكد أننا نتحدث عن الموضوع المتذكَّر ذاته، ويميز اللحظة التي نعي فيها أننا نتذكر بشكل مشترك.

اسمحوا لي أن أشدد على هذه النقطة. يبدو أن معظم المناقشات المتعلقة بالانتباه الإدراكي المشترك تجعل فعل الإشارة - ما أسماه كابلان «الإظهار بالإشارة» ((Kaplan، 1989) - ضروريًا للعملية كي تحدث بنجاح. لكن يمكن للمرء أن ينخرط في انتباه مشترك دون أي إظهار علني يقوم به أي من المتتبعين. إذ يمكن لشيءٍ ما أن يُظهر ذاته، إن جاز التعبير، من خلال إبراز ذاته في المجال الخبراتي للفرد. لنفترض أنك تشاهد مباراة كرة قدم، وفجأة، يركض مشجع متحمس من جانب من جوانب الملعب إلى الجانب الآخر وهو لا يرتدي أي ملابس. لم يعرقل الحدث المباراة، لكنه كان كافيًا لجذب انتباه العديد من الجمهور، بما في ذلك انتباهك وانتباه صديقك. يسألك صديقك: "هل ترى ذلك؟"

هنا ليس عليه أن يشير علانية إلى المشجع المتحمس. فانتباهك، تمامًا كانتباه صديقك، قد تحرر مما كان يركز عليه من قبل - اللاعب الذي معه الكرة، غالبًا - وانتقل انتباهك إلى هدف جديد: المشجع المتحمس. إن

الموضوع المظهَر هو إظهاره في حد ذاته. وبالمثل، يمكن للمرء أن يوجه انتباه شخص آخر نحو هدف محدد دون الحاجة إلى استخدام التأشير الصريح. يمكن للمرء أن يساعد الشّخص الآخر في التنقل في المجال الإداكي باستخدام أهداف بارزة وسيطة كنقاط مرجعية. لنفترض أنك فشلت في ملاحظة المشجع المتحمس العاري؛ لأنه فشل في فصل انتباهك عن المباراة. وهكذا، عندما يسألك صديقك عما إذا كنت قد رأيت ما حدث، فأنت تسأل بصدق: "ماذا حدث؟" وفي ضوء المسافة بين المشجع العاري ومقاعدك، فإن التأشير غير مفيد. وبالنظر إلى حقيقة أن صديقك يحمل شطيرة بيد، وزجاجة بيرة باليد الأخرى، فإنه لا يمكنه أن يلوح بيده. لذلك، هو يجد علامة مميزة، نقطة مرجعية بارزة، ويوجه انتباهك من هذه النقطة، يقول: "ترى حكَم الراية؟ ارسم خطًا خياليًا منه إلى المرمى، وسترى ما أتحدث عنه". لقد أعيد توجيه انتباهك، والآن أنتما تنتبهان بالاشتراك إلى الهدف ذاته.

أعتقد أن عملية مكافِئة تحدث في حالة التذكر المشترك. أنا أتوقع أن يكون صديقي الذي أعرفه أنه كان في الحفلة، قام بترميز الكثير من المعلومات ذاتها التي قمتُ بترميزها في ذلك الوقت. إن المعلومات التي قمنا بترمزيها ليست متطابقة بالطبع. فحتى لو كنا ننظر إلى المرأة من جانب الغرفة ذاته في الوقت ذاته بالضبط، فإننا نشغل مواقع مكانية مختلفة، لذلك ستختلف منظوراتنا، لكن هذه الاختلافات لا يلزم أن تكون ذات أهمية. تمثل المحتويات الذاكرية موضوعاتها بدرجات متفاوتة من الصحة، وكما قد تكون هناك اختلافات داخل شخص ما بين الطريقة التي يُدرَك بها الحدث في الأصل والطريقة التي يعرض الحدث بها ذاته في أثناء الاسترجاع، فقد تكون هناك أيضًا اختلافات دقيقة بين الأشخاص لا تزال لنا بالحديث عن المحتوى الذاكري ذاته الذي يمتلكه اثنان أو أكثر من المتذكّرين بالاشتراك. تمامًا كما في حالة المشجع في مباراة كرة القدم، يمكنني توجيه انتباه صديقي لتسليط الضوء على جانب محدد من محتواه القصدي - المرأة ذات القبعة - بحيث يصبح هو تأشيره الذهني. يمكنني استخدام - كما في المثال التخيلي - إشارة إلى سمة بارزة للموضوع ذاته: القبعة. لكن

كان بإمكاني أيضًا توجيه انتباه صديقي الداخلي باستخدام نقاط مرجعية أخرى، على سبيل المثال: إن تلك المرأة كانت ترقص جوار النافذة. يمكن للعملية أيضًا أن تسير في الاتجاه المعاكس. فبعد تذكر هذه المرأة، قد يتمكن صديقي من إعادة توجيه انتباهي نحو جانب مختلف لم أتذكره في ذلك الوقت - عطرها، مثلًا، أو حقيقة أنها أحضرت زجاجة نبيذ لذيذة. إن القدرة على تنسيق انتباه بعضنا البعض على نحو متبادل من أجل تسليط الضوء على نحو واعٍ (تقريبًا) على المحتويات الذهنية ذاتها أطلق عليها: "التناغم". وبالتالي، فإن قدرتنا على الحديث عن الموضوعات ذاتها التي تمثلها المحتويات القصدية التي نكون على وعي بها في أثناء التذكر المشترك ستكون بمثابة تأشير ذهني مرحَّل متناغم.

تتيح الذَّاكرة بُعدًا زمنيًا للتأشير الذهني المُرحَّل المتناغم غير موجود في الإدراك، يمكننا توجيه انتباه بعضنا البعض على طول خط زمني. بعبارة أخرى: يمكننا توجيه انتباه بعضنا البعض على نحو متبادل نحو المحتويات الذاكرية التي تصور الأحداث التي وقعت قبل حدث مستهدف محدد أو بعده. فمثلًا: عند التذكر المشترك لتلك المرأة التي كانت في الحفلة، يمكن لصديقي أن يعيد توجيه انتباهي نحو بداية الحفلة، وأن يبرز لي ذهنيًا حقيقة أنها أحضرت زجاجة نبيذ. بل يمكنه في الواقع توجيه انتباهي إلى الوراء في الوقت المناسب، ويذكرني أن الحفلة لم تكن المناسبة الأولى التي قابلت فيها تلك المرأة، فيقول: "أتذكر، منذ شهر تقريبًا، كنا نتنزه في الحديقة؟" هذا النوع من التأشير الذهني المتناغم على طول الأبعاد الزمنية فريد من نوعه بالنسبة للمحتويات الذاكرية، وتشير الأدلة التجريبية بقوة إلى أن التأشير الذهني المتناغم يؤدي دورًا أساسيًا في تعلم الأطفال كيفية التحدث عن ذكرياتهم.

لننظر أولًا في بعض البيانات اللغوية. كما لاحظ كلارك Clark (1978)، عادة ما تكون المفردات الإشارية من بين الكلمات العشر الأولى التي ينطقها الأطفال المتحدثون بالإنكليزية، ودائمًا من بين الكلمات الخمسين الأولى. علاوة على ذلك، هناك ارتباط خطي إيجابي بين الانتقال من الانتباه الثنائي إلى الثلاثي واستخدام أسماء الإشارة (Iverson and Goldin-Meadow، 2005)،

الأمر الذي دفع بعض المنظّرين إلى اقتراح أن الوظيفة اللغوية الجوهرية لأسماء الإشارة هي المساعدة في تنسيق تركّز الانتباه بين المشتركين في الحديث (Diessel، 2006). وباتساق، تشير النتائج الواردة من علم النفس النمائي إلى أن الأحداث و/ أو الأشياء التي انتبه إليها الأطفال ومقدمو الرعاية على نحو مشترك في أثناء الترميز كانت لها معدلات استرداد أعلى من تلك التي كان الانتباه إليها فرديًا أو معدومًا (Haden et al. ، 2001). علاوة على ذلك، كان التأثير يزيد إذا كان الانتباه المشترك إلى الحدث/ الشيء مصحوبًا بالتحدث المشترك عنه. إذ تُظهر التجارب التي تستخدم الاسترداد التعاوني الذي يحدث عندما يوجه مقدم الرعاية استرداد الطفل باستخدام أسئلة لا يُكتفى بها بالإيجاب أو النفي، وإنما لا بد من ذكر معلومات، تحسينات في العديد من مقاييس الذّاكرة، ومنها عدد التفاصيل الاستطرادية، والتماسك السردي، والاستدعاء اللاحق. للتوضيح، فكر في المقتطف التالي من مثال لطفل يبلغ من العمر عامين (Fivush et al. ، 1994):

الأم: أتذكُر عندما ركب أمك وأبوك ووسام Sam السيارة لفترة طويلة وذهبوا إلى منزل الجدة؟

الطفل: (يهز رأسه بالإيجاب).

الأم: وماذا رأينا عندما كنا في السيارة؟ أتذكُر ما الذي أطلعك عليه أبوك من نافذة السيارة؟

الطفل: لا أعرف.

الأم: هل تتذكر أننا رأينا بعض الجبال وذهبنا إلى البيت القديم؟ وماذا فعلنا؟ لقد خلعنا أحذيتنا ومشينا على الصخور. ماذا فعلنا أيضًا؟ من كان هناك؟

هذا مثال على الاسترداد التعاوني باستخدام العديد من السقالات، أي: الكثير من الدعم الاستردادي الذي تقدمه الأم للطفل في أثناء الاسترداد. الآن قارن هذا المثال بمثال آخر، وهو مثال ذكره هورل وماكورماك Hoerl and

McCormack (2004) ينطوي على عدد أقل بكثير من السقالات في أثناء جلسة تذكرية مشتركة مع طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات:

الأم: ماذا حدث لإصبعك؟

الطفل: أنت قرصته. آوِ يا صغيري، أراهن أن هذا يحزنك فعلًا.

الطفل: نعم...إنه مؤلم.

الأم: نعم، هو مؤلم. الإصبع المقروص ليس ممتعًا...لكن من جاء وجعلك تشعر بتحسن؟

الطفل: إنه أبي.

هذه السرديات، كما لاحظ هورل وماكورماك، تستخدم الروابط السببية بين الأحداث المختبَرة من أجل توجيه الأطفال إلى الوراء أو إلى الأمام زمنيًا. وهذا، في اعتقادي، مثال واضح على التأشير الذهني المرحَّل. إذ تبدأ الأم في تسليط الضوء على محتوى ذهني محدد للطفل وتدعوه إلى استكشاف جوانب محددة من هذا المحتوى، مثل: العاطفة التي شعر بها عندما حدث. ثم هناك استكشاف زمني من خلال تركيز انتباه الطفل على رابط سببي محدد: الانتقال من الشعور بالألم إلى التحسن. تصبح المحتويات التي تُستَرَدّ بالاشتراك نقاطًا مرجعية من الوقت الذي يمكن للمرء فيه أن يلفت الانتباه إلى جوانب أخرى من المحتوى القصدي المستَرَد، كما في حالة مسجّل الأهداف في لعبة كرة القدم المذكور سابقًا. وبالتالي، فالأم والطفل يتذكران بالاشتراك حدثًا وقع لاحقًا من خلال الانتباه الواعي إلى محتوى ذاكري مختلف يمثل تأثير الحدث الذي يصوره المحتوى الذاكري الذي انتبها إليه سابقًا. ولذلك، عند التذكر المشترك، يمكن أن تصبح المحتويات المنتبَه إليها ليست فقط نقاطًا مرجعية مكانية، وإنما أيضًا نقاطًا مرجعية زمنية.

5. الخلاصة:

في الختام، اسمحوا لي أن ألخص النقاط الرئيسة لهذا الفصل:

أولًا: اقترحتُ أن تذكر موضوع ما ينطوي على انتباه داخلي تجاه جانب من جوانب المحتوى الذاكري المستَرَد. ومتابعةً للمصطلح الذي قدمه كامبل (2002)، اقترحتُ أنه عند القيام بذلك يحدث تسليط للضوء على محتوى ذهني محدد، أو التأشير عليه. في المقابل، جادلتُ بأن آليات الانتباه الكامنة وراء التأشير الذهني تجعل المحتوى القصدي متاحًا للإبلاغ الشفهي[6]. فضلًا عن ذلك، جادلتُ بأنه لكي يتمكن المتحدث من الإشارة بنجاح إلى موضوع ذاكرته، ليس مطلوبًا القدرة على التأشير الذهني إلى محتوى للوعي حاضر في أثناء الإشارة إلى موضوع قصدي غير موجود. وقياسًا على الظواهر اللغوية، سميت هذه القدرة التأشير الذهني المرحَّل. أخيرًا، زعمت أنه لكي ينخرط شخصان أو أكثر في ذكريات مشتركة، ومن ثم يكونان قادرين على الإشارة بنجاح إلى الموضوع الماضي ذاته، يجب عليهم تنسيق انتباههم على نحو متبادل تجاه المناطق المماثلة ذات الصلة لمحتوياتهم الذاكرية. وقد أطلق على هذا التأشير الذهني المتناغم المعالَج. فقط عندما يكون هناك تأشير ذهني متناغم يمكن لاثنين أو أكثر من المتذكِّرين الإشارة إلى الموضوع الماضي ذاته. ولذلك، فإن التذكر المشترك هو تأشير ذهني مرحَّل متناغم[7].

---

(6) من وجهة نظري، إن نطق المرء لجملة مثل (1) للتعبير عن محتواه القصدي في وقت الاسترجاع هو بمثابة وصف لمحتوى خبرته. وبهذا، يجب فهم الكلام المنطوق للتعبير عن المحتوى القصدي لخبرة ذاكرية على أنه وصف لهذا المحتوى، ولا يلزم أن يعكس بنية المحتوى على الإطلاق (Crane، 2009).

(7) قُدِّمت نسخ سابقة من هذه الورقة في قسم الفلسفة في جامعة يوتا Utah، والمؤتمر الكولومبي الخامس للفلسفة ميديلين Medellin، وقسم الفلسفة في جامعة أوتونوما ميتروبوليتانا، في مدينة مكسيكو. شكرًا جزيلًا لكل هؤلاء المستمعين. وشكرًا أيضًا لبول هين Paul Henne، وجوردي فرنانديز، ومراجع مجهول على تعليقاتهم.

المراجع:

Adlam, A., Vargha-Khadem, F., Mishkin, M., & de Haan, M. (2005). Deferred imitation of action sequences in developmental amnesia. *Journal of Cognitive Neuroscience, 17*(2), 240-248.

Baddeley, A. D., Lewis, V., Eldridge, M., & Thomson, N. (1984). Attention and retrieval from long-term memory. *Journal of Experimental Psychology: General, 13*, 518-540.

Barr, R., & Hayne, H. (1996). The effect of event structure on imitation in infancy: Practice makes perfect? *Infant Behavior and Development, 19*, 253-257.

Barr, R., Rovee-Collier, C. K., & Campanella, J. (2005). Retrieval protracts deferred imitation by 6-month-olds. *Infancy, 7*, 263-284.

Berryhill, M. E., Phuong, L., Picasso, L., Cabeza, R., & Olson, I. R. (2007). Parietal lobe and episodic memory: Bilateral damage causes impaired free recall of autobiographical memory. *Journal of Neuroscience, 27*, 14415-14423.

Bisiach, E., & Luzzatti, C. (1978). Unilateral neglect of representational space. *Cortex, 14*, 129-133.

Borg, E. (2002). Pointing at Jack, Talking about Jill: Understanding deferred uses of demonstrative pronouns. *Mind and Language, 17*(5), 489-512.

Buckner, R. L., & Wheeler, M. E. (2001). The cognitive neuroscience of remembering. *Nature Reviews Neuroscience, 2*, 624-634.

Cabeza, R., Ciaramelli, E., Olson, I. R., & Moscovitch, M. (2008). The parietal cortex and episodic memory: An attentional account. *Nature Reviews Neuroscience, 9*, 613-625.

Campbell, J. (2002). *Consciousness and reference*. Oxford: Oxford University Press.

Chun, M., Golomb, J., & Turk- Browne, N. B. (2011). A taxonomy of external and internal attention. *Annual Review of Psychology, 62*, 73-101.

Clark, E.V. (1978). From gesture to word: On the natural history of deixis in language acquisition. In J. S. Bruner & A. Garton (Eds.), *Human growth and development* (pp. 85-120). Oxford: Oxford University Press.

Crane, T. (2009). Is perception a propositional attitude? *Philosophical Quarterly, 59*(236), 452-469.

Craver, C., Kwan, D., Steindam, C., & Rosenbaum, R. S. (2014). Individuals with episodic amnesia are not stuck in time. *Neuropsychologia, 57*, 191-195.

Critchley, M. (1953). *The parietal lobes*. London: Edward Arnold. Davidson, P. S. R., Anaki, D., Ciaramelli, E., Cohn, M., Kim, A., Murphy, K. J.,

Troyer, A. K., Moscovitch, M., & Levine, B. (2008). Does lateral parietal cortex support episodic memory? Evidence from focal lesion patients. *Neuropsychologia, 46*, 1743-1755.

De Brigard, F. (2012). The role of attention in conscious recollection. *Frontiers in Psychology, 3*, 29.

De Brigard, F. (2014). Is memory for remembering? Recollection as a form episodic hypothetical thinking. *Synthese, 191*(2), 155-185.

De Brigard, F. (2017). Memory and the intentional stance. In B. Huebner. (Ed.), *The philosophy of Daniel Dennett*. Oxford & New York: Oxford University Press.

De Brigard, F., & Gessell, B. S.* (2016). Time is not of the essence: Understanding the neural correlates of mental time travel. In S. B. Klein, K. Michaelian & K. K. Szpu-

nar (Eds.), *Seeing the future: Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel* (pp. 153-180). Oxford & New York: Oxford University Press.

De Brigard, F., & Prinz, J. (2010). Attention and consciousness. *Wires Interdisciplinary Reviews, 1*(1), 51-59.

Dehaene, S., & Changeux, J. (2000). Reward-dependent learning in neuronal networks for planning and decision making. *Progress in Brain Research, 126*, 217-229.

Dehaene, S., & Changeux, J. (2011). Experimental and theoretical approaches to conscious processing. *Neuron, 70*, 200-227.

Diessel, H. (2006). Demonstratives, joint attention, and the emergence of grammar. *Cognitive Linguistics, 17*, 463-489.

Drowos, D. B., Berryhill, M. E., Andre, J., & Olson, I. R. (2010). True memory, false memory, and subjective memory after parietal lobe damage. *Neuropsychology, 24*, 465-475.

Evans, G. (1981). *The varieties of reference*. Oxford: Oxford University Press.

Fernandes, M. A., & Moscovitch, M. (2000). Divided attention and memory: Evidence of substantial interference effects at retrieval and encoding. *Journal of Experimental Psychology: General, 129*, 155-176.

Fernandes, M. A., Moscovitch, M., Ziegler, M., & Grady, C. (2005). Brain regions associated with successful and unsuccessful retrieval of verbal episodic memory under divided attention. *Neuropsychologia, 43*, 1115-1127.

Fivush, R. (1994). Constructing narrative, emotion and gender in parent-child conversations about the past. In U. Neisser, & R. Fivush (Eds.) *The Remembering Self: Construction and accuracy of the life narrative* (pp. 136-157). New York: Cambridge University Press.

Furlong, E. J. (1948). Memory. *Mind, 57*, 16-44.

Gruber, T., Tsivilis, D., Montaldi, D., & MuM. M. (2004). Induced gamma band responses: An early marker of memory encoding and retrieval. *Neuroreport, 15*, 1837-1841.

Haden, C. A., Ornstein, P. A., Eckerman, C. O., & Didow, S. M. (2001). Motherchild conversational interactions as events unfold: Linkages to subsequent remembering. *Child Development, 72*, 1016-1031.

Hardt, O., Einarsson, E. øÁ, & Nader, K. (2010). A Bridge over troubled water: Reconsolidation as a link between cognitive and neurotraditions. *Annual Review of Psychology, 61*, 141-167

Hayne, H., Boniface, J., & Barr, R. (2000). The development of declarative memory in human infants: Age-related changes in deferred imitation. *Behavioral Neuroscience, 114*, 77-83.

Hicks, J. L., & Marsh, R. L. (2000). Toward specifying the attentional demands of recognition memory. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory and Cognition, 26*, 1483-1498.

Hoerl, C., & McCormack, T. (2004). Joint reminiscing as joint attention to the past. In N. Eilan, C. Hoerl, T. McCormack, & J. Roessler (Eds.), *Joint attention: communication and other minds*. Oxford: Oxford University Press.

Iverson, J. M., & Goldin-Meadow, S. (2005). Gesture paves the way for language development *Psychological Science, 16*, 367-371.

Jensen, O., Kaiser, J., & Lachaux, J. (2007). Human gamma-frequency oscillations asso-

ciated with attention and memory. *Trends in Cognitive Sciences* (Regul. Ed.), *30*, 317-324.

Kaplan, D. (1989). Demonstratives. In *Themes from Kaplan*. Oxford: Oxford University Press.

Laird, J. (1920). *A study in realism*. Cambridge: Cambridge University Press.

Lozito, J. P., & Mulligan, N. W. (2006). Exploring the role of attention during memory retrieval: Effects of semantic encoding and divided attention. *Memory & Cognition, 34*, 986-998.

McClelland, J. L., McNaughton, B. L., & O'Reilly, R. C. (1995). Why there are complementary learning systems in the hippocampus and neocortex: Insights from the successes and failures of connectionist models of learning and memory. *Psychological Review, 102*, 419-457.

McCormack, T., & Hoerl, C. (1999). Memory and temporal perspective: The role of temporal frameworks in memory development. *Developmental Review, 19*, 154-182.

Moore, C., & Dunham, P. J. (1995). *Joint attention: Its origins and role in development*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

Moscovitch, M., Rosenbaum, R. S., Gilboa, A., Addis, D. R., Westmacott, R., Grady, C., McAndrews, M. P., Levine, B., Black, S. E., Winocur, G., & Nadel, L. (2005). Functional neuroanatomy of remote episodic, semantic and spatial memory: A unified account based on multiple trace theory. *Journal of Anatomy, 207*, 35-66.

Nemes, V. A., Parry, N. R. A., McKeefry, D. J. (2010). A behavioural investigation of human visual short-term memory for colour. *Ophthalmic & Physiological Optics, 30*, 594-601.

Osipova, D., Takashima, A., Oostenveld, R., Fernandez, G., Maris, E., & Jensen, O. (2006). Theta and gamma oscillations predict encoding and retrieval of declarative memory. *Journal of Neuroscience, 26*, 7523-7531.

Paller, K. A., Voss, J. L., & Westerberg, C. E. (2009). Investigating the awareness of remembering. *Perspectives on Psychological Science, 4*, 185-199.

Paller, K., & Voss, J. (2004). Memory reactivation and consolidation during sleep. *Learning & Memory, 11*, 664-670.

Pavese, C. (2015). Practical senses. *Philosophers' Imprint, 15*(29), 1-25.

Prinz, J. (2007). Mental pointing: Phenomenal knowledge without concepts. *Journal of Consciousness Studies, 14*(9-10), 184-211.

Quine, W. V. O. (1968). *Ontological relativity and other essays*. New York: Columbia University Press.

Reid, T. (1785/1849). *Essays on the intellectual powers of man*. Edinburgh: McLachlan, Stewart, & Co.

Roediger, H. L. (1996). Memory illusions. *Journal of Memory and Language, 35*, 76-100.

Rugg, M. D., & Henson, R. N. A. (2002). Episodic memory retrieval: An (event-related) functional neuroimaging perspective. In A. Parker, E. Wilding, & T. Bussey (Eds.), *The cognitive neuroscience of memory: Encoding and retrieval* (pp. 3-37). Hove: Psychology Press.

Rugg, M. D., Johnson, J. D., Park, H., & Uncapher, M. R. (2008). Encoding-retrieval overlap in human episodic memory: A functional neuroimaging perspective. *Progress in Brain Research, 169*, 339-352.

Rugg, M. D., & Wilding, E. L. (2000). Retrieval processing and episodic memory. *Trends in Cognitive Sciences*, *4*(3), 108-115.

Schacter, D. L. (1995). Memory distortion: History and current status. In D. L.

Schacter (Ed.), *Memory distortion: How minds, brains, and societies reconstruct the past* (pp. 1-43). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Schacter, D. L., & Addis, D. R. (2007). The cognitive neuroscience of constructive memory: Remembering the past and imagining the future. *Philosophical Transactions of the Royal Society B*, *362*, 773-786.

Schacter, D. L., Norman, K. A., & Koutstaal, W. (1998). The cognitive neuroscience of constructive memory. *Annual Review of Psychology*, *49*, 289-318.

Sederberg, P. B., Schulze-Bonhage, A., Madsen, J. R., Bromfield, E. B., Litt, B., Brandt, A., & Kahana, M. J. (2007). Gamma oscillations distinguish true from false memories. *Psychological Science*, *18*, 927-932.

Sederberg, P. B., Kahana, M. J., Howard, M. W., Donner, E. J., & Madsen, J. R. (2003). Theta and gamma oscillations during encoding predict subsequent recall. *Journal of Neuroscience*, *23*, 10809-10814.

Semon. (1904/1921). *The mneme*. London: Allen & Unwin. Shimamura, A. P. (2011). Episodic retrieval and the cortical binding of relational activity. *Cognitive, Affective, & Behavioral Neuroscience*, *11*, 277-291.

Simons, J. S., Peers, P. V., Mazus, Y. S., Berryhill, M. E., & Olson, I. R. (2010). Dissociation between memory accurary and memory confidence following bilateral parietal lesions. *Cerebral Cortex*, *20*, 479-485.

Skinner, E. I., Fernandes, M. A., & Grady, C. L. (2009). Memory networks supporting retrieval effort and retrieval success under conditions of full and divided attention. *Experimental psychology*, *56*, 386-396.

Steinmetz, P. N., Roy, A., Fitzgerald, P. J., Hsiao, S. S., Johnson, K. O., & Niebur, E. (2000). Attention modulates synchronized neuronal firing in primate somatosensory cortex. *Nature*, *404*, 187-190.

Tulving, E. (1983). *Elements of episodic memory*. Oxford: Clarendon Press.

Wagner, A. D., Shannon, B. J., Kahn, I., & Buckner, R. L. (2005). Parietal lobe contributions to episodic memory retrieval. *Trends in Cognitive Sciences* (Regul. Ed.), *9*, 445-453.

Wood, N., & Cowan, N. (1995). The cocktail party phenomenon revisited: How frequent are attention shifts to one's name in an irrelevant auditory channel? *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition*, 21, 255-260.

الجزء الخامس

إخفاقات الذَّاكرة: المفاهيم والآثار الأخلاقية

الفصل الحادي عشر:

النسيان

ماثيو فرايز Matthew Frise

1. مقدمة:

يتناول هذا الفصل كيف ستنسى هذا الفصل. إنَّه عن نسيان أي شيء، نحن كثيرًا ما ننسى، وعلماء النفس يبحثون عن السبب، لكن لا هم ولا الفلاسفة حاولوا كثيرًا الكشف عن طبيعة النسيان، فلقد التفتت المجرفة الصغيرة إلى التربة السطحية فقط.

هذا غريب؛ لأنَّ النسيان مهم فلسفيًا. إذ يبدو مرتبطًا جوهريًا بالتذكر، ومهمًا مثله - وهو موضوع شائع في فلسفة الذّاكرة. قبل خمسين عامًا، نشرت مجلة "Philosophical Review" مقالة سي. بي. مارتن وماكس دويتشر البارزة "التذكر Remembering" التي قصدت تحليل التذكر. والأدبيات المتعلقة بورقتهما وموضوعهما ضخمة الآن. يتعامل الحس المشترك مع التذكر على أنه الطرف النقيض للنسيان. وإذا كان الحس المشترك محقًا هنا، فإن التعامل مع النسيان يبدو جوهريًا للتعامل مع التذكر. فإما أن نفهم تمامًا الاثنين معًا وإما لا نفهم أي منهما. ومع ذلك، تظهر كلمة "النسيان" ثلاث مرات فقط في ورقة مارتن ودويتشر.

إن النسيان مهم أيضًا في الإبستمولوجيا. إذ تُقدم حقيقة أن البشر العاديين ينسون تحديًا تقييمًا، فنحن ننسى الأدلة، وكذلك الأدلة المضادة أو "الداحضات". لكن فقدان الأدلة أو الأدلة المضادة يمكن أن يؤثر في ما يمكن اعتقاده على نحو معقول. ونظرًا لأن الإبستمولوجيا تهتم بنظريات الاعتقاد

المعقول، فإن فهم ما يُعَد نسيانًا سيكون جوهريًا لتقييم هذه النظريات[1]. بدون هذا الفهم، سيكون من الصعب معرفة ما إذا كانت الحالة الظاهرة التي تنطوي على النسيان هي مثال مضاد لنظريةٍ ما أو لا.

علاوة على ذلك، فإن نمط النسيان البشري العادي يبدو مهمًا من الناحية الإبستيمية. يجادل كوركين ميكيليان (2011: 400) بأن نسيان الإنسان العادي «أقرب إلى أن يكون ميزة»، خلافًا لوجهة النظر القياسية في الإبستمولوجيا. إنه وسط بين النسيان المفرط والتذكر المفرط. وإذا كانت رؤية ميكيليان أو الرؤية القياسية صحيحة، فإن النسيان يشكّل الأساس لمنزلة إبستيمية معيارية.

إن النسيان لا تقل أهميته أيضًا في الميتافيزيقا. فكِّر في الهوية الشّخصية، أي: كيف يستمر الشّخص أو يتطابق مع شيءٍ ما في وقت آخر. فقد يقال: إن الهوية الشّخصية تكمن في وجود ارتباطات ذاكرية محددة[2]، ويبدو النسيان وكأنه تآكل في ارتباطات الذّاكرة، فالنسيان المفرط قد يدمر الهوية الشّخصية، وفق بعض النظريات. يتطلب اختبار هذه النظريات توضيحًا بشأن متى ينسى الأشخاص ومتى لا ينسون.

هناك مجالات أخرى في الفلسفة يكون فيها النسيان مهمًا، لكن نتجه الآن إلى علم النفس. في أغلب الأحيان، عندما يتحدث علما ء النفس عن النسيان، فإنهم يتحدثون عن أسبابه، وليس عن طبيعته. يركز البحث على الإصابات الشديدة، والاعتلالات، ومعالجة الذّاكرة العادية التي تزيد من احتمالية النسيان، وليس على ماهية النسيان. عندما يقول علماء النفس: ما النسيان؟ فإن تقاريرهم غالبًا ما تكون غير مكتملة وغير متوافقة ظاهريًا مع بعضها البعض. ومن شأن المزيد من التأمل في النسيان أن يكشف عما إذا كانوا يختلفون حقًا مع بعضهم البعض، وما إذا كان في ذهنهم ظواهر مميزة في النهاية، وما إذا كانت بعض التقارير خاطئة ببساطة.

---

(1) انظر بهذا الخصوص (Conee and Feldman 2011, p. 304). وللمناقشة، انظر (Frise 2015; 2017a).

(2) وجهة نظر تشيع نسبتها إلى جون لوك. ويقرأ بيان Behan (1979) لوك على نحو مختلف.

لمثل هذه الأسباب، أطور نظرية عن النسيان في هذا الفصل وأدافع عنها. أولًا، قمتُ بمسح لبعض النقاط المُنتقاة القابلة للاستخدام في التنظير حول النسيان، والنقاط التي يكون فيها النسيان غامضًا إلى حدٍّ ما، ثم أذكر نظريات النسيان التي تمر بسرعة في الأدبيات. وأخيرًا، أقدم نظرية جديدة للنسيان، وهي نظرية التعلم وفشل الوصول والنزوعية (learning access failure dispositional theory) (LEAD). وأنا أزعم أن النظرية (LEAD) في النسيان هي النظرية الرئيسة للنسيان. لا تحتاج أسباب النسيان ومنزلته الإبستيمية إلى مزيد من الإطالة.

2. أبعاد النسيان:

أبعاد النسيان التي سأغطيها جديرة بالانتباه، لكنها ليست مستوعِبة لكل الأبعاد. ويساعدنا وضعها في الحسبان على صياغة نظرية أدق للنسيان. وسيتضح أن ما نقوله عن بعض أبعاد النسيان يحد مما يمكننا قوله على نحو معقول عن الأبعاد الأخرى. كما سنرى، يقدم هذا إشكالات لبعض نظريات النسيان. بعض الأبعاد التي يجب أخذها في الحسبان هي:

الفئة الأنطولوجية:

على المستوى الأعم، ما نوع الشيء الذي يُنسى؟ ربما النسيان هو حالة ذهنية - حالة للعقل. إنه حالة يكون فيه الشّخص في وقتٍ ما، مثل: حالة الألم، أو الشعور بالهناء، أو الرغبة في الحقيقة. الخيار الآخر هو أن النسيان عملية ذهنية، فهو شيء يتكشف بمرور الوقت، مثل: عملية الجمع الحسابي، أو مسامحة شخصٍ ما، أو الإتيان بمزحة. بعض سمات النسيان العادي تخفي هذه الخيارات. عندما أخبرك فقط بأن "ماريا نسيت كلمة المرور الخاصة بها"، فربما أقول شيئًا عن موقفها الذهني الحالي، أو عن كيفية تغيرها. قد تكون هذه الخيارات ليست حصرية. فقد يكون بعض النسيان حالة، والبعض الآخر عملية، فقد يُظهر النسيان، في أي بُعد من أبعاده، بعض التنوع.

المحتوى:

بعيدًا عن النسيان ذاته. ما نوع الشيء الذي ننساه؟ يمكن أن يكون محتوى النسيان قضويًا. فأن تنسى هو أن تنسى أن p. صديقك ينسى أن أفلاطون علّم أرسطو، وأنت تنسى أن يوم الثلاثاء هو عيد ميلاد والدتك، أو يمكن أن يكون محتوى النسيان موضوعاتيًا. إن النسيان يعني أن يُنسى e، حيث يمثل e حدثًا أو خبرة أو موضوع آخر، وأنسى جار طفولتي. أو قد يكون محتوى النسيان إجرائيًا. النسيان يعني تقريبًا أن تنسى كيف تقوم بـ x، حيث القيام بـ x هو تنفيذ فعلٍ ما. ينسى الساحر سيئ الحظ كيفية أداء خدعته السحرية، وينسى الصياد الجائع كيف يقطّع سمكة. تتوافق أنظمة الذّاكرة المختلفة بشكل طبيعي مع النسيان لأنواع المحتوى المختلفة. من المرجح أن يكون للنسيان القضوي علاقة خاصة بالذّاكرة الدلالية، أي: ذاكرة القضايا، ومن المرجح أن يكون للنسيان الموضوعاتية علاقة خاصة بالذّاكرة الاستطرادية، ذكرياتنا عن الأحداث المختبَرة، وستكون للنسيان الإجرائي علاقة خاصة بالذّاكرة الإجرائية، ذاكرتنا عن كيفية عمل الأشياء والمهارات. إذا كان لبعض النسيان نوع واحد من المحتوى، ولبعضه نوع آخر، فمن المرجح أن يكون هناك أكثر من نظام ذاكري مسؤول عن النسيان البشري[3].

التعلق بالمحتوى:

يبدو أن النسيان هو علاقة ذهنية بين الشّخص والمحتوى، لكن يمكن للشخص أن يحمل العديد من العلاقات الذهنية مع المحتوى. افترض أن المحتوى قضوي. فيكون الشّخص الذي ينسى "أن p" يرتبط بـ p بطريقة محددة. ما الذي يميز تلك العلاقة عن العلاقات الأخرى التي يتعلق بها الشّخص مع p؟ بدلًا من نسيان أن p قد يرغب الشّخص، مثلًا: في أن p أو يتخيل أن p. هناك شيء ما يميز النسيان ويجعله مختلفًا عن العلاقات الأخرى. ربما الفقد هو ما يميزه.

---

(3) راجع Michaelian (2011, p.402)، و(Tulving.1983, p. 47).

فنسيان الشّخص يعني، بمعنى ما، أنه لم يعد يمتلك شيئًا ما. ومسألة تحديد ما فُقد بالضبط هي مسألة أخرى. يقول ميكيليان (2011: 403) أن ما يُفقد هو «السجل record» أو التمثيل الذهني، ويشير آخرون (على سبيل المثال: McGrath, 2007, p. 1; Naylor, 2015، ص. 377) أن ما يُفقد هو الاعتقاد. هناك توصيف آخر لعلاقة النسيان وهو الإخفاق في الاسترداد (Arango-Muñoz، 2013). فالنسيان لا يتعلق بفقد شيءٍ ما، وإنما بالإخفاق في الوصول إليه.

هناك علاقة ما تميز النسيان. وأيًا ما كانت، فهناك سؤال آخر يتعلق بالحد الأدنى من مدتها: ما المدة التي يجب أن تبقى فيها العلاقة حتى تُحسب على أنها نسيان وليس شيئًا آخر؟ قد يكون الحد الأدنى قصيرًا، بحيث يمكن عد الفقد المؤقت أو فشل الاسترداد بمثابة نسيان. وبدلًا من ذلك، قد يتعين أن تكون العلاقة دائمة على نحو فعال. فإذا نُسي شيءٌ ما، فإنه يُقفَل عليه في الذهن، أو يُحذف من الذهن. وتجب إعادة تعلمه بالكليّة من أجل الوصول إليه ذهنيًا. يعتقد بعض الفلاسفة (مثل: Pappas, 1987، ص. 153) أن هناك أكثر من نوع من النسيان، ويفرّدون الأنواع عن طريق الحد الأدنى من مدة العلاقة. عندما تكون العلاقة دائمة، فإنها ظرف من الظروف التي نسمع فيها وصف الشّخص بأنه نسي "تمامًا".

النطاق scale:

البُعد الأخير الذي أغطيه هو نطاق ومدى النسيان، هل يمكن أن يختلف النسيان في شدته؟ النفي هو الإجابة الأبسط. فالنسيان أمر ثنائي، فإما أنك تنسى أو لا تنسى. ليس هناك حل وسط، ولا نسيان جزئي، ولا نسيان أكثر اعتدالًا أو حدة. ثم، مرة أخرى، يمكن أن يكون النسيان قابلًا للتحديد بالدرجة، أي: يقبل الدرجات أو أن يحدث بدرجات متفاوتة. وبعبارة دانيال شاكتر Daniel Schacter (2001: 33): هناك «نسيان غير تام وليس كليًا، يترك في أعقابه شظايا مبعثرة من الخبرة. انطباعات غامضة عن الألفة، أو معرفة عامة عمًا حدث، أو تفاصيل مُجزَّأة من الخبرة». وعندما تكون حدة النسيان عالية بدرجة كافية، فإن هذا يمثل

ظرفًا آخر من الظروف التي نسمع فيها وصف الشّخص بأنه نسي "تمامًا".

3. نظريات النسيان:

تملأ نظرية من نظريات النسيان بعض أبعاد النسيان، وتكمل نظرية أخرى أكثر اكتمالًا المزيد من الأبعاد، فتعبّر النظرة الخاطفة على الأدبيات المتعلقة بطبيعة النسيان عن بعض الأبعاد التي غطيتها، إذ ينص بعض الفلاسفة وعلماء النفس على رؤى بسيطة عابرة عن النسيان. قد يكون من التلطف فهم هذه الآراء على أنها نظريات غير مكتملة، تشير فقط إلى شرط ضروري أو كافٍ للنسيان. لكن، سوف أُظهر أن الآراء البسيطة تواجه مشاكل فورية، ثم أستعرض نظريات النسيان الأكثر تطورًا.

أحد الآراء البسيطة هو أنك تنسى كل ما لا تستذكره. أي:

نظرية إخفاق الوصول البسيطة: إذا كان S لا يستذكر x، فإن S ينسى x[4]

تصنف نظرية إخفاق الوصول البسيطة النسيان على أنه حالة، فأنت تكون في حالة نسيان أي شيء لا تستذكره، لكن هذا ليس صحيحًا تمامًا، ففي أي وقت مُفترض، لا نتذكر معظم الأشياء التي نتذكرها تمامًا. وهذا يكون جزئيًا؛ لأننا لا نحاول أن نستذكر أي شيء منها، ولكن سيكون من الخطأ عدّنا في أي وقت مفترض في حالة نسيان لمعظم ما نتذكره، فمثلًا، منذ لحظة لم تكن تتذكر ما فعلتَه الليلة الماضية، ومع ذلك، أنت لم تكن تحاول استذكار ذلك، لكن يجب ألا نستنتج أنك نسيته.

هناك حل بسيط، أنت لا تنسى أي شيء أنت لا تستذكره. بالأحرى، أنت تنسى فقط ما لا تستذكره في موقف محدد، ما الموقف؟ يمكن أن يكون

(4) Halamish et al. (2011، ص(632) وTulving and Pearlstone.1966، ص(389).

استذكار حر، وهو فترة تحاول فيها استذكار عناصر محددة (بدون ترتيب محدد، وباستخدام أي استراتيجية). وفي ضوء هذا الحل، يكون لدينا:

> نظرية إخفاق الوصول الأقل بساطة: إذا كان S لا يستذكر x في أثناء الاستذكار الحر الذي يستهدف x، فإن S ينسى x[5]

هذه النظرية تحرز بعض التحسين، فهي لا تتضمن أنك تنسى في أي وقت مفترض معظم ما تتذكره؛ هذا لأنك لست في حالة استذكار حر في أي وقت مفترض، ولأنك عندما تكون في حالة استذكاء حر، فأنت لا تحاول استذكار معظم ما تتذكره. لسوء الحظ، تبقى مشكلة. لنفترض أنه في الوقت الحالي، في أثناء الاستذكار الحر، أحاول أن أستذكر ما فعلته الليلة الماضية. إذا لم أنجح في هذه المحاولة، لا يلزم أن نستنتج أنني نسيت ما فعلته الليلة الماضية. هذا لأنه لم تكن لدي فكرة في أي وقت عما فعلته الليلة الماضية، فلم أتعلم قط ما قمتُ به. ومع ذلك، تتضمن نظرية إخفاق الوصول الأقل بساطة على نحو غريب أنني نسيت ما قمتُ به الليلة الماضية. علاوة على ذلك، فإن نظرية إخفاق الوصول الأقل بساطة بعيدة عن الاكتمال، حيث لا تعطي سوى شرط كافٍ ضيق للنسيان. إنها لا تخبرنا بأي شيء عن النسيان الذي يحدث خارج الاستذكار الحر. وكما سنرى، فالنسيان خارج الاستذكار الحر أمر شائع.

إذا لم تسترجع، في أثناء الاستذكار الحر، شيئًا تعلمته وتحاول استذكاره، فإن ذاكرتك قد أخفقت بمعنى ما. الرأي البسيط الأخير هو أنَّ النسيان هو فقط أي نوع من إخفاق الذَّاكرة:

> نظرية إخفاق الذَّاكرة البسيطة: إذا كانت ذاكرة S تخفق (فيما يتعلق بـ x)، فإن S ينسى x[6]

---

(5) Friedman and Castel (2011).

(6) Bernecker (2010، ص198).

حسب نظرية إخفاق الذَّاكرة البسيطة، يبدو النسيان مرة أخرى كحالة، فهو في بعض الأحيان حالة من إخفاق الذَّاكرة فيما يتعلق بشيءٍ ما. ومقارنة بالنظرية السابقة، تقدم هذه النظرية خطوة إلى الأمام. ووفق هذه النظرية، تعد حالات إخفاقات الذَّاكرة بخلاف تلك التي تحدث في أثناء الاستذكار الحر بمثابة نسيان. ومع ذلك، فإن هذه النظرية أيضًا تخطو خطوة إلى الوراء، فهي تتجنب أن تكون ضيقة للغاية بشأن النسيان ببساطة بأن تكون واسعة جدًا، إذ يمكن أن تخفق الذَّاكرة بطرق عدة لا تتضمن النسيان، يمكن أن تخفق من خلال تركنا عرضة للتشويش، وإضافة تفاصيل غير صحيحة إلى ما يُتذكَّر، يمكن أن تخفق من خلال التسبب في تحيزات مختلفة، أو عن طريق التنشيط المستمر للذكريات غير المرحب بها[7].

لا تُعد حالات إخفاقات الذَّاكرة هذه حالات من النسيان تلقائيًا، بالطبع يمكننا تحسين الفكرة الكامنة وراء نظرية إخفاق الذَّاكرة البسيطة. ليس أي إخفاق ذاكري هو نسيان. وإنما النسيان هو نوع خاص من إخفاق الذَّاكرة. فما هو؟ كما لاحظنا مع نظرية إخفاق الوصول الأقل بساطة، يجب ألا يقتصر تركيزنا على الإخفاقات في أثناء الاستذكار المجاني. أيضًا، يجب أن يستبعد إخفاق الذَّاكرة ذو الصلة حالات الإخفاق في الوصول إلى المعلومات التي لم يتعلمها المرء مطلقًا. لا أظن أن هناك طريقة جيدة وبسيطة لتلبية كل المعايير هنا، لذلك لن أقول المزيد عن نظرية فشل الذَّاكرة البسيطة.

ثبت أن النظريات البسيطة مفرطة في البساطة. سأقدم زوجًا من النظريات الأعقد، ثم أختبرهما معًا. إن كل النظريات البسيطة تعرّف النسيان على أنه شيء يمكن أن يكون حالة. وتنحرف أول نظرية معقدة على نحو ملحوظ عن ذلك، بأن تركّز على النسيان كعملية. يمدّ تيموثي ويليامسون Timothy Williamson (2000: 34) هذه الفكرة لأقصى الحدود قائلًا: «ليست كل المواقف الوقائعية factive attitude تشكّل حالات، فالنسيان عملية». والموقف الوقائعي هو موقف

(7) انظر Schucter (2001).

يضمن صدق محتواه. فرؤية أن p غالبًا ما يُعتقد أنها وقائعية، فإذا رأيت أن براين Brian لديه سمك البوري، فإنه بالفعل لديه سمك البوري. يعتقد ويليامسون أن النسيان وقائعي - يمكنك أن تنسى الحقائق فقط وليس الأكاذيب. بالنسبة إلى ويليامسون، من الأهمية بمكان أن يكون كل النسيان عملية وليس حالة، فهو يعتقد أن «المعرفة هي الموقف الحالاتي الوقائعي الأعم» (2000: 34)، أي: إن أي شخص في حالة موقفية وقائعية مفادها أن p، فإنه يعرف أن p (وهذا دليل، في اعتقاد ويليامسون، أن مفهوم المعرفة يؤدي دورًا مركزيًا في تفكيرنا). لكن للوهلة الأولى، لا يبدو أن نسيانك p يبرر معرفتك p. على العكس من ذلك، يبدو أن النسيان يفسر سبب فقد المعرفة. ولذلك، إذا كان النسيان وقائعيًا، فإنه من الأفضل أن يتضح أن النسيان ليس حالة؛ لأنه إذا كان حالة وقائعية، فإن المعرفة ليست هي الموقف الحالاتي الوقائعي الأعم، ونفقد الدليل على أن مفهوم المعرفة خاص جدًا.

وبالتالي يقترح ويليامسون:

> النظرية العملياتية S: ينسى أن p فقط إذا، وبسبب أن S لديه موقف عملياتي وقائعي تجاهp[8]

إن النظرية العملياتية، حسب صياغتها، تقول ما يلي بالضبط: النسيان يضمن أن هناك بعض العمليات التي تنطوي على موقف تجاه قضية صادقة، ويُفسَّر النسيان بهذه العملية. إلا أنها لا تقول: إن النسيان هو الموقف العملياتي، ولا أن النسيان لا يمكن أن يكون حالة، ومن ثم، فإن النظرية العملياتية أضعف من وجهة نظر ويليامسون. أيضًا قد يقدم المتعاطفون مع النظرية العملياتية تقريرًا مختلفًا عن النسيان غير القضوي (الموضوعاتي والإجرائي). لن يهم أي من هذا تقييمي للنظرية العملياتية في القسم التالي. فعلى أي حال، إذا كانت النظرية

(8) راجع Koriat et al. (2004, p651).

العملياتية غير صحيحة، فإن وجهة نظر ويليامسون غير صحيحة؛ لأن وجهة نظره تستلزم النظرية العملياتية، وإذا كانت النظرية العملياتية غير صحيحة، فهناك أدلة أقل على أن المعرفة تؤدي الدور الخاص الذي يقول ويليامسون أنها تؤديه. سأعود إلى هذه النقطة في القسم السادس.

نظرية النسيان الأخرى الأكثر تطورًا والأعلى احتمالية للنجاح في الأدبيات حاليًا تفهم النسيان القضوي والموضوعاتي على أنه فقد للمعلومات، فالمعلومات تُفقد من الذّاكرة طويلة المدى التي تتضمن ذاكرة قصيرة المدى، ولكن لا تحتوي الذّاكرة العاملة. وهذا يعطينا:

> نظرية فقد المعلومات S: ينسى x فقط إذا، وبسبب أن S يفقد سجل x من ذاكرته طويلة المدى[9].

يُفهم هنا فقد المعلومات على نحو واسع. في بعض الأحيان، يكون الفقد عبارة عن حذف سجل من الذّاكرة طويلة المدى - تتلاشى المعلومات أو تُحذف، ومن ثم يكون الفقد دائمًا متساويًا دائمًا، ولكن في أكثر الأحيان يتعذر الوصول إلى المعلومات على الرغم من المحفزات المناسبة. وهذا يعني أنه على الرغم من أن الشّخص تُعرَض له العلامات الاستردادية ذات الصلة، يظل السجل غير قابل للوصول إليه على الأقل[10]. وفق نظرية فقد المعلومات، يبدو النسيان كحالة، على الرغم من أنه قد يكون أيضًا عملية تنطوي على هذه الحالة. والحالة هي حالة إسقاط شيء من الذّاكرة طويلة المدى، أو حالة امتلاك شيء في الذّاكرة طويلة المدى لا يمكن استرداده. تتخطى نظرية فقد المعلومات الأفخاخ التي وقعت فيها نظرية إخفاق الوصول الأقل بساطة - فهي تنظّر حول كل النسيان

---

(9) راجـع Harris et al. (2010, p255) و Roediger et al. (2010, p.2) Michaelian (2011, pp402-4 وTulving (1974, p74).

(10) انظر Tulving and Pearlstone) (1966) و Michaelian (2011, pp.403-7).
أنا أقول: إن الحذف يضمن عدم إمكانية الوصول، فما لم يعد لديك لا يمكنك الوصول إليه. ولذلك، يبدو أن علاقات الخسارة هي مجرد تنوعات لعدم إمكانية الوصول.

القضوي والموضوعاتي، وتجعل النسيان يتطلب التعلم (لأن أي شيء مفقود من الذَّاكرة طويلة المدى كان متعلَّما). ولا تدمج نظرية فقد المعلومات أي إخفاق ذاكري مع النسيان، لذلك فهي تتفوق على نظرية الذَّاكرة البسيطة، أو ربما تطورها فقط. في الواقع، هي تبدو متقنة.

4. اختبار المعرفانية-الفوقية واختبار الترقب المستقبلي:

تُصور النظرية العملياتية ونظرية فقد المعلومات النسيان بطرق مختلفة تمامًا، لكن لا تزال بهما عيوب مماثلة.

يقدم هذا القسم اختبارين لنظرية مناسبة للنسيان. ويفحص كل منهما ما إذا كانت النظرية يمكن أن تستوعب بعض البيانات الحدسية حول النسيان. ومن السيئ أن تفشل في أي اختبار من الاختبارين. إذ يخلق الفشل حجة ضدها.

أزعم أن النظرية العملياتية ونظرية فقد المعلومات يفشلان في الاختبارين، وبالتالي، فهما في مأزق. وقد يواجهان أيضًا تحديات منفصلة، لكن من أجل التبسيط، أنظر فقط في العيوب المشتركة بينهما:

أولًا: هناك اختبار المعرفانية-الفوقية. نحن لا نقوم فقط بمعالجة المعلومات معرفانيًا، وإنما نراقب أيضًا هذه المعالجة ونتحكم فيها. هذه هي المعرفانية-الفوقية. الشيء الوحيد الذي نراقبه، عادة دون وعي، هو إنتاجنا للمعلومات (من الذَّاكرة، مثلًا). وينتج عن هذا شعور معرفاني-فوقي الذي يعطي تجاوبًا فينومينولوجيًا يتعلق بمعالجتنا المعرفانية. قد تنشأ أي مجموعة من المشاعر المعرفانية-الفوقية، اعتمادًا على ما إذا كانت المعلومات قد أُنتجت بالفعل، وعلى تفاصيل أي معلومات منتجَة، وكيف أُنتجت (مثلًا، بسرعة وببطء). أحد المشاعر المعرفانية-الفوقية الشائعة هو الشعور بالنسيان. يمكن أن يكون شعورًا غير محدَّد على نحو محبط. مثلًا: عندما تكون على وشك مغادرة منزلك متجهًا إلى المطار، تشعر أنك نسيت شيئًا ما، ولا يمكنك معرفة ما هو، على الرغم من محاولتك المستمرة. أنت تفشل في استرداد بعض معلومات الهدف.

إن هذا الشعور المعرفاني-الفوقي ليس شائعًا فقط، وإنما هو أيضًا بشكل عام دليل دقيق على النسيان[11].

قد ينشأ الشعور أحيانًا عندما لا يكون هناك نسيان مهم، لكن هذا هو الاستثناء. يجب ألا تتعارض أي نظرية للنسيان مع أي من هذا. علاوة على ذلك، يجب أن تَفهم النظرية الحالات التي يكون فيها الشعور بالنسيان دقيقًا على نحو حدسي، ويجب أن تتضمن أنها بالفعل حالات نسيان. هذه هي معايير الاختبار المعرفاني-الفوقي.

إن النظرية العملياتية لا تلبي هذه المعايير. قد تكون هذه العمليات تفتقر تمامًا إلى الفينومينولوجيا، لكن هذا ليس سبب فشل النظرية العملياتية في اختبار المعرفانية-الفوقية؛ لأنه حتى لو تكون هناك فينومينولوجيا، فقد تكون عملية النسيان تتضمن تعاقب حالات، ويمكن أن تكون إحدى هذه الحالات حالة فينومينولوجية مثل: الشعور بالنسيان. يمكن للنظرية العملياتية بعد ذلك أن تفسر أي شعور دقيق بالنسيان يحدث فيما يتعلق بحالة ما في عملية النسيان.

كلا! فشلت النظرية العملياتية في اختبار المعرفانية-الفوقية في موضع آخر. افترض أن النسيان يمكن أن يكون بالفعل عملية. العملية ليست مستمرة في كل حالة، فهي تنتهي. أحيانًا، ينشأ فيما بعد شعور متصل بالنسيان. وأحيانًا يكون هذا الشعور دقيقًا - في الواقع يوجد نسيان بعد انتهاء عملية النسيان. خذ مثالًا بسيطًا: أنا أدرس قائمة من الكلمات الغامضة التي لها علاقة بالفيزياء الفلكية. بعد ذلك بكثير، أنت تطلب مني إعادة إنتاج القائمة، فأختبر شعور النسيان، فأنا في الواقع نسيت ما كان مدرجًا في القائمة. ومن ثم، فإن شعوري دقيق. لكن النظرية العملياتية لا تمكّننا من فهم هذا. بدأت عملية نسيان ما كان في القائمة، وانتهت منذ فترة، وبمجرد انتهاء العملية ينتهي هذا النسيان. إن الشعور بالنسيان هو شعور يجب الشعور به جزئيًا على الأقل على أنه يتعلق بما تسير عليه الأمور

---

(11) راجع Arango-Muñoz (2013) و .Halamish et al (2011). وانظر أيضًا Arango-Muñoz and Michaelian (2014) و Michaelian (2016).

حاليًا، فهو شعور بالنسيان الحالي، وليس الماضي البحت. إذًا، حسب النظرية العملياتية، أي: شعور بالنسيان بعد عملية النسيان يكون غير دقيق. ووفق ذلك، أنا لا أنسى عندما أشعر بنسيان محاولتي، وفشلي في، استذكار مصطلحات الفيزياء الفلكية التي تعلمتها. لكن هذا خطأ.

إن نظرية فقد المعلومات، على الرغم من مزاياها، تتعثر أيضًا في اختبار المعرفانية-الفوقية. تفسر نظرية فقد المعلومات النسيانَ على أنه خسارة المعلومات المستهدفة. لن يكون الشعور بالنسيان دقيقًا إلا إذا حُذفت المعلومات المستهدفة أو استحال الوصول إليها عند حدوث الشعور. في كثير من الحالات، تُفقد المعلومات المستهدفة حقًا، ولكن ليس الأمر كذلك في كثير من الحالات. هذه الحالات الأخرى هي تلك الحالات التي لم تُحذف فيها المعلومات المستهدفة، ولا يزال الوصول إليها متاحًا عند مواجهة الإلماحات ذات الصلة، لكن فقط لم يحدث هذا الوصول للمعلومات. لنفترض أنك قدمت علامات استردادية مفيدة، وتذكرني بأن الكلمات الموجودة في القائمة المدروسة كانت عن الفيزياء الفلكية، وأن بعض الكلمات تبدأ بهذا الحرف أو ذاك، وأنَّ قافية أخرى لها هذه الكلمات أو تلك. في هذه المناسبة، أنا لم أنجح في استرجاع ما كان مُدرجًا في القائمة، لكن يمكنني أن أنجح في مناسبة أخرى. ومع ذلك، فأنا أنسى حقًا، وليست هناك استحالة في الوصول إلى المعلومات أو حذف لها هنا يفسر ذلك.

إن المشكلة لا تكمن فقط في أعين المُتحذلقين، فالفرق بين الفشل في الوصول وعدم قابلية الوصول ليس بالأمر الهين[12]. أنا أفشل في الوصول إلى وجهتي إذا أوقفني شيءٍ ما في طريقي إليها، لكن هذا لا يعني أن وجهتي لا يمكن الوصول إليها. وإذا كانت غير قابلة للوصول، فسوف تُغلَق كل مساراتي المؤدية إليها، أو لن أمتلك القدرة على الوصول إليها. إن عدم إمكانية الوصول

(12) مجرد فشل الوصول يفسر مجرد فشل استرداد المعلومات الذي يبدو أن له أهمية إبستيمية خاصة. انظر (Frise 2017b، القسم الرابع).

هو علاقة نزوعية قوية. يمكن أن ينتج النسيان عن علاقة انفصال غير نزوعي وأضعف ويحدث لمرة واحدة. أحيانًا تفسر هذه العلاقة الأضعف سبب دقة شعورٍ ما بالنسيان، حتى عندما تكون المعلومات المستهدفة ممكنة الوصول. هذا هو السبب في أن نظرية فقد المعلومات لا تجتاز اختبار المعرفانية-الفوقية.

يركز الاختبار الثاني، وهو اختبار الترقب المستقبلي، على حالات محددة من إخفاق الذّاكرة المستقبلية. إن الذّاكرة المستقبلية هي تقريبًا ذاكرة للفعل المستقبلي المنوي. يُنظر إلى بعض حالات إخفاق الذّاكرة المستقبلية على أنها نسيان[13]. لنفترض أنني قررت الاتصال بك في الظهيرة، لكن بحلول الظهيرة، أنشغل ذهنيًا جدًا لدرجة أنني لم يخطر ببالي مطلقًا التقاط هاتفي. لا أحتاج إلى الشعور بالنسيان عند الظهيرة، ولا أي شعور فوق-معرفاني آخر ذي صلة. فأنا ببساطة أخفق في أداء فعلي الذي أنوي القيام به عندما أكون في الظرف المناسب. قد يكون الفشل في الاسترجاع ناتجًا عن نقص في الإلماحات الاستردادية المناسبة (لم أقم بضبط المنبة كتذكير) أو عن كون الإلماحات الاستردادية المناسبة متاحة لكن غير فعالة (رنَّ المنبه، لكنني لم أتذكر الغرض من ذلك). بصرف النظر، يبدو أنني أنسى، كنتيجة مباشرة لإخفاقٍ ما للذاكرة المستقبلية. نسمي هذا: "النسيان المستقبلي"

تفسر النظرية العملياتية النسيان المستقبلي تفسيرًا سيئًا. يمكن أن يحدث النسيان المستقبلي في ظروف محددة أو في أوقات محددة. في الظهيرة نسيت الاتصال بك هاتفيًا. أنا لم أكن ناسيًا قبل الظهيرة أو بعدها. لكن العمليات تستغرق وقتًا. وهي تحدث بمرور الوقت، وليس في بعض الأحيان. لذا تتطلب النظرية العملياتية أن يكون النسيان ممتدًا زمنيًا. بإمكانك أن تصفني، عند الظهيرة، بأنني في مكانٍ ما في عملية النسيان، لكن لا يمكن وصف نسياني على أن له موقع محدد تمامًا حتى الظهيرة، لكن من الطبيعي وصف بعض حالات إخفاق الذّاكرة المستقبلية على أنها تحدث في وقتٍ واحد فقط. وسيكون

---

(13) راجع Annis (1980, p.330) . وSchacter (2001, pp.51-60).

ذلك الوقت هو وقت الفعل المراد؛ نظرًا لأن العمليات متضخمة زمنيًا، لا يمكن للنظرية العملياتية أن تفسر كل حالات إخفاق الذَّاكرة المستقبلية.

تعاني نظرية فقد المعلومات في اجتياز اختبار الترقب المستقبلي للسبب ذاته الذي جعلها تعاني في اجتياز اختبار المعرفانية-الفوقية. إذ تفسر النظرية النسيان بالمعلومات المحذوفة أو غير القابلة للوصول. الآن، في النسيان المستقبلي، لا يُنفَّذ الفعل المراد في الوقت أو الظرف المختار. ومن ثم ليس هناك وصول لأي شيء. افترض أن الشيء الذي لم يكن قابلًا للوصول هو نية الفعل. هذا لا يعني أن شيئًا ما لا يمكن الوصول إليه أو حُذِف في وقت النسيان. يمكن أن تظل النية قابلة للوصول، لكن فقط لم يحدث ذلك الوصول. كان من الممكن أن تؤدي إلماحات الاسترداد الأفضل، أو الامتلاك المحظوظ لإلماحات الاسترداد الأفضل، إلى الوصول. كان بإمكاني الوصول إلى نيتي أن أتصل بك هاتفيًا، وكنت سأتمكن من الوصول إليها إذا قمتُ بضبط المنبه، أو إذا تذكرت ذلك عندما رنّ المنبه. إن نظرية فقد المعلومات لا تفسر جميع حالات النسيان المستقبلي.

وفق نظرية مختلفة عما يتألف منه الفقد، يمكن أن تؤدي نظرية فقد المعلومات أداء أفضل في اختباري المعرفانية-الفوقية والترقب المستقبلي. لا تعد النظرية البديلة الحذف وعدم إمكانية الوصول كخسارة فحسب، بل تتعامل أيضًا مع فشل الوصول على أنه خسارة. إن المدافعين عن نظرية فَقْد المعلومات لا يعدون بعد فشل الوصول على أنه خسارة، لكن ربما اختبار المعرفانية-الفوقية واختبار الترقب المستقبلي هما ما يزعجهم. ومع ذلك، لا تبدو هذه النظرية البديلة واعدة، إذ يبدو أنها تشير ضمنيًا إلى وجود خسائر في حالات لا تُوجد فيها، حدسيًا، أي خسائر. لنفترض أنك تلعب لعبة الأسئلة العامة، وأن إجابة أحد الأسئلة العامة عالقة "على طرف لسانك"، فأنت تفشل في الوصول إليها.

يبدو أن هذه النظرية الجديدة تعد هذه الإجابة مفقودة، إذ يبدو هذا الطرف من اللسان وكأنه نسيان من نوعٍ ما، لكن لا يلزم أن يتضمن فقدًا. هذا تحديدًا

لأنك لم تفقد الإجابة التي تشعر بأنها على طرف لسانك. ولأنك لم تفقد الإجابة، يمكن استبعاد العديد من الإجابات المحتملة على نحو معقول ("لنقل، لم يكن جيمس ماديسون الرئيس الخامس للولايات المتحدة..")، وسبب أنه بإمكانك في بعض الحالات اكتشاف السمات اللغوية ("لكن اسمه مشابه جدًا لـ "جيمس ماديسون"). تبدو نظرية الخسارة المنقحة غير صحيحة. ولا يحصل المدافعون عن نظرية فقد المعلومات على كبير شيء إذا تبنوها من أجل اجتياز اختباريْ المعرفانية-الفوقية والترقب المستقبلي.

5. النظرية LEAD في النسيان:

لا تُوجد نظرية عن النسيان في الأدبيات كافية تمامًا، فكل نظرية من هذه النظريات تفشل في تفسير نوعٍ ما من النسيان، أنا أقدم نظرية جديدة. وهي تهدف إلى أن تكون عامة إلى أقصى حد، مع ترك العديد من أبعاد النسيان مفتوحة قدر الإمكان. لذلك، فهي تهدف إلى أن تكون تقريرًا موحدًا إلى أقصى حد عن النسيان، وتوضح ما تشترك فيه الأنواع المختلفة من النسيان على نحو أساسي. وبقدر ما تحقق هذا الهدف، فإنها تتمتع بميزة قيمة (سنرى أنها تتمتع بمزايا قيمة أخرى أيضًا). ربما لا شيء يُوحِّد ظواهر النسيان المختلفة بخلاف التشابه العائلي أو حتى مجرد المصادفة، إذ يتصادف أنَّ الناطقين بالإنكليزية يصفون بعض الأشياء التي لا علاقة لها بالنسيان على أنها "نسيان"، ولكن إذا كان هناك ارتباط أقوى، فيجب أن نبحث عنه.

سأحدد الشروط الضرورية والكافية للنسيان واحدًا تلو الآخر، ولنبدأ كما يلي:

S ينسى x إلى المدى e عند t إذا، وفقط إذا،...

هنا، يمكن أن يكون x قضويًا، أو موضوعاتيًا، أو إجرائيًا. ولذلك، فإن النظرية عامة فيما يتعلق بنوع المحتوى. ومع ذلك، فهي ليست عامة فيما يتعلق بالفئة

الأنطولوجية. فهي تشير إلى النسيان عند الزمن t، وبالتالي، فهي لا تتعلق بالنسيان الذي يحدث بمرور الوقت، أي: لا تتعلق بعملية النسيان. حاليًا، سأتحدث عن ماهية حالة النسيان، ثم أفسر لاحقًا العملية من خلال الحالة. وأخيرًا، يمكن أن يكون النسيان قابلًا للتحديد بالدرجات بناءً على هذه النظرية. ينسى المرء بمدى ما e. وإذا كان النسيان قابلًا لتحديد درجاته، فإن عدد الدرجات هو مسألة أخرى. يمكن أن تكون الدرجات قليلة (نسيان طفيف، معتدل، قوي) أو كثيرة (طفيف للغاية، طفيف جدًا، طفيف...). لكن النظرية متوافقة أيضًا مع بعض أو حتى كل حالات النسيان الثنائية. فعندما يكون نطاق النسيان ثنائيًا، فإن المرء ينسى إلى الحد الأقصى على الإطلاق؛ ونظرًا لأن النظرية تمثل كلًّا من النسيان الثنائي أو المتدرج، فهي عامة في نطاقها.

إن الشرط الضروري الأول للنسيان هو:

(1) S تعلّم x قبل الزمن t، و...

لا يمكنك أن تنسى ما لم تتعلمه قط. ووفق (1)، فإن النسيان يتطلب التعلم قبل وقت النسيان. ينتج التعلم البشري الطبيعي من الخبرة ومن المعالجة الذاكرية للمعلومات التي تتولد في الخبرة. يمكن أن تكون للتعلم أيضًا أسباب غير معتادة، مثل: التلاعب بالدماغ أو الإصابات[14]. على أي حال، لن يكون كل التعلم واعيًا. ومن المسائل المفتوحة مسألة ما إذا كنا نعد المعلومات التي تدخل فقط في الذّاكرة العاملة وليس الذّاكرة طويلة المدى، أو المعلومات التي هي جزء من الخبرة ولكن لم يُنتبَه إليها، تعلُّمية[15]. باختصار، يضمن الشرط (1) أننا ننسى ما حصلنا عليه فقط.

---

(14) راجع Conee and Feldman (2011, p.305).

(15) يعتقد شاكتر Schacter (2001, p27). أننا نسى حتى المعلومات التي كانت موجودة فقط في الذّاكرة العاملة. ولا يوافق ميكيليان (2011، ص. 402) على ذلك. من المفترض أن يقول شاكتر: إن المعلومات قد جرى تعلمها بخلاف ميكيليان.

الشرط الضروري التالي للنسيان هو:

(2) S يفشل إلى المدى e في الوصول الداخلي لـ x عند t، و...

في وقت النسيان، يفشل الشّخص في الوصول داخليًا إلى الشيء المنسي. إذا كنت تصل داخليًا إلى شيءٍ ما - على سبيل المثال: أفلاطون علم أرسطو، اختبارك للإفطار - فأنت لا تنساه بالكليّة. وأيًّا كان ما تصل إليه داخليًا، فأنت تمتلكه، بطريقة تحول دون نسيانه. هذا التأهل الداخلي غير دقيق، لكنه مهم. لنفترض أنني أسألك عما كنت تقوم به بالضبط قبل عام واحد. وأنت تحاول أن تستذكر، لكن دون جدوى. ثم قمتُ بإيقاف بعض المشاهد المتحركة لما كنتَ تقوم به. وبمجرد مشاهدتك لهذه اللقطات تصل بمعنى ما إلى ما كنتَ تقوم به[16]. لكنك تنسى ما كنتَ تقوم به، حتى في أثناء مشاهدتك تلك اللقطات. هذا النوع من نسيان الوصول الذي لا يمكن أن يبقى هو داخلي بصرامة. وللتبسيط سأجعل كلمة "داخليًا" ضمنية من هنا فصاعدًا.

يبدو أنَّ فشل الوصول، مثله مثل النسيان، يحدث بدرجات مختلفة، إذ يمكنني استرجاع تفاصيل قليلة فقط عن خبرة ماضية، أو كثرة من تفاصيلها، أو فيما بين ذلك. ووفق (2)، فإن الشّخص ينسى شيئًا ما فقط إلى المدى الذي عنده يفشل في الوصول إليه. وإذا نسيته تمامًا، فلا بد أنك فشلت في الوصول إليه. ومع ذلك، إمكانية الوصول هي أمر آخر. بالنسبة لجميع حالات (2)، يمكن نسيان شيءٍ ما نسيانًا تامًا، ومع ذلك يكون قابلًا للوصول إليه، بل قابلًا بشدة للوصول إليه. لذلك نحن ننحرف هنا عن نظرية فَقْد المعلومات.

يقول الشرطان (1) و(2): إن النسيان يتطلب التعلم وفشل الوصول. ومع ذلك، النسيان يتطلب ما هو أكثر من ذلك. ففي أي وقت مفترض، أنا أفشل في الوصول إلى معظم ما تعلمته - بل معظم ما لا زلتُ أعرفه - لكنني لستُ ناسيًا

---

(16) راجع (Martin and Deutscher (1966, pp.182-3). بشأن الحثّ.

كل هذا القدر الضخم. إن العنصر الأخير للنسيان هو علاقة نزوعية مع الشيء المنسي. لكن اتضح أن أيًا من العلاقتين النزوعيتين سيفي بالغرض. إذًا، الشرط الضروري الأخير للنسيان هو تخييري (أو):

(3) (a) عند t, S ينوي الوصول داخليًا إلى x بوصفٍ ما قبل t، أو (b) x غير قابل للوصول داخليًا من جانب S إلى المدى e عند t.

إن النسيان إما أن ينطوي على نية الوصول داخليًا، وإما ينطوي على عدم إمكانية الوصول داخليًا، وسأشرح هذه العلاقات النزوعية بدورها.

وفق (a)، يمكن أن يكون الشرط الأخير من شروط النسيان هو نية الوصول. يخبرنا هذا الشرط، جنبًا إلى جنب مع الشرطين الأولين، أن النسيان يمكن أن يكون هو الفشل في الوصول إلى شيء تعلمه الشّخص سابقًا وينوي الوصول إليه. هناك أكثر من طريقة يمكن أن يكون فيها الشّخص، في وقت النسيان، ينوي الوصول إلى شيءٍ ما بحلول ذلك الوقت. فمن الخيارات الواضحة، أن يكون الشّخص في وقت النسيان يحاول الوصول إلى الشيء المنسي. فمثلًا: إذا كنتُ أحاول تذكر اسمك الأخير الآن، فأنا بذلك أنوي الوصول إليه الآن. وإذا لم ينجح مسعاي، وكنتُ قد تعلمتُ بالفعل اسم عائلتك، فأنا الآن ناسٍ إيّاه. وبناءً على ذلك، إذا نسيت اسم عائلتك، فأنا أفشل في الوصول إليه. ومن ثم، فإن محتوى محاولتي الحالية لاسترجاع اسمك الأخير لا يمكن أن يحدده على نحو مباشر (أن يكون الاسم مثلًا هو نيفيز Nieves)، فالتحديد المباشر يشبه الوصول، وإنما يحدده على نحو غير مباشر، من خلال وصفه وصفًا مناسبًا (على سبيل المثال: اسم العائلة لماريا)، لهذا السبب يقول الشرط (a): إن الشّخص الذي ينسى x هو ينوي الوصول إلى x بوصفٍ ما.

لدينا الآن تفسير جيد لسبب دقة شعور النسيان، عندما يكون دقيقًا، بينما يشعر الشّخص بالنسيان، وهذا الشعور هو بالفعل نسيان، فهو يحاول (ربما على

نحو لاإرادي) الوصول إلى شيء قد تعلمه، وهكذا يُلبَّى الشرط (1). وبحكم المحاولة، هو ينوي الوصول إلى ما تعلمه، وهكذا يُلبَّى الشرط (a). لكنه لا ينجح، وهكذا يُلبَّى الشرط (2). هذه الشروط الثلاثة مجتمعة تكفي للنسيان. ومن ثم تنجح في اجتياز اختبار المعرفانية-الفوقية.

هناك خيار آخر لكيف ينوي شخصٌ ما الوصول إلى الشيء الذي ينساه في وقتٍ ما: الشّخص يشكّل نية، ويُبقي عليها. أي: إن الشّخص لديه نية مناسبة مخزنة أو قائمة في وقت النسيان. إن النظرة الفاحصة للذاكرة المستقبلية سوف تساعدنا في فهم هذا الأمر.

مرة أخرى، الذَّاكرة المستقبلية هي ذاكرة للفعل المستقبلي المنْوي. قررتُ هذا الصباح أن أتصل بك ظهرًا. هناك شيء ما يُبقي على هذه الخطة، سامحًا لي بالفعل التالي، ألا وهو الذَّاكرة المستقبلية. على الرغم من أننا نتحدث بشكل عام كما لو أن مجرد الفعل هو محتوى التذكر والنسيان المستقبليَيْن، إلا أن المحتوى هو النية في الحقيقة، أنا لا أتذكر الاتصال بك، وأتذكر نيتي الاتصال بك. الآن، نظرًا لأنني لا أنوي الاتصال بك بعد، فإنني الآن أحتفظ بنيتي الاتصال بك في مكانٍ ما. أنا لا أريد أن أحتفظ به في مكانٍ ما للأبد، وإنما أريد استعادته في الوقت المناسب، أي: بحلول الظهر. في الواقع، عادة ما أنوي استعادته في الوقت المناسب - أي: أمتلك نية الوصول إلى نية فعلي. لرؤية هذا، لاحظ كيف أنه من الممكن، ولكن من غير المعتاد بالنسبة لي، أن أنوي فعلًا في المستقبل، ولكن لا أنوي الوصول إلى نية الفعل، فمثلًا، قد يحدث هذا إذا قمتُ بتعليق نيتي للوصول إلى نيتي للاتصال بك، أو لم أعد أنويها، حتى في أثناء احتفاظي بنيتي الاتصال. وللتسهيل عليَّ، أخبرتني زوجتي أنها ستذكرني بالاتصال بك، فتوقفت عن محاولة تذكر الاتصال بك، على الرغم من أنني ما زلت أنوي الاتصال بك. إن الذَّاكرة المستقبلية تتضمن عادة نية استرداد نية لفعل مستقبلي.

أقترح أنه في حالة النسيان المستقبلي، لا يزال الشّخص ينوي أن يسترد ما

نسيه، لكن في الوقت المراد يفشل في الاسترداد[17]. لنفترض أنني لم أسند مهمة التذكير إلى زوجتي. أنا أنوي الوصول عند الظهيرة إلى نيتي الاتصال بك. وتحل الظهيرة، ولا يمكنني الوصول إلى نية الاتصال، لكن لا تزال لدي نية الوصول إليها. أنا أنسى الاتصال بك. وبتعبير أدق، أنا أنسي نيتي الاتصال بك. ومع ذلك، إذا أنجزتُ مهمة التذكير تمامًا، فلا يمكنني أن أنسى في الظهيرة نيتي الاتصال بك. لم أعد أنوي الوصول إلى نيتي الاتصال بك، لذلك لا أنسى هذه النية. بالطبع يمكنني ألا أتذكر وقت الظهيرة الاتصال بك، لكن هذا لا يعني النسيان.

إن الشروط (1) و(2) و(a) مُستوفاة في أي حالة نسيان مستقبلي. عند الظهيرة، أخفق في الوصول إلى نيتي الاتصال بك - تلبية (2) - ولكن عند الظهيرة أنا أنوي الوصول إلى نية الاتصال بك - تلبية (a). وقد شكّلتُ نيتي الاتصال بك في وقت نسيانها، وهذا الاكتساب للنية هو تعلم من نوعٍ ما، تضمين ما. وهذا يلبي الشرط (1). وهكذا تجتاز الشروط اختبار الترقب المستقبلي.

الآن بالنسبة لـ (b)، الخيار الثاني في الشرط (3)، هو يضع شرطًا داخليًا للنسيان يتمثل في عدم إمكانية الوصول داخليًا. وفي ضوء (b) والشرطين (1) و(2)، نرى أن النسيان يمكن أن يكون شيئًا مختلفًا عما يفسر الشعور الدقيق بالنسيان والنسيان المستقبلي. يمكن أن يؤدي النسيان إلى الفشل في الوصول إلى شيء سبق تعلمه وغير قابل للوصول إليه. وهذا يفسر الحالات التي يكون فيها ما يُنسى هو الشيء الذي حُذف من الذّاكرة أو على الأقل أصبح غير قابل للاسترداد مؤقتًا. لا يحتاج النسيان إلى أي شعور فوق-معرفاني أو نية باقية للوصول إلى ما هو منسي. فيما يتعلق بالرقم السري لخزانتك، ليس لديك شعور

(17) يجادل ماكدانيل وآينشتاين (McDaniel and Einstein (2007, p.239) بأن «استرداد نية الذّاكرة المستقبلية يمكن أن يحدث عندما تُعلّق نية الاسترداد». وهذا يعني أن التذكر المستقبلي يمكن أن يكون تلقائيًا، ولا يتطلب نية لاسترداد نية الفعل. وهذا متعامد مع زعمي أن النسيان المستقبلي يتطلب نية للاسترداد.

بالنسيان، وليست لديك أي خطة لاسترداده. ومع ذلك، فإنك تنساه، وستستمر في نسيانه، ونسيته فعلًا من فترة. إن هذا الرقم السري لا يمكنك الوصول إليه.

يمكن أن تكون عدم إمكانية الوصول جزئيًا. وفي هذا غموض، لكنه حدسي بدرجة كافية. إذا كان ليس بالإمكان الوصول إلى العديد من تفاصيل حدث مختبَر سابقًا، لكن لا تزال هناك تفاصيل أخرى قابلة للوصول إليها، فإن الحدث ذاته يكون غير قابل للوصول إليه جزئيًا. يربط الشرط (b) مدى النسيان بمدى عدم إمكانية الوصول إلى ما هو منسي، فكلما زاد أو قل مدى النسيان زاد أو قل عدم إمكانية الوصول. بالطبع يربط الشرط (2) مدى النسيان بشيء آخر، وهو مدى الفشل في الوصول إلى ما هو منسي. وهذا يثير سؤالًا: إذا كان الشرطان (2) و(b) مستوفيين، وكانت نطاقات فشل الوصول وعدم إمكانية الوصول غير متساوية، فإلى أي مدى ينسى الشّخص؟ هل ينسى إلى مدى فشل الوصول، أو إلى مدى عدم إمكانية الوصول؟

الجواب: المدى الأدنى منهما، إن مدى كل من فشل الوصول وعدم إمكانية الوصول كبير على الأقل. الآن، سيكون عدم إمكانية الوصول دائمًا مساويًا لفشل الوصول أو أقل منه، أي: إنَّ شيئًا ما سيكون على الأقل بإمكان الشّخص الوصول إليه بقدر ما يصل إليه. في بعض الأحيان، يكون ما يُنسى قابلًا للوصول إليه بدرجة عالية، لكن لا يصل إليه الشّخص ببساطة. ومع ذلك، الشيء الذي ينساه الشّخص لا يصل إليه أبدًا بدرجة عالية عندما يكون غير قابل للوصول. لذلك، نظرًا لأن مدى عدم إمكانية الوصول هو أدنى الاثنين عندما يكون هناك عدم تساوٍ، فإنه يحدد مدى النسيان. وبهذه الطريقة، أنت لا تُعَدّ ناسيًا الرقم السري الحالي لخزانتك الذي تتذكره جيدًا عندما لا تحاول استرداده. فعندما لا تحاول استرداده، فإنك تفشل إلى أقصى مدى في الوصول إليه. ومع ذلك، لا يزال بإمكانك الوصول إليه بسهولة (لا يكون غير قابل للوصول بأي مدى)، ولذلك، فأنت لا تكون ناسيًا إيَّاه بأي مدى.

ليست هناك شروط أخرى للنسيان، ومن ثم أقترح أن تكون نظرية التعلم

وفشل الوصول والنزوعية (واختصارها هو LEAD) هي:

النظرية LEAD:S ينسى x إلى المدى e عند t إذا، وفقط إذا:

(1) S تعلم x قبل t، و:

(2) S يفشل إلى المدى e في الوصول داخليًا إلى x عند t، و:

(3)(a) عند t, S ينوي الوصول داخليًا إلى x بوصف ما قبل t، أو (x (b غير قابلة للوصول داخليًا من جانب S إلى المدى e عند t.

تقول النظرية LEAD: إن الشّخص الذي ينسى هو الذي يفشل في الوصول إلى شيءٍ ما تعلمه سابقًا، ولا يمكنه الوصول إليه أو نوى الوصول إليه، لقد أوجزتُ بشدة بشأن ماهية التعلم، والوصول الداخلي، وعدم إمكانية الوصول، لكن هذه العناصر للنظرية LEAD تستحق تحليلًا خاصًا بها في مناسبة أخرى. يكفي الآن العمل على تأسيس بنية النسيان.

حتى من خلال بنية النظرية LEAD يمكننا أن نرى أن لها عددًا من المزايا. وهذه المزايا مجتمعة هي دليل قوي لصالح النظرية، لقد حددتُ ميزتين بالفعل: فالنظرية تجتاز كلًا من اختبار المعرفانية-الفوقية واختبار الترقب المستقبلي. علاوة على ذلك، فإن النظرية LEAD تفسر كل أنواع النسيان التي تفسرها نظرية فقد المعلومات، حيث تكون المعلومات المستهدفة غير قابلة للاسترداد. وإنها لسمة أخرى للنظرية LEAD أنها توحد أنواعًا مختلفة من النسيان، فهي توضح مثلًا ما هو مشترك بين النسيان المستقبلي والنسيان الذي يأتي بشعور فوق-معرفاني. إنها عامة فيما يتعلق بنوع المحتوى، جامعة للنسيان القضوي والموضوعاتي والإجرائي. وغير ذلك من مزاياها. هناك العديد من أنواع النسيان، وتنتقي النظرية LEAD جنسها.

هناك ميزة أخرى للنظرية LEAD تتمثل في أنها في مأمن إذا تبين أن الذّاكرة البشرية توليدية. تشير الأبحاث التجريبية إلى أن ذاكرتنا ليست مستودعًا بسيطًا يخزن العناصر التي نودعها، ثم نسحبها لاحقًا. وإنما يبدو أن الذّاكرة

تفكك، وتنبذ على نحو تمييزي، وتعيد التصميم، وتعيد التركيب، حتى في الحالات التي ينتهي بنا الأمر فيها إلى سحب تمثيل صادق تمامًا للماضي[18]. إن الذَّاكرة بنائية، فهي تقوم بالبناء بقدر ليس بقليل، وليس فقط عند حدوث خلل وظيفي. وهذا لا يمثل أي إشكالية للنظرية LEAD. فإذا تدخلت الذَّاكرة في ما نقدمه لها، فلا يتبع ذلك وفق النظرية LEAD أننا ننسى؛ لأن التدخل لا يلزم أن يؤثر في إمكانية الوصول. يمكن أن يكون الوصول عملية توليدية؛ ويمكن أن تكون إمكانية الوصول قدرة توليدية، وقد ينتج عدم إمكانية الوصول عن مشاكل في التوليد وليس فقط عن مشاكل في التخزين.

وفق النظرية LEAD، يتوافق النسيان مع بعض الأمور التي قد تفاجئنا، وهذا يمثل ميزة للنظرية؛ لأن التوافق صحيح، لكن يصعب تحقيقه. فالنسيان يتوافق مع المعرفة مثلًا، إذ إن بعض طرق النسيان تترك مجالًا للمعرفة، هناك طرق محددة فقط تحول دون ذلك[19]. افترض أنه في لعبة الأسئلة العامة، أنت تُسأل عمن كان الرئيس الخامس للولايات المتحدة. وأنت تعرف أنه كان جيمس مونرو. لكن هذه المعرفة تبقى نزوعية، حتى بعد أن تُسأل - فهي ثابتة، وليست أمام ذهنك. لديك شعور بالنسيان، وتحاول الوصول إلى هذه المعلومات التي تعلمتها، ولكنك تفشل في ذلك. لذا، فأنت تنسى شيئًا تعرفه في الوقت ذاته، وهو أن جيمس مونرو كان الرئيس الخامس للولايات المتحدة. في أثناء الشعور بالنسيان، قد يكون لديك شعور فوق-معرفاني ثانٍ حول المعلومات ذاتها - الشعور بالمعرفة، وفي بعض الأحيان يكون كل من الشعورين دقيقًا.

بالمثل، وفق النظرية LEAD، فإن النسيان متوافق مع التذكر. عندما ينسى شخصٌ ما الشيء x؛ لأنه يحاول الوصول إلى x دون جدوى، فإنه يمكنه، وفق العديد من النظريات، أن يظل متذكرًا x[20]. إن تذكر الشيء ذاته ونسيانه في آنٍ معًا ليس نادرًا، فأنا أنسى اسم عائلتك، ومع ذلك، أنا واثق من أنني ما زلت

---

(18) انظر Frise (2018) و Michaelian (2016).

(19) راجع (Moon (2012, p.356).

(20) هذا هو الحال في نظرية المحاكاة والنظريات السببية المختلفة عن التذكر (Michaelian، 2016،

أتذكره، ولذا فأنا أحاول استرداده. وفي النهاية استردته بنجاح، وهذا لأنني أتذكره طوال الوقت. كان التذكر نزوعيًا أو ثابتًا.

أستنتج مما سبق أن النظرية LEAD تغلب النظريات الأخرى في ضوء مزاياها.

6. النسيان كعملية:

ومع ذلك، فإنَّ النظرية LEAD لا تروي قصة النسيان كاملة. إنها تفسر النسيان بمجموعة متنوعة من: أنواع المحتوى، وعلاقات المحتوى، والمقاييس. لكنها مجرد نظرية في النسيان الحالاتي، أي: النسيان كحالة. بعبارة أخرى، إنها ليست عامة فيما يتعلق بالفئة الأنطولوجية. هناك فصل أخير في القصة الكاملة للنسيان يوضح ماهية عملية النسيان، ويوضح علاقة العملية بالحالة.

سأقوم بتخطيط نظرية اختزالية لعملية النسيان (أو النسيان كعملية). وهي تتبنى نظرة بسيطة لماهية العملية بشكل عام: سلسلة من الحالات. إذا كانت العملية من أي نوع هي مجرد سلسلة من الحالات، فإن عملية النسيان هي مجرد سلسلة من الحالات. وهذا يشير إلى صيغة: بناء رؤية للنسيان كعملية من خلال تحديد الحالات المؤسسة له وعلاقتها. أقترح أن الحالات التأسيسية هي حالات النسيان، وأن علاقتها تزداد قوة، أي: إن عملية النسيان هي الانتقال من حالة نسيان أقل إلى حالة نسيان أكبر. وعلى نحو صوري:

> النظرية العملياتية الاختزالية: يكون S في عملية نسيان x من t إلى t+n إذا، وفقط إذا كان لكل زوج من الأوقات المتعاقبة t_m و t_{m+1} في الفترة الفاصلة من t إلى t+n:

الفصل الخامس والسادس). بالمناسبة، يقول بيرنيكر (2008، ص. 27): «لا يمكن تعريف مفهوم النسيان تعريفًا كافيًا إلا بالاستعانة بمفهوم التذكر». وأرى أنه من الربح الإضافي أن النظرية LEAD لا تقوم بهذه الاستعانة.

(1) S ينسى x إلى المدى e_1 عند t_m، و:

(2) S ينسى x إلى المدى e_2 عند t_{m+1}، و:

(3) $e_1 < e_2$.

حيث إنَّ أي عملية هي سلسلة من الحالات وفق هذه النظرية، فإن العملية ممتدة عبر الزمن. لذلك، يفهرس الجانب الأيسر عملية النسيان لفترات زمنية. ومهما كانت الامتدادات المحتملة للنسيان، فإنها تزداد في كل مرة خلال عملية النسيان. وهذا يراعي أحكامنا الحدسية حول النسيان كعملية. إذ عندما يبدو أن شخصًا ما في عملية نسيان، يبدو أنه ينتهي به المطاف بحالة نسيان أكبر من ذي قبل. وإذا بدى مدى النسيان ثابتًا على مدى فترة زمنية، فلا يبدو أن الشّخص في عملية نسيان في أثناء ذلك. ومع ذلك، يمكن أن يكون الشّخص في حالة مستمرة من النسيان لتلك الأوقات.

إنَّ هذا يسلط الضوء على الغموض المحتمل في عزونا للنسيان إلى شخصٍ ما. فنسيان شخصٍ ما بمرور الوقت لا يرقى إلى تحديدٍ ما إذا كان هذا الشّخص في حالة مستمرة من النسيان، أو أنه في عملية نسيان. وفق لنظرية LEAD، يمكن أن يُعَدّ شخصٌ ما على أنه في حالة نسيان على مدى فترة طويلة من الزمن - يمكن للشخص أن يستمر في نسيان شيءٍ قد نسيه منذ زمن طويل. يبدو هذا غريبًا إذا عددنا أنه يشير إلى أنه بمرور الوقت يكرر الشّخص عملية النسيان، أو ينسى على نحو أشد شيئًا ما نسيه تمامًا بالفعل. لكن استمرار حالة النسيان لا يكفي لاستمرار عملية النسيان. إذ يمكن أن يكون النسيان المستمر أشبه بالمعرفة المستمرة، بدلًا من الاقتراب المستمر من المعرفة.

لا تنبع النظرية العملياتية الاختزالية من النظرية LEAD. إنها متوافقة مع أي نظرية تدرجية للنسيان الحالاتي، فهي بديل للنظرية العملياتية القوية التي قدمها ويليامسون، والتي تنفي وجود أي نسيان حالاتي. إذا كانت النظرية العملياتية الاختزالية صحيحة، فإن النظرية العملياتية القوية لويليامسون غير صحيحة، وتترنح العديد من مزاعمه الأخرى الموجودة في القسم الثالث. حسب

النظرية العملياتية الاختزالية، فإنه بالنظر لوجود عمليات نسيان، فهناك حالات من النسيان. لكن إذا سلّمنا لويليامسون بأن النسيان وقائعي، فإن حالة النسيان هي موقف حالاتي وقائعي لا يتطلب المعرفة. ومن ثم، فإن المعرفة ليست هي الموقف الحالاتي الوقائعي الأعم، خلافًا لويليامسون. ونتيجة لذلك، هناك أدلة أقل على ادعاء ويليامسون بأن مفهوم المعرفة محوري في تفكيرنا.

7. الخلاصـــة:

لقد استقصيتُ العديد من أبعاد النسيان وتحديثُ النظريات القليلة المتاحة المتعلقة به. وقدمتُ نظرية موحدة لحالة النسيان، ونظرية لعملية النسيان، موضحًا العلاقة بين العملية والحالة. وهكذا يتذكر الاقتراحين الرئيسين اللذين قدمتهما كل أنواع النسيان[21].

المراجع:

Annis, D. B. (1980). Memory and justification. *Philosophy and Phenomenological Research*, *40*(3), 324-333.

Arango-Muñoz, S. (2013). Scaffolded memory and metacognitive feelings. *Review of Philosophy and Psychology*, *4*(1), 135-152.

Arango-Muñoz, S., & Michaelian, K. (2014). Epistemic feelings, epistemic emotions: Review and introduction to the focus section. *Philosophical Inquiries*, *2*(1), 97-122.

Behan, D. P. (1979). Locke on persons and personal identity. *Canadian Journal of Philosophy*, *9*(1), 53-75.

Bernecker, S. (2008). *The metaphysics of memory*. New York: Springer.

Bernecker, S. (2010). *Memory: A philosophical study*. Oxford: Oxford University Press.

Conee, E., & Feldman, R. (2011). Replies. In T. Dougherty (Ed.), *Evidentialism and its discontents*. Oxford: Oxford University Press.

---

(21) أشكر كل من: ديفيد جيمس بارنيت David James Barnett، وإيرل كوني Earl Conee، ودوروثيا ديبوس، وكريستوفر هويرل، وكوري مالي Corey Maley، وكيفن ماكين Kevin McCain، وكوركين ميكيليان، وأندرو مون Andrew Moon، ودينيس بيرين، وسارة روبينز، وحكمين مجهولين، والجمهور الحاضر في "مؤتمر الذّاكرة والذاتية" لمناقشتهم مسودة هذه الورقة مناقشة مفيدة. لقد كتبت هذه الورقة مدعومًا بمنحة من صندوق تمبلتون للدين Templeton Religion Trust. الآراء الواردة هنا قد لا تعكس آراء هذه المؤسسة.

Friedman, M. C., & Castel, A. D. (2011). Are we aware of our ability to forget? Metacognitive predictions of directed forgetting. *Memory & Cognition, 39*(8), 1448-1456.

Frise, M. (2015). Epistemology of memory. In J. Fieser & B. Dowden (Eds.), *Internet encyclopedia of philosophy*. Retrieved from www.iep.utm.edu/epis-mem/ Frise, M. (2017a). Internalism and the problem of stored beliefs. *Erkenntnis, 82*(2), 285-304.

Frise, M. (2017b). Preservationism in the epistemology of memory. *The Philosophical*

Quarterly, *67*(268), 486-507.

Frise, M. (2018). Eliminating the problem of stored beliefs. *American Philosophical Quarterly, 55*(1), 63-79.

Halamish, V., McGillivray, S., & Castel, A. D. (2011). Monitoring one's own forgetting in younger and older adults. *Psychology and Aging, 26*(3), 631-635.

Harris, C. B., J. Sutton, & A. Barnier. (2010). Autobiographical forgetting, social forgetting and situated forgetting. In S. D. Sala (Ed.), *Forgetting* (pp. 253-284). London: Psychology Press.

Koriat, A., Bjork, R. A., Sheffer, L., & Bar, S. K. (2004). Predicting one's own forgetting: The role of experience-based and theory-based processes. *Journal of Experimental Psychology: General, 133*(4), 643-656.

Martin, C. B., & Deutscher, M. (1966, April). Remembering. *Philosophical Review, 75*, 161-196.

McDaniel, M. A., & Einstein, G. O. (2007). Spontaneous retrieval in prospective memory. In J. S. Nairne (Ed.), *The foundations of remembering: Essays in honor of Henry L. Roediger, III.* New York: Psychology Press.

McGrath, M. (2007). Memory and epistemic conservatism. *Synthese, 157*(1), 1-24.

Michaelian, K. (2011). The epistemology of forgetting. *Erkenntnis, 74*(3), 399-424.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past.* Cambridge, MA: MIT Press.

Moon, A. (2012). Three forms of internalism and the new evil demon problem. *Episteme, 9*(4), 345-360.

Naylor, A. (2015). Justification and forgetting. *Pacific Philosophical Quarterly, 96*(3), 372-391.

Pappas, G. S. (1987). Suddenly he knows. In S. Luper (Ed.), *The possibility of knowledge: Nozick and his critics.* Totowa, NJ: Rowman & Littlefield.

Roediger III, Henry L., Weinstein, Y., & Agarwal, P. K. (2010). Forgetting: preliminary considerations. In S. D. Sala (Ed.), *Forgetting* (pp. 1-22). New York: Psychology Press.

Schacter, D. L. (2001). *The seven sins of memory: How the mind forgets and remembers.* Boston: Mariner Books.

Tulving, E. (1974). Cue-dependent forgetting. *American Scientist, 62*(1), 74-82.

Tulving, E. (1983). *Elements of episodic memory.* Oxford: Oxford University Press.

Tulving, E., & Pearlstone, Z. (1966). Availability versus accessibility of information in memory for words. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior, 5*(4), 381-391.

Williamson, T. (2000). *Knowledge and its limits.* Oxford: Oxford University Press.

الفصل الثاني عشر

استحقاق اللوم على النسيان

سفين بيرنيكر Sven Bernecker

بشكل عام هناك نوع من الظواهر التي تهتم بها أخلاقيات النسيان فنجد منها:

أولًا: هناك تداعيات أخلاقية وقانونية لحقيقة أننا ننسى أحيانًا أخطاء الماضي. فكّر في فاعلَيْن كل منهما متهم بالنوع ذاته من المُخالفات، وأحدهما يعاني فقدان الذَّاكرة، وإن لم يكن ذلك بسبب خطأ من جانبه، ولا يمكنه تذكر أي شيء عن الفعل المُتهم به. في هذه الحالة، يمكن استخدام النسيان كدليل على عدم الأهلية في المحاكمة، أو في تخفيف المسؤولية الجنائية والأخلاقية، أما الفاعل الآخر، فقد تسبب عن عمد في فقدانه الذَّاكرة (على سبيل المثال: عن طريق تناول قرص يسبب النسيان) قبل ارتكاب المُخالفة، يترتب على الطبيعة الإرادية لنسيانه أنه لا تُخفَّف مسؤوليته (Birch، 2000). وهذا يشير إلى حقيقة أن الفاعل قد نسي مخالفته السابقة يمكن استخدامها كمعذرة لارتكاب المخالفة تعتمد جوهريًا على ما إذا كان النسيان قد حدث عن تعمُّد وطواعية.

إلى جانب التقييم الأخلاقي للأخطاء الماضية التي نسيها الفاعل، هناك تقييم أخلاقي آخر للضرر الذي يحدثه الفاعل نتيجة نسيانه لشيءٍ ما. وهذه المسألة هي التي يهتم بها الفصل. هناك طريقتان على الأقل يمكن أن يضر فيهما النسيان. في بعض الأحيان يكون النسيان هو الذي يشكّل الضرر. فمثلًا: من الشائع أن تشعر شريكتك بالأذى إذا نسيتَ عيد ميلادها، وأن يشعر صديقك المُقرَّب بالضيق إذا نسيت اسمه. إذ يتوقع الناس أن يتذكرهم الأشخاص المهمون بالنسبة لهم. تُؤخذ حقيقة أنك نسيت عيد ميلاد شريكتك كدليل على أن شريكتك ليست مهمة بدرجة كافية بالنسبة لك. إلى جانب الحالات التي يشكّل

فيها النسيان ضررًا، هناك حالات يؤدي فيها النسيان إلى حدث آخر يشكّل ضررًا بدوره. على سبيل المثال: أن يعاني طفل ضربة الشمس بسبب أن أحدهم نسيه داخل سيارة متوقفة في يوم حار.

يعتمد التقييم الأخلاقي للضرر الناجم عن النسيان اعتمادًا جوهريًا على ما إذا كان النسيان قد حدث عن قصد أم عن غير قصد. فإذا حدث فقدان الذّاكرة عن غير قصد، فعادة ما يكون الشّخص المتضرر منزعجًا، ولكن عندما يكون فقدان الذّاكرة متعمدًا وإراديًا، فغالبًا ما يشعر الشّخص المتضرر بغضب واستياء من الشّخص الناسي (Driver, 2009, pp. 84-85). وقد وُضّح هذا توضيحًا لطيفًا في فيلم "الإشراقة الأبدية للعقل النظيف Eternal Sunshine of the Spotless Mind"، حيث يدري بطل الفيلم جويل Joel (جيم كاري Jim Carrey) بأن صديقته السابقة كليمنتين Clementine (كيت وينسلت Kate Winslet) اختارت الخضوع لعملية محو للذاكرة يقدمها المركز الطبي لاكونا Lacuna للتغلب على ألم انفصالهما. وقضى المتخصصون في لاكونا على كل الذكريات المتعلقة بجويل وعلاقتهما السابقة. يشعر جويل بالخيانة؛ بسبب التدمير القصدي للذاكرة التي فعلته كليمنتين. ولكن نظرًا لأنه يريد منح علاقتهما فرصة أخرى، فإنه يخضع أيضًا لعملية محو الذّاكرة، ويطلب جويل من المركز الطبي لاكونا، ليس فقط محو كل ذكرياته المتعلقة بكليمنتين وعلاقته بها، ولكن أيضًا ذكرياته عن الشعور بالخيانة عندما علم أنها قررت محو ذكرياتها عنه.

في هذا الفصل، أزعم أن النسيان له أثر أخلاقي من ثلاث مناحٍ:

أولًا: تُظهِر الدراسات النفسية أننا أحيانًا نتحكم في النسيان، ومن هنا، فإنّ الزّعم القائل: إننا لا يمكن أن نتحمل المسؤولية الأخلاقية عن النسيان؛ لأنه خارج عن سيطرتنا يقوم على سوء فهم لسيكولوجية النسيان. وبمجرد فهم هذه السيكولوجية، يصبح من الواضح أن هناك حالات نسيطر فيها على نسياننا، وبالتالي، نكون مسؤولين أخلاقيًا عن الضرر الناجم عن نسيان شيءٍ ما. يتعلق الزعم الثاني بالحالات التي نتحكم فيها في قدرتنا على تذكر شيءٍ ما في وقت

لاحق. فمثلًا: يمكننا أن نتعلم أننا كأفراد لا نتذكر جيدًا أسماء الناس وأعياد ميلادهم. ويجب أن تدفعنا درايتنا بهذه الحقيقة إلى اتخاذ خطوات إضافية لتحسين ذاكرتنا فيما يتعلق بالأسماء وأعياد الميلاد. عندما نفشل في اتخاذ هذه الخطوات الإضافية، ثم ننسى، فإننا نتحمل المسؤولية الأخلاقية. إن هذا النوع من المسؤولية الأخلاقية يشبه المسؤولية الأخلاقية التي يتحملها الشّخص الذي يسكر عمدًا عن القيام بأفعال مؤسفة وهو سكران. يتعلق الزعم الثالث بالحالات التي لا نتحكم فيها في نسياننا لشيءٍ ما ولا نتحكم في قدرتنا على تذكر شيءٍ ما. حدسيًا، يمكن لأي شخص أن يكون مسؤولًا أخلاقيًا عن نسيان شيءٍ ما حتى لو كان خارج تحكمه أنه نسي ذلك الشيء وحتى لو فعل كل ما يمكن توقعه منه على نحو معقول لتذكر ذلك الشيء. تحتوي الأدبيات المتعلقة بالجهل الملوم تقريرين عن استحقاق اللوم في حالات النسيان التي يتحكم فيها الفاعل في نسيانه: الإسنادية attributionism وشرط الدراية الحرة بالمسؤولية الأخلاقية. وبدلًا من ضرب التقريرين ببعضهما البعض، سأقدم تقييمًا محايدًا لنقاط قوتهما ونقاط ضعفهما.

يميز القسم الأول بين نوعين من النسيان: ذبول البقية [الذاكرية] trace decay والتّداخل interference.

يستعرض القسم الثاني الشرطين المعياريين للمسؤولية الأخلاقية: شرط التحكم، وشرط الدراية.

ويعتمد القسم الثالث على الأعمال المقدمة عن سيكولوجية النسيان؛ من أجل القول: إنَّ هناك أشياء يمكن للفاعل القيام بها لنسيان شيءٍ ما بنشاط. وحينئذٍ، لا يصمد عند التدقيق التصور القائل، من حيث المبدأ: إنَّ نسيان الشّخص هو خارج عن تحكمه.

يناقش القسم الرابع التقرير التعقبي tracing عن المخالفات الناجمة عن النسيان. حسب التقرير التعقبي، يمكن تعقب استحقاق اللوم على النسيان حتى نرجعه إلى فعل قصدي قام به الفاعل في وقت سابق. والهدف من القسم الرابع

هو القول: إن التقرير التعقبي لا يمكنه أن يستوعب كل حالات النسيان المستحق اللوم.

أما القسم الخامس، فهو عبارة عن مناقشة نقدية لمحاولة تفسير استحقاق اللوم في حالات النسيان غير التعقبية من خلال شرط الدراية الحرة للمسؤولية الأخلاقية.

والقسم السادس هو مناقشة نقدية للتفسير الإسنادي لاستحقاق اللوم في حالات النسيان غير التعقبية، ويحتوي القسم السابع بعض الملاحظات الختامية.

1. نظريات النسيان:

يشير النسيان في الذّاكرة طويلة المدى إلى أنَّ عنصرًا من المعلومات جرى تعلمه سابقًا إما أنه مفقود نهائيًا وإما غير قابل للوصول إليه مؤقتًا[1]. وفق نظرية الذبول، يحدث النسيان نتيجة الذبول الشديد للبقايا الذاكرية في الذّاكرة طويلة المدى بمرور الوقت. تنص النظرية المنافسة، نظرية التّداخل، على أن ما يسبب النسيان هو اضطراب وحجب للبقايا الذاكرية بفعل التعلم السابق أو اللاحق. ويتجلى التّداخل بطريقتين:

عندما يتداخل التعلم السابق مع التعلم والاحتفاظ اللاحقين، وهو ما يُطلَق عليه: "التّداخل الاستباقي proactive"، وعندما يُشوش على ذاكرة التعلم السابق، وهو ما يُطلق عليه: "التّداخل الرجعي retroactive (راجع، Baddeley، 2014، الفصل السادس).

لقد ثبت أنه من الصعب التحقق تجريبيًا من التدهور التلقائي للبقايا الذاكرية الذي تفترضه نظرية الذبول. تتمثل إحدى المشكلات في أنه في موقف من مواقف الحياة الواقعية، فإن الوقت بين تعلم شيءٍ ما والاستذكار سيكون مليئًا بجميع أنواع الأحداث المختلفة. ولذلك من المستحيل استبعاد أن أي

(1) لتحليل مفاهيمي للنسيان، انظر Frise (2018).

نسيان يحدث بين التعلم والاسترجاع هو نتيجة لتدهور البقية الذاكرية وليس لتأثيرات التّداخل. ومن جهة أخرى، هناك دعم تجريبي قوي لنظرية التّداخل عن طريق التعلم الارتباطي-الاقتراني paired-associate[2]. ورُبما يفسر هذا سبب أن نظرية التّداخل كانت، لسنوات عديدة، رؤية الأغلبية. ولكن على الرغم من الدعم الذي تحظى به نظرية التّداخل في العديد من الدراسات، ليس من الواضح إلى أي مدى يمكن تطبيق النتائج الواردة من التعلم الارتباطي-الاقتراني في بيئة معملية على النسيان في الحياة اليومية. ومن ثم، فعلى الرغم من أن نظريتي الذبول (المجدول بالزمن) والتّداخل (المجدول بكمية المعلومات المشتتة للانتباه) كان يُنظر إليهما تاريخيًا على أنهما تقريران متنافسان عن النسيان، إلا أن هناك توجهًا حديثًا نحو عدّهما عمليات تكميلية، فمثلًا: يجادل هاردت، ونادر، ونادل Hardt, Nader, and Nadel (2013) بأنه في مناطق محددة في الدماغ، ولا سيما منطقة الحُصين، يكون النسيان الناتج عن التّداخل ضئيلًا إلى أقصى حد، وأن ما يسبب معظم النسيان هو الذبول، ولكن في مناطق دماغية أخرى يكون العكس (راجع Altmann & Gray، 2002).

عندما يُنسى قدر من المعلومات بسبب أن البقية الذاكرية ذات الصلة قد اختفت، فإن هذا القدر من المعلومات يذهب بلا رجعة. وعندما يحدث النسيان بسبب التّداخل، فمن الممكن أحيانًا أن تعود الذّاكرة إذا زُوِّد الفاعل بإلماحة استردادية مناسبة. لذلك، في حين أن النسيان الناتج عن ذبول البقية الذاكرية دائم، فإن النسيان الناجم عن التّداخل قد يكون مؤقتًا فقط. من وجهة نظر الشّخص الأول، عادة لا يمكن التمييز بين ما إذا كان العنصر الذاكري لا يمكن الوصول إليه أو ما إذا كان قد حُذف.

في هذا الفصل، أركّز على حالات النسيان التي لا تزال فيها المعلومات

(2) يتضمن التعلم الارتباطي-الاقتراني إقران عنصرين (عادة كلمات) - حافز واستجابة. فمثلًا: قد يُقرن بين كلمتين مثل: 'شمعة' (حافز)، و'منضدة' (استجابة)، وعندما يُطلب من المتعلّم استخدام الحافز ('شمعة')، فإنه يستجيب بالكلمة المناسبة ('منضدة').

ذات الصلة مخزنة في النظام الذاكري، ويمكن استردادها إذا جرى توفير إلماحات الاسترداد المناسبة. وأسبابي تنقسم إلى شقين:

الأول: هو أن النسيان الناتج عن التّداخل يحدث على نحو متكرر أكثر بكثير من النسيان الناتج عن الذبول. حتى عنصر المعلومات المنسي «يمكن عادة التعرف عليه بمعدل يتجاوز بكثير مستويات الفرصة chance levels، ويمكن إعادة تعلمه بمعدل متسارع، ويمكن تذكره في كثير من الأحيان في ظروف خاصة تعيد إلماحات محددة من الماضي - وكل هذا يشكّل دليلًا على أن تلك العناصر لم تُفقد من الذّاكرة بإطلاق» (Bjork & Vanhuele، 1992: 156؛ كما هو مقتبس في Michaelian, 2011, pp. 403-404).

الثاني: هو أن التداعيات الأخلاقية للنسيان الناتج عن عدم إمكانية الوصول (والتّداخل) تبدو أكثر إثارة للاهتمام من التداعيات الأخلاقية للنسيان الذي يتخذ شكل حذف البقية الذاكرية. بعبارة أخرى: يبدو أن محاولة منع التّداخل من جعل عناصر ذاكرية محددة غير قابلة للوصول واعدة أكثر من محاولة إيقاف ذبول بقية ذاكرية محددة.

2. المكوّنان الأساسيان للمسؤولية الأخلاقية:

حدسيًا، هناك نوعان من الشروط التي يمكن استخدامها لإعفاء المرء من المسؤولية الأخلاقية: جهل المرء بطبيعة فعله، وعدم تحكمه في فعله. وبالتالي، فإن التقرير القياسي للمسؤولية الأخلاقية يسرد شرطين ضروريين: شرط التحكم، وشرط الدراية.

يحدد شرط التحكم نوع التحكم ودرجته في الفعل الذي لا بد أن يكون لدى الفاعل ليكون مسؤولًا أخلاقيًا عن فعله. ومن الصياغات الخام لشرط التحكم ما يلي:

شرط التحكم: يكون S مسؤولًا أخلاقيًا عن تنفيذ (عدم تنفيذ) الفعل A

فقط إذا كان يقع في نطاق قدرة S أن ينفذ (لا ينفذ) A.

لقد أسيل مداد كثير حول مسألة ما إذا كان نوع التحكم المطلوب للمسؤولية الأخلاقية يتوافق مع الحتمية السببية. ولغرض هذا الفصل يمكننا تجاهل مسألة الحتمية مؤقتًا.

يحدد شرط الدراية نوع دراية الفاعل ودرجته بالعواقب المحتملة لفعله ومرتبة فعله الأخلاقية فيما يتعلق بإسناد المسؤولية الأخلاقية. الفكرة هي أنه لا يمكن لوم الفاعل على الضرر الذي يسببه إذا لم يكن على دراية بأن فعله ينطوي على مخاطر أو يؤدي إلى الضرر، وليس لديه سبب يدعوه إلى الدراية بذلك. وفي ضوء أن اللوم هو رد على احتقار الآخرين أو عدم الاهتمام بهم، فلا يوجد شيء في الحياة الذهنية للفاعل الجاهل يمكن أن يكون الموضوع المناسب للّوم، أو هكذا يقول المفهوم القياسي لادعاءات المسؤولية الأخلاقية[3].

يقال: إنَّ شرط الدراية للمسؤولية الأخلاقية له مكوّنان، ينص المكوّن الأول على أنه لا يمكن تحميل الفاعل مسؤولية فعل شيءٍ ما إلا إذا كان على دراية بفعله؛ ونظرًا لأن الفعل يكون مقصودًا بوصفٍ ما وغير مقصود بوصف آخر (Anscombe, 1957, pp. 11-12) فإنه يجب على الفاعل أن يكون على درايةٍ بما يفعله بالوصف المناسب. وينص المكوّن الثاني لشرط الدراية على أنه يمكن تحميل الفاعل مسؤولية القيام بشيءٍ ما فقط عندما يكون على دراية بسبب قيامه به. بمعنى آخر: إنه لشرط للمسؤولية الأخلاقية أن تكون الحالة النفسية التي تحرّك الفاعل لتنفيذ (أو إغفال) فعل ما تتطابق مع النظر الذي يُعد لصالح تنفيذ (أو إغفال) فعلٍ ما (Alfano، 2016). عندما يُجمع بين كل من المكونين، نحصل على شرط يبدو أشبه بما يلي:

شرط الدراية: يكون S مسؤولًا أخلاقيًا عن الفعل A إذا فقط (1) كان S

(3) في القسم الخامس سوف نرى أن أنصار الإسنادية يتحدون الفكرة القائلة: إن المسؤولية الأخلاقية تتطلب الدراية.

على دراية بقيامه بـ A (بالوصف المناسب) و(2) أن يقوم S بـ A في الوقت الذي يعتقد فيه أن A خاطئ أخلاقيًا (في حالة الفعل المستحق للوم) أو جائز أو مُلزم أخلاقيًا (في حالة الفعل المستحق للثناء)[4].

من الواضح أنه لا يمكن للمرء أن يكون على دراية بسبب قيامه بما يفعله ما لم يكن على دراية بما يفعله. أركّز هنا على المكون الأول لشرط الدراية. والسبب هو أن الشاغل الرئيس المتعلق بلوم شخصٍ ما بسبب نسيان شيءٍ ما له علاقة بالفاعل الذي لا يدري ما يفعله، وليس أن الفاعل لا يدري دوافعه[5].

إن حقيقة أننا نلوم الأشخاص الذين يتسببون في ضرر بسبب نسيانهم لشيءٍ ما يبدو أنها تتعارض مع المفهوم القياسي للمسؤولية الأخلاقية. من الشائع اعتقاد أن النسيان لا يقع في نطاق تحكمنا. لكن إذا لم يكن النسيان محلًا لتحكمنا، وإذا كان من الخطأ إلقاء اللوم على شخصٍ ما من أجل شيءٍ لا يتحكم فيه، فيجب ألا نلوم أي شخص على نسيان شيءٍ ما، حتى إذا كان هذا النسيان ضارًا. علاوة على ذلك، لا يبدو أن النسيان يلبي شرط الدراية. إذ إن عنصر الدراية المطلوب على نحو شائع لاستحقاق اللوم غائب في حالة النسيان. إذا نسي فاعل عند t أن p، فإنه لا يكون على دراية عند t بالعواقب المحتملة لعدم التصرف على أساس p؛ لأنه إذا كان الفاعل على دراية بالعواقب المحتملة لعدم التصرف على أساس p، فمن المرجح أن يتصرف على أساس p، فكيف يمكن إذًا أن يكون مسؤولًا عن فعلٍ ليس على دراية بتنفيذه؟[6]

إن الهدف من هذا الفصل هو أنه يمكننا بالفعل أن نكون مسؤولين أخلاقيًا عن نسياننا، على عكس ما يعتقده الكثير من الناس. هناك حالات نسيان يُلبَّى

(4) صُمّم هذا الشرط على غِرار الشرط الذي قدمه حاجي Haji (2008: 90).

(5) إن شرطي التحكم والدراية للمسؤولية الأخلاقية هما، بالطبع، مرتبطان بمعنى أنه إذا كان الفاعل لا يعرف ما يفعله، فلن يكون لديه تحكم كامل) في سلوكه (Talbert, 2016, 154 n10).

(6) بطبيعة الحال الضرر الناجم عن النسيان ليس هو المثال-المضاد المفترض الوحيد لشرط الدراية فيما يتعلق بالمسؤولية الأخلاقية. فالنسيان نوع من الجهل. وإلى جانب النسيان يمكن أن يحدث الجهل؛ بسبب: السُكْر، وتشتت الانتباه، والإرهاق، والمشاعر الشديدة، مثل: الغضب.

فيها شرط التحكم، إما لأننا نتحكم في نسياننا (القسم الثالث)، وإما لأننا نتحكم في قدرتنا على التذكر في وقت لاحق (القسم الرابع). علاوة على ذلك، يبدو أن الشّخص يمكن أن يكون مسؤولًا أخلاقيًا عن نسيان شيءٍ ما حتى لو كان نسيانه لذلك الشيء خارجًا عن تحكمه. تحتوي الأدبيات تقريرين عن استحقاق اللوم عن النسيان الذي لا يتحكم فيها الفاعل. يقوم تقرير منهما بتعديل شرط الدراية بحيث يُلبَّى في بعض حالات النسيان (القسم الخامس). ويقول التقرير الآخر: ليست الدراية والتحكم ضروريين للمسؤولية الأخلاقية (القسم السادس).

3. النسيان الموجَّه:

يشيع الاعتقاد بأنه لا تُوجد تقنيات غير جذرية لنسيان عناصر محددة، بمعنى أنها لا تقلل على نحو كبير من الكفاءات أو القدرات الإبستيمية العامة للمرء[7]، وهذا يستبعد أمور كثيرة، منها: النسيان الناتج عن إلحاق إصابة دماغية خطيرة بالنفس. يناقش هذا القسم إمكانية استخدام تقنيات غير جذرية لنسيان عناصر محددة في ضوء العمل الحديث في علم النفس.

هناك عدد من الأدوات الدوائية المتاحة التي يمكن أن تجعلنا ننسى، فأدوية مثل: سكوبولامين scopolamine، والبنزوديازيبينات benzodiazepines، ومثبطات كيناز kinase inhibitors لها تأثير مثبت في إحداث فقدان للذاكرة[8]. وفي حين أن هذه الأدوية، عندما تعمل على النحو الصحيح، تمنع توطيد الذّاكرة بالكليّة، فإن هناك أدوية أخرى، وهي حاصرات بيتا beta-blockers، تُضعف فقط قوة الذّاكرة من خلال تقليل شدتها العاطفية وثرائها الوقائعي. يمكن أن تقلل حاصرات بيتا، مثل: البروبرانولول propranolol، من خطر الإصابة

(7) استعرتُ مفهوم تقنية النسيان غير الجذرية إبستيميًا من ماثيـون(Matheson (2013, pp 8-197)

(8) راجـع .Caine et al (1981)، وKing (1992)، و.Pastalkova et al (2006)، و.Shema et al (2007)، وكلها مذكورة في (Liao (2017, p.374 .

باضطراب ما بعد الصدمة (post-traumatic stress disorder (PTSD) دون محو الذّاكرة المعنية. يتطور PTSD نتيجة للكميات الكبيرة من هرمونات التوتر التي تُطلَق في وقت وقوع حدث صادم. وعندما يُتناول البروبرانولول بعد فترة وجيزة من وقوع حدث صادم، فقد يؤدي ذلك إلى إعاقة توطيد الذكريات المؤلمة، وبالتالي، منع تطور الاضطراب[9]. ومن مزايا البروبرانولول على الأدوية الأخرى المسببة لفقدان الذّاكرة أنه يمكن استخدامه لاستهداف عناصر محددة من المعلومات المرمَّزة في نظام الذّاكرة.

يمكن القول: إن أسلوب النسيان الأكثر إثارة للاهتمام هو المعروف بـ: "النسيان الموجَّه". والنسيان الموجه هو ذاكرة واهنة ناتجة عن أمر من المجرِّب يطلب فيه من الشّخص نسيان معلومة سبق تعلمها. في تجربة النسيان الموجه النموذجية، يُقدَّم إلى الأشخاص قائمة من الكلمات (القائمة 1)، ويُطلب من مجموعة من الأشخاص نسيان الكلمات الموجودة في القائمة. ويُطلب من المجموعة الأخرى من الأشخاص الاستمرار في تذكر القائمة[10]. ثم يُعرَض على كل من المجموعتين من الأشخاص قائمة ثانية من الكلمات (القائمة 2)، ويطلب منهم دراسة الكلمات. وبعد ذلك، يُطلب من الأشخاص استذكار كل العناصر المعروضة مسبقًا، بما في ذلك الكلمات التي يجب نسيانها والكلمات التي يجب تذكرها. تُظهر هذه التجارب شيئين:

الأول: إن الأمر بالنسيان يؤدي إلى ذاكرة أضعف للمادة المستهدفة (القائمة 1) أكثر من الأمر بالتذكر.

الثاني: هو أن الأمر بالنسيان يؤدي أحيانًا إلى ذاكرة أفضل للمواد التي جرى تعلمها باتباع هذا الأمر (القائمة 2).

---

(9) انظر .Pitman et al (2002) وVaiva et al. (2003). ولمناقشة القضايا الأخلاقية المرتبطة باستخدام حاصرات بيتا لعلاج اضطراب ما بعد الصدمة، انظر Evers (2007) و Kober (2006).

(10) انظر Bjork (1989)، وBjork and Bjork (1996)، وMacLeod (1998). ووصف التجربة منقول عن (El Haj et al., 2011, p.994).

يُعد هذان التأثيران دليلًا على التثبيط الاستردادي الذي بدأ من خلال الأمر بالنسيان (Bjork, Bjork, & Anderson، 1998)، فالأمر بالنسيان يحفز الآليات المثبطة التي تقلل مؤقتًا إمكانية الوصول إلى المعلومات التي يجب نسيانها في الذّاكرة، وهو ما يفسر الصعوبة التي وجدها الأشخاص الذين تلقوا أمرًا بالنسيان في تذكر كلمات القائمة (1). علاوة على ذلك، يقلل هذا التثبيطُ التّداخل الاستبقائي من القائمة (1)، ومن ثم يسهّل استرداد عناصر القائمة (2). هذا هو السبب في أن الأشخاص الذين نسوا بعض كلمات القائمة (1) يتذكرون كلمات من القائمة (2) أكثر من الأشخاص الذين لم يتلقوا أمرًا بالنسيان، ومن ثم، لا يزالون يتذكرون المزيد من كلمات القائمة (1)[11].

لقد ظهر أن أوامر النسيان تنجح ليس فقط مع قوائم الكلمات العشوائية، وإنما أيضًا مع المواد السيرية-الذاتية، وبصرف النظر عن نوع المادة المدروسة وعن التكافؤ العاطفي، فإن أوامر النسيان الموجَّه فعالة على نحو مدهش. في تجربة أجراها جوسلين وأوكس Joslyn and Oakes (2005)، استذكر المشاركون في المجموعة التي تلقت أوامر النسيان أحداثًا شخصية أقل بنسبة 24% تقريبًا من المشاركين في المجموعة التي تلقت أوامر التذكر. وفي تجربة أجرتها بارنييه Barnier وآخرون (2007) استذكرتْ مجموعةُ النسيان كلمات أقل بنسبة 11% من القائمة مقارنة بالمجموعة التي طُلب منها تذكر الكلمات. ومن الجدير بالذكر أيضًا أن هذا التأثير حدث بعد جهد واحد فقط من جانب المشاركين لمنع استرداد العناصر المذكورة طواعية. لذلك توقعت بارنييه وزملاؤها أن الاستخدام المتكرر لتقنيات تثبيط الاسترداد سيجعل من المستحيل على الشّخص أن يتذكر عنصرًا متعلَّمًا ليس فقط على المدى القصير، وإنما على المدى الطويل أيضًا:

«إن نجاحنا في إحداث تثبيط موثوق في المختبر لذكريات سيرية-ذاتية استُذكرت مؤخرًا من خلال إجراء بسيط غير متكرر يشير إلى أنه في

---

(11) يزعم ماكلود MacLeod (1998) أن نسيان القائمة (1) يحدث أحيانًا دون تحسين ذاكرة عناصر القائمة (2).

المعرفانية اليومية، قد تكون هناك تأثيرات أقوى، إذ قد يؤدي الاستخدام العفوي المتكرر لإجراء النسيان الموجَّه على المعرفة ذاتها إلى تأثيرات تثبيطية أقوى ودائمة. في الحياة اليومية، قد تكون هناك العديد من الفرص للنسيان الموجَّه المتكرر، وقد يكون التحكم التثبيطي في ذكريات سيرية-ذاتية شائعًا وفعالًا» (Barnier et al. ، 2007، 319، كما ورد في Matheson، 2013، 201-202).

كما ذكرنا في بداية القسم، فإن النظرة المعيارية تقول: إن النسيان لا يمكن أن يقع في نطاق تحكمنا، بمعنى أنه لا توجد تقنيات غير جذرية لنسيان عناصر محددة. فإذا اجتمع هذا الرأي مع القول: إن اللوم يقتضي تحكم الفاعل، فيترتب على ذلك أنه من الخطأ لوم أي شخص على نسيانه لشيءٍ ما. إن هذه الحجة إشكالية لسببين على الأقل:

الأول: هو أن الدراسات المتعلقة بالنسيان الموجه تُظهر أنه من الممكن أحيانًا أن يجعل المرء نفسَه ينسى شيئًا ما. ومع ذلك، فإن معظم النسيان يحدث عن غير قصد وإرادة.

الثاني: هو أن مجرد أن الفاعل ليس لديه تحكم كامل في شيء يفعله لا يعني بالضرورة أنه لا يمكن لومه على ما يفعله. قد لا تتطلب المسؤولية الأخلاقية تحكمًا من جانب الفاعل. وستكون هناك مناقشة مزيدة لهذه المسألة في القسم السادس.

4. تعقب اللوم:

بعد مناقشة التقنيات التي تسمح لنا بالتحكم في نسياننا، سأناقش الآن التحكم الذي نملكه في قدرتنا على التذكر في وقت لاحق. هناك أشياء يمكننا القيام بها لتحسين احتمالية أننا سوف نتذكرها لاحقًا. من بين هذه التقنيات كتابة المرء لملاحظات تذكيرية، واحتفاظه بجدول زمني، وحصوله على قسط كافٍ من النوم، وألا يكدّس ذاكرته بمعلومات غير مفيدة. بدلًا من ذلك، يمكن للمرء

ببساطة التّفكير في الشيء الذي يرغب في أن يتذكره لاحقًا. وكلما قل معدل استذكار جزء من المعلومات المخزنة من الذّاكرة زاد احتمال نسيانه. وكما يقول ميكيليان: «يجعل النظام الذاكري السجلات غير قابلة للوصول (جزئيًا) وفق تاريخ استردادها» (2011: 420).

كما رأينا من قبل، يعتمد التقييم الأخلاقي للنسيان الضار جوهريًا على ما دفع الفاعل إلى النسيان، فإذا لم يتبع الفاعل الخطوات التي نتبعها عادة عندما نريد التأكد من أننا سنتذكر جزءًا محددًا من المعلومات لاحقًا، فإننا نحمّله المسؤولية إلى حد أكبر مما لو قام بكل ما في وسعه لمحاولة التذكر، لكنه نسي. للوهلة الأولى، هذا محير. إذ كيف يمكن أن يكون من المناسب إلقاء اللوم على شخصٍ ما؛ بسبب نسيانه لشيء ما إذا لم يفِ بشرطي التحكم والدراية في الوقت الذي نسيه فيه؟

حسب التقرير التعقبي، يمكن أن يكون الفاعل مسؤولًا أخلاقيًا عن الفعل الخطأ حتى لو لم يفِ بشرط التحكم ولا بشرط الدراية وقت الفعل - شريطة أن يكون الفعل يمكن تعقبه سببيًا إلى اختيار أو فعل سابق وشريطة أن يلبي الفاعل شرط التحكم والدراية في الوقت السابق. وحسب الاصطلاح الكلاسيكي الذي أدخله سميث H.M. Smith (1983: 547)، يمكننا أن نقول: إن التفسير التعقبي للخطأ الناشئ عن جهل يتضمن سلسلة من فعلين: فعل بلا تبصر، وفعل خاطئ لاحق لا يقوم على معرفة. والفعل الذي بلا تبصر هو الذي «يفشل فيه الفاعل في أن يُحسّن (أو يضعف إيجابيًا) وضعه المعرفاني»، وبموجبه يقوم الشّخص لاحقًا بارتكاب الفعل غير المشروع عن غير عمد. ويلخص تالبرت Talbert (2016: 141) التقرير التعقبي على النحو التالي:

> «تساعدنا مبادئ التعقب في تفسير كيف يمكن أن يكون الشّخص مسؤولًا عن فعلٍ ما في حين أنه يفتقر، في وقت هذا الفعل، إلى بعض عناصر التحكم أو المعرفة التي تبدو جوهرية للمسؤولية الأخلاقية. ونحن نبرهن على دعوى المسؤولية في مثل هذه الحالة من خلال تعقب افتقار الفاعل

للتحكم أو المعرفة بالعودة إلى القرارات التي اتخذها عندما لم تُمَس قدراته (و/ أو معرفته). وبالتالي، فإن السائق المخمور مسؤول أخلاقيًا؛ لأن الأفعال التي يقوم بها في أثناء هذا الخلل يمكن تتبعها إلى خيارات غير ناتجة عن خللٍ ما»[12].

الحاصل هو أننا نستحق اللوم على سلوكنا النابع من الجهل وغير المتعمد إذا كنا نستحق اللوم على جهلنا أو عدم تعمدنا.

لترى كيف تعمل النظرية التعقبية، فكّر في فاعليْن: A و B، نسي كل منهما عيد ميلاد شريكته، لكن في حين أن هذه هي المرة الأولى التي ينسى فيها الفاعل A عيد ميلاد شريكته، فإن الفاعل B غالبًا ما كان ينسى عيد ميلاد شريكته. حدسيًا، الفاعل B يستحق اللوم أكثر من الفاعل A؛ لأنه كان على دراية بميله لنسيان أعياد الميلاد، أو على الأقل كان بإمكانه أن يكون كذلك، وبالتالي، يُتوقع منه اتخاذ احتياطات إضافية لمنع تكرار حالات فشل الذّاكرة هذه، والنتيجة هي أنه إذا كان لدى الفاعل وصول إبستيمي إلى حقيقة أنه ينسى بسهولة أعياد الميلاد، فمن المعقول أن نتوقع منه اتخاذ تدابير من شأنها تذكيره والبحث بنشاط عن عناصر الذّاكرة القابلة للوصول إليها لحظيًا. وعندما لا يتخذ هذه الخطوات الإضافية لتذكر أعياد ميلاد الأصدقاء المقربين والعائلة، ثم ينساها، فإنه يستحق اللوم على النسيان. يمكن تعقب اللوم إلى وقت سابق عندما عرف الفاعل تاريخ عيد الميلاد وكان لديه خيار إعداد تذكيرات من شأنها أن تمنع النسيان.

غني عن القول: إن درجة استحقاق اللوم على النسيان الضار لها تعلق بأمور كثيرة، منها العلاقة التي بين الفاعل والفرد (الأفراد) المتضرر. لرؤية هذا فكر مرة أخرى في حالة عيد الميلاد المنسي. عندما يكون الشّخص المعني هو

---

(12) يميز تالبرت (Talbert (2016, pp. 130-141 بين النسخ المختلفة لوجهة النظر التعقبية. ولمناقشة وجهات النظر التعقبية، انظر: Peels (2011)، وH.M. Smith (2011)، وTimpe (2011)، وVargas (2005).

شريكتك، فمن المتوقع أن تعمل بجد أكبر لتذكر عيد ميلادها مما لو كانت، مثلًا قريبة من الدرجة البعيدة. الفكرة هنا هي أن الشّخص ملتزم بالتزامات خاصة تجاه من يتعلق بهم علاقة خاصة، على سبيل المثال: الأصدقاء، والعائلة، والزملاء، وتجاه أولئك الذين قدم لهم وعودًا أو التزامات من نوعٍ ما.

إن وجهة النظر التعقبية هي استراتيجية قوية لتفسير سبب معقولية تحميل مرتكب الخطأ المسؤولية الأخلاقية حتى لو يكن على دراية بأنه ارتكب أي خطأ ولم يكن متحكمًا في ما يقوم به. ومع ذلك، فمن المشكوك فيه أن وجهة النظر التعقبية تستوعب كل حالات النسيان المستحق اللوم. إذ يؤكد عدد من المؤلفين أن هناك حالات للأفعال الخاطئة يكون فيها الفاعل مسؤولًا حدسيًا على الرغم من أن فعله الخاطئ لا يمكن تتبعه إلى فعل سابق أو إغفال يمثل أساسًا لمسؤوليته الأخلاقية الحالية. فمثلًا: يرى ماثيو تالبرت أنه «من الممكن على الأقل أن يكون بعض الفاعلين الناسين أو الشاردين مستحقين اللوم دون ارتكاب فعل خاطئ سابق» (2016: 147). وللتعرف على حدود تقرير التعقب، فكر في المثال التالي[13]:

الرضيعة المنسية: جيل Jill هي أم عزباء لطفل يبلغ من العمر سبع سنوات وطفلة تبلغ من العمر عشرة أشهر، عليها اصطحاب ابنها من المدرسة الابتدائية، وعادة ما تكون الرضيعة في المنزل في أثناء ذهاب الأم إلى المدرسة. ومع ذلك، اليوم لم تأتي جليسة الأطفال، وخرجت جيل من المنزل ومعها رضيعتها. وعلى الرغم من أن الجو كان حارًا جدًا، إلا أن استقبالها لابنها لم يستغرق سوى بضع دقائق، لذلك تركت جيل رضيعتها النائمة في السيارة في أثناء ذهابها للإتيان بابنها، لكن هذه المرة، استُقبلت جيل بقصة متشابكة عن سوء سلوك ابنها، والعقاب غير المدروس، والأخطاء الإدارية التي تتطلب ساعات من الفهم الساخط.

---

(13) صُمِّم هذا المثال على غِرار مثال قدمته شير Sher (2009: 24). في مثال شير: يُنسى كلب في السيارة، وليس رضيعة.

خلال ذلك الوقت، عانت الرضيعة، ونُسيت في السيارة المغلقة. وعندما وصلت جيل وابنها أخيرًا إلى موقف السيارات، وجدوها فاقدة الوعي؛ بسبب الإعياء الحراري[14].

أول شيء تجب ملاحظته بشأن هذه الحالة هو أن هناك أمورًا أشد أهمية من حالة عيد الميلاد المنسي المناقشة سابقًا، فعلى الرغم من أن نسيان الشريك لعيد ميلاد شريكته قد يكون مزعجًا لها للغاية، إلا أن درجة الضرر الذي يلحق بها بسبب عدم تذكره عيد ميلادها لا تُقارن بالضرر الذي يلحق بالرضيعة جراء تعريض حياتها للخطر، مع تساوي كل شيء آخر، عندما تكون هناك أمور أشد أهمية، نتوقع أن يتخذ الفاعل المزيد من الاحتياطات؛ حتى لا ينسى عنصر الذَّاكرة المعني، بخلاف الوضع الذي تكون فيه المخاطر منخفضة، ففي الموقف الذي قد تؤدي فيه عاقبة نسيان شيءٍ ما إلى وفاة شخصٍ ما، يجب على الفاعل أن يتحقق مرتين وثلاث مرات؛ للتأكد من أنه لم ينسَ. فما يُعد إجراءً مناسبًا لتذكر أعياد ميلاد الأصدقاء والعائلة قد لا يُعد إجراءً مناسبًا لتذكر الأشياء الأهم. إن أهمية عنصر الذَّاكرة تابعة جزئيًا لدرجة الضرر الذي يحدث في حالة نسيان العنصر المذكور.

للوهلة الأولى، قد تبدو حالة الطفلة المنسية متوافقة تمامًا مع التقرير التعقبي. إذ يمكن إرجاع مسؤولية جيل عن إصابة طفلتها بضربة الشمس، مثلًا: إلى مسؤوليتها عن عدم ضبط مُنبه هاتفها الخلوي في أثناء وجودها بعيدًا عن السيارة. وبدلًا من ذلك، يمكننا إرجاع خطأ جيل إلى قرارها أخذ الرضيعة إلى

(14) منذ العام 1998، توفي 376 طفلًا في الولايات المتحدة؛ بسبب ضربة الشمس، لأن القائمين على رعايتهم نسوهم في السيارات (انظر /http://noheatstroke.org). يتحدث عالم النفس ديفيد دياموند David Diamond عن متلازمة الطفل المنسي. ووفق دياموند، عندما يقوم الناس بأفعال معتادة، فإنهم يفعّلون وضع الطيار الآلي. وعندما تكون الأشياء مختلفة في الواقع، يخلق الدماغ واقعًا بديلًا يطابق كيف تكون الأشياء عادة عندما ينخرط الشّخص في فعل اعتيادي. تحدث الهفوة الذاكرية المأساوية التي يُطلَق عليها اسم: "متلازمة الطفل المنسي" عندما يسترشد الفاعل بهذا الواقع البديل، (انظر http://psychology.usf.edu/faculty/data/ddiamond/baby-sy.pdf).

المدرسة أصلًا. إذ كان عليها أن تطلب من أحد الجيران أن يراقب طفلتها في الوقت الذي تأتي بابنها من المدرسة. ومع ذلك، من المهم أن نفهم أنه في حين أن هذه تفسيرات جيدة تمامًا لسبب كون جيل ملامة لتعريض حياة رضيعتها للخطر، إلا أنها لا تفسر استحقاق نسيان جيل للّوم. للتعبير عن هذه النقطة بقوة، افترض أننا أرجعنا استحقاق جيل اللوم على إصابة طفلتها بضربة الشمس إلى قرارها بعدم ضبط منبه هاتفها الخلوي. في هذه الحالة، نحن نلوم جيل على التسبب عن عمد في موقف تطلب منها أن تتذكر أن طفلتها في السيارة. لكن إلقاء اللوم على جيل لقرارها الاعتماد على ذاكرتها التي لا تساعدها هو شيء، وإلقاء اللوم عليها لفشلها في التذكر شيء آخر تمامًا.

كي يفسر التقرير التعقبي استحقاق نسيان جيل اللوم علينا أن ننص على أن جيل كانت تعرف، أو كان يجب أن تعرف، على أساس الخبرة الماضية، أنها تنسى أشياء مهمة بسهولة. فإذا كانت تعرف هذا عن نفسها، وقررت مع ذلك الاعتماد على ذاكرتها غير المساعدة في موقف حياة أو موت، فحينئذٍ فقط يمكننا إرجاع نسيانها لما سماه سميث «التصرف غير المتبصر benighting act"، وهو تصرف يكون الشّخص على درايةٍ به، ويتحكم فيه، ويؤدي إلى التصرف الخطأ الذي لا يتحكم فيه الشّخص؛ لأنه ليس على دراية بقيامه بهذا التصرف. ومع ذلك، إذا كانت ذاكرة جيل عن الأشياء المهمة، قبل التصرف الخاطئ، لم تخيبها قط، فليست لديها أسباب مقنعة لعدم الثقة في قدرتها على تذكر هذه الأشياء. وإذا لم يكن لديها أسباب وجيهة لعدم قدرتها على تذكر الأشياء المهمة، فإن التقرير التعقبي لا يمكنه أن يفسر استحقاق نسيانها اللوم. بعبارة أخرى، يمكن للتقرير التعقبي أن يفسر استحقاق النسيان الضار للوم فقط إذا افترض أن الشّخص يكون، أو لديه أسباب وجيهة ليكون، على دراية بأن موثوقية ذاكرته أقل من المتوسط.

يبدو أنه لا يمكن إنكار أن هناك حالات من النسيان الضار، حيث لم تكن لدى الفاعل، قبل ارتكابه للتصرف الخاطئ عن غير قصد، أسباب وجيهة للتشكيك في موثوقية ذاكرته. يمكن توضيح حالة الرضيعة المنسية لتناسب هذا

القالب. لكن هذا يثير تساؤلًا بشأن كيف يمكننا تفسير استحقاق اللوم في حالات النسيان الضار عندما لا يمكن إرجاع التصرف الخاطئ إلى تصرف غير متبصر؟ يُعنى القسمان التاليان بتفسيرات المسؤولية الأخلاقية في حالات النسيان غير التعقبية.

5. "الإنسان العقلاني" في مقابل أنا وأنت:

تحتوي الأدبيات المتعلقة بالجهل الملوم تقريرين عن استحقاق اللوم لحالات النسيان غير التعقبية: شرط الدراية الحرة للمسؤولية الأخلاقية وللإسنادية.

هذا القسم هو مناقشة لشرط الدراية الحرة.

أما الإسنادية، فهي موضوع القسم التالي.

يمكننا تفسير الحدس القائل: إن جيل تستحق اللوم؛ بسبب نسيانها الطفلة من خلال تعديل شرط الدراية فيما يتعلق بالمسؤولية الأخلاقية. وفق نسخة شرط الدراية المذكورة في القسم الثاني، لا يستحق الفاعل اللوم على فعل ما إلا إذا كان على دراية بما يقوم به. لا تستوفي جيل هذا الشرط في الوقت الذي ترتكب فيه تصرفها الخاطئ؛ لأنها غفلت عن أنها تركت الطفلة في السيارة المتوقفة. كي يكون شرط الدراية قابلًا للتطبيق على حالة الرضيعة المنسية، يجب تعزيز الشرط على نحو يشبه ما يلي:

> شرط الدراية الحرة S: يكون مسؤولًا أخلاقيًا عن الفعل فقط إذا (1) كان S على دراية بالقيام بـ A (بالوصف المناسب)، أو كان من شأن الإنسان العقلاني في موقف S أن يكون على دراية بالقيام بـ A (بالوصف المناسب)، و(2) يقوم S بـ A على الأقل جزئيًا على أساس اعتقاد أن A خطأ أخلاقيًا (في حالة الفعل المستحق اللوم) أو جائز/ إلزامي أخلاقيًا (في حالة الفعل المستحق الثناء)[15]

(15) يعود مفهوم الشخص الذكي وغير المتحيز عقلًا إلى العصور القديمة (راجع Lucas، 1963). إن

إن الفكرة المطبّقة على حالة الرضيعة المنسية هي أن جيل تستحق اللوم؛ بسبب ضربة الشمس التي أصابت طفلتها؛ لأن الشّخص العقلاني في موقفها كان سيتذكر الطفل في الوقت المناسب. ويُعبَّر عن الدافع الذي وراء شرط الدراية الحرة في الاقتباس التالي:

«يكون الجهل، سواء أكان ظرفيًا أم معياريًا، جديرًا باللوم إذا كان من المتوقع على نحو معقول أن يتخذ الفاعل تدابير من شأنها تصحيحه أو تجنبه، في ضوء قدراته والفرص التي يوفرها السياق الاجتماعي، لكنه لم يقم بذلك، بسبب ضعف الإرادة أو بسبب الممارسة العازمة الملامة لرذائل مثل: الثقة المفرطة، والغطرسة، وصرف النظر، والكسل، والوثوقية، وعدم الاكتراث، والتساهل مع الذات، والتحقير، وما إلى ذلك» (FitzPatrick, 2008، ص. 609).

يثير شرط الدراية الحرة نوعين من المسائل:

أولًا: هناك مسألة ما الذي قد ينساه الشّخص العقلاني، إن كان ينسى؟

ثانيًا: هناك مسألة ما الذي يميز الشّخص العقلاني في موقف الفاعل ومقدار ما سيتذكره الشّخص العقلاني في موقف محدد؟ وسأناقش هذه المسائل بدورها.

إن النسيان له عواقب سيئة، لكنه يقوم أيضًا بوظائف قيمة. فالنسيان يعزز الرفاهية الذاتية عن طريق الحد من الوصول إلى الذكريات السلبية وتقليل التأثيرات غير السارة، ويوجه معالجة المعلومات للحاضر والمستقبل من خلال ضمان أن الاعتقادات حديثة ومحدَّثة، ويفر أساسًا للحصول على الاعتقادات الدلالية والإجرائية من خلال السماح بالتجريد والتشغيل الآلي automatization

---

المكون (1) لشرط الدراية الحرة مشابه لصياغة فارغاس Vargas لشرط الدراية: «كي يكون الفاعل مسؤولًا عن بعض النتائج (سواء أكان فعلًا أم عاقبة)، فإن النتيجة يجب أن تكون متوقعة على نحو معقول لذلك الفاعل في وقت سابق مناسب» (Vargas, 2005, p.274).

(Nrby)، 2015). ومع ذلك، على الرغم من حقيقة أن للنسيان قيمة تكيفية، إلا أنه يظل غير عقلاني. ويعود ادعاء أن النسيان غير عقلاني إلى جون بروم John Broome (2013: 178) الذي يؤكد أن العقلانية تتطلب استمرار الاعتقاد فضلًا عن استمرار النية. ينص مطلب استمرار الاعتقاد على أنه من العقلاني التخلي عن اعتقاد ما لم يكن لدى المرء سبب كافٍ للتخلي عنه. وينص مطلب استمرار النية على أنه إذا كانت لدية نية، فمن غير العقلاني التوقف عن امتلاك هذه النية دون سبب كافٍ. يرى بروم كذلك أن النسيان لا يوفر سببًا كافيًا للتوقف عن امتلاك اعتقاد محدد أو نية محددة، وأن شرطَيْ الاستمرار يتطلبان بالتالي ألا ننسى.

يستند ادعاء بروم أن النسيان غير عقلاني إلى فكرة أن أي تغير في ثقة الفاعل فيما يتعلق بـ p يجب أن يكون نتيجة لتغير ما في الدليل الذي يمتلكه الفاعل لاعتقاد p. ووفق هذا الرأي، فمن غير العقلاني بالنسبة لك أن تتخلى عن اعتقاد p فقط إذا كنتَ قد حصلت على دليلٍ جديد يشير إلى ليس-p. هذا الموقف مقبول فقط بقدر ما نركز على التغيرات المقصودة في ثقة الشّخص فيما يتعلق بـ p. لكن التغير في الثقة فيما يتعلق بـ p الذي ينتج عن نسيان p عادة ما يحدث عن غير قصد (راجع القسم الثالث)، وبقدر ما يكون النسيان حدثًا ذهنيًا سلبيًا، يكون غير عقلاني. وكما يقول ويليامسون (2000: 219) «النسيان [غير القصدي] ليس غير عقلاني، إنه فقط أمر مؤسف». قد لا ينسى الفاعل العقلاني شيئًا عن قصد، لكنه قد ينسى شيئًا عن غير قصد. إن العقلانية لا تتطلب الذّاكرة الكاملة.

على التسليم بأن النسيان غير المُتعمد ليس غير عقلاني، فإن السّؤال الذي يطرح نفسه هو: إلى أي مدى يمكن للشخص العقلاني أن يتذكر في موقف محدد؟

وفق شرط الدراية الحرة، يكون الفاعل مسؤولًا عن الضرر الذي ينجم عن نسيانه شيئًا ما إذا كان الشّخص العقلاني سيتذكر الشيء المعني. هناك طريقة

أخرى لتوضيح هذه النقطة، وهي أن نقول: إن الفاعل يستحق اللوم على الضرر الناجم عن نسيانه p إن كان الحال هو أنه: لو بحث بنشاط عن p في ذاكرته لكان بإمكانه تذكر p. ومع ذلك، تكمن المشكلة في تقديم توصيف عام لأنواع الأنشطة التي يجب على الفاعل اجتيازها ليوصف بأنه بحث بنشاط عن عنصر ذاكري ما.

في القسم الرابع، رأينا أن أنواع الأنشطة التي نتوقع أن ينخرط فيها الفاعل لتذكر شيءٍ ما تعتمد، من بين أمور أخرى، على أهمية عنصر الذّاكرة (حيث تكون الأهمية تابعة لدرجة الضرر الناتج إذا نُسي العنصر المذكور). والنقطة المهمة هي أنني لا أرى كيف يمكننا أن نقول بأي درجة معقولة من الدقة: ما أنواع الأنشطة المسببة للتذكر التي يمكن أن ينخرط فيها الشّخص العقلاني (على عكس أنا وأنت) حتى يتذكر شيئًا ما ومدى قدرة الشّخص العقلاني على التذكر. ومع ذلك، فإن حقيقة أن الاقتراح قيد النظر لا يمكن أن يعطي حكمًا محددًا في حالة افتراضية مبسطة مثل حالة الرضيعة المنسية تبدو سببًا وجيهًا لاستبعاده.

6. الإسنادية في مقابل التحكم:

دعونا نتراجع خطوة إلى الخلف، ونذكّر أنفسنا بموضعنا في البنية الجدلية. بدأنا بتفسير استحقاق اللوم على النسيان الضار من خلال إرجاعه إلى فعل سابق كان الشّخص على درايةٍ به، ويتحكم فيه. يؤدي الفعل السابق إلى النسيان غير المقصود الذي لا يتحكم فيه الشّخص. ورأينا أن مشكلة التقرير التعقبي تكمن في أنه يمكن فقط تفسير استحقاق اللوم على النسيان إذا افترضنا أن الفاعل على دراية بأن موثوقية ذاكرته أقل من المتوسط، وقد أدى ذلك إلى طرح سؤال حول كيفية تفسير استحقاق النسيان اللوم في الحالات التي يفشل التقرير التعاقبي في التعامل معها، حيث لا تكون لدى الشّخص أسباب وجيهة للتشكك في موثوقية ذاكرته. تتمثل إحدى الاستراتيجيات في إضعاف شرط الدراية، بحيث يفي به

الشّخص عندما ينسى العنصر المعني، ويتسبب في الضرر. أما الاستراتيجية الأخرى التي سنناقشها في هذا القسم، فتتمثل في تطوير مفهوم للمسؤولية الأخلاقية مستقل تمامًا عن شرط الدراية وشرط التحكم. فإذا أمكن إثبات أن المسؤولية الأخلاقية لا تتطلب دراية ولا تحكمًا، سيبدو أن التقييم الأخلاقي للنسيان الضار لا يثير مشكلة خاصة.

إن الإسنادية هي الرأي القائل: إن الفاعلين لا تلزمهم تلبية شرطي التحكم والدراية كي يلام أو يُمدح سلوكهم على نحو صحيح. وفق الإسنادية، كل ما هو مطلوب لاستحقاق الفاعل اللوم على فعله الخاطئ هو أن يُنسب السلوك إلى الفاعل وإلى موقفه من الآخرين. ويكون الفعل قابلًا للإسناد إلى الفاعل إذا كان يعبّر عن استجاباته العاطفية، ومواقفه attitudes الآلية، وقيمه. وعلى الرغم من أن الاستجابات والمواقف العاطفية غير إرادية، إلا أنها تعطي فكرة جيدة عن الشّخصية الأخلاقية للفاعل. بل أحيانًا تكون هذه الصورة التي توفرها الاستجابات والمواقف أفضل من تلك التي توفرها أفعال الفاعل الطوعية، والتي قد ينفذها لأسباب استراتيجية بحيث يخفي مشاعره الحقيقية[16].

لرؤية الإسنادية عمليًا، فكر مرة أخرى في حالة نسيان عيد الميلاد. عادة لا يكون نسيان عيد ميلاد الشرك نتاج فعل يهدف عن قصد إلى التسبب في هفوة ذاكرية. علاوة على ذلك، إذا لم ينسَ الشّخص عيد ميلاد شريكه قط من قبل، فلا يكون لديه سبب وجيه للشك في قدرته على تذكر عيد الميلاد دون الاعتماد على أدوات خارجية، مثل: كتابته في الجدول الزمني. لكن إذا لم تكن لديه أسباب وجيهة للتشكك في قدرته على تذكر عيد ميلاد شريكه، فلن ينجح التقرير التعقبي. فبقدر ما نعتقد أن الهفوة الذاكرية تستحق اللوم رغم ذلك، علينا أن

---

(16) ومن بين مؤيدي الإسنادية:
Frankfurt61-52 Talbert, 2016, pp. و 9-118 H.M. Smith, 2011, pp. (1988)، وScanlon (1998)، وSher (2009)، وA. Smith (2005). ونقيض الإسنادية يسمى الطوعية volitionism. ومن بين مؤيدي الطوعية Sidgwick (1907, p.59-61)، وTaylor (1970, pp.241-52)، وWallace (1994, pp.131-2).

نلجأ إلى تقرير عن استحقاق اللوم يختلف عن التقرير التعقبي. وفق الإسنادية، فإن الهفوة الذاكرية تستحق اللوم إذا كانت تعبّر عن موقف الفاعل تجاه الأشخاص الآخرين، الشريك في هذه الحالة. فمثلًا: ستكون تعبيرًا عن موقف الفاعل من شريكته إذا لم يكن عمومًا يهتم كثيرًا بها، ولم يعترف بخطئه، ولم يعتذر عندما يعلم بهفوته الذاكرية. فإذا لم يشعر الفاعل بالحاجة إلى الاعتذار، فسوف يُظهر تجاهلًا للطريقة التي تؤثر بها أفعاله في مشاعر شريكته.

توضح شير Sher (2009: 24) الإسنادية من خلال مثال: كلب منسي (في مقابل الطفلة المنسية) في سيارة متوقفة من قِبل مالكتها التي اسمها: "أليساندرا Alessandra". وقد أطلقت شير على هذه الحالة اسم: "الكلب المحموم Hot Dog". تجادل شير بأن أليساندرا تستحق اللوم عن إصابة كلبها بضربة الشمس، لكن السبب في أنها تستحق اللوم ليس أنها (كما يقول الرأي التعقبي) «فشلت بإهمال في القيام بشيءٍ ما كان سيمنعها من نسيان [الكلب]» (2009: 36)، وإنما تستحق أليساندرا اللوم على إيذاء الكلب؛ لأن سلوكها انخفض إلى ما دون مستوى الرعاية التي يدين بها صاحب الكلب لحيوانه الأليف؛ ولأن سلوكها يعكس موقفًا تقييميًا أساسيًا يستحق اللوم. تقول شير: «إذا...كانت أليساندرا أقل وسوسة بشأن بأطفالها، أو كانت أقل قلقًا بسبب التباس الوضع - فلن تنسى أمر الكلب» (2009: 92). وبالتالي، كي يتمكن القائل بالإسنادية من عزو اللوم في حالة النسيان الضار عليه أن يجادل بأن السلوك الضار يمثل الشّخصية الأخلاقية للفاعل بشكل عام وموقفه من الفرد المتضرر بشكل خاص.

لا شك في وجود حالات تكون الاستراتيجية الإسنادية مناسبة، ولكن هناك أيضًا حالات للنسيان الضار يكون فيها موقف الفاعل من الآخرين ممتازًا. لرؤية هذا فكر في نسخة الكلب المحموم، حيث تحب أليساندرا كلبها بشدة وكانت، حتى وقوع الحادث، مالكة نموذجية للكلاب. تبدو الاستراتيجية الإسنادية مخصَّصة لغرض ad hoc في الحالات التي لا يكون فيها للفاعل تاريخ من ارتكاب أخطاء من النوع المحدد، وحيث لا يتلاءم السلوك الضار مع الشّخصية العامة للفاعل. لماذا يجب علينا اتهام أليساندرا بأنها موسوسة بشأن

أطفالها أو بأنها لا تحب كلبها بصدق حتى نتمكن من لومها على المرة الأولى التي نسيت فيها الكلب في السيارة؟ لماذا يجب أن نفترض أن الفعل الخاطئ يعكس دائمًا شخصية الفاعل؟ يكمن الشاغل في أن التقرير الإسنادي عن استحقاق النسيان للوم قد يغرينا بإساءة تفسير الشّخصية الأخلاقية للفاعل لنكون قادرين على لومه على المخالفة التي ارتكبها.

7. الخلاصـــة:

من الخطأ الاعتقاد أننا لا يمكن أن نكون مسؤولين أخلاقيًا عن النسيان؛ لأن النسيان، من حيث المبدأ، يقع خارج تحكمنا. إذ أحيانًا يكون لدينا تحكم في نسياننا. عندما يكون النسيان في نطاق تحكمنا، فلا شك أنه يكون المحل المناسب للثناء واللوم. لكن يمكننا أيضًا أن نكون مسؤولين أخلاقيًا عن نسيان شيءٍ ما عندما يكون نسيانه لا تحكم لنا فيه. تحتوي الأدبيات التقارير الثلاثة عن استحقاق النسيان الذي لا يتحكم فيه الفاعل للوم - التقرير التعقبي، وشرط الدراية الحرة، والإسنادية. كان الهدف من هذا الفصل هو فحص كل من هذه التقارير وتوضيح إيجابياتها وسلبياتها. على الرغم من أن هذه التقارير متنافسة بشأن استحقاق اللوم على النسيان الضار، إلا أنها متوافقة مع بعضها البعض. على وجه التحديد، من الممكن التوصل إلى موقف يؤيد التقرير التعقبي لأنواع محددة من النسيان الضار والإسنادية لأنواع أخرى من النسيان الضار. لكن هذا المزيج من التقرير التعقبي والإسنادية هو موضوع فصل آخر[17].

---

(17) أنا ممتن للغاية لمورا بريست Maura Priest واثنين من المراجعين المجهولين على تعليقاتهم على مسودة سابقة وعلى المحادثات المتعلقة بموضوع الورقة. أود أيضًا أن أنوه بالدعم المالي من جائزة الأستاذية لألسكندر فون همبولت Alexander-von- Humboldt.

المراجع:

Alfano, M. (2016). *Moral psychology: An introduction*. London: Polity.

Altmann, E. M., & Gray, W. D. (2002). Forgetting to remember: The functional relationship of decay and interference. *Psychological Science*, *13*, 27-33.

Anscombe, G. E. M. (1957). *Intention*. Oxford: Blackwell.

Baddeley, A. (2014). *Essentials of human memory*. New York: Psychology Press.

Barnier, A. J., Conway, M. A., Mayoh, L., Speyer, J., Avizmil, O., & Harris, C. B. (2007). Directed forgetting of recently recalled autobiographical memories. *Journal of Experimental Psychology: General*, *136*, 301-322.

Birch, C. (2000). Memory and punishment. *Criminal Justice Ethics*, *19*, 17-31.

Bjork, E. L., & Bjork, R. A. (1996). Continuing influences of to-be-forgotten information. *Consciousness and Cognition*, *5*, 176-196.

Bjork, E. L., Bjork, R. A., & Anderson, M. C. (1998). Varieties of goal-directed forgetting. In J. M. Golding & C. M. MacLeod (Eds.), *Intentional forgetting: Interdisciplinary approaches* (pp. 103-137). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Bjork, R. A. (1989). Retrieval Inhibition as an adaptive mechanism in human memory. In H. L. Roediger & F. I. M. Craik (Eds.), *Varieties of memory and consciousness: Essays in honor of Endel Tulving* (pp. 309-330). Hillsdale: Lawrence Erlbaum.

Bjork, R. A., & Vanhuele, M. (1992). Retrieval inhibition and related adaptive peculiarities of human memory. In J. F. Sherry & B. Sternthal (Eds.). *Advances in consumer research* (Vol. 19, pp. 155-160). Provo: Association for Consumer Research.

Broome, J. (2013). *Rationality through reasoning*. London: Wiley-Blackwell.

Caine, E. D., Weingartner, H., Ludlow, C. L., Cudahy, E. A., & Wehry, S. (1981). Qualitative analysis of scopolamine-induced amnesia. *Psychopharmacology (Berl.)*, *74*, 74-80.

Driver, J. (2009). Memory, desire, and value. In C. Grau (Ed.), *Eternal sunshine of the spotless mind* (pp. 80-93). London: Routledge.

El Haj, M., Postal, V., Le Gall, D., & Allain, P. (2011). Directed forgetting of autobiographical memory in mild Alzheimer's disease. *Memory*, *19*, 993-1003.

Evers, K. (2007). Perspectives on memory manipulation: Using beta-blockers to cure post-traumatic stress disorder. *Cambridge Quarterly of Healthcare Ethics*, *16*, 138-146.

FitzPatrick, W. J. (2008). Moral responsibility and normative ignorance: Answering a new skeptical challenge. *Ethics*, *118*, 589-613.

Frankfurt, H. (1988). The importance of what we care about. In H. Frankfurt (Ed.), *The importance of what we care about* (pp. 8-94). Cambridge: Cambridge University Press.

Frise, M. (2018). Forgetting. In D. Debus, D. Perrin, & K. Michaelian (Eds.), *New directions in the philosophy of memory* (ch. 11). London: Routledge.

Haji, I. (2008). *Incompatibilism's allure: Principle arguments for incompatibilism*. Ontario: Broadview Press.

Hardt, O., Nader, K., & Nadel, L. (2013). Decay happens: The role of active forgetting in memory. *Trends in Cognitive Sciences*, *17*, 111-120.

Joslyn, S. L., & Oakes, M. A. (2005). Directed forgetting of autobiographical events. *Memory and Cognition*, *33*, 577-587.

King, D. J. (1992). Benzodiazepines, amnesia and sedation: Theoretical and clinical issues and controversies. *Human Psychopharmacology, 1*, 79-87.

Kober, A. J. (2006). Therapeutic forgetting: The legal and ethical implications of memory dampening. *Vanderbilt Law Review, 59*, 1561-1626.

Liao, S. M. (2017). The ethics of memory modification. In S. Bernecker & K. Michaelian (Eds.), *The Routledge handbook of the philosophy of memory* (pp. 373-382). London. Routledge.

Lucas, J. R., (1963). The philosophy of the reasonable man. *Philosophical Quarterly, 13*, 96-106.

MacLeod, C. M. (1998). Directed forgetting. In J. M. Golding & C. M. MacLeod (Eds.), *Intentional forgetting: Interdisciplinary approaches* (pp. 1-57). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Matheson, D. (2013). A duty of ignorance. *Episteme, 10*, 193-205.

Michaelian, K. (2011). The epistemology of forgetting. *Erkenntnis, 74*, 399-424.

Nrby, S. (2015). Why forget? On the adaptive value of memory loss. *Perspectives on Psychological Science, 10*, 551-578.

Pastalkova, E. Serrano, P., Pinkhasova, D., Wallace, E., Fenton, A. A., & Sacktor, T. C. (2006). Storage of spatial information by the maintenance mechanism of LTP. *Science, 313*, 1141-1144.

Peels, R. (2011). Tracing culpable ignorance. *Logos and Episteme, 2*, 575-582.

Pitman, R., Sanders, K. M., Zusman, R. M., Healy, A. R., Cheema, F., Lasko, N. B.,

Cahill, L., & Orr, S. P. (2002). Pilot study of secondary prevention of posttraumatic stress disorder with propranolol. *Biological Psychiatry, 51*, 189-192.

Scanlon, T. M. (1998). *What we owe to each other*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Shema, R., Sacktor, T. C., & Dudai, Y. (2007). Rapid erasure of long-term memory associations in the cortex by an inhibitor of PKM zeta. *Science, 317*, 951-953.

Sher, G. (2009). *Who knew? Responsibility without awareness*. New York: Oxford University Press.

Sidgwick, H. (1907). *The methods of ethics*. Chicago: University of Chicago Press.

Smith, A. (2005). Responsibility for attitudes: Activity and passivity in mental life. *Ethics, 115*, 236-271.

Smith, H. M. (1983). Culpable ignorance. *Philosophical Review, 92*, 543-571.

Smith, H. M. (2011). Non-tracing cases of culpable ignorance. *Criminal Law and Philosophy, 5*, 115-146.

Talbert, M. (2016). *Moral responsibility*. Cambridge: Polity.

Taylor, R. (1970). *Good and evil*. New York: Palgrave Macmillan.

Timpe, K. (2011). Tracing and the epistemic condition on moral responsibility. *The Modern Schoolman, 88*, 5-28.

Vaiva, G., Ducrocq, F., Jezequel, K., Averland, B., Lestavel, P., Brunet, A., & Marmar, C. R. (2003). Immediate treatment with propranolol decreases posttraumatic stress disorder two months after trauma. *Biological Psychiatry, 54*, 947-949.

Vargas, M. (2005). The trouble with tracing. *Midwest Studies in Philosophy, 29*, 269-291

Wallace, J. R. (1994). *Responsibility and the moral sentiments*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Williamson, T. (2000). *Knowledge and its limits*. Oxford: Oxford University Press.

الفصل الثالث عشر

موافقة دون ذاكرة[1]

كارل كريفر Carl F. Craver و شاينا روزنباوم R. Shayna Rosenbaum

1. مقدمـــة:

هل يمكن لشخصٍ مُصاب بفقدان الذَّاكرة الاستطرادية أن يوافق على المشاركة في تجربة علمية؟ يُنظر إلى الذَّاكرة الاستطرادية على نطاق واسع على أنها قدرة المرء على التذكر المتعمد لخبرات محددة من ماضيه الشّخصي (Tulving، 1985).

لا يستطيع الأفراد المصابون بالفقدان الحاد للذاكرة الاستطرادية أحيانًا أن يتذكروا استطراديًا ولو حدثًا واحدًا من هذا النوع، ويفشلون في تكوين ذكريات استطرادية جديدة تبقى معهم. في بعض الحالات الخاصة، يعاني هؤلاء الأفراد قصورًا شديدًا في الذَّاكرة الاستطرادية، وفي الوقت ذاته تظل قدرتهم الفكرية والوظائف المعرفانية الأخرى، (مثل: الاستذكار الدلالي، والتعلم الإجرائي، والذَّاكرة العاملة) في نطاق التحكم (Rosenbaum et al.، 2005). يوفر هؤلاء الأفراد فرصة فريدة للتحقيق في كيفية مساهمة الذَّاكرة الاستطرادية على وجه الخصوص في القدرات المعرفانية الأخرى، وبشكل عام في حياة كل شخص

(1) شكرًا لــ: آندري أريو André Ariew، وباسكال بوير Pascal Boyer، وبريان كاربنتر Brian Carpenter، وجوليا دريفر Julia Driver، ولين غرين Len Green، وتشارلي كورث Charlie Kurth، وجويل مايرسون Joel Myerson، وباميلا سبيه Pamela Speh، وإيمي رافين Amy Ravin، ورودي روديغر Roddy Roediger، وريتشارد روبن RichardRubin، وماريا شاكتمان Marya Schechtman، وإريك ويلاند Eric Wiland للمناقشات التعليقية المفيدة. وشكرًا بالخصوص إلى إندل تولفنغ ودونا كوان Donna Kwan على الإلهام والعمل التجريبي. وأخيرًا، شكرًا لكينت وروث وعائلة كوركين Cochrane للسماح بهذا النوع من الوصول إلى حياتهم الذي يجعل عملًا كهذا ممكنًا.

على حدة، يمكننا بالتالي أن نعكس السّؤال الافتتاحي: ما الذي تسهم به الذّاكرة الاستطرادية، إن كانت لها مساهمة، في حقيقة أن الأشخاص يمكنهم الموافقة، وبالتالي، من حقهم الموافقة؟

يمكن التّفكير في الذّاكرة الاستطرادية على أنها تحتوي مكوّنين: المكون البنائي (Mullaly & Maguire, 2014; Rosenbaum et al., 2009; Rubin & Umanath, 2015; Schacter et al، 2012)، من أجل توليد خبرات محددة من التمثيلات المخزنة عبر وبين الكيفيات modalities المختلفة: (البصرية، اللمسية، الشمّية... إلخ)، والمكوّن الذاتوي الذي يعطي للمرء شعورًا بأنه يعيد اختبار شيءٍ ما فعله في الماضي (Tulving, 1983؛ Mahr & Csibra يصدر قريبًا).

لم يعد بإمكان الأفراد المصابين بفقدان الذّاكرة الاستطرادية القياسية إعادة بناء أو إعادة اختبار تفاصيل ماضيهم الشّخصي في الذّاكرة (Tulving, 1985; Rosenbaum et al، 2005).

في كل من العلم والثقافة الشعبية، تُمنح قدرتنا على إعادة معايشة ماضينا الشّخصي في الذّاكرة مكانة مركزية في حياتنا كأشخاص. بين العلماء المعرفانيين، يتزايد الربط بين الذّاكرة الاستطرادية وقدرات أخرى مماثلة ومركزية حدسيًا، أو تُحدَّد بها: القدرة على تخيل المستقبل الشّخصي (على سبيل المثال: Atance & O'Neill, 2001; Klein, Loftus, & Khilstrom, 2002; Michaelian, 2016), (Schacter et al., 2012; de Brigard، 2014)، والقدرة على تخيل احتمالات الماضي المضادة للواقع (Schacter et al., 2012; de Brigard، 2014)، والقدرة على الانخراط في "السفر الزمني الذهني" (Tulving, 1985, 1993; Suddendorf & Corballis, 2007; Boyer، 2008)، والقدرة على امتلاك شعور شخصي بالزمانية temporality (Dalla Barba and La Corte، 2013). كثيرًا ما يوصف الأفراد المصابون بفقدان الذّاكرة الاستطرادي بأنهم محاصرون «في زمن المضارع المستمر» (Corkin، 2013) دون أي إحساس منهم بماضيهم أو مستقبلهم، فمثلًا: وصف أوليفر ساكس Oliver Sacks (1985) حياة "جيمي ج.

Jimmie G. '، وهو شخص مصاب بفقدان الذّاكرة الاستطرادية؛ بسبب متلازمة كورساكوف، بأنه «رغوة هيومية Humean froth»، «ترفرف على السطح».

إن هذا الرأي الشعبي المتعلق بمركزية الذّاكرة الاستطرادية في حياتنا كأشخاص لمّا يُختبَر بعد. إذ لمّا يمتلك أخصائيو علم النفس العصبي بعد تصورًا أخلاقيًا للأفراد الذين يعانون أنواعًا مختلفة من فقدان الذّاكرة: توصيف معقد لما إذا كان غياب الذّاكرة الاستطرادية يؤثر في القدرات المطلوبة للفرد حتى يستحق، مثلًا: الحق في الموافقة، وهذا جزئيًا لأننا لا نملك تحديدًا واضحًا للقدرات المطلوبة وغير المطلوبة لاستحقاق هذا الحق. ولكن هذا يرجع جزئيًا أيضًا إلى أننا لم نبدأ إلا للتو في فهم ما تسمح لنا الذّاكرة الاستطرادية بفعله، ولا يمكن فعله بذاكرة أخرى أو أنظمة معرفانية أخرى، وبالتالي، ما تسهم به الذّاكرة الاستطرادية، هنا والآن، في قدرتنا كفاعلين أو كأشخاص بأقصى معنى لتلك المصطلحات. توفر حالة الموافقة مجالًا يمكن التعامل معه لمعالجة هذا الموضوع الهائل والمهم.

يواجه السّؤال الفلسفي، المجرد، المتعلق بالموافقة الواقع الصعب للممارسة في كل مرة يزور فيها الباحث فردًا يعاني عجزًا معرفانيًا عن أداء حتى أكثر الاختبارات التجريبية بساطة. يجب اتخاذ قرار بشأن ما إذا كان الفرد قادرًا على الموافقة، وما إذا كان ينبغي منح الموافقة بالوكالة، أو، كما هو الحال في مجموعتنا، ما إذا كان يجب الحصول على موافقة كل من المشارِك والوكيل (مقاربة "الموافقة المزدوجة").

لقد لفتت المناقشات الحديثة لمقاربة سوزان كوركين Suzanne Corkin لحالة هنري مولايسن (H.M. Henry Molaissen) انتباه عام إلى حقيقة أن فكرتنا العادية عن "الموافقة" تتعرض لضغوط شديدة عند العمل مع الأفراد ذوي الإعاقة المعرفانية (Dittrich, 2017, pp. 327-329; Begley, 2016; Levine، 2016). فإذا كان الأفراد الذين يعانون الذّاكرة الاستطرادية يفتقرون إلى الخيال، ولا يمكنهم محاكاة المستقبل الشّخصي المحتمل، ولا يمكنهم إعادة معايشة

أخطائهم، ولا يمكنهم التَّفكير في الوقائع-المضادة أو تقييمها، وهم مسجونون في حاضر أبدي، كما تشير أفضل نظرياتنا الحالية عن وظيفة الذَّاكرة الاستطرادية، فإن من المعقول أنهم يفتقرون إلى المهارات الأساسية اللازمة لاتخاذ القرارات بأنفسهم. وربما من الأفضل أن يتخذ الوصي القرارات نيابة عنهم.

لقد اعتمدتْ مجموعتنا على مقاربة الموافقة المزدوجة؛ تحديدًا لأنها تترك الباب مفتوحًا أمام إمكانية أن يكون الفرد الفاقد للذاكرة قادرًا على الموافقة بنفسه. ونبدأ (في القسم الثاني) بتفسير سبب كون هذه المقاربة لا تمدنا، في الواقع، ببديل أفضل أخلاقيًا للموافقة بالوكالة. يتناول الجزء المتبقي من الفصل ما إذا كانت الذَّاكرة الاستطرادية مطلوبة للحصول على الموافقة. ويجادل القسم الثالث انطلاقًا من اعتبارات مجردة أن من المعقول أن الموافقة لا تتطلب الذَّاكرة الاستطرادية، بل ربما لا تتطلب الذَّاكرة بشكل أعم.

في القسم الرابع، نجادل بالاعتماد على النتائج التجريبية باستنتاج مفاده أن الأفراد الذين يعانون فقدان الذَّاكرة قد تكون لديهم القدرات النفسية اللازمة لاتخاذ قرار بشأن موافقتهم بأنفسهم على التجربة.

نركز هنا على حالة كينت كوكرين Kent Cochrane (1951-2014) المعروف في الأدبيات العلمية بـ: (K.C)، المثال الأشهر والأكثر دراسة هو لشخص يعاني أوجه قصور محددة في الذَّاكرة الاستطرادية (Rosenbaum، 2005؛ وانظر أيضًا Branswell، 2014). أصبح فقدان الذَّاكرة الاستطرادي لكينت واضحًا على نحو تدريجي بعد حادث دراجة نارية في العام 1981 تعرض فيه كينت لصدمة دماغية كبيرة، شملت (على سبيل المثال لا الحصر) مناطق رئيسة من الفصوص الصدغية الإنسية المعروفة بتضمنها في الذَّاكرة الاستطرادية. كان فقدان الذَّاكرة الاستطرادية الذي يمتد من الماضي ويمنعه تكوين ذكريات استطرادية جديدة باقية، فريدًا في كل من شدته (لم تذكر كينت خبرة شخصية واحدة) وفي تخصيصه الواضح. ومع ذلك، فإن ما تعلمناه من كينت له تداعيات

مهمة بالنسبة للأفراد الآخرين الذين قد يكون فقدانهم للذاكرة الاستطرادية أقل تعلقًا بالجراحة وأقل شمولية.

2. الموافقة المزدوجة:

تتضمن مقاربة الموافقة المزدوجة شخصين يمنحان الموافقة في عملية الموافقة: على سبيل المثال: كينت ووالدته، روث Ruth. وقد صُمّمت المقارنة لحل معضلة عملية تنشأ في العمل مع الأفراد ذوي الإعاقات المعرفانية. وتحديدًا، نحن لا نعرف ما إذا كان كينت، قبل اختباره، قادرًا على الموافقة. إذا أعطيناه هذا الحق وهو لا يستحقه، فإننا نعرضه للمخاطر ذاتها التي صُممت قوانين الموافقة من أجل تجنبها. ومع ذلك، إذا حرمناه من هذا الحق وهو يستحقه، فإننا نسلبه أهليته القانونية للموافقة التي صُممت قوانين الموافقة من أجل حمايتها. من الواضح أنه لا يصح أي خَيار من هذين الخيارين، ويمكن لأي منهما أن يضر بكينت.

تَعِد مقاربة الموافقة المزدوجة بمسار ثالث: إذا كان بإمكان كينت الموافقة (وأبلغ على النحو الصحيح ويتصرف طوعًا)، فإنه يفيد الموافقة عند توقيعه على المستند. أما موافقة روث، فزائدة من المنحى الأخلاقي (حتى لو كانت مفيدة عمليًا أو قانونيًا). إذا لم يتمكن كينت من الموافقة، فإن موافقة روث تكون لها الصدارة، وتتحول "موافقة" كينت التي يرغبها إلى "مجرد إيماءة بالموافقة"، أي: مجرد استعداد مُعبَّر عنه للتوافق مع الخطة. وإذا لم يُومِئ كينت بالموافقة، أو أراد إيقاف الاختبار في وقتٍ لاحق، فإن هذا يُبطل أي شيء قاله هو أو روث من قبل. تعالج مقاربة الموافقة المزدوجة المعضلة العملية من خلال مراعاة كل أطراف الموقف، حيث تسمح لكينت بالموافقة إذا استطاع، وتسمح للوكيل بالقيام بذلك إذا لم يستطع.

هل تدعم مقاربة الموافقة المزدوجة القيم التي صُممت قوانين الموافقة لحمايتها؟ جرى تبني تشريع نورمبرغ Nuremberg Code في مواجهة الفظائع

النازية لوضع معايير لاستخدام البشر في التجارب العلمية. وتبرز قيمتان رئيستان في هذه الوثيقة: منع الإساءة، وحماية الاستقلالية (أي: قدرة الفرد على اتخاذ القرارات بنفسه). كما أنها مصممة بوضوح لحماية ثقة الجمهور في العلم.

يمكن القول: إن مقاربة الموافقة المزدوجة تحمي كينت من الإساءة أفضل من سياسة السماح له بالموافقة بنفسه. ولا بد أن تكون كذلك فضلًا عن السماح لروث بالموافقة نيابة عن ابنها. من الواضح أن أي خَيار من هذين الخيارين مُفضَّل على الخيار غير القانوني المُتمثِّل في ترك القرار للمُجرِّب.

تُدخل الموافقة المزدوجة طبقتين من الموافقة بين المجرّب والمشارك، الأمر الذي يقلل احتمالية السماح بإجراء تجربة ضارة ومن احتمالية حدوث أي إساءة مما لو اتخذ المشارك القرار بمفرده. ولهذا السبب، فإن مقاربة الموافقة المزدوجة تحمي ثقة الجمهور، وتشجع الشعور بأن الباحثين والمعالجين السريريين يهتمون بحماية المشاركين المحتمل فقدانهم الأهلية من الضرر؛ ونظرًا لأن هذه السياسة مرنة وسهلة التطبيق، فإنها توفر طريقة ملائمة للتعامل مع الحالات الطارئة التي قد تظهر مع فرد محدد، أو مع فرد محدد بمرور الوقت، أو عبر أفراد مختلفين تمامًا لديهم اختلالات متداخلة.

أخيرًا، يتميز نموذج الموافقة المُزدوجة بميزة عدم تقديم معرفة ذاتية قد تكون ضارة، أو، وهو الأسوأ، تشخيصات نفسية أخلاقية غير دقيقة ومؤذية، فمقاربة الموافقة المزدوجة لا تتضمن، مقارنة بموافقة الوكيل، في عملية الموافقة ذاتها، أن يكون كينت غير قادر على منح الموافقة. فهي تتجنب، بأن تبقى محايدة، إدخال وصمة عار قد لا تكون بلا مبرر تتمثل في عدم الأهلية تحت ستار حماية كينت من الضرر.

ومع ذلك، إن تفحصنا الأمور نجد أنه في الواقع لا يُوجد فرق أخلاقي في حالة كينت بين مقاربة الموافقة المزدوجة والموافقة بالوكالة، وسيتضح هذا التكافؤ بالخصوص إذا اختلف كينت مع روث بشأن مواصلة التجربة (وهو سيناريو لم يحدث قط، على حدِّ علمنا). في ظل هذه الظروف، فإن آليات

التحكم الزائدة عن الحاجة والمفيدة للغاية في تحقيق الأهداف النفعية التي ناقشناها سابقًا تتعارض مع بعضها البعض. فإذا وافق كينت، ولم توافق روث (ربما لأن كينت يستمتع بالاختبار، في حين روث لديها أشياء أفضل للقيام بها)، فنحن مضطرون للتعامل مع المقدمة التي صُمِّمت مقاربة الموافقة المزدوجة لتجنبها: علينا اتخاذ قرار بشأن ما إذا كان يمكن أن يوافق كينت من تلقاء نفسه. إذا لم يستطع، فإن نموذج الموافقة المزدوجة يفيد بالحكم الصحيح. لكن إذا كان باستطاعته، فإن رأي روث ليس أكثر أهمية من رأي أم أخرى حول ما يقوم به ابنها البالغ من العمر 60 عامًا. يجب أن يتكلم كينت باسم نفسه.

تكشف هذه المشكلة عن شيء غير مُرضٍ فكريًا بشأن مقاربة الموافقة المزدوجة حتى عندما يتفق كينت مع روث. إذا كان كينت مؤهلًا لاتخاذ القرارات بنفسه، فإن ضرورة موافقة روث المنصوص عليها في نموذج المقاربة المزدوجة ليست مجانية فحسب وإنما تجعل قدرة كينت المحفوظة على اتخاذ القرار وهمية. في الواقع، إذا كان كينت قد فكر في الأمر، فربما يكون قد استوعب أن نموذج المقاربة المزدوجة لا نفع فيها ولا تسلية أو هي أسوأ من ذلك. لذا فإن مقاربة الموافقة المزدوجة لا تتعرف حقًا من السّؤال الأخلاقي. علينا أن نسأل مباشرة عما إذا كان شخصٌ ما سُلبت منه قدرة ذاكرته الاستطرادية، وكل ما يترافق معها، قد يستحق رغم ذلك الحق في الموافقة.

3. موافقة دون ذاكرة:

حدسيًا وعلى نحو سابق للتأمل، يبدو أن الذّاكرة تؤدي دورًا جوهريًا في تتبع ما وافق عليه الشّخص، وما لم يوافق عليه. إذا لم يستطع كينت تذكر منحه الموافقة، فقد يظن المرء على نحو معقول أنه لا يمكنه تتبع ما وافق عليه، وما لم يوافق عليه. إذ يُقطع الخيط الذي يصل بين لحظة الموافقة وثبوت الأمر، وتفقد "الموافقة" كل معناها (Dittrich, 2016, pp. 329-331).

ومع ذلك، فإن هذا الحدس لا يتناسب مع الأشياء التي نعرفها بالفعل عن

الموافقة. فمثلًا: عادة ما تُمنح الموافقة كتابيًا. نحن لدينا هذه الممارسة؛ تحديدًا لأننا نعرف أن ذاكرتنا كثيرًا ما تخفق. ويوفر التوثيق دليلًا على اتفاق ملزم أُبرم في لحظة الموافقة. إذا ظهرت شكوك حول ما إذا كانت الموافقة قد مُنحت أو حول ما وافق عليه المرء بالضبط، فإن الوثيقة تتفوق قانونيًا على البُنى الضعيفة للذاكرة.

يجب أن تقودنا هذه الحقيقة العادية إلى التساؤل عما إذا كان الخيط الذي يربط لحظة الموافقة ولحظة ثبوت الأمر يجب أن يُقطَع من الذَّاكرة الاستطرادية على وجه الخصوص. إذا كان من الممكن تكوين الرابطة بين هذه الأوقات بقطعة ورق، فليس هناك سبب وجيه للاعتقاد أن الموافقة تتطلب أن يكون المرء قادرًا على إعادة تنشيط ذاكرة خبراتية حية للحظة التي مُنحت فيها الموافقة. نحن لا نطلب مثل هذه الأشياء للاقتطاعات الشهرية من الحساب البنكي لتمويل: الإذاعة العامة، أو الزواج، أو الجنس. نحن لا نقوم بتصوير أو تسجيل مثل هذه اللحظات بالفيديو للحفاظ على الموافقة بتفاصيلها الدقيقة. وإذا كانت التفاصيل الاستطرادية غير ضرورية في تعاملاتنا العادية المتعلقة بالموافقة، فلماذا تأخذ مركز الصدارة عندما نفكر في الموافقة على تجربة علمية؟

إن طريقة التَّفكير هذه ستكون ملائمة بلا شك للخارجانيين في فلسفة الذهن (Clark & Chalmers، 1998). إذ لا يلزم أن تكون الشروط المعبّرة عن استمرارية الموافقة "داخل الجمجمة"، وإنما يمكن أن تحملها سقالة خارجية. ومن هذا المنظور، يمكن أن يتساوى إبقاء الخيط الذي يصل بين لحظة الموافقة ولحظة ثبوت الأمر بالكتابة على ورقة أو التخزين في بقية رقمية digital أو رسم وشم على الصدر. ربما لم يستطع كينت الموافقة بلا عون من أي أحد أو أي شيء، لكن ربما يمكنه الموافقة بمساعدة روث، أو قلم رصاص وورقة، أو هاتف محمول (انظر: Fluharty & Priddy, 1993; Sohlberg & Mateer، 1989).

ومع ذلك، هناك حقيقة عادية ثانية تقوض حتى فكرة أن الموافقة تتطلب خيطًا بين لحظة الموافقة ولحظة ثبوت الأمر: إذ بشكل روتيني نتطلب الموافقة

ونمنح الموافقة على الأفعال التي لا يمكننا تذكرها، أو التّفكير فيها، أو فهمها في لحظة الثبوت. فنحن نوافق على الجراحة التي نكون خلالها فاقدي الوعي، ونوافق على حصاد أعضائنا عندما نموت. في كل من الحالتين، لا يمكن حتى تذكر الموافقة عندما تحين لحظة الثبوت. كما لا توجد أي معرفة يجب أن تكون في ذهن الشّخص مانح الموافقة (أو، إن جاز القول: يمتلكها). ففي الواقع، ربما لم يعد المانح موجودًا. يبدو أن الموافقة يمكن أن تدوم أكثر من أفكارنا، وحياتنا الجسدية، بل أجسادنا (راجع: Nagel، 1970).

إذا كان الأمر كذلك، فإن اللاعبين السببيين الرئيسين في الموافقة يظهرون في وقت منح الموافقة. عندما يمنح المرء موافقته، فإنه يسمح (مباشرة) لشخصٍ ما بفعل شيء لم يكن مسموحًا له في السابق بفعله. هذا التغيير في علاقات المرء الأخلاقية بالآخرين ليس، في المقام الأول، تغييرًا في البنية السببية للعالم. وإنما هو تغيير في بنية العالم الأخلاقية: فيما يجوز وما لا يجوز. لفهم كيفية ارتباط الأشخاص بالآليات السببية التي دُرست في العلوم النفسية والدماغية، يجب علينا عبور فجوة بين طريقين مختلفين تمامًا «من أجل تتبّع» البشر وعلاقاتهم. يجب أن نربط عالمًا من المعايير بعالم الأسباب (Haugeland، 1993). من المنظور المعياري، يُنظر إلى الأشخاص بِعدِّهم عقدًا nodes في شبكات من: الالتزامات، والواجبات، والأذونات، والاستحقاقات، وما شابه، مما يجعل بعض الإمكانات المستقبلية مسموحًا بها دون غيرها. ينبغي ألا نبحث عن الأساس المادي لاستمرارية الموافقة، وإنما عن الشروط المادية لوجود مانحي الموافقة في المقام الأول. يجب أن نسأل بالأحرى: ما أنواع الآليات السببية التي يجب أن تحشدها الطبيعة لخلق كائنات يمكن القول عنها، ومن ثم تستحق بالفعل، أنها توافق باسم نفسها؟

4. الموافقة في حالة فقدان الذَّاكرة: مستنيرة informed، وطوعية، وكاملة الأهلية:

حتى لو لم تتطلب الموافقة جسرًا ذاكريًا أو ماديًا كي تستمر، إلا أنه من الممكن أن يكون كينت يعاني خللًا معرفانيًا يمنعه من أن يكون على استنارة كاملة، أو من الموافقة الطوعية، أو من أن يكون مؤهلًا تمامًا لاتخاذ القرارات بنفسه؛ نظرًا لأن علماء النفس والفلاسفة قد حددوا الذَّاكرة الاستطرادية بقدرات معرفانية أخرى بعيدة المدى، بات من الأسهل افتراض أن الشّخص المصاب بفقدان الذَّاكرة الاستطرادي يجب أن يكون ضعيفًا على نحو جوهري في القدرات المطلوبة لمنح الموافقة المستقلة. ومع ذلك، لا تدعم الأدلة المتاحة هذا الافتراض.

1.4 الموافقة المستنيرة:

هل منع فقدان الذَّاكرة الاستطرادي لدى كينت إنارته بما يُطلَب منه القيام به، أو فِهْمِه؟ حسب روايات الناس، لا شيء في خبرتنا قد يشكك في ذلك. إذ لم يُظهر كينت قط أي صعوبة في فهم عملية الموافقة، أو أي اختبار من الاختبارات التي طُلب منه تنفيذها، فقد كان قادرًا بانتظام على وصف الاختبار بكلماته الخاصة، وبدا أنه يفهم المخاطر الضئيلة والفوائد في كل حالة. في إحدى المناسبات، كان كينت قادرًا على شرح ماهية الموافقة وكيف تعمل. وبغير تلقين من أحد، كرر حقه في الانسحاب. هذا هو بالضبط ما يتوقعه المرء في ضوء أن معرفة كينت الدلالية والإجرائية قبل وقوع الحادث ما زالت محفوظة إلى حد كبير (Rosenbaum et al., 2005; Tulving، 1985). وقد لُوحظ حاليًا مظهر الأعراض ذاته في العديد من الأفراد، وفي الواقع، بعض الأفراد الذين يعانون اختلالات في الذَّاكرة الاستطرادية ناتجة عن صدمةٍ ما في مرحلة الولادة قد تخرجوا من المدرسة الثانوية وشغلوا وظائف (على سبيل المثال: -Vargha Khadem, Gadian, & Mishkin، 2001). باختصار: لا يُوجد سبب للشك في أن

كينت يجب أن يخفق في فهم ما يُطلب منه القيام به أو ما كان يُطلب منه التخلي عنه في لقاء الموافقة.

ومع ذلك، قد يتساءل المرء عما إذا كان الاستيعاب المفاهيمي لموقف الموافقة كافيًا لفهم ما تنطوي عليه الموافقة. فمثلًا: إذا كان الأفراد الفاقدون الذَّاكرة محاصرين في زمن المضارع المستمر (Corkin، 2013) أو يفتقرون إلى زمانية شخصية (Dalla Barba and La Corte، 2013)، فيمكن القول: إنهم لا يقدّرون التقدير الكامل لما يُطلب منهم الآن من أجل السماح بتصرف مستقبلي، أو ربما يفتقرون إلى الفهم المطلوب للزمن (Hoerl، 1999). بالفعل يواجه الأفراد المصابون بفقدان الذَّاكرة الاستطرادي صعوبات في توليد تفاصيل الأحداث الشّخصية المستقبلية في تناسب مباشر مع مدى فقدانهم للذاكرة (Kwan et al., 2010; Rosenbaum، 2005). فعلى سبيل المثال: ليس بإمكان كينت توليد سيناريو مستقبلي واحد يتضمن نفسه (Tulving، 1985). وعندما سُئل عن شعوره بمحاولة الإجابة على السّؤال، وصفه بأنه: «مثل النوم»، أو «الفراغ»، أو الوجود في غرفة لا يوجد بها شيء و«يخبرك رجل بالذهاب للعثور على كرسي».

على الرغم من هذه الاختلالات الشديدة، إلا أن أحد اختبارات المعرفة الزمنية لكينت أظهر عدم وجود خلل كبير. إذ يمكنه سرد الأحداث المهمة في الحياة (مثل: ولادته، وتخرجه، وحادث سيارة، وتحطم قطار) وترتيبها في جدول زمني بالتسلسل الصحيح تقريبًا، وهذا يعني أنه فهم ما أسماه ماك-تاغارت J.M.E. McTaggart "السلسة-B": إذ يُفسَّر الوقت على أنه سلسلة من الأحداث المرتبة في وقت سابق أو لاحق عن بعضها البعض. يمتد فهم كينت الدلالي للسلسلة-B أيضًا إلى المستقبل. يمكن للأفراد الذين يعانون من فقدان الذَّاكرة تنبؤ الأحداث المستقبلية (على سبيل المثال: وفاتهم، والصراعات العالمية على الموارد، وتغير المناخ)، على الرغم من عدم قدرتهم على بناء سيناريوهات شخصية حية تتضمن تلك الأحداث، ويظهر هذا الانفصال أيضًا في الأفراد العاديين (Klein, Loftus, & Kihlstrom، 2002).

كما فهم كينت بوضوح السلسة-A التي صممها ماك-تاغارت: إذ يُرتِّب الوقت على أنه: الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل بالنسبة إلى مؤشر "الآن" (contra Hoerl، 1999؛ لكن انظر McCormack & Hoerl، 1999). في مجموعة من الأسئلة المصممة للتحقق من فهم كينت للسلسلة-A، تمكّن من الفهم الصحيح لمفاهيم: الماضي، والحاضر، والمستقبل، فمثلًا: هو فهم أن الماضي لا يمكن تغييره وأن الحاضر يؤثر في المستقبل وليس العكس (Craver et al. ، 2014). لقد كان كينت، في هذا الصدد، مثل الأفراد الآخرين الذين يعانون فقدان الذَّاكرة الاستطرادية (Klein، 2002). باختصار: تتيح المعرفة الدلالية بـ: الماضي، والحاضر، والمستقبل للأفراد المصابين بفقدان الذَّاكرة الاستطرادية أن يهربوا بشكل شخصي من زمن المضارع المستمر. في الواقع، هذا الاكتشاف تكاثر حاليًا في الأفراد الذين يعانون من فقدان الذَّاكرة النمائي (Vargha-Khadem، بيانات غير منشورة)، مما يشير إلى أن المرء لن يحتاج أبدًا إلى نظام ذاكرة استطرادي يعمل بكامل كفاءته لاكتساب فهم مفاهيمي للسلسلة-A أو لفهم فكرة أن المرء يوافق على حدث مستقبلي.

كان لدى كينت أيضًا آراء محددة حول كيفية توجيه سلوكه فيما يتعلق بالوقت. فقد اختبرناه هو وثلاثة أفراد آخرين يعانون فقدان الذَّاكرة الاستطرادية على المخزون المنظوري للزمن لزيمباردو (Zimbardo Time Perspective Inventory (Zimbardo and Boyd 2015/ 1999)، وهو مجموعة من الأسئلة المصممة لتقييم إلى أي مدى يكون الشّخص إيجابيًا أو سلبيًا بشأن الماضي، وموجهًا نحو المستقبل، وقَدَرِيًّا بشأن الحاضر، ولَذِّيًا بشأن الحاضر. لم يجد كينت صعوبة في فهم الأسئلة أو توليد إجابات ذات معنى. ربما من المدهش أن كينت حقق المئين الأول[2] first percentile على مقاييس اللذّية الحالية وأعلى قليلًا فقط على مقاييس القدرية (Kwan et al. ، 2013). أي: إنه تنصّل على

(2) المئين الأول في الإحصاء هو القيمة التي يقع تحتها أو يسبقها 1% من البيانات، وبعدها 99% من البيانات (المترجم).

نحو إيجابي من المنظورات الزمنية المرتبطة بـ: هُنا والآن. في الواقع، أظهرت أعلى درجاته إيجابيةً تجاه الماضي، وتفضيلًا لتقييم المستقبل. لم تكن اللذية ولا القدرية من التوجهات المهيمنة لدى الأفراد الآخرين الذين يعانون فقدان الذَّاكرة، ففي الواقع لم يحقق أي منهم المئين الخامس في هذه الفئات. إذًا يبدو أنه يمكن للمرء أن يحافظ على مواقف attitudes صحية ونموذجية تجاه: الماضي، والحاضر، والمستقبل في غياب الإسقاط الذاتي الزمني الاستطرادي.

ومع ذلك، ربما يمكن للمرء أن يمتلك هذه المعرفة المفاهيمية، ولكن لا يكون قادرًا على استخدامها لأغراض اتخاذ قرارات أخلاقية معقدة، كما هو مطلوب في لقاء الموافقة. ربما يكون البناء الاستطرادي مطلوبًا لتخيل الأفعال أو تقييمها (Casebeer & Churchland, 2003; Thagard, 2007; Darwin، 1871). للتعامل مع هذه المسألة، اختبرنا كينت وأحد عشر شخصًا آخرين يعانون فقدان الذَّاكرة الاستطرادية على مجموعة من السيناريوهات الأخلاقية المصممة لدراسة اتخاذ القرار الأخلاقي لدى البالغين الأصحاء (Greene et al.، 2001). لم يجد أي منهم صعوبة في فهم الأسئلة. وبدا كل منهم يأخذ في حسبانه مزايا الأفعال الممكنة وعيوبها في كل سيناريو (Craver et al.، 2016). وتماشيًا مع الفرضية التحفيزية لغرين Greene، أظهر كينت تحيزًا كبيرًا نحو الإجابات النفعية: فقد أوضح في كل حالة أن مصلحة الأكثرية تفوق مصلحة الأقلية. وعلى الرغم من أن هذه الاستجابة غير مُعتادة خارج الفلسفة الأكاديمية، إلا أنها قد أظهرت أن كينت يمكنه فهم السيناريوهات الأخلاقية المعقدة، ذات المخاطر العالية والمصالح المتضاربة، ويمكنه أن يفكر في إجابة قابلة للمقارنة بالإجابات التي قد يقدمها جون ستيورات مِل وغرين. لكن الأهم من ذلك هو أنه لم يُظهر أي شخص آخر مصاب بفقدان الذَّاكرة هذا التحيز النفعي، بل أظهر أحدهم تحيزًا معاكسًا، أي: نحو الإجابات الواجبية[3]. أما الآخرون، فكانوا بين هذين النقيضين، كبقية عناصر التحكم. الفكرة الأساسية هي أنه حتى الأفراد الذين

(3) نسبة إلى الواجب الأخلاقي الذي قدمه كانط (المترجم).

يعانون فقدان الذّاكرة الاستطرادي يمكنهم أن يقرروا ما يجب عليهم فعله في المواقف الأخلاقية المعقدة، مثل: الموقف الذي يواجهه الفرد عند منح الموافقة[4].

باختصار: لا يوجد سبب قائم على الدليل لافتراض أن الفرد المصاب بفقدان الذّاكرة الاستطرادية يجب أن يفتقر إلى الموارد المفاهيمية المطلوبة ليكون مستنيرًا في إجراءات الموافقة.

2.4 الموافقة الطوعية:

دعونا ننتقل إذًا إلى مسألة ما إذا كان كينت قادرًا على الموافقة طواعية، قد يشك المرء في قدرة كينت على ذلك من خلال النظر في الآثار المترتبة على فقدانه للذاكرة فيما يتعلق بهويته بـ: مرور الزمن، أو معرفته بنفسه، أو قابليته الفريدة لأشكال من الإكراه.

بدءًا من لوك (1690)، اعتقد العديد من الفلاسفة أن هوية الشّخص تتشكل بمرور الوقت بخيوط الذّاكرة الاستطرادية، وإذا قُطعت هذه الخيوط، فإن كينت-1، في لحظة الموافقة، ليس هو نفسه الشّخص كينت-2 الذي يشارك في المهمة التجريبية. وإذا كان الأمر كذلك، فإن موافقة كينت-1 الطوعية لا علاقة لها بكينت-2 الذي يُجبر على الخضوع للاختبار التجريبي دون الموافقة على القيام بذلك (انظر: Dittrich، 2016).

بقدر ما تبدو هذه الفكرة حدسية، فإن النظرة اللوكية البسيطة للهوية

---

(4) أفاد مكورميك McCormick وآخرون (2016) بأن الميول الواجبية تزيد لدى خمسة أفراد مصابين بضرر في الحصين. بالنظر إلى أننا عادة لا نعرف ملامح الاستجابة الأخلاقية قبل تلف الحصين، فمن الصعب تقييم التسبيب في هذه الحالات. وبقدر منخفض كهذا من للعينات، قد تظهر الاختلافات في ملامح الاستجابة بسبب المصادفة ببساطة. تخمينيًا، يمكن تفسير الأداء النفعي لـ KC من خلال حدوث ضرر إضافي لقشرة KC الأمامية الجبهية البطينية، الذي لم يُكتشف إلا بعد وفاته.

الشّخصية دائرية معيبة (انظر: Butler, 1975/1736; Schechtman، 1990). من أجل أن تؤسس الذَّاكرة هوية الفرد بمرور الوقت، لا بد أن تكون الذَّاكرة ذاكرة حقيقية لا مجرد ذاكرة ظاهرية. وكي تكون ذكرى حدثٍ ما حقيقية، يجب أن يكون الشّخص قد اختبر الحدث السابق. لذا فإن تذكر حدثٍ ما تذكرًا حقيقيًا يفترض مسبقًا الهوية الشّخصية المستمرة، ولا يمكن أن يؤسسها.

هناك وجهة نظر أخرى أكثر قابلية للاستعمال، وهي أن الهوية الدياكرونية يمكن اختزالها إلى شبكة معقدة من الروابط السببية المتشابكة بين حالات الوعي في أوقات مختلفة (Parfit، 1984)، ولا تقتصر هذه الروابط السببية على الذكريات الاستطرادية، وإنما تشمل أيضًا أنواعًا أخرى من الذكريات (على سبيل المثال: الذَّاكرة الدلالية أو الإجرائية)، والاعتقادات والمواقف attitudes المحفوظة، والعواطف والحالات المزاجية، والخبرات الإدراكية المطولة والتخيلات، وما إلى ذلك. إذا كان الأمر كذلك، فإن الذَّاكرة الاستطرادية لا تسهم مساهمة فريدة في الحفاظ على الذات بمرور الزمن، وإنما يمكن الاحتفاظ بهوية كينت بالخيوط السببية باستقلال عن الأنظمة الاستطرادية. وتفقد هذه الفكرة الحدسية القائلة: إن فقدان الذَّاكرة يمزّق حق المرء في التحدث باسم ذاته المستقبلية تبريرها (انظر: Craver، 2012).

لكن حتى لو يتمكن المرء من التشكيك في الحدس اللوكي القائل: إن كنت-1 لا يماهي ميتافيزيقًا كينت-2، فإن هذا الحدس وحده لا يعني أن كينت-1 يجب أن يُمنع من اتخاذ قرارات لصالح كينت-2. ففي النهاية، يشترك كينت-1 وكينت-2 في المعرفة الدلالية ذاتها، والتفضيلات ذاتها، والعادات المستقرة ذاتها، وبمعنى غير مبتذل، الجسم ذاته. وحتى لو كانا شخصين متميزين، بالمعنى التقني والميتافيزيقي، إلا أنه يبدو أنه كينت-1 لديه حجة أقوى من أي شخص آخر للتحدث باسم كينت-2. لذا في ضوء الاختيار بين كينت-1 وروث، يمكن القول: إن كينت-1 هو أفضل مَن يحكم بما يريد كينت-2.

ومع ذلك، قد يتساءل المرء عما إذا كان الأفراد المصابون بفقدان الذَّاكرة الاستطرادية لديهم حقًا معرفة ذاتية كافية للتصرف طواعية. إذ قد يعتقد المرء أن التصرف الطوعي هو تصرف المرء وفق معتقداته وقيمه. إذا كانت الذكريات الاستطرادية تؤسس معرفتنا بـ: من نحن؟ وماذا نفكر؟ وما نحب؟ وما شابه، فقد لا يعرف الفرد المصاب بفقدان الذَّاكرة الاستطرادية نفسه جيدًا بما يكفي للتصرف طوعًا، بالمعنى الكامل للكلمة.

عند النظر في هذه الإمكانية، يجب على المرء أن يلاحظ أنه لا توجد عتبة واضحة تحدد مقدار المعرفة الذاتية التي يجب أن تكون لدى المرء كيف يتصرف طواعية. إذ يختلف الأشخاص الأصحاء اختلافًا كبيرًا في المدى الذي يشكّلون فيه إحساسًا واضحًا بالذات، وفي دقة مفاهيم-الذات التي يشكلونها (انظر: Vazire & Carlson، 2011). أضف إلى ذلك أنه كثيرًا ما يتصرف الناس طوعًا بشخصياتهم غير الطبيعية.

ومع ذلك، بغير حسمٍ لهذه المسائل، فإن السّؤال المهم بالنسبة لنا هو ما إذا كانت الذَّاكرة الاستطرادية تسهم بشيء في الإحساس بالذات لا يمكن بسهولة أن تسهم به المعرفة الذاتية الدلالية لدى المرء. يمكن تخزين معرفة الذات الوصول إليها استطراديًا أو دلاليًا، ويمكن فصل هذين الشكلين من معرفة الذات عن بعضهما البعض، كما ساعد كينت في البرهنة على ذلك (Rosenbaum et al., 2005; Tulving, 1993a). عندما نفكر في أنفسنا على أننا: طموحون، أو مبدعون، أو طيبون، أو مؤذون، أو أنانيون، فإننا ندرج أنفسنا تحت فئات دلالية مجردة، وتُضمَّن هذه المعرفة الفئوية على نحو معقول في حالات الموافقة: يجب أن يعرف الشّخص المانح الموافقة نفسَه جيدًا بما يكفي لمعرفة ما يمكنه، وما لا يمكنه تحمله، وما هي القيم التي يرغب في تعظيمها، وما إلى ذلك.

لقد اختبر تولفنغ مرارًا وتكرارًا كلًا من كينت ورورث فيما يتعلق بمعرفة سمات كينت الفئوية ورغباته، وجعلهما يصفان في اختبارات منفصلة شخصية كينت قبل الحادث وبعده. وعندما طلب منهما تولفنغ وصف شخصية كينت

بشكل عام وشخصيته قبل الحادث، كانت إجاباتهما مطابقة بنسبة 73%. وبافتراض أن روث كانت حاكمًا جيدًا على شخصية كينت، فإن هذه النتائج تشير إلى أن كينت لديه مفهوم دقيق على نحو مقبول عن نفسه. كما يشير إلى أن مفهومه عن نفسه قد تطور ليناسب شخصيته بعد الحادث. من الواضح أن تحديثه لم يعتمد على مخزون استطرادي للنماذج، إذ لم تكن لدى كينت ذكريات استطرادية. إن هذه السمة المتمثلة في متلازمة فقدان الذّاكرة لدى كينت متوافقة مع الأدلة المستقلة الآتية من أفراد آخرين مصابين بفقدان الذّاكرة (مثلًا : Klein, Loftus, and Kihlstrom، 1996) ومن الأفراد الأصحاء (مثلًا : Klein, Sherman, & Loftus، 1996).

بعد توضيح هذه النقاط، يجب الاعتراف بأن الأفراد الذين يعانون اختلالات في الذّاكرة الاستطرادية يعتمدون بوضوح فيما يتعلق باحتياجاتهم اليومية على القائمين على رعايتهم أكثر من الأفراد العاديين. إن قدرتهم على الحركة محدودة، وقد يكونون بحاجة أكثر إلى التفاعل الاجتماعي خارج المنزل (Davidson، 2012). من المحتمل أنهم اعتادوا على معاملة الأطباء على أنهم أصحاب سلطة. ومن المحتمل أنهم يتوقعون فوائد العلاج من التجربة حتى لو قيل لهم ألا يتوقعوا شيئًا. وبهذه الطرق، يكونون عرضة للتأثر بالعوامل الخارجية التي قد تمس طواعية قراراتهم. ومع ذلك، ليس من الواضح ما إذا كانت التأثرات المحتملة في هذه الحالة أكبر من تلك المفروضة فيما يتعلق بالطلاب الجامعيين الذين يحتاجون إلى إنفاق المال، أو فيما يتعلق بمريض السرطان خارج خيارات العلاج القياسية، أو الشّخص الذي يوافق على زراعة الكبد. وهذا يعني أن نقطة ضعف كينت فيما يتعلق بهذا البُعد ليست نتيجة عجز الذّاكرة في حد ذاته، وإنما نتيجة لكونه معاقًا بطريقة تتيح له توقعات واعتمادات غير متاحة للأفراد الأصحاء والمعافين. إن نقاط ضعف كينت الخاصة في هذا الصدد لا تستبعده كمانح للموافقة. وإنما يجب أن تقود الباحثين والإداريين لتصميم إجراءات الموافقة التي تدعم القدرات السليمة للاختيار الطوعي التي قد يحتفظ بها الأفراد ذوو الإعاقة المعرفانية.

3. الموافقة ذات الأهلية:

يتعلق قدر كبير من الأدلة التي ناقشناها في القسمين السابقين بما يعتقده كينت: بشأن العالم، وبشأن نفسه، وبشأن الزمن، وبشأن مدى ملاءمة أو عدم ملاءمة مسارات الفعل المختلفة. لكنها لا تعالج السّؤال الرئيس حول ما إذا كان الاتخاذ الفعلي لكينت لقراراته قد تأثر بسبب فقدانه الذّاكرة.

من السهل أن نتخيل أن الأفراد الذين يعانون فقدان الذّاكرة الاستطرادية يجب أن يكونوا: شاردين، وضعيفي الإرادة، ومندفعين، ويتصرفون غاضّين البصر عن العواقب المستقبلية، فإذا كان كينت محاصرًا في حاضر دائم دون أي إحساس بالماضي أو المستقبل، فقد يتوقع المرء أن يؤثر ذلك في كيفية اتخاذه القرارات، وقد يتوقع المرء أن يكون كينت مندفعًا، ومخاطرًا، ويختار المكاسب الفورية دون نظر في العواقب المستقبلية. أو قد يتوقع المرء أن يكون كينت قد تبنى توجهًا أكثر قَدَريّة تجاه المستقبل، كما لو كان مستقبله ميتًا أو "فارغًا". ومع ذلك، كما هو مفصل لاحقًا، فإن نتائج الدراسات القليلة المتعلقة باتخاذ القرار التي شارك فيها كينت وآخرون يعانون من فقدان الذّاكرة الاستطرادية لم تدعم هذه التوقعات الحدسية.

لتقييم اندفاع كينت ومخاطرته على نحو مستقل عن بعضهما البعض، استخدمنا مهمة مقامرة تورنتو Toronto Gambling Task التي صُممت خصيصًا للاستخدام مع الأفراد ذوي الإعاقة المعرفانية (Floden et al. ، 2008). في هذه المهمة، يميل الشّخص المندفع إلى التصرف في أول فرصة، بصرف النظر عن العواقب المستقبلية. وفي المقابل، يُظهر المجازف تفضيلًا مقررًا لخيارات الاحتمال المنخفض/ العائد المرتفع. ويُكشَف عن هذه التوجهات في العروض التقديمية التصاعدية والتنازلية لمهمة اختيار البطاقة. يجلس المشاركون أمام شاشة الحاسوب. وفي الحالة التصاعدية تظهر البطاقات على الشاشة واحدة تلو الأخرى، مع بعض التأخير، بحد أقصى خمس بطاقات. وفي الحالة التنازلية، تظهر خمس بطاقات على الشاشة، مع إزالة بطاقة في كل مرة، مع بعض

التأخير، حتى تبقى بطاقة واحدة. يمكن للمشاركين إيقاف توزيع الورق في أي وقت. وإذا كانت "البطاقة الرابحة" لديهم عند إيقاف التوزيع، يفوز المشترك بربح يتناسب عكسيًا مع عدد البطاقات الموجودة لديه. يميل المجازف إلى إيقاف العرض ببطاقات قليلة جدًا في كل من الشرط التصاعدي والتنازلي. ويميل المندفع إلى اختيار الخيار الأول المتاح في كل حالة (على سبيل المثال: بعدد قليل من البطاقات في الحالة التصاعدية والعديد من البطاقات في الحالة التنازلية). لم تكن الأنماط السلوكية لكينت مجازفة ولا مندفعة (Rosenbaum et al، 2016). في الواقع، هو أظهر نزعة محافظة عامة، مفضلًا الانتظار حتى تُوزَّع ثلاث أوراق أو أكثر في كل من الظروف التصاعدية والتنازلية.

إن كل هذه التجارب تضمنت اختبار اختيارات كينت بشأن المكافآت الفورية، وهذا لا يشبه موقف الموافقة الذي يتطلب من المرء أن ينظر في المنافع والتكاليف المستقبلية.

هل عدم القدرة على تخيل الأحداث المستقبلية استطراديًا يُضعف قدرة المرء على اتخاذا قرارات بشأن المكافآت المستقبلية؟ ربما يكون التخيل الحي للمستقبل ضروري لاستثماره بأي قيمة على الإطلاق. يبدو أن هذا ليس صحيحًا. ففي مناسبات عديدة، خضع كينت لاختبار قياسي يُطلب فيه من الأشخاص مرارًا وتكرارًا الاختيار بين مكافأة ثابتة في الحاضر ومكافأة أقوَم في المستقبل. وتُرتَّب الاختيارات بحيث تتقارب عند نقطة اللامبالاة، حيث تكون قوى القرار في أي اتجاه من الاتجاهين في حالة توازن، وقد وجدنا أن كينت (وثلاثة آخرين مصابين بفقدان الذَّاكرة) خفضوا قيمة المكافآت المستقبلية، وأدوا أداء حسنًا في نطاق عناصر التحكم (Kwan et al. ، 2012; 2013; 2015). هذا يعني أن كينت يمكنه استثمار المستقبل بقيمةٍ ما على الرغم من عدم قدرته على تخيل سيناريوهات مستقبلية ملموسة وشخصية، وبطريقة أخرى، يتوقع المرء منه أن يخفض القيمة على نحو أسرع بكثير من عناصر التحكم.

بناءً على هذه النتائج، هناك أيضًا بعض الأدلة على أن كينت كان قادرًا

على توقع إمكانية الندم على خياراته وأن يحلل الندم المتوقع في القرارات الحالية. بالنظر إلى الاختيار بين ربح مؤكد أقصاه مليون دولار بفرصة 89% للفوز بميلون واحد، وبين فرصة 10% للفوز بخمسة ملايين، وفرصة 1% لعدم الفوز بشيء، فإن معظم الناس سيختارون الربح المؤكد. ومن التفسيرات الطبيعية والحدسية لهذا التأثر هو أن الناس يتخيلون أنفسهم وهم لا يفوزون بشيء، الفرصة المؤسفة، أي: إنهم يتخيلون مستقبلًا لا شيء فيه سوى الندم. وهذا الندم المرتقب يرجح اختيار الخيار الأول. إذا لم يكن كينت قادرًا على توقع أسفه في مثل هذه المواقف الاختيارية، فعليه أن يلاحق المنافع المتوقعة (التي تكون أكبر في الخيار الثاني). لكن سلوك كينت لم يكن قابلًا التمييز عن عناصر التحكم، ومن ثم يمكن القول: إنه كان قادرًا على توقع الندم في المستقبل وأخذه في الحسبان عند اتخاذ القرارات الحالية (Craver et al، 2014، وعلى النقيض من ذلك، انظر: Hoerl and McCormick، 2016).

باختصار، تُظهر الأدلة المتاحة أن كينت احتفظ بالعديد من القدرات التي تنطوي عليها على نحو معقول أنواع القرارات التي يتخذها الأشخاص. علاوة على ذلك، فإن ممارسته لهذه القدرات جعلته ضمن نطاق الأشخاص العاديين، وبالتالي، ضمن النطاق الذي قد يعتقد المرء أنه مطلوب لاتخاذه القرارات بنفسه.

تشير هذه الدراسات إلى أن قدرات كينت المتعلقة صراحة باتخاذ القرار كانت سليمة إلى حد كبير وأن قراراته بشأن هذه المهام لا يمكن تمييزها عن قرارات عناصر التحكم الأصحاء. ومع ذلك، قد يقلق المرء على نحو معقول من أن فقدان الذّاكرة الاستطرادية يضعف قدرة المرء على تحديث معرفته (وكذلك رغباته وتفضيلاته) بناء على الخبرة. يفشل العديد من الأفراد المصابين بفقدان الذّاكرة الاستطرادية، ومنهم كينت، في مهمة المقامرة أيوا Iowa Gambling task (Gutbrod et al., 2006; Gupta et al., 2009; Rosenbaum et al، 2016).

صُممت هذه المهمة لتقييم قدرة الفرد على تحديث أفعاله المفضلة استجابة

للخبرة المتكررة للنتائج الاحتمالية للقيم المختلفة (Bechara et al، 1994).

ففي هذه المهمة، يُطلب من المشارك إجراء عدد من السحوبات المتسلسلة من أربعة أكوام من البطاقات. وتُجمَع الأكوام بحيث تقدم كومتان مكافآت كبيرة، ولكن في المقابل، يتسببان في خسارة أكبر من المكسب. وتوفر الكومتان الأخريان مكاسب وخسائر أكثر تواضعًا، لكن بشكل عام يتسببان في مكسب أكبر من الخسارة.

إنَّ الهدف من المهمة هو تحديد ما إذا كان المشارك يتعلم تدريجيًا تفضيل البطاقات المربحة على البطاقات غير المربحة. كان أداء كينت في المئين الثاني، فهو اختار من البطاقات غير المربحة ضعف العدد الذي اختاره من البطاقات المربحة، ولم تبدأ تفضيلاته عند أي نقطة في الانحراف في اتجاه البطاقات المربحة (Rosenbaum et al. ، 2016). يشير أداء كينت في مهمة المقامرة جامعة تورنتو إلى أن استجاباته لا تعكس على الأرجح شخصية اندفاعية أو تحيزًا ناتجًا عن تلف دماغه، وإنما يبدو أن هذه النتائج تشير إلى أن كينت لا يحدّث معرفته بالعالم بالسهولة ذاتها التي يُحدِّث بها عناصر التحكم الطبيعيون معرفتهم بالعالم.

تثير هذه النتائج مسألةِ ما إذا كان الأفراد المصابون بفقدان الذّاكرة الاستطرادية يمكنهم ممارسة حقهم في الانسحاب من تجربةٍ ما بنجاح. فعلى الرغم من أنهم يعرفون تفضيلاتهم ويمكنهم اتخاذ قرارات معقولة في ضوئها، إلَّا أنَّ حقيقة أنهم قد لا يحدّثون تفضيلاتهم بالخبرة تزيد من احتمال ضعفهم في معرفة أنَّ التجربة لم تعد مفيدة أو ممتعة، أو ربما تكلفهم على المدى الطويل أكثر مما تكسبهم. إن هذه النتائج تزيد العبء الذي يحمله القائمون على التجربة والقائمون على رعاية هؤلاء المصابين ليكونوا حذرين على نحو خاص لحمايتهم من حدوث ذلك: بأن يسمحوا بفترات راحة متكررة، ويراقبوا المشاركين بحثًا عن علامات الانزعاج، وأن يعيدوا إدارة عملية الموافقة بانتظام. ومع ذلك، من المهم أن نضع في الحسبان أن نتائج "مهمة المقامرة أيوا" تتعلق بتقييمات دقيقة نسبيًا للمكافأة المتوقعة. وعندما تكون علامات المكافأة والعقاب أقوى (أي:

عندما يكون هناك شيء مزعج حقًا)، يتعلم الأفراد المصابون بفقدان الذّاكرة الاستطرادية تجنب المحفزات غير السارة والضارة (كما هو موضح في مهمة كلاباريد Claparède).

5. استنتاج: ارتباط الذّاكرة الاستطرادية بحياتنا الأخلاقية:

من غير المرجح أن تُحسم مسألة أهلية كينت للموافقة بالاعتبارات المفاهيمية والتجريبية الموضحة في هذا الفصل. على العكس من ذلك، فما قدمناه ليس سوى وضع البذور في هذا الوادي الخصب الثري عند ملتقى العلم والفلسفة. تتعلق البيانات حتى الآن بعدد قليل جدًا من الأفراد، وتتعامل مع هذه الأسئلة بأدوات تجريبية محدودة فقط. ويتطلب التقدير الأعمق للعلاقة بين الموافقة وفقدان الذّاكرة تحقيقًا أكثر منهجية في الأهلية على المستوى الشّخصي والفاعلي للأفراد المصابين بفقدان الذّاكرة الاستطرادي من التحقيق الذي قدمناه، وتتطلب أيضًا فهمًا للدور الذي تؤديه الذّاكرة الاستطرادية في حياتنا كأشخاص أكثر عمقًا مما حققته الفلسفة.

ومع ذلك، ربما يكون السّؤال أكثر إثارة للاهتمام من الإجابة في الوقت الحالي. لا يبحث علماء النفس عادة كيف يمكن أن يظهر عمل الذّاكرة الاستطرادية على المستوى الشّخصي من أجل تتبع استحقاقاتنا والتزاماتنا تجاه بعضنا البعض، ولا يتساءلون (عمليًا) عن كيف ترتكز هذه الالتزامات على المعرفة الخبراتية الاستطرادية للعالَم (لاستثناء ملحوظ، انظر: Mahr & Csibra، 2017). إنهم لا يسألون عن الدور الذي تؤديه الذّاكرة الاستطرادية في قدرتنا على تغيير مواقفنا في الفضاء الأخلاقي من خلال: التعهد بالالتزامات، ومنح الأذونات، ومسامحة التجاوزات، وتحمل المسؤولية.

إن السّؤال الحقيقي المتعلق بكيفية الحصول على الموافقة من الأفراد المصابين بفقدان الذّاكرة الاستطرادية هو ذاته نقطة دخول مناسبة وميسرة لسؤال كيف يمكن أن يكون الشّخص ممكنًا في عالم الأسباب. لم يكن الهدف من هذا

الفصل الإجابة على هذا السّؤال إجابة نهائية، وإنما رسم نهج يمكن من خلاله أن تتداخل الفلسفة وعلم النفس-العصبي مع بعضهما البعض في البحث عن إجابات. ومع ذلك، نأمل أن نكون قد توصلنا إلى نتيجة مهمة واحدة: حدوسنا التي لا تقوم على التجريب عن دور الذّاكرة في حياتنا هي مرشد ضعيف جدًا للحقيقة النفسية لكيفية ظهور آليات الذّاكرة الاستطرادية في خياراتنا المستنيرة والطوعية.

ظل كينت وأسرته ملتزمين لأكثر من ثلاثين عامًا بالمشاركة في التجارب العلمية. وقد أتاحوا للباحثين من مختلف التخصصات: (علم النفس، وعلم الأعصاب، والفلسفة) الوصول إلى: منازلهم، وحياتهم، وأذهانهم، مما أدى إلى أكثر من أربعين منشورًا علميًا (والعدد في زيادة) وبرنامج بحثي مخصص لدراسة الذّاكرة الاستطرادية، وقد أُبقي على هذا الترتيب المطول من خلال الإشراف الدقيق واللطيف لقلة من العلماء الرئيسين، بدءًا من إندل تولفنغ. هل ينبغي للعلماء الذين يسيرون على خطاهم أن ينجحوا في بناء علاقات العمل هذه والإبقاء عليها مع الأفراد والعائلات والمطلوبين للعمل على هذه الموضوعات المهمة؟ وهل ينبغي أن يتعاملوا مع هذه الأسئلة بتواضع فلسفي قائم على أفكار معقولة حول ماهية الشّخصية، والفاعلية، والموافقة، والوعد، والتسامح... إلخ؟

قد نشق طريقًا لتعلم المزيد عن كيف تمكنت الطبيعة من خلق نوع من المخلوقات التي يمكنها الموافقة، والتي تستحق الاحترام المميز الذي نمنحه للأشخاص.

المراجع :

Atance, C. M., & O'Neill, D. K. (2001). Episodic future thinking. *Trends in Cognitive Sciences, 5*(12), 533-539.

Bechara, A., Damasio, A.R., Damasio, H., & Anderson, S.W. (1994). Insensitivity to future consequences following damage to human prefrontal cortex. *Cognition 50*: 7-15.

Begley, S. 2016. MIT challenges *The New York Times* over book on famous brain patient-*Scientific American. Scientific American.* Retrieved June 1, from www.scientificamerican.com/article/mit-challenges-the-new-york-times-overbook- on-famous-brain-patient/

Boyer, P. (2008). Evolutionary economics of mental time travel? *Trends in Cognitive Sciences, 12*(6), 219-224.

Branswell, H. (2014). Toronto amnesiac whose case helped rewrite chapters of the book on *Memory Dies, Toronto Star.* April 1. Retrieved from *Thestar.com* June 1, 2017.

Butler, J. (1975/1736). "Personal Identity" from The analogy of religion, natural and revealed, to the constitution and course of nature. In John Perry (Ed.), *Personal Identity* (pp. 99-106). University of California Press.

Casebeer, W. D., & Churchland, P. S. (2003). The neural mechanisms of moral cognition: A multiple-aspect approach to moral judgment and decision-making. *Biology and Philosophy, 18*, 169-194.

Clark, A., & Chalmers, D. (1998). The extended mind. *Analysis*, 7-19.

Corkin, S. (2013). *Permanent present tense: The unforgettable life of the amnesic patient, HM* (Vol. 1000). New York: Basic Books.

Craver, C. F. (2012). A preliminary case for amnesic selves: Toward a clinical moral psychology. *Social Cognition, 30*(4), 449-473.

Craver, C. F., Keven, N., Kwan, D., Kurczek, J., Duff, M. C., & Rosenbaum, R. S. (2016). Moral judgment in episodic amnesia. *Hippocampus, 26*(8), 975-979.

Craver, C. F., Cova, F., Green, L., Myerson, J., Rosenbaumm, R. S., Kwan, D., & Bourgeois-Gironde, S. (2014). An allais paradox without mental time travel. *Hippocampus, 24*(11), 1375-1380.

Craver, C. F., Kwan, D., Steindam, C., & Rosenbaum, R. S. (2014). Individuals with episodic amnesia are not stuck in time. *Neuropsychologia, 57*, 191-195.

Dalla Barba, G., & La Corte, V. (2013). The hippocampus, a time machine that makes errors. *Trends in Cognitive Sciences, 17*(3), 102-104.

Darwin, C. (1871). The descent of man, 2 Vols. *London, 81*, 130-131.

Davidson, P. S. R., Drouin, H., Kwan, D., Moscovitch, M., & Rosenbaum, R. S. 2012. Memory as social glue: Close interpersonal relationships in amnesic patients. *Frontiers in Psychology, 3*, 531.

De Brigard, F. (2014). Is memory for remembering? Recollection as a form of episodic hypothetical thinking. *Synthese, 191*(2), 155-185.

Dittrich, L. (2016). *Patient HM: A story of memory, madness, and family secrets.* New York: Random House Trade Paperbacks.

Floden, D., Alexander, M. P., Kubu, C. S., Katz, D., & Stuss, D. T. (2008). Impulsivity and risk-taking behavior in focal frontal lobe lesions. *Neuropsychologia, 46*(1), 213-223.

Fluharty, G., & Priddy, D. (1993). Methods of increasing client acceptance of a memory book. *Brain Injury*, *7*(1), 85-88.Gupta, R., Duff, M. C., Denburg, N. L., Cohen,

N. J., Bechara, A., & Tranel, D. (2009). Declarative memory is critical for sustained advantageous complex decision-making. *Neuropsychologia*, *47*, 1686-1693.

Gutbrod, K., Krouel, C., Hofer, H., Müri, R., Perrig, W., & Ptak, R. (2006). Decision-making in amnesia: Do advantageous decisions require conscious knowledge of previous behavioural choices? *Neuropsychologia*, *44*, 1315-1324.

Greene, J. D., Sommerville, R. B., Nystrom, L. E., Darley, J. M., & Jonathan, D. C. (2001). An fMRI investigation of emotional engagement in moral judgment. *Science*,

293(5537), 2105-2108.

Haugeland, J. (1993). Mind embodied and embedded. In J. Haugeland (Ed.), *Having thought: Essays in the metaphysics of mind*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Hoerl, C. (1999). Memory, amnesia and the past. *Mind & Language*, *14*(2), 227-251.

Hoerl, C., & McCormack, T. (2016). Making decisions about the future. In K. Michaelian, S.B. Klein, K.Szpunar, eds *Seeing the future: Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel*. Oxford, U.K.: Oxford University Press.

Klein, S. B. (2002). Memory and temporal experience: The effects of episodic memory loss on an amnesic patient's ability to remember the past and imagine the future. *Social Cognition*, *20*(5), 353-379.

Klein, S. B., Chan, R. L., & Loftus, J. (1999). Independence of episodic and semantic self-knowledge: The case from autism. *Social Cognition*, *17*(4), 413-436.

Klein, S. B., Cosmides, L., Tooby, J., & Chance, S. (2002). Decisions and the evolution of memory: Multiple systems, multiple functions. *Psychological Review*, *109*(2), 306.

Klein, S. B., Loftus, J., & Kihlstrom, J. F. (1996). Self-knowledge of an amnesic patient: Toward a neuropsychology of personality and social psychology. *Journal of Experimental Psychology: General*, *125*(3), 250.

Klein, S.B., Loftus, J., & Khilstrom, J.F. (2002). Memory and temporal experience: The effects of episodic memory loss on an amnesic patient's ability to remember the past and imagine the future. *Social Cognition*, *20*: 353-379.

Klein, S. B., Sherman, J. W., & Loftus, J. (1996). The role of episodic and semantic memory in the development of trait self-knowledge. *Social Cognition*, *14*(4), 277-291.

Kwan, D., Carson, N., Addis, D. R., & Rosenbaum, R. S. (2010). Deficits in past remembering extend to future imagining in a case of developmental amnesia. *Neuropsychologia*, *48*(11), 3179-3186.

Kwan, D., Craver, C. F., Green, L., Myerson, J., Boyer, P., & Rosenbaum, R. S. (2012). Future decision-making without episodic mental time travel. *Hippocampus*, *22*(6), 1215-1219.

Kwan, D., Craver, C. F., Green, L., Myerson, J., Gao, F., Black, S. E., & Rosenbaum, R. S. (2015). Cueing the personal future to reduce discounting in intertemporal choice: Is episodic prospection necessary? *Hippocampus*, *25*(4), 432-443.

Kwan, D., Craver, C. F., Green, L., Myerson, J., & Rosenbaum, R. S. (2013). Dissociations in future thinking following hippocampal damage: Evidence from discounting and time perspective in episodic amnesia. *Journal of Experimental Psychology: General*, *142*(4), 1355.

Levine, B. (2016). When patients can't give informed consent to be research subjects.

Scientific American Blog Network. Accessed June 1. <https://blogs>. scientificamerican.com/mind-guest-blog/when-patients-can-t-give-informed-consentto- be-research-subjects/

Locke, J. (1690). *An essay concerning human understanding*. London: Thomas Bassett.

Mahr, J., & Csibra, G. (2017). Why do we remember? The communicative function

of episodic memory. *Behavioral and Brain Sciences*, 1-93.

McCormick, C., Rosenthal, C. R., Miller, T. D., & Maguire, E. A. (2016). Hippocampal damage increases deontological responses during moral decision making. *The Journal of Neuroscience: The Official Journal of the Society for Neuroscience*, *36*(48): 12157-12167. https://doi.org/10.1523/JNEUROSCI.0707-16.2016

McCormack, T., & Hoerl, C. (1999). Memory and temporal perspective: The role of temporal frameworks in memory development. *Developmental Review*, *19*(1), 154-182.

McTaggart, J. M. E. (1993). The unreality of time, Mind XVII (1908). Reprinted in *Time*, Ed. Jonathan Westphal and Carl Levenson. Hackett.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge, MA: MIT Press.

Michaelian, K., Klein, S. B., & Szpunar, K. K. (2016). *Seeing the future: Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel*. Oxford: Oxford University Press.

Mullally, S. L., & Maguire, E. A. (2014). Memory, imagination, and predicting the future: A common brain mechanism?" *The Neuroscientist*, *20*(3), 220-234.

Nagel, T. (1970). Death. *Noûs*, *4*(1), 73-80.

Parfit, D. (1984). *Reasons and persons*. Oxford: Oxford University Press.

Rosenbaum, R. S., Kwan, D., Floden, D., Levine, B., Stuss, D. T., & Craver, C. F. (2016). No evidence of risk-taking or impulsive behaviour in a person with episodic amnesia: Implications for the role of the hippocampus in future-regarding decision-making. *The Quarterly Journal of Experimental Psychology*, *69*(8), 1606-1618.

Rosenbaum, R. S., Khler, S., Schacter, D. L., Moscovitch, M., Westmacott, R.,

Black, S. E., Gao, F., & Tulving, E. (2005). The case of KC: Contributions of a

memory-impaired person to memory theory. *Neuropsychologia*, *43*(7), 989-1021.

Rubin, D. C., & Umanath, S. (2015). Event memory: A theory of memory for laboratory, autobiographical, and fictional events. *Psychological Review*, *122*(1), 1.

Sacks, O. (1985). *The man who mistook his wife for a hat and other clinical tales*. New York: Harper & Row.

Schacter, D. L., Addis, D. R., Hassabis, D., Martin, V. C., Spreng, R. N., & Szpunar, K. K. (2012). The future of memory: Remembering, imagining, and the brain. *Neuron*, *76*(4). doi:10.1016/j.neuron.2012.11.001.

Schechtman, M. (1990). Personhood and personal identity. *The Journal of Philosophy*, *87*(2), 71-92.

Sohlberg, M. M., & Mateer, C. A. (1989). Training use of compensatory memory books: A three stage behavioral approach. *Journal of Clinical and Experimental Neuropsychology*, *11*(6), 871-91.

Suddendorf, T., & Corballis, M. C. (2007). The evolution of foresight: What is mental time travel, and is it unique to humans? *Behavioral and Brain Sciences*, *30*(3), 299-313.

Thagard, P. (2007). The moral psychology of conflicts of interest: Insights from affective neuroscience. *Journal of Applied Philosophy*, *24*, 367-380.

Tulving, E. (1983). *Elements of episodic memory*. Oxford: Oxford University Press.

Tulving, E. (1985). Memory and consciousness. *Canadian Psychology/Psychologie Canadienne*, *26*(1), 1.

Tulving, E. (1993a). Self-knowledge of an amnesic individual is represented abstractly. *The Mental Representation of Trait and Autobiographical Knowledge About the Self. Advances in Social Cognition*, *5*, 147-156.

Tulving, E. (1993b). What is episodic memory? *Current Directions in Psychological Science*, *2*(3), 67-70.

Vargha-Khadem, F., Gadian, D. G., & Mishkin, M. (2001). Dissociations in cognitive memory: The syndrome of developmental amnesia. *Philosophical Transactions of the Royal Society of London B: Biological Sciences*, *356*(1413), 1435-1440.

Vazire, S., & Carlson, E. N. (2011). Others sometimes know us better than we know ourselves. *Current Directions in Psychological Science*, *20*(2), 104-108.

Zimbardo, P. G., & Boyd, J. N. (2015/1999). Putting time in perspective: A valid, reliable individual-differences metric. In *Time perspective theory; Review, research and application* (pp. 17-55). New York: Springer.

الجزء السادس

محتوى وفينومينولوجيا الذّاكرة الاستطرادية والدلالية

الفصل الرابع عشر

فهم محتوى الذّاكرة الاستطرادية

مارك رولاند Mark Rowlands

1. المحتوى القضوي:

لقد سيطر على التّفكير الفلسفي حول المحتوى الذهني، إلى حد كبير، النموذج الذي قدمته المواقف القضوية propositional attitudes. وكان من صاغ مصطلح "المواقف القضوية" هو برتراند راسل (1912)، وذلك للإشارة إلى أي حالة ذهنية تُنسب عن طريق تعبير "أن كذا". فمثلًا: يعتقد جونز Jones أنَّ that الثلج أبيض، أو أن العشب أخضر، أو أن القطة على الحصيرة. فما يلي "أن that" هو جملة كاملة ("الثلج أبيض"، أو "العشب أخضر"، أو"القطة على الحصيرة"). وهذه الجملة الكاملة لها معنى، أو كما يقول الفلاسفة أحيانًا، تعبّر عن قضية. ومن ثم نصل إلى المصطلح "المواقف القضوية". فاعتقاد شيءٍ ما (أو التّفكير في شيءٍ ما، أو الأمل في شيءٍ ما، أو الخوف منه، أو توقعه، وما إلى ذلك) هو الوجود في علاقة محددة: (اعتقاد، تفكير... إلخ) مع قضيةٍ ما - حيث يُفهم هذا على أنه معنى الجملة التي تلي كلمة "أن". وهكذا، بدأ الفلاسفة، بعد أن استحوذ عليهم هذا النوع من التصور، يفكرون في المحتوى الذهني على أنه قضوي أو يشبه القضية على الأقل. محتوى الحالات الذهنية له البنية ذاتها مثل القضية. ففي محتوى اعتقاد أن القطة على الحصيرة، يوجد مكوّن يمثل القطة (الفاعل) ومكوّن يمثل الحصيرة (الموضوع)، وعنصر يمثل العلاقة (الحملية) "تكون على".

في الوقت ذاته، من الصعب التغاضي عن حقيقة أن العديد من الحالات

الذهنية لا تُنسب عن طريق "أن وجملة بعدها". أنا أنوي صنع رجل ثلجي، وقطع العشب، وإطعام القطة. فأي محاولة لتقديم إسنادات النية بطريقة "أن وجملة بعدها" - أنا أنوي أن أصنع رجلًا ثلجيًا، أن أقطع العشب، وأن أطعم القطة - تبدو مفتعلة في أحسن الأحوال. فالجمل: "صنع رجل ثلجي"، و"قطع العشب"، و"إطعام القطة" ليست جملًا كاملة، وعلى هذا النحو لا تعبّر عن قضايا، إذًا كيف نفهم محتوى القضايا؟ يشغل الإدراك أرضية وسيطة مثيرة للفضول: إذ تبدو إسنادات الإدراك قابلة للتعبير عنها بطريقة "أن وجملة" وبدونها. أستطيع رؤية القطة على السجادة، ويمكنني أيضًا رؤية أن القطة على الحصيرة. فهل تعبّر هاتان الجملتان عن حالتين إدراكيتين مختلفتين؟ قد تعبّر عن ذلك وقد لا تعبّر. ومع ذلك، فإن الذَّاكرة الاستطرادية هي حالة مثيرة للاهتمام على نحو خاص؛ لأنه يبدو أن هناك مفردات معروفة موضوعة في موضعها الصحيح تمنع عزو مثل هذه الذَّاكرة عن طريق "أن وجملة" لنفترض أنني أتذكر سقوطي من على شجرة في عيلاد ميلادي العاشر. هذه ذكرى استطرادية. ولنفترض أننا نحاول تقديم هذا بطريقة "أن وجملة": أتذكر أنني سقطت من على شجرة في عيد ميلادي العاشر. لا يمكننا القيام بذلك دون تحويل الذكرى الاستطرادية إلى ذكرى دلالية. فقد حولناها إلى ذكرى لواقعة، ويبدو أن هذه هي السمة المميزة للذاكرة الدلالية. في حالة الإدراك، يبدو من الممكن أن ننسب الإدراك سواء أكان بطريقة "أن وجملة" أم بغيرها. في حالة النية، كان هناك على الأقل طريقة مفتعلة - وربما يائسة - للإسناد بطريقة "أن وجملة"، لكن في حالة الذَّاكرة الاستطرادية، هذا ما لا يمكننا فعله. سأجادل بأن هذا يجعل الذَّاكرة الاستطرادية مثيرة للاهتمام بالخصوص. عندما أسند ذاكرة استطرادية، يجب أن أقوم بذلك عن طريق جزء تابع من جملة وليس جملة كاملة. والجزء التابع لا يعبّر عن قضية. كيف إذًا نفهم محتوى الذَّاكرة الاستطرادية؟ هذا هو موضوع هذا الفصل.

قد لا تكون الذَّاكرة الاستطرادية إلا مجرد شيء غريب مثير للفضول. ومع ذلك، لا أظنها كذلك في الواقع. أنا أظن أنه لا يوجد محتوى ذهني قضوي

حقًا، وإنما يستمد مظهره هذا من التأثير التحريفي للتعبير اللغوي الذي نستخدمه لإسناد وصف مثل هذا المحتوى. ولهذا السبب، تمدنا الذَّاكرة الاستطرادية بنموذج مهم لفهم المحتوى الذهني بشكل عام. ومع ذلك، فإن الدفاع هذا الادعاء الأوسع هنا سيأخذنا خارج نطاق هذا الفصل، ولذلك سأركز على فهم محتوى الذَّاكرة الاستطرادية تحديدًا.

2. محتوى الذَّاكرة الاستطرادية 1: الحلقات الاستطرادية:

تتناسب الذَّاكرة الدلالية مع القالب المقترح بإحكام: من الناحية الدلالية، أتذكر أن شيئًا ما هو الواقع - أن باريس هي عاصمة فرنسا، وأن خُلد الماء platypus أحادي المسلك، وما إلى ذلك. هذا ليس مفاجئًا: يبدو أن فئة الذَّاكرة الدلالية ليست أكثر من فئة فرعية للاعتقاد (owlands, 2009; Klein، 2014). وهذا يعني أنه بينما ليس كل الاعتقادات ذكريات دلالية، فإن كل الذكريات الدلالية هي اعتقادات. أجد حجة كلاين Klein (2014) مقنعة، وأنها تلقي بظلال من الشك على فائدة التَّفكير في الذَّاكرة الدلالية كشكل من أشكال الذَّاكرة على الإطلاق - لكن هذه المسألة عرضية بالنسبة لمشاغلي الحالية. وسواء كانت الذَّاكرة الدلالية تستحق بالفعل اسم "الذَّاكرة" أو لا، يمكننا أن نفهم محتواها على أنه ذو بنية قضوية: بنية الجملة التي تتبع "أن that". لكن الذَّاكرة الاستطرادية لا تُعزى بهذه الطريقة. فكيف نفهم محتوى الذَّاكرة الاستطرادية؟

من الخيارات الواضحة أن ننطلق من الاسم، ونفهم الذَّاكرة الاستطرادية episodic على أنها ذكرى لحلقة episode. والحلقة هي حالة للأمور، تُفسَّر على نحو واسع. وحالة الأمور هي ترتيب الأشياء والخصائص، بما في ذلك الخصائص العلائقية. عندما يكون المحتوى قضويًا، يجب على ما يبدو أن تكون حالات الأمور المناظرة ذات بنية قضوية، فمثلًا: يناظر أحد مكونات حالة للأمور فاعل القضية، والآخر يناظر العلاقة الحملية... إلخ. ومع ذلك، لا يوجد سبب لافتراض أن محتوى الذَّاكرة الاستطرادية هو قضية. ورغم ذلك، يجب أن

تكون له بنية ما: لا يمكن أن يكون مجرد مجموعة من الأشياء والخصائص، وإنما يجب ترتيبها بطريقة محددة. إذ إن تذكر وجود القطة على الحصيرة استطراديًا لا يعني تذكر وجود الحصيرة على القطة استطراديًا، فكيف نحصل على البنية الصحيحة؟

نظرًا لأن الحلقات هي في الواقع أحداث، فقد نستعير من نظرية معروفة للأحداث، مرتبطة بجايغون كيم Jaegwon Kim وآخرين: نظرية تمثيل الخاصية property exemplification theory. ووفقها، يجب فهم أي حدث على أنه مثال instantiation لخاصيةٍ ما من خلال موضوعٍ ما في زمنٍ ما. فأي حدث له البنية [x, P, t]، حيث x هو الموضوع التأسيسي، وP هو الخاصية التأسيسية، وt هو الزمن التأسيسي للحدث. وبالتالي، قد أتذكر نفسي استطراديًا (كموضوع تأسيسي)، ممثّلًا لخاصية تأسيسية (السقوط من شجرة) في وقت تأسيسي (في عيد ميلادي العاشر). عندما أتذكر استطراديًا، فأنا أتذكر حلقات مفهومة بهذه الطريقة.

إن المشكلة التي تكمن في أي محاولة لفهم الذّاكرة الاستطرادية على أنها ذاكرة للحلقات هي أنها تهدد بتقويض التمييز بين الذّاكرة الاستطرادية والذّاكرة الدلالية. وهذا لسبب بسيط، وهو أن العديد من الذكريات الدلالية هي أيضًا ذكريات حلقات. إن الذّاكرة الدلالية المتجسدة في أن باريس هي عاصمة فرنسا ليست ذكرى لحلقة، لكن الذّاكرة الدلالية المتجسدة في أن بركان جبل فيزوف قد اندلع في العام 79م تبدو كذلك بالتأكيد. في تذكر هذا الحدث لغويًا، أتذكر أن موضوعًا محددًا (فيزوف) مثّل instantiated خاصية محددة (الاندلاع البركاني) في وقت محدد (79م). إذا كنا لا نريد أن نفقد التمييز بين الذّاكرة الاستطرادية والذّاكرة الدلالية، فيجب ألا نفهم محتوى الذّاكرة الاستطرادية على أنه مجرد حلقة. سأجادل لاحقًا بأن مفهوم الحلقة له دور مهم يؤديه في محتوى الذّاكرة الاستطرادية، ولكن كي يؤدي هذا الدور على النحو الصحيح، فإنه يحتاج إلى إضافة شيء آخر.

3. محتوى الذّاكرة الاستطرادية 2: الخبرات:

إن ما ينقص الفكرة المجردة عن تذكر حلقةٍ ما هو ما يُطلَق عليه غالبًا اسم: "السفر الزمني الذهني". أنا لا أتذكر اندلاع بركان فيزوف بِعَدِّه حلقة اختبرتها سابقًا. وهذا ربما يشير إلى أننا يجب أن نفهم الذّاكرة الاستطرادية على أنها ذاكرة للخبرات. هذه طريقة شائعة ومقدَّرة تاريخيًا للتفكير في الذّاكرة الاستطرادية. فجون لوك، مثلًا، عد الذّاكرة قدرة للذهن «على إحياء الإدراكات التي كانت لديه ذات مرة، مع هذا الإدراك الملحق بها، إدراك أنها كانت ممتلكة من قبل» (Locke, 1690/1975، ص. 150). ويُعرِّف ويليام بروير William Brewer الذّاكرة الاستطرادية بمفردات مشابهة، إذ يعرّفها على أنها «إحياء للخبرة الفينومينولوجية للفرد من لحظة محددة في ماضيه، مصحوبًا باعتقاد أن الحلقة التي يتذكرها الفرد قد اختبرها شخصيًا في الماضي» (Brewer, 1996, pp. 60-61)[1]. إذًا بناءً على هذا التأويل، فإن الخبرات هي الموضوعات المباشرة للذاكرة الخبراتية. وبقدر ما تنطوي الذّاكرة الاستطرادية على استدعاء للحلقات، يستمر هذا الاستدعاء عن طريق استدعاء الخبرات التي رافقتها. قد تكون الحلقات هي الموضوعات البعيدة للاستدعاء الاستطرادي، لكن موضوعاته القريبة هي الخبرات دائمًا.

إن ظاهرة تبديل المنظور الموثقة جيدًا (انظر: Locke, 1971; Nigro & Neisser, 1983, Debus, 2007; Sutton, 2010؛ Eich et al., 2011; Goldie, 2012; McCarroll، 2015) تمثل مشكلة خطيرة لهذا الفهم للذاكرة الاستطرادية. إذ غالبًا ما تُتَذَكَّر الحلقات من منظور لم يكن من الممكن امتلاكه عند حدوث تلك الحلقة. لنفترض، مختلسًا ذكرى أتوقع أن تكون لدى أطفالي يومًا ما، أنك تتذكر أنك جلست في المقعد الخلفي لسيارة العائلة تغنّي أغنية تسمى: "The man"، لفرقة تسمى: "The killers"، مع أخيك عندما كان عمرك سبع سنوات.

(1) يسمي بروير هذه الذّاكرة: "الذّاكرة الاسترجاعية"، وليس "الذّاكرة الاستطرادية". ولأغراض العرض، سأتعامل مع هذه الذّاكرة على أنها أحد أشكال ما أسميه: "الذّاكرة الاستطرادية".

ولنفترض أن هذا الحدث قد وقع بالفعل. ومع ذلك، فأنت تتذكر هذا من منظور لا يمكن للآخرين امتلاكه لهذا الحدث: منظور الشّخص الثالث [الغائب] - الذي ربما كان لوالديك اللذين شاهدا الحدث، أي: إنك تلتفت لمشاهدة نفسك كما اختبرتها. غالبًا ما يُعبَّر عن هذه الظاهرة في التمييز بين ذكريات "الميدان" وذكريات "المراقب". وبتعبير غولدي: «في الذّاكرة الميدانية، يتذكر المرء "من الداخل" الأحداث كما وقعت. وفي ذاكرة المراقب، يتذكر المرء "من الخارج" بحيث يكون المرء جزءًا من محتوى ما يتذكره»[2]. في التبديل بين المنظورات، يمكن للمرء أن يتحول من تذكر حلقة كان الشّخص متضمنًا فيها إلى تذكر كيف يمكن أن تظهر أنت للآخرين عندما تجلت تلك الحلقة.

يتعارض تبديل المنظور مع فهم الذكريات الاستطرادية على أنها ذكرى للخبرات. في هذا النوع من الحالات - ذكريات "The Man" - الخبرات التي يبدو أنك تتذكرها هي خبرات لم تختبرها قط من قبل. بعبارة أخرى: يُسفر الادعاءان (1) التذكر الاستطرادي هو تذكر الخبرات، و(2) تبديل المنظور في التذكر الاستطرادي شائع نسبيًا، عن أن (3) العديد من ذكرياتنا الاستطرادية زائفة. من المعروف بالطبع أن العديد من ذكرياتنا الاستطرادية زائفة أو غير دقيقة (انظر Neisser & Harsch، 1992). لكن مشكلة فهم الذّاكرة الاستطرادية على أنها ذاكرة للخبرات هي أنه يطمس التمييز بين الحقيقة والزيف على نحو غير مقبول.

لمعرفة السبب، فكر في سيناريوهين:

السيناريو الأول: من الصحيح أنك تبلغ من العمر سبع سنوات، وجلست ذات مرة في مؤخرة سيارة العائلة تغني أغنية "The Man" مع أخيك. ومع ذلك، فقد تبدّل منظورك: فأنت تتذكر هذا من منظورٍ ما، وبالتالي، تتذكر الخبرات التي لم تختبرها فعليًا قط. إذا كانت الذّاكرة الاستطرادية هي ذاكرة للخبرات، فإنها زائفة.

---

(2) Goldie (2012، ص49).

السيناريو الثاني، الحدث المتمثل في أنك تغني "The Man" مع أخيك في المقعد الخلفي لسيارة العائلة لم يحدث فعليًا قط، إذ إن ذاكرتك الظاهرية، كما قد نفترض، هي مجرد تخريف. في هذا السيناريو، ذاكرتك الاستطرادية زائفة أيضًا. لكنها زائفة بطريقة مختلفة تمامًا. لا نريد أن نفقد التمييز بين هاتين الطريقتين المختلفتين اللتين يمكن أن تكون بها الذكريات الاستطرادية خاطئة. ولذلك، يجب أن نتخلى عن فكرة أن الذكريات الاستطرادية هي مجرد ذكريات للخبرات. إن مسألة ما إذا كانت الحلقة المعنية قد حدثت بالفعل أو لا هي مسألة مهمة لمرتبة الذّاكرة، بحيث إنها تتبدد إذا فكرنا في الذّاكرة الاستطرادية على أنها مجرد تذكر للخبرات.

قد يعترض المرء فيقول: إنه يمكننا تجسيد الاختلاف بين نوعي زيف الذّاكرة ببساطة على أساس الخبرات. إن ذكريات الميدان والمراقب للحلقة ذاتها متشابهتان بما يكفي لنكون قادرين على إنكار أن الذكريات المبدّلة منظوريًا زائفة[3]. لكن، هل هذا الزعم صحيح حقًا؟ فكر، على سبيل المثال: في العنصر البصري لنوعي الذّاكرة. في إحدى الذكريات، يجب أن يكون الشّخص الذي يتذكر صور نفسه كما يتخيلها قد نظر إلى شخص آخر، أي: إنه يرى وجهه، ولأنه يتخيله لا بد أنه نظر إلى وجه آخر. هذا هو منظور المراقب. لكن في المنظور الميداني، يرى الميادين والجبال التي تمر من أمامه وهو يغني، ووجوه ووالديه أمامه. على أي أساس يمكننا القول: إن هذه الذكريات متشابهة؟ من المُسلّم به أن هناك أغنية متضمنة في كل الذكريات: العناصر السمعية هي نفسها. لكن هذا لا يكفي لتبرير الادعاء العام القائل بالتشابه. يمكن أن تكون نسخة الذّاكرة ذاتها المُبدّلة منظوريًا، في ظروف أخرى، ذكريات مختلفة. لذلك، فإن ادعاء أن هناك تشابهًا كافيًا بين الذكريات المبدّلة منظوريًا بالنسبة لنا، على هذا الأساس وحده، ينفي زيف الذكريات المبدّلة منظوريًا لا بد أن يُعامل بشك كبير. تُرجى ملاحظة أنني لا أزعم أن الذكريات المنظورية زائفة، بل هذا ما

(3) أود أن أشكر دوروثيا ديبوس على هذا الاعتراض.

أرغب في إنكاره. وإنما زعمي هو أننا إذا نظرنا إلى محتوى الذَّاكرة الاستطرادية على أنه مجرد خبرات، فإن هذا يؤدي إلى استنتاج مفاده أن الذكريات المبدَّلة منظوريًا زائفة. وهذا الاستنتاج لا بد أن يُقاوَم. وللقيام بذلك، نحتاج إلى رفض فكرة أن الذكريات الاستطرادية هي مجرد ذكريات للذكريات.

أظن أن الإغراء الحقيقي الوحيد للحكم بأن الذكريات المبدَّلة منظوريًا متشابهة ينبع من حقيقة أنهما ذكريات عن الحلقة ذاتها. إذا كان هذا صحيحًا، فإن الحلقة، وليس الخبرات، هي التي تقوم بالعمل المطلوب لتأسيس التمييز بين نوعي الزيف. وإذا كان الأمر كذلك، فهذا يدل مرة أخرى على أن الحلقة لا غنى عنها لفهمنا لمحتوى الذَّاكرة الاستطرادية. لفهم هذا المحتوى، نحتاج إلى دمج كل من الخبرات (وإلا سنفقد التمييز بين الحلقة والذَّاكرة الدلالية) والحلقة (وإلا سنفقد التمييز بين الزيف وتبديل المنظور).

4. محتوى الذَّاكرة الاستطرادية 3: النموذج الفريجي:

هناك تقرير معروف عن الحالات القصدية من شأنه أن يسمح لنا بإدخال كل من الحلقة والخبرة في محتوى الذَّاكرة: أن نفكر في المحتوى كحلقة مصنَّفة ضمن نمط من أنماط العرْض. وقد نطلق على هذا التقرير: "النموذج الفريجي"؛ نسبة إلى ملهمه الأول غوتلوب فريجه. ووفق هذا النموذج، فإن أي ذاكرة استطرادية يجب تحليلها إلى: (1) فعل التذكر، و(2) الحلقة المتذكَّرة، و(3) نمط عرض تلك الحلقة.

لنفترض أنك تتذكر أنك تغني "The Man" مع أخيك، في المقعد الخلفي لسيارة العائلة عندما كان عمرك سبع سنوات، ولنفترض أن هذه الحلقة حدثت بالفعل. إذًا ذاكرتك هي حلقة. وهذا في حد ذاته لا يكفي للذكرى أن توصف بأنها استطرادية. وكي تكون مؤهلة لهذا الوصف، يجب تصنيف الحلقة تحت نمط محدد من العرض: نمط اختباري لعرض من نوع محدد تمامًا. كحد أدنى، يجب أن تتذكر الحلقة على أنها تلك التي اختبرتها سابقًا (أي، في هذه الحالة،

نُسِّقت أو عُزفت في الماضي). ما يجعل الذَّاكرة استطرداية ليس أنها ذكرى لحلقة، وإنما لأنها ذكرى لحلقة تندرج تحت هذا النمط المحدد من العرض.

إن مفهوم تذكر شيء على أنه كذا يحمل مضمونًا كبيرًا. فكر في ذكرى سيرية-ذاتية دلالية: أنت تتذكر أنه عندما كنت في الثالثة من عمرك أخذك والداك في رحلة إلى أوروبا. ومع ذلك، ليس لديك الآن استدعاء استطرادي للرحلة. لن يُعدّ هذا، وفق المعنى الذي أوظفه للمصطلح، على أنه تذكر، فأنت لا تتذكر الرحلة الأوروبية على أنها حدثت لك[4]. أنت تعتقد أنها حدثت لك. ولديك ذكرى سيرية-ذاتية دلالية للحلقة التي حدثت لك. لكن تذكّر حلقة ما استطراديًا كحلقة واجهها أحدهم سابقًا ينطوي على عنصر خبراتي غير موجود في حالة الذكرى السيرية-الذاتية الدلالية: يجب أن تُختبر الحلقة على أنها حلقة واجهها الشّخص سابقًا بدلًا من مجرد التَّفكير فيها على أنها حلقها واجهها الشّخص سابقًا[5].

هذه العُدّة العامة الفريجية للتفكير في محتوى الحالات الذهنية بشكل عام مألوفة. إنها تطبيق مباشر نسبيًا للنموذج العام على الحالة المحددة للذاكرة الاستطرادية - الذي أعتقد أنه يناسبها على نحو طبيعي ودقيق. ما هو أهم هو السّؤال التالي، وهو أيضًا السّؤال المغفَل عنه. ما نوع الشيء الذي يجب أن يكون عليه محتوى الذَّاكرة الاستطرادية إذا كان يعرض على نحو أساسي حلقة على أنها مثل تلك التي واجهها الشّخص سابقًا؟ أي: إنها تقع تحت أنماط عرض مثل: أنا رأيتُ هذا من قبل أو أنا فعلت هذا من قبل.

(4) أود أن أشكر حكمًا مجهولًا للسماح لي بتوضيح هذه النقطة.

(5) في عمل سابق لي (1999، 2009)، جادلت بأن التمييز بين الذَّاكرة الدلالية والاستطرادية هو تمييز بالدرجة وليس بالنوع. والنقطة الحالية تعزز هذه الفكرة. إذ يمكن أن يكون الفكر أكثر أو أقل ثراءً في الفينومينولوجيا. وبالنظر إلى أن بعض شروط التحقق من الصدق قد استُوفيت، فكلما كانت فينومينولوجيا فكرة أن حلقة ما قد حدثت أكثر ثراء، اقتربت هذه الفكرة من خبرة الحلقة على أنها حدثت لك.

5. الذكريات في مقابل الصور الفوتوغرافية:

في الإجابة على هذا السّؤال، من المفيد مقارنة الذكريات الاستطرادية بالصور الفوتوغرافية. هناك العديد من المشكلات المتعلقة بالنموذج الفوتوغرافي للذاكرة، وليس من الممكن التغلب على العديد من هذه المشكلات بمجرد إحلال فيلم متحرك محل الصور الفوتوغرافية الثابتة. على سبيل المثال: الصور الفوتوغرافية (أو الأفلام) تشتهر بأنها عشوائية في التقاط التفاصيل، بشكل مستقل تمامًا عن نوايا المصوِّر أو انتباهه - وهذا هو ما يدور حوله إفساد الصور[6] photo bombing. إن الذكريات ليست مثل هذا. لكن هناك مشكلة واحدة، أقل شيوعًا، مهمة لأغراضنا. لا يوجد شيء في المشهد تعرضه الصور الفوتوغرافية على أنه هو بالأساس. أي: إنه لا يوجد شيء في الصور الفوتوغرافية يضمن أنه المشهد المصوَّر يُعرَض على أنه مشهد شاهده المشاهد سابقًا، أو نظّمه، أو واجهه بطريقة أخرى. وهذا صحيح حتى لو صُوِّر المشاهد بالفعل في المشهد، إذ قد لا يتعرف المشاهد على نفسه على أنه الشّخص الذي في المشهد.

إن الصور الفوتوغرافية تشبه، في هذا الصدد، الأوصاف غير التأشيرية. تأمل حجة بيري Perry الشهيرة لما يسميه: "المؤشر الأساسي essential indexical" (Perry، 1979). كي أكون على دراية بأنني أكتب هذه الصفحة حاليًا، لا يكفي أن أكون على دراية بأن فيلسوفًا من أصل ويلزي يعمل حاليًا في جامعة ميامي يكتب هذه الصفحة - لأنني قد لا أعرف أنني فيلسوف من أصل ويلزي يعمل حاليًا في جامعة ميامي. فبصرف النظر عن الوصف الذي يوظفه المرء، أو عدد الأوصاف التي يستخدمها، فإن هذا الوصف سوف يضمن فقط الدراية بالذات إذا أضفنا المقدمة الإضافية، إنني أفي بذلك الوصف أو تلك الأوصاف. بالمثل، فإن درايتك بحلقةٍ ما مُصوَّرة في صورة فوتوغرافية أو فيلم

---

(6) أي: تعكير الصورة بالظهور فجأة في مجال عدسة الكاميرا في أثناء التقاطها، كما يحدث في أثناء المزاح بين الأصدقاء (المترجم).

لا توفر ضمانًا بأن الحلقة ستُعرض على أنها الحلقة التي واجهتها سابقًا. وهذا صحيح حتى لو كنتَ حاضرًا في المشهد. لأنك قد لا تتعرف على نفسك على أنها أنت. ربما تصور صورة فوتوغرافية حلقة حدثت لك ذات مرة، وقد تكون في الصورة والحلقة تحدث لك. لكن ليس هناك ما يضمن أنك سترى الصورة على أنها تصور حلقة حدثت لك ذات مرة.

ومع ذلك، فإن حالة الصور الفوتوغرافية تختلف عن حالة المؤشر الأساسي في جانب واحد على الأقل.

إنَّ تعرفك على الشّخص المُصوَّر في الصورة الفوتوغرافية على أنه أنت هو شرط ضروري، ولكنه ليس كافيًا للتعرف على الحلقة المصوَّرة على أنها حلقة واجهتها سابقًا. ربما تتعرف على نفسك، لكنك ما زلت لا تتذكر المشهد المُوضَّح في الصورة. أنت تقول: "نعم، هذا أنا. لكن لا أستطيع أن أتذكر أين كان هذا أو ما كنت أفعله هناك". إن رد الفعل هذا محتمل تمامًا، ولا تبعد احتماليته بمجرد بلوغك سنًا محددة. مرة أخرى، رد الفعل هذا ليس له صدى في حالة الذّاكرة الاستطرادية. فإذا كنتَ تتذكر استطراديًا، فإن ما تتذكره يجب أن يُعرَض لك على أنه شيء واجهته سابقًا. وإذا لم يُعرَض كذلك، فإنه ليس ذكرة استطرادية.

يبدو أن المغزى هنا هو أن نمط العرض الذي واجهتُه من قبل هو سمة أساسية للذكريات الاستطرادية، ولكنها مجرد سمة عرضية للصور الفوتوغرافية في أحسن الأحوال. السّؤال المناسب الآن هو: لماذا يوجد هذا الاختلاف بين الذكريات والصور الفوتوغرافية؟ سوف أجادل بأن الإجابة يمكن العثور عليها في موضوع محدد يمكن تحديده في عمل فتغنشتاين المتأخر.

6. النموذج ثنائي العامل:

كانت إحدى الموضوعات البارزة في كتاب فتغنشتاين "تحقيقات فلسفية" (Wittgenstein، 1953) هو أن تعيين معنى لشيءٍ ما بعلامةٍ ما لا يكمن في حالة

أو عملية داخلية. تبنى فتغنشتاين مفهومًا محددًا للحالة أو العملية الداخلية: إنها تتألف من عنصر "يأتي أمام ذهن المرء"، ومن ثم، فإن تحديد معنى لشيءٍ ما بعلامة لا يتألف من عنصر يأتي أمام ذهن المرء. على وجه التحديد، وجود عنصر يأتي أمام الذهن - وهو يماثل أن يُعرَض للمرء موضوع محدد للوعي - ليس ضروريًا ولا كافيًا لتحديد معنى شيءٍ ما بعلامة. وضد فكرة أن هذا العنصر كافٍ، ينصح فتغنشتاين بإجراء تحقيق فينومينولوجي: انظر وشاهد. وإذا فعلتَ ذلك، فسوف تعرف أنه في معظم الوقت نستخدم العلامات بطرق ذات معنى تمامًا دون أن يُعرَض علينا موضوع محدد للوعي. ومع ذلك، لأغراضنا، فإن الحجة ضد الكفاية هي الأهم.

تقوم حجة فتغنشتاين ضد الكفاية على فكرة أن أي موضوع للوعي له الوضع المنطقي للرمز. والرمز هو مفردة لها تركيب syntax ودلالات، والأهم من ذلك أن الدلالات هي شيء يجب أن يستند إلى فعل التفسير. إن الكلمات المكتوبة والمنطوقة هي الأمثلة الأوضح على الرموز، فالكلمة المكتوبة - سلسلة من الأشكال مقابل خلفية مختلفة - يمكن أن تعني أي شيء. لكي نعني شيئًا ما، يجب تفسيره. جادل فتغنشتاين بأن الأمر ذاته ينطبق على أي شيء يأتي أمام الذهن - سواء أكان العنصر خارجيًا: (كلمات، صور... إلخ) أم داخليًا: (على سبيل المثال: صورة ذهنية).

فكر، على سبيل المثال: في صورة لكلب. من حيث المبدأ، قد تعني هذه الصورة أو تشير إلى أي عددٍ من الأشياء. فقد تدل على كلب محدد، أو الكلاب بشكل عام. ويمكن استخدامها للدلالة على حيوان ثديي، أو شيء فروي، أو شيء بأربعة أرجل، أو ذيل، أو أذنين مرنين. ويمكن استخدامها، إذا كانت الصورة من نوع محدد، للدلالة على: السعادة، أو الحزن، أو الكسل، أو الملل، أو الراحة. ومن أجل أن تعني شيئًا واحدًا، دون كل البدائل الممكنة، يجب تفسير الصورة. وينطبق الأمر ذاته، من الناحية المنطقية، إذا حركّنا الصورة إلى الداخل - أي: نجعلها صورة ذهنية لا صورة فيزيائية. إن الصورة الذهنية إن فُهمت على أنها شيء "يأتي أمام الذهن" - كموضوع للوعي - يمكن أن تعني

أي عدد من الأشياء. ولكي نعني شيئًا محددًا، يجب تفسيرها.

عند هذا المنعطف، هناك طريقة لتفسير فتغنشتاين:

الطريقة الأولى: بنائية، فإذا كان لا بد من تفسير عنصرٍ ما يأتي أمام اذهاننا من أجل أن يعني شيئًا ما، فإن المهمة هي العثور على ما يوفر التفسير المناسب. وقد طوّر فتغنشتاين نهجًا للحجاج - أصبح يُعرف فيما بعد بـ: "مفارقة اتباع القواعد" - لإظهار أنه لا توجد حقائق عن الفرد توفر التفسير المطلوب. ثم يستند فتغنشتاين، وفق التفسير البنائي، إلى العُرف أو الممارسة لإظهار أن هناك حقائق أخرى - حقائق حول العادات أو الممارسات السارية في مجتمع لغوي محدد توفر التفسير المطلوب. يثير هذا التفسير البنائي لحجة فتغنشتاين سؤالين صعبين على الأقل:

الأول: هل هذا التفسير هو التفسير الصحيح لفتغنشتاين؟

الثاني: بصرف النظر عما إذا كان يمثل رؤية فتغنشتاين، هل ينجح؟ أعتقد أنه يمكن الدفاع عن الإجابتين السلبيتين على كل من السّؤالين (انظر للمزيد من المناقشة Rowlands, 2006, 2010 and 2016). لكنني لن أحاجج لصالح هاتين الإجابتين هنا. وإنما ينصب تركيزي على تفسير آخر لفتغنشتاين أكثر تعلقًا بمشاغلي الحالية.

يعتمد التفسير الذي يدور في ذهني على الملاحظة القائلة: إن تقديم حلول بنائية للمشكلات الفلسفية يتعارض مع جوانب النهج الفلسفي المعترف به لفتغنشتاين. وفق هذا التفسير، فإن ما كان يشغل فتغنشتاين ليس تقديم تقرير إيجابي لكيفية إمكان المعنى، وإنما توضيح الافتراضات التي قادتنا إلى اعتقاد أن هناك مشكلة في الأصل (انظر: McDowell، 1992). بناءً على هذا التفسير الانكماشي، يجب عزو اللوم الأساسي إلى الافتراض القائل: إن المعنى يتضمن عنصرًا "يأتي أمام ذهن" الشّخص. هذا الافتراض يغري المرء بتبني نموذج ثنائي العامل لكيفية ارتباط العناصر الذهنية بالعالم. فمن جهة، هناك العنصر الذي "يأتي أمام الذهن"، ومن جهة أخرى، هناك تفسير ذلك العنصر الذي يربطه

بالعالَم. إن العناصر التي تأتي أمام الذهن، في حد ذاتها، خاملة دلاليًا، فمن حيث المبدأ، يمكن أن تكون متعلقة بأشياء كثيرة، بل بأي شيء. وفقط من خلال تفسير الشّخص لها يمكن أن تكون حول أي شيء آخر. ووفق التقرير الانكماشي المقترح لحجج فتغنشتاين، أقول: إن هذه الحجج تستهدف هذا النموذج ثنائي العامل للمعنى، ومن المفترض أن هذا النموذج، كما يصفه فتغنشتاين، هو النقلة الحاسمة في خدعة الشعوذة التي اعتقدنا أنها أكثر براءة.

لا يوجد سبب لافتراض أن تعيين معنى لشيءٍ ما بعلامة يمكن أن يتحلل إلى عاملين: (1) عنصر خامل جوهريًا ودلاليًا، و(2) فعل تفسير يدعم الدلالات. وهذا يعني أننا يجب أن نرفض فكرة أن تعيين معنى لشيءٍ ما بعلامة يكمن في مواجهة موضوعًا للوعي يكون، في حد ذاته، خامل دلاليًا، ومقترنًا بفعل ذهني يوفر تفسيرًا لهذا الشيء. نحن نرفض أي نموذج ثنائي العامل للمعنى. إذا كانت العناصر التي كانت، في حد ذاتها، خاملة دلاليًا "أتت أمام الذهن"، فسنحتاج إلى فعل تفسيري لتزويدها بدلالات. وقد نواجه صعوبة بالغة في فهم ما يمكن أن يوفر ذلك. ولكن إذا لم تكن هناك عناصر من هذا القبيل، فلن تكون هناك حاجة إلى مثل هذا الفعل التفسيري.

سواء كان من الممكن أن يُنسب هذا الرأي إلى فتغنشتاين نسبة صحيحة أم لا، فإنه هو الرأي الذي أرغب في الدفاع عنه فيما يتعلق بمحتوى الذّاكرة الاستطرادية. هذا هو ما تهدف التأملات في عدم تناسب النموذج الفوتوغرافي إلى تسليط الضوء عليه. إذ إن تذكر حلقة ما لا يشبه التعرف على صورة فوتوغرافية. فالصورة الفوتوغرافية، في حد ذاتها، خاملة دلاليًا - أي: يمكن أن تمثل عددًا غير محدود من الأشياء - وبالتالي، فهي تتطلب تفسيرًا. أما ما يُتذكَّر، فليس هكذا. فأنا لا أتذكر، مثلًا، وجهًا، وبعض التحولات التي يمر بها، ثم أحدده بعد ذلك على أنه وجه والدي - إذا وُصفت هذه الذكرى وصفًا دقيقًا على أنها ذكرى وجه والدي. بل أنا لا أقوم بهذا بلا وعي. فتذكري لوجه والدي يعني أنني أتذكر الوجه على أنه وجه والدي. بالطبع، في ظروف أخرى، قد أتذكر وجه والدي دون أن أتذكره على أنه وجه والدي. فلنفترض مثلًا أن

والذي قد هجر عائلته عندما كنتُ صغيرًا جدًا. لديّ تذكر خافت لوجه رجل، استرجاع يتجلى من وقت لآخر - لكن لا أعرف من صاحب هذا الوجه. ومع ذلك، أتذكر هذا الوجه على أنه شيءٌ ما، على سبيل المثال: على أنه وجه من الماضي لا أستطيع تحديد من هو صاحبه. إن تذكر وجه ما يعني تذكره على أنه وجه شخصٍ ما، أو على الأقل، كوجه يُرى في بعض الظروف (أتذكر الوجه الذي رأيته الصيف الماضي، على الرغم من أنني لا أعرف هوية الشّخص صاحب الوجه. التفسير هنا هو: أتذكره على أنه الوجه الذي رأيته الصيف الماضي).

يمكن صياغة الفكرة على النحو التالي. دعنا نُسمِّ ما أتذكره استطراديًا، في أي حالة محددة، المتذكَّر. يمكننا حينئذٍ أن نقول: إن شيئًا ما متضمن على نحو أساسي في أي عيّنة token للمتذكَّر. بالطبع، أرى دائمًا صورة فوتوغرافية بطريقة أو بأخرى أيضًا. لكن هذا لأنني أضيف إلى الصورة الفوتوغرافية فعلًا تفسيريًا يختلف عن الصورة ذاتها: الصورة موجودة بشكل مستقل عن فعل التفسير. وبالتالي، فإن الصورة الفوتوغرافية التي تمثل، في أي وقت، هذا أو ذاك، أو أي شيء آخر، هي سمة عرضية للصورة الفوتوغرافية. وهذا غير صحيح في حالة محتوى الذّاكرة الاستطرادية. فالذكرى الاستطرادية لهذا أو ذاك، أو أي شيء آخر، ليست سمة عرضية للذاكرة، وإنما سمة جوهرية لها. أي: إنني عندما أتذكر شيئًا استطراديًا، أتذكر هذا الشيء بالضبط على أنه شيء. ليس هناك متذكَّر لا بد أن يُرفق به لاحقًا "على أنه" كملحق بَعدي منطقيًا، من خلال فعل التفسير. إن المتذكَّر دائمًا ما يكون متذكَّرًا على نحو أساسي على أنه شيءٌ ما[7].

---

(7) أود أن أشكر حكمًا مجهولًا آخر للسماح لي بتوضيح هذه النقطة. إذا كنتُ فيلسوفًا يتمتع بقدرة محددة، فقد أميل إلى التعبير عن هذه النقطة من خلال التمييز في نطاق نموذج العامل: نطاق واسع في حالة الصور الفوتوغرافية، ونطاق ضيق في حالة محتوى الذّاكرة الاستطرادية. من الضروري أن تُرى الصورة الفوتوغرافية بطريقة أو بأخرى - لكن تحديد الطريقة هو أمر عرضي. لكن في محتوى الذكرة الاستطرادية، لا بد بالضرورة أن تُعرض الحلقة بطريقة أو بأخرى، ومفيدة للبعض، لكن ربما تكون محيرة للآخرين. لذلك، أنزلت هذه الطريقة في توضيح الأمور إلى حاشية سفلية.

السّؤال الجوهري إذًا: لماذا لا يصح ذلك في حالة الصورة الفوتوغرافية؟ ما الفرق بين المتذكَّر والصورة الذي يسمح لـ "على أنه" بأن تكون متضمنة على نحو أساسي في الأول وليس الأخير؟ لمعرفة ما هو هذا الفرق، يجب أن نتذكر أن النموذج ثنائي العامل مناسب تمامًا للصورة الفوتوغرافية. فمن جهة، هناك الصورة الفوتوغرافية، ومن جهة أخرى، هناك فعل التفسير الذي يسمح لنا بتكوين اعتقادات حول ما تدور حوله الصورة. يُعد النموذج ثنائي العامل مناسبًا على وجه التحديد؛ لأن وجود الصورة الفوتوغرافية مستقل منطقيًا عن فعل رؤيتها، وتفسيرها. فهي موجودة حتى إذا لم أرها، وحتى لو لم يرها أحد. ومن ثم، فإن استقلالية الصورة الفوتوغرافية وفعل التفسير يجعلان النموذج الثنائي العامل لا مفر منه. قد تُعرَض لي صورة فوتوغرافية لوجه والدي ولا أتعرف عليه على أنه والدي. لكن هذا لا يمكن أن يحدث عندما أتذكر استطراديًا وجه والدي: إذا كنتُ، في الواقع، أتذكر استطراديًا وجه والدي، فلا بد أن أتذكر وجهه على أنه وجه والدي[8].

إن مفهوم "على أنه" ليس متأصلًا في الصورة الفوتوغرافية؛ لأنها موجودة على نحو مستقل عن فعل الرؤية. هذا هو السبب في أن النموذج ثنائي العامل مناسب في تفسير دلالات الصورة الفوتوغرافية. ولكن إذا لم يكن هذا النموذج مناسبًا للتذكر، فهذا يدعم (استقرائيًا) ادعاء أن محتوى الذّاكرة الاستطرادية لا يوجد على نحو مستقل عن فعل التذكر. والآثار المترتبة على عدم استقلالية فعل التذكر والمحتوى المتذكَّر كبيرة. وفي بقية الفصل، سأوجز بعضًا منها.

7. وجه والدي، 26 أبريل 1965:

لقد انشغل قدر كبير من الجدل الحديث في العمل على الذّاكرة بمدى كون الذّاكرة ترميمية. على نحو تقريبي جدًا، تُعد الذّاكرة بنائية بقدر ما تنطوي على

---

(8) كما أشارت المناقشة السابقة، ليس هذا هو التذكر الاستطرادي لشيء ما يكون هو وجه والدي. إذ يمكنني أن أتذكر استطراديًا شيئًا يكون وجه والدي دون أن أتذكر استطراديًا وجه والدي.

عمليات غير إدراكية تُنفَّذ على المحتوى في وقت الترميز. وتُعد الذَّاكرة ترميمية بقدر ما تنطوي على عمليات تُنفَّذ على المحتوى الذاكري في وقت الاسترداد. كانت حجج الترميم في الذَّاكرة تجريبية عادة. فمثلًا: هناك العمل الرائد الذي قام به كريم نادر Karim Nader (2003) وزملاؤه حول إعادة التوطيد في الذَّاكرة الذي يدعم بقوة فكرة أن الذَّاكرة ترميمية. هنا، سألحق بهذه الحجج التجريبية حجة قبْلية؛ نظرًا لطبيعة محتوى الذَّاكرة الاستطرادية، لا بد أن تكون هذه الذَّاكرة ترميمية. لا يمكن أن تكون إلا كذلك.

كانت إحدى ذكرياتي المبكرة متعلقة بنزيف أنفي عانيت منه ذات ليلة، على أريكة صغيرة في المنزل الصغير الذي قضيتُ فيه السنوات الست الأولى من حياتي. والذكرى المعنية هي تلك الخاصة بوجه والدي - على وجه التحديد، الخاصة بالتحولات التي مرّ بها هذا الوجه - في الساعات الأولى من يوم 26 أبريل 1965 (بتوقيت غرينتش)، التاريخ الذي أعرفه؛ لأنه كان تاريخ قتال الملاكمة الثاني بين كلاسيوس كلاي[9] Cassius Clay الثاني (كما كان يُعرف آنذاك) وسوني ليستون Sonny Liston.

يبدو أن ترتيب الأحداث كان: قبل ثوانٍ قليلة من جرس الافتتاح، بدأ أنفي ينزف. يركض والدي بشعوره الأبوي لجلب بعض المناديل الورقية. وعندما عاد، بعد لحظات فقط، انتهى القتال. ضرب كلاي ليستون بلكمة سريعة لدرجة أن الكثيرين وجدوا صعوبة في رؤيتها. لكن هذا غير مهم. المهم، بالنسبة لأغراضي على الأقل، هو وجه أبي. كان وجهه نموذجًا للارتباك، يتأرجح بين شاشة التلفاز وبيني - كما لو كنتُ مسؤولًا بطريقةٍ ما عن الأحداث التي تظهر بالأسود والأبيض[10]. ما الذي يجري؟ هل هذه إعادة لنهاية القتال الأول (طبعا أنا أفترض بأثر رجعي أن مثل هذه الأفكار كانت تدور في رأس والدي)، ثم أتذكر وجهه يتحول ببطء من الارتباك إلى الشك (هل حدثت اللكمة، هل فاتته

(9) الاسم القديم للملاكم الشهير محمد علي كلاي (المترجم).
(10) أي على شاشة التلفاز الذي لم يكن مُلوّنًا في تلك الفترة (المترجم).

اللكمة؟)، ومن الشك إلى القبول المستسلم (نعمن فاتته اللكمة) إلى الفرح (كان والدي معجبًا بذكاء كلاي ومهارته). كانت تلك الذكرى عن والدي، لا عني. لكنني ما زلت فيها: هذه المشاهد، التحولات التي مر بها وجه والدي المسكين، هي تلك التي عُرضت، على وجه التحديد، على أنها تلك التي اختبرتها ذات مرة كأحداث رأيتها ذات مرة.

يجب على أي أحد ألا ينشغل جدًا بصدق هذه الذكرى، سواء أكانت ذكرى حقيقية أم تخريف. فعلى الأقل، بينما لدي أسباب وجيهة لافتراض حدوث هذه الحلقة بالفعل، لدي أسباب وجيهة أيضًا للاعتقاد بأن بعض عناصرها غير دقيقة (أتذكر نزيفًا في الأنف، لكن كانت رغبتي في الحصول على الحليب الدافئ هي السبب في إجازة والدي المؤقتة في غرفة التلفاز). تعمل الذَّاكرة هنا، إن كان هذا هو الحال، كعنصر مركزي في تجربة فكرية. في هذا السياق، هناك سمة لافتة للنظر لهذه الذكرى، وأخرى وثيقة الصلة بالخصوص بمسألة الترميم. عندما حدث ذلك القتال، كان والدي شابًا نسبيًا، في أوائل إلى منتصف الثلاثينيات من عمره. ومع ذلك، فإن الوجه الذي أتذكره الذي تحول ببطء من الارتباك إلى الشك إلى القبول إلى الفرح، هو وجه رجل عجوز. إنه الوجه الذي كان له في سنواته الأخيرة. أعتقد think أنني أعرف سبب ذلك: يمكن إرجاعه إلى ندرة الصور الفوتوغرافية في ذلك الوقت - ندرة يصعب فهمها بالنسبة لشخص نشأ في عصر الصورة الملتقطة ذاتيًا selfie. إذ كان التقاط صورة فوتوغرافية عملية طويلة الأمد، حيث تضمنت كاميرا لا تعمل على الأقل 50% من الوقت، ورحلة إلى صيدلي (كيميائي، كما كان يُعرف آنذاك)، وانتظار ما يقارب أسبوعين في أثناء تطوير الصور. ونتيجة لذلك، لا يمكن للناس، بشكل عام، أن ينزعجوا من ذلك. كانت الصور الفوتوغرافية مخصصة للمناسبات الاستثنائية: العطلات، وأعياد الميلاد، وما شابه. لم يكن والداي يكرهان التقاط صور لأطفالهما في شريط سينمائي، لكنهما بالتأكيد لم يمرّا بذلك الإجراء المُعقد لالتقاط صور لهما. ومن ثم كانت صور والدَيَّ قليلة ومُتباعدة.

مع وضع هذا السياق التاريخي في الحسبان، فكّر في ما كان يمكن أن

يحدث، في ذاكرتي، إن كان الوجه الذي يتحول ببطء، على مراحل، من الشك إلى الفرح، هو وجه والدي عندما كان شابًا. ومن ثم كانت هناك فرصة كبيرة لأتعرف عليه. إن الذَّاكرة الاستطرادية، كما رأينا، لا تشبه ذلك. إذا كنتُ أتذكر استطراديًا وجه أبي، وهو يتحول بهذه الهيئات، فأنا أتذكره بالضبط على أنه شيء واجهته سابقًا. إذا كان صحيحًا أنه لا يمكنني تذكر وجه والدي عندما كان شابًا؛ نظرًا لندرة الصور الفوتوغرافية، فمن أجل اختبار هذه التحولات للوجه على أنها شيء واجهته سابقًا لا بد أن يكون الوجه قد تغير حتى يكون قابلًا للتعرف عليه من قِبلي. إذا لم يتغير الوجه بهذه الطريقة، فلا يوجد سبب ضروري لعرض هذه الحلقة لي على أنها الحلقة التي اختبرتها سابقًا. لا يمكن أن تُعرَض هذه الحلقة إلا على أنها حلقة اختبرتها سابقًا إذا كان الوجه الذي تعرضه معروضًا على أنه وجه أبي بالتحديد. وبالتالي، نظرًا لندرة الصورة في ذلك الوقت من حياتي، يجب تحديث الوجه ليكون قابلًا للتعرف عليه على أنه وجه أبي بالتحديد. إن الإطار المرجعي الوحيد الذي لدي ويمكنني استخدامه لتقديم تفسير هو وجه والدي الذي أتذكره بالفعل - وجهه في سنواته الأخيرة.

يجب على المرء أن يكون واضحًا فيما يزعمه هذا المثال وما لا يزعمه. أنا لا أفترض بالطبع أن قدرتنا على التعرف على المشاهد والأشخاص الذين التقينا بهم سابقًا تعتمد على توافر صور فوتوغرافية للمشاهد والأشخاص ذوي الصلة[11]. فبطبيعة الحال، قد يتمكن بعض الأشخاص من تذكر وجه والدهم في سن أصغر بدون صور فوتوغرافية. وأنا، في هذه الحالة، لست على ما يبدو واحدًا من هؤلاء الأشخاص. لكن قدراتي أو عدمها ليست ما يهم. كما ذكرتُ سابقًا، يحق للفرد التعامل مع هذا المثال على أنه تجربة فكرية. والعناصر الأساسية لهذه التجربة الفكرية هي:

(1) "أنا" (أو شخص عشوائي إن شئت) أتذكر استطراديًا وجه والدي

(11) اود أن أشكر حكمًا مجهولًا للسماح لي بتوضيح هذه النقطة.

خلال حلقة محددة منذ فترة طويلة، و(2) "أنا"، لسببٍ ما، غير قادر على تذكر مظهر والدي في ذلك الوقت. في هذه الظروف، يجب أن يتحول وجه والدي مما كان عليه في الواقع في ذلك الوقت إلى شكل يسمح لي بالتعرف عليه على أنه وجه والدي.

باختصار: إذا عُرضت حلقة، في ذاكرة استطرادية، بالضرورة، على أنها حلقة واجهتها سابقًا، فلا بد أن تكون بعض الذكريات ترميمية. وهذا لا يعني تحديد مدى الترميم المتضمن. إذا كان شخصٌ ما قادرًا على تذكر وجه والده في سن أصغر بلا عناء دون مساعدة صور فوتوغرافية، فإنه عند امتلاك هذا النوع من الذّاكرة، قد يكون هناك حاجة لترميم قليل، أو قد لا يكون هناك حاجة لأي ترميم. ولكن في ظروف أخرى، مثل تلك الموضحة سابقًا، قد يكون هناك حاجة إلى قدر كبير من الترميم. يمكننا أن نرى، بإيجاز، الظروف التي تتطلب الترميم: أتذكر إحدى الحلقات التي حدثت لي، لكنني لا أتذكر عناصر محددة منها. وبالأدوات التي قدمتُها سابقًا، يمكن أن نقول: إن وجه والدي هو العنصر التأسيسي للحلقة. أتذكر تحول وجه والدي (الذي يمثل instantiating خاصية)، لكنني لا أتذكر الوجه ولذلك يتعين عليّ ترميم هذا الموضوع التأسيسي لأجعل من الصحيح بالضرورة أنني أختبر هذه الحلقة على أنها حلقة واجهتها سابقًا. يجب أن تتضمن أي عيّنة للتذكر الاستطرادي ترميمًا كافيًا لضمان الشعور بأن الحلقة المعروضة هي حلقة واجهها المرء سابقًا. في بعض الحالات، قد يترتب على ذلك قدر قليل من الترميم، أو لا تتضمن أي ترميم. وفي حالات أخرى، قد يكون الترميم الضروري جوهريًا.

8. الذّاكرة والذات:

ليس من غير المعقول أن نفترض - وقد افترض الكثيرون بالفعل - أن ذكرياتنا الاستطرادية تؤدي دورًا مهمًا في جعلنا الشّخص الذي نكونه. ففي النهاية، ما الذي يمكن أن يجعلنا الشّخص الذي نكونه إن لم تكن الخبرات التي ممرنا بها

على هذه المسارات عبر المكان والزمان التي هي حياتنا؟ وكيف يمكن الاحتفاظ بهذه الخبرات - وبالتالي تؤدي دورًا في تشكيل ما نحن عليه في الحاضر - إن لم يكن من خلال الذكريات الاستطرادية؟ جرت صياغة هذا الحدس صياغات نظرية عديدة مختلفة تمامًا، لكن جوهر الحدس هو ما يهم هنا.

يبدو أن هذا الحدس يتعارض مع حقيقتين مزعجتين:

الأولى: هي أننا ننسى - كثيرًا، فبالنسبة لكل منا، الخبرات المنسية تفوق بكثير محصلة ما يُتذكَّر.

الثانية: هي أنه، حتى عندما نتذكر، غالبًا ما لا تحمل الذكريات إلا علاقة ضعيفة بالخبرات التي تزعم أنها سجلات لها (لدراسة كلاسيكية، انظر: Neisser & Harsch، 1982). يبدو الأمر كما لو كنتَ تكبت سيرة ذاتية - شيء كنت تأمل أن يكون سردًا دقيقًا وصادقًا لحياتك. ومع ذلك، عندما تفتح الكتاب، تجد مساحات شائعة من التنقيحات التي تفوق بقوة عدد الكلمات المطبوعة. والأسوأ من ذلك هو أن الجمل المتبقية ليست سجلات دقيقة على نحو خاص للحلقات التي واجهتها، على الرغم من أنك لست في وضع يسمح لك بمعرفة ذلك. إذ إن بعضها لا علاقة له تقريبًا بالحلقات التي واجهتها. في هذه الظروف، كيف يمكن أن يكون هذا الكتاب - هذه السيرة الذاتية المزعومة - كتابًا عنك؟

من جهة، قد يأمل المرء في أن يكون هناك ما يكفي من المحتوى القابل للإصلاح للقيام بهذه الحيلة. قد يُفقد قدر كبير من المحتوى، وقد يكون قدر كبير من المحتوى المتبقي غير دقيق. ولكن، إذا كان هناك محتوى كافٍ فقط لرواية قصة حياة متماسكة، فهل هذا هو كل ما نحتاجه؟ ربما. هذا النوع من الأفكار هو الذي تقوم عليه نظرية الذّاكرة للهوية الشّخصية. لكن وجهة النظر المتعلقة بمحتوى الذّاكرة الاستطرادية التي قدمتها هنا تشير إلى تصور مختلف جدًا. إن الشّخص ليس شيئًا مؤلّفًا من محتويات الذّاكرة الاستطرادية، التي هي، في حد ذاتها، محايدة فيما يتعلق بمن يمتلكها. وإنما يكون الشّخص في محتوى الذّاكرة الاستطرادية في الأصل. ليس الأمر كما لو أن الشّخص ينبثق بعد تجميع

المحتويات معًا، وترتيبها، بقدر ما نستطيع، في كُلٍّ متماسك. بدلًا من ذلك، الشّخص الذي يتكر موجود بالفعل في محتوى الذّاكرة الذي احتفظ به. وعلى نحو تقريبي جدًا، الشّخص يكون في ذكرياته مثلما يكون النحات في تمثاله، فالشّخص هو الذي شكّل - وحوّل - الحلقة التي واجهها سابقًا في محتوى متذكَّر. ويجب على الشّخص أن يقوم بذلك؛ لأنه لا يوجد في أي حلقة واجهها ما يضمن أنها سوف تُستذكر على أنها حلقة واجهها الشّخص سابقًا. ولكي يحدث هذا، يجب تحويل الحلقة - إعادة بنائها في محتوى يكون، بالضرورة، عنها.

إن الشّخص الذي يتذكر استطراديًا يحوّل الحلقة التي واجهها سابقًا إلى محتوى يُستذكر. وهو يقوم بذلك عن طريق تصنيف الحلقة ضمن نمط العرض الذي واجهه (شهده، نسّقه... إلخ) من قبل. وكي تُصنَّف الحلقة على هذا النحو - كما رأينا في حالة ذكرى وجه والدي - فإن الحلقة بحاجة إلى إعادة بناء لتكون شيئًا يمكن إدراجه تحت هذا النمط من العرض. في بعض الأحيان يكون الترميم في حده الأدنى، وفي بعض الأحيان يتجاوز هذا الحد بكثير. لكن إمكانية الترميم يجب أن تكون موجودة دائمًا؛ لأن هذا مطلوب لتحويل الحلقة التي واجهها المرء إلى محتوى متذكَّر. تجب إعادة بناء الحلقة حتى تكون في تناسب مع حياة الشّخص، وهذا الشّخص نفسه هو الذي يقوم بهذا الترميم. لذلك، يكمن الطابع الشّخصي الذي لا يُمحى في محتوى العديد من ذكرياته الاستطرادية.

المراجع:

Brewer, W. F. (1996). What is recollective memory? In D. C. Rubin (Ed.), *Remembering our past*. Cambridge: Cambridge University Press, pp. 19-66.

Debus, D. (2007). Perspectives on the past: A study of the spatial perspectival characteristics of recollective memories. *Mind and Language*, *22*, 173-206.

Eich, E., Handy, T., Holmes, E., Lerner, J., & McIsaac, H. (2011). Field and observer perspectives in autobiographical memory, 14th Sydney Symposium on Social Psychology, University of New South Wales, March 15-17.

Goldie, P. (2012). *The mess inside: Narrative, emotion and the mind.* Oxford: Oxford University Press.

Klein, S. (2014) What memory is? *WIREs Cognitive Science.* doi:10.1002/wcs.1333

Locke, D. (1971). *Memory.* London: Palgrave Macmillan.

Locke, J. (1690/1975). *An essay concerning human understanding* (P. H. Nidditch, Ed.). Oxford: Oxford University Press.

McCarroll, C. (2015). *Point of view in personal memory: A philosophical investigation,* Ph.D. Thesis, Macquarie University.

McDowell, J. (1992). Meaning and intentionality in Wittgenstein's later philosophy. *Midwest Studies in Philosophy, 17,* 30-42.

Nader, K. (2003). Memory traces unbound. *Trends in Neurosciences 26*(2), 65-72.

Nigro, G., & Neisser, U. (1983). Point of view in personal memories. *Cognitive Psychology, 15,* 467-482.

Perry, J. (1979). The problem of the essential indexical. *Nous, 13*(1), 3-21.

Rowlands, M. (1999). *The body in mind: Understanding cognitive processes.* Cambridge: Cambridge University Press.

Rowlands, M. (2006). *Body language: Representation in action.* Cambridge, MA: MIT Press.

Rowlands, M. (2009). Memory. In P. Calvo & J. Symons (Eds.), *Routledge companion to philosophy of psychology* (pp. 336-345). London: Routledge.

Rowlands, M. (2010). *The new science of the mind: From extended cognition to embodied phenomenology.* Cambridge, MA: MIT Press.

Rowlands, M. (2016). *Memory and the self: Phenomenology, science, autobiography.* New York: Oxford University Press.

Russell, B. (1912). *The problems of philosophy.* London: Henry Holt.

Sutton, J. (2010). Observer perspectives and acentered memory: Some puzzles about point of view in personal memory. *Philosophical Studies, 148,* 27-37.

Wittgenstein, L. (1953). *Philosophical investigations* (E. Anscombe, R. Rhees, & G. H. von Wright, trans. & E. Anscombe, Ed.). Oxford: Blackwell.

الماضي أصبح حاضرًا: السفر الزمني الذهني في الاسترجاع الاستطرادي

ماثيو سوتريو Matthew Soteriou

يقترح بعض الفلاسفة وعلماء النفس أنَّ الاسترجاع الاستطرادي لحدث أو فعل ماضٍ شهدتَه أو قمتَ به يُماثل السفر إلى الوراء زمنيًا، إنه شكل من أشكال "السفر الزمني الذهني"، ويقترح البعض أيضًا أنه مثلما يمكن عد الاسترجاع الاستطرادي شكلًا من أشكال السفر الزمني الذهني، فكذلك يمكن عد حلقات الأحداث المستقبلية المتخيلة. فمثلًا: يقترح توماس سودندروف Thomas Suddendorf ومايكل كورباليس Michael Corballis أن «الدينا ملكة السفر الزمني الذهني، وهي ملكة عامة لا تسمح لنا فقط بالعودة إلى الوراء زمنيًا، ولكن أيضًا بـ: التنبؤ، والتخطيط، والتشكيل الافتراضي لأي حدث مستقبلي محدد» (2007: 299)[1]. ومع ذلك، ليس من الواضح تمامًا كيف نفهم ونفسر جوهر مفهوم السفر الزمني الذهني إلى الوراء وإلى الأمام.

بمجرد النظر، نجد أن هناك شيئًا ملغزًا في هذه الفكرة. قد يظن المرء أن كل الأفعال الذهنية الواعية تندرج ضمن حاضر الشّخص المختبَر، وأن الحاضر المختبَر المرتبط بأي فعل ذهني من هذا القبيل مرتبط باللحظة التي يحدث فيها ذلك الفعل الذهني الواعي. قد تكون هذه الأفعال الواعية بمثابة أفكار زمنية حول الماضي والمستقبل، لكن ليس من الواضح على الإطلاق أن هذه الأفكار الزمنية يمكن أن ترقى بحد ذاتها إلى أي شكل من أشكال السفر الزمني الذهني.

(1) انظر أيضًا Schacter et al، 2007.

في الواقع أنا أعد أن هذا الجزء من جاذبية الاستشهاد بمفهوم السفر الزمني الذهني هو الإشارة إلى أن طرقًا محددة لتعلق الماضي بالمستقبل (من خلال الذَّاكرة الاستطرادية والخيال) تختلف اختلافًا مهمًا عن مجرد التَّفكير في الماضي والمستقبل بالانشغال بالأفكار الزمنية حول الأوقات السابقة واللاحقة. إذًا ما المعنى الذي يمكن استخلاصه من الاقتراح القائل: إن الاسترجاع الاستطرادي يجعل شكلًا من أشكال السفر الزمني الذهني ممكنًا؟

أقترح أن الإجابة على هذا السّؤال ستكون مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمسألة كيف نفهم دور التخيل في الاسترجاع الاستطرادي. علاوة على ذلك، فإن موقف المرء من دور التخيل في الاسترجاع الاستطرادي سيكون بدوره له تأثير كبير في الموقف الذي يتبناه المرء في المناقشات المتعلقة بأوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الاسترجاع الاستطرادي والخيال[2]. لذا فإن السّؤال عن الكيفية التي يجب أن نفهم بها الاقتراح القائل: إن الاسترجاع الاستطرادي يمدنا بقدرة على السفر الذهني إلى الوراء زمنيًا لا يخلو من الأهمية. في هذا الفصل سأبدأ بتقديم واستخلاص نتائج طريقة واحدة من طرق فهم ذلك الاقتراح. يمكن تحفيز الرأي الذي سأسميه: "إعادة الأداء re-enactment" بالعمل من خلال العديد من الألغاز المرتبطة بالاقتراح القائل: إن الاسترجاع الاستطرادي يرقى إلى شكل من أشكال السفر الزمني الذهني. ومع ذلك، في حين أن هذا الرأي قابل للنقد بوضوح، إلا أنني أعتقد أن هناك بديلًا مفضَّلًا، وفي الجزء المتبقي من الفصل سأعمل على تطوير هذا البديل. إن هذا التفصيل سيشرح، وسيعتمد على، الروابط التي بين فكرة أن ما هو غائب يمكن أن يكون حاضرًا في الخيال الإدراكي، وفكرة أن الماضي يمكن أن يكون حاضرًا في الاسترجاع الاستطرادي.

(2) للاطلاع على أمثلة لمناقشة هذه المجادلات، انظر: Debus، 2014، وHopkins، 2014، وHopkins (يصدر قريبًا).

1. رؤية "إعادة الأداء" فيما يتعلق بالسفر الزمني الذهني:

في بعض الأحيان، البريق الذي تُصقل به فكرة أن الاسترجاع الاستطرادي يرقى إلى شكل من أشكال السفر الزمني الذهني يستشهد بفكرة "الانتقال الذهني mentally transported" إلى حلقة أو خبرة ماضية. وقد التُقطت هذه الفكرة من ملاحظة جون ساتون «في تذكر الحلقات أو الخبرات في ماضيّ الشّخصي...أنتقل ذهنيًا بعيدًا عن البيئة الاجتماعية والفيزيائية التي أنا جزء منها حاليًا»[3]. وفي بعض الأحيان، يستشهد المظهر الجذاب للاستناد إلى السفر الزمني الذهني بفكرة أن الاسترجاع الاستطرادي يسمح للمرء بـ "إعادة اختبار" أو "إعادة معايشة" حلقات أو خبرات من ماضيه. فمثلًا: زعم إندل تولفنغ على نحو شهير أن الذّاكرة الاستطرادية «تجعل السفر الزمني الذهني ممكنًا عبر الزمن الشّخصي، من الحاضر إلى الماضي، وبالتالي تسمح للمرء بإعادة اختبار...خبراته السابقة» (2002: 5). تتمثل إحدى طرق الربط بين هاتين الفكرتين (فكرة الانتقال الزمني الذهني، وفكرة إعادة اختبار الأحداث الماضية) على النحو التالي. يجلب مفهوم السفر الزمني معه فكرة وجود شكل من أشكال الانتقال إلى موقع زمني آخر يمكن أن يجعل أن يجعل تلك الوجهة الزمنية حاضرة مؤقتًا للمسافر عبر الزمن. إذا كان الاسترجاع الاستطرادي يمكن بمعنى ما أن يمكّن المرء من إعادة معايشة أو إعادة اختبار بعض الخبرات السابقة، يمكن بالتالي جعل تلك الحلقة الماضية حاضرة له بطريقة تشبه انتقالها ذهنيًا إلى موقعها الزمني. أعد أن شيئًا من هذا القبيل يكمن وراء اقتراح قدمه هوبكنز Hopkins حول كيفية فهم ذلك الحديث عن السفر الزمني الذهني عندما قال:

> «مثلما يسمح لنا السفر إلى الوراء زمنيًا باختبار الأحداث التي تحدث آنذاك، فإن هذا النوع من الذّاكرة يمنحنا الوصول إلى حلقات من ماضينا بطريقة تشبه اختبارنا لها. وهذا يميز الذّاكرة الاستطرادية عن الذّاكرة ذات

---

(3) Sutton، 2009، ص217.

الشكل الوقائعي (أو "الدلالي")، قد تتعلق الذاكرتان بحدث من ماضي الشخص، ولكن في حين أن الانشغال بالذكريات الوقائعية للحدث هو استدعاء المرء لما يعتقده بشأنه، فإن استدعاء ذكرى استطرادية يشبه عيشها من جديد» (2014: 313-14).

ما معنى هذه الفكرة القائلة: إن الاسترجاع الاستطرادي يجعل "إعادة اختبار" الأحداث الماضية ممكنة؟

قد يظن المرء أن العناصر التخيلية للاسترجاع الاستطرادي هي التي توفر تلك الطريقة المميزة المتمثلة في "إعادة اختبار" الأحداث الماضية. ستكون الفكرة في أبسط صورها هي أن أفعال التخيل الإدراكي للأشياء والأحداث لدينا تشبه فينومينولوجيًا خبراتنا الإدراكية الواعية للأشياء والأحداث؛ ونظرًا لأن تخيل حدث ما يشبه إلى حدٍّ ما اختبار الحدث فعليًا، فإن حقيقة أن الاسترجاع الاستطرادي يتضمن تخيلًا تجعل من المناسب اقتراح أن هذا شكل من أشكال الذّاكرة يسمح للمرء بـ: "إعادة اختبار" أحداث من ماضيه. وبصورة أكثر تطورًا: قد يكون الاقتراح هو أنه عندما يسترجع المرء حدثًا سابقًا، فإنه يعيد بناء ذلك الحدث الماضي بالتخيل، وبالتالي يحاكي خبرة سابقة للحدث؛ ونظرًا لأنَّ فعل الاسترجاع الحالي يشبه المحاكاة الحالية لخبرة سابقة، فإنه يجعل الحدث المُسترجَع حاضرًا بطريقة تشبه اختباره الآن، وبالتالي معايشته مرة أخرى[4].

أحد الشواغل المتعلقة بهذا الاقتراح هو ما يلي، إذا كانت إحدى حلقات الاسترجاع تعمل على جعل حدث ماضٍ حاضرًا من خلال محاكاة خبرة حالية لهذا الحدث الماضي، فإن فعل المحاكاة الواعي هذا سيمثل ذلك الحدث الماضي على أنه متزامن مع حلقة الاسترجاع. لكن هذا من شأنه أن يسيئ تمثيل

---

(4) ينبغي أن يقال: إن هناك مجموعة متنوعة من المقاربات المحاكاتية المختلفة للاسترجاع الاستطرادي لا أميز بينها هنا. انظر على سبيل المثال: Schacter, Addis, & Buckner، 2008؛ وMaguire، 2014؛ وShanton & Goldman، 2010؛ وMichaelian، 2016.

الموقع الزمني للحدث المسترجَع؛ لأن الحدث المتذكَّر يقع بالطبع قبل حلقة استرجاعه. الرد الأكثر مباشرة على هذا الشاغل هو القول: إنه عندما يُحاكي المرء خبرة في استرجاع حدث ماضٍ، فإن الحدث الماضي ذاته لا يُمثَّل على أنه متزامن مع فعل الاسترجاع. وإنما ما يحدث هو ما يلي. يتخيل الشّخص حدثًا من نوع الحدث ذاته الذي شهده سابقًا، وبالتالي، في تخيله، يُجعَل حدث من هذا النوع حاضرًا للشخص، وهذا الفعل التخيلي هو الذي يحاكي خبرة المرء السابقة للحدث الذي شهده سابقًا.

إحدى المخاوف اللاحقة التي قد تصاحب هذه الطريقة في الدفاع عن الاقتراح هو أنه قد ينتهي به الأمر إلى جعل التخيل المرتبط بالاسترجاع الاستطرادي مجرد شيء مصاحب لفعل التذكر. والشاغل الذي يدور في ذهني هنا مرتبط بالملاحظات التي أدلى بها راسل عندما كان يوضح تقريره المبكر عن الذَّاكرة في كتابه: "مشكلات الفلسفة The Problems of Philosophy" وفي مخطوطته في العام 1913 "نظرية المعرفة Theory of Knowledge"[5] فقد ذكر في كتابه "مشكلات الفلسفة":

«هناك خطر الالتباس فيما يتعلق بطبيعة الذَّاكرة؛ بسبب حقيقة أن ذكرى شيءٍ ما يمكن أن تكون مصحوبة بصورة ذلك الشيء، ومع ذلك لا يمكن للصورة أن تكون هي ما يشكّل الذَّاكرة. يمكن رؤية هذا بسهولة بمجرد ملاحظة أن الصورة موجودة في الحاضر، في حين أن ما يُتذكَّر معروف أنه في الماضي». (1912: 114-5).

وعلى نفس المنوال، يكتب في "نظرية المعرفة":

«في المقام الأول، يجب ألا نخلط بين الذَّاكرة الحقيقية والصور الحالية

(5) اقترح البعض أن تقرير راسل عن الذَّاكرة قد تغير بحلول الوقت الذي بدأ فيه العمل على كتاب: "نظرية المعرفة". لمناقشة هذا الجدل، انظر: Martin، 2015.

> لأشياء من الماضي. قد أستدعي الآن أمام ذهني صورة لرجل رأيته بالأمس، والصورة ليست في الماضي، وأنا بالتأكيد أختبرها الآن، لكن الصورة ذاتها ليست ذاكرة. إن التذكر يشير إلى شيء معروف أنه كان في الماضي، إلى ما رأيته بالأمس، وليس إلى الصورة التي أستدعيها الآن» (1992: 9-10).

واستجابةً لهذا الشاغل، يمكن القول: إن توليد التخيل في الاسترجاع الاستطرادي يمكن عدّه في حد ذاته إنجازًا للذاكرة، وليس مجرد مرافقًا للذاكرة، إذا كان توليد التخيل يعتمد، على النحو الصحيح، على الإدراك السابق ذي الصلة ويُتحكَّم فيه بالمعلومات التي يُحتَفظ بها نتيجة لذلك الإدراك الماضي. قارن ذلك بالمثال الذي ناقشه مارتن ودويتشر في بحثهما المؤثر "التذكر" في العام 1966:

> افترضْ أنَّ أحدهم يطلب من رسام أن يرسم مشهدًا تخيليًا. ويوافق الرسام على ذلك، عادًا أنه يرسم مشهدًا خياليًا بحتًا، فيرسم صورة مفصلة لفناء مزرعة...ثم يتعرف والديه على الصورة على أنها تمثيل دقيق للغاية لمشهد رآه الرسام مرة واحدة فقط في طفولته...على الرغم من أنَّ الرسام يعتقد بصدق أن عمله خيالي بحت، ولا يمثل مشهدًا حقيقيًا، إلَّا أنَّ المراقبين المذهولين لديهم كل الأدلة اللازمة لإثبات أنه في الواقع يتذكر مشهدًا من الطفولة» (1966: 167-8).

هنا لدينا شجاعة الإقرار بأن فعل الرسم هذا هو إنجاز للذاكرة، على وجه التحديد؛ لأن الفعل يعتمد بالطريقة الصحيحة على الإدراك السابق للرسام، على الرغم من أن الرسام لم يعتمد عن قصد على المعرفة التي احتفظ بها كنتيجة لذلك الإدراك الماضي. وبالمثل، قد يكون لدينا أسباب مماثلة لاعتقاد أن توليد التخيلات في الاسترجاع الاستطرادي يمكن عدّه في حد ذاته إنجازًا للذاكرة، وليس مجرد نشاط ذهني يكون مرافقًا فقط لفعل معرفاني آخر يكون هو فعل التذكر الحقيقي.

ومع ذلك، فإن المقارنة مع مثال مارتن ودويتشر المعروف، مثال الرسام، قد تمنحنا وقفة للتساؤل عمّا إذا كانت الاستعانة بالتخيل في الاسترجاع الاستطرادي يمكن أن يكون بحد ذاته كافيًا لتأمين فكرة أن هذا الشكل من الذّاكرة يشبه شكلًا من أشكال السفر الزمني الذهني. إذ ليس من المقنع على الإطلاق اعتقاد أن الرسام ينتقل ذهنيًا إلى أي موقع زمني ماضٍ عندما يرسم المشهد الذي شهده سابقًا. فلماذا يجب أن نعتقد أنه في الحالة التي يعتمد فيها توليد التخيلات، بالطريقة الصحيحة، على إدراك سابق، تكون الفحوى هي انتقال الشّخص ذهنيًا إلى موقع زمني سابق؟

ردًا على ذلك، يمكن الإقرار بأن توليد التخيل لن يكفي في حد ذاته لانتقال المرء ذهنيًا إلى أي وقت سابق؛ لأن ذلك سيتطلب عملًا تخيليًّا إضافيًّا. والتحديد، سيتطلب الفعل المعرفاني التخيلي أو الافتراضي المتجسد في أن يكون فعل التخيل الإدراكي الحالي للمرء هو خبرة ماضية لحدثٍ ما[6].

قد نطلق على التقرير الذي يتضمن تلك الفكرة رؤية "إعادة الأداء" فيما يتعلق بالسفر الزمني الذهني الذي ينطوي عليه الاسترجاع الاستطرادي؛ لأنه يقدم نموذجًا لسفر الزمني الذهني يمكن مقارنته بالنشاط الذي يمارسه أولئك الذين يعيدون تأدية المعارك التاريخية. أولئك الذين يستمتعون بهذه الهواية يعيدون خلق الأحداث الماضية من خلال القيام بأشياء ما الآن، والأشياء التي يقومون بها تُعرَض لهم على أنها حاضرة مؤقتًا، لكنهم أيضًا يتظاهرون أو يتخيلون أو يتعاملون مع ما يقومون به الآن على أنه حدث ماضٍ. وبالمثل، وفق وجهة النظر "إعادة الأداء" فيما يتعلق بالسفر الزمني الذهني المتضمن في التذكر الاستطرادي، فإنه عندما نتذكر حدثًا ما من الماضي، فإننا نولد بعض التخيلات

---

(6) يمكن القول: إن "الشعور بالألفة" المصاحب للتخيل لن يكون كافيًا لنقل الشّخص من موقع زمني إلى آخر؛ لأنه يكفي فقط للإحساس بأن حدثًا من النوع ذاته قد اختبره الشّخص سابقًا. وقد استند راسل لاحقًا إلى الشعور بالألفة في تقريره عن الذّاكرة في عمله (1912)، ونجد هذا الاستناد أيضًا في تقرير برود Broad (1925). يقدم ماتين Matthen (2010) تقريرًا يؤدي فيه الشعور بالألفة دورًا مختلف إلى حدٍّ ما.

الذهنية، وهذا الفعل يُعرَض لنا على أنه حاضر، ولكننا نتظاهر أو نتخيل أو نفترض أن هذا الفعل الحالي هو خبرة ماضية لحدثٍ ما. يشير هذا الاقتراح إلى وجود تناظر مباشر بين السفر الزمني الذهني في الاسترجاع الاستطرادي والسفر الزمني الذهني في تخيل الأحداث المستقبلية (أو الأحداث الماضية). ففي جميع الحالات، ينقل المرء نفسَه ذهنيًا إلى موقع زمني آخر من خلال الإسقاط التخيلي لنفسه في هذا الموقع، ويقوم المرء بهذا الإسقاط عبر الزمن من خلال تخيل أنه يشغل الموقع الزمني المناسب عندما ينخرط في أفعال التخيل الإدراكي[7].

ربما يحاجج المدافع عن هذا النوع من التقارير المتعلقة بالاسترجاع الاستطرادي بما يلي:

إن الاقتراح يستوعب فكرة أنه في أفعال الاسترجاع الاستطرادي يُجعل نوع-حدث حاضرًا في الخيال الإدراكي بطريقةٍ تشبه محاكاة الخبرة الإدراكية لهذا النوع من الحدث، وهذا يستوعب فكرة أن الاسترجاع الاستطرادي يشبه بطريقةٍ ما اختبار هذا النوع من الأحداث أو إعادة معايشته. كما أنه يستوعب فكرة أن هذا إنجاز للذاكرة. علاوة على ذلك، فإنَّه يستوعب فكرة أنَّ المرء ينتقل ذهنيًا إلى موقع زمني آخر، وبما أن آلية الانتقال الذهني هي فعل معرفاني تخيلي أو افتراضي يتجسد في أن الفعل الحالي للتخيل الإدراكي هو خبرة ماضية لحدثٍ ما، فإنَّ الاقتراح يتجنب الالتزام بفكرة أن الاسترجاع الاستطرادي يُحرّف حتمًا الموقع الزمني للحدث المُسترجَع.

---

(7) وفق الرأي القائل بـ "إعادة الأداء" الذي يدور في ذهني، فإنه في حالة الاسترجاع الاستطرادي، من المحتمل أن يكون فعل نقل الذات ذهنيًا إلى موقع زمني آخر قائمًا على المعرفة والاعتقادات التي لدى المرء حول أحداث محددة في الماضي. ومع ذلك، يؤدي الخيال أو الافتراض دورًا حاسمًا في هذا التقرير؛ لأنه يحاول استيعاب الفكرة القائلة: إن شيئًا حاضرًا (أي: الخبرة المحاكية التي تحدث في وقت الاسترجاع) يُمثَّل على أنه يشغل موقعًا زمنيًا ماضيًا، وتخيل أو افتراض أن ما هو موجود الآن يشغل موقعًا زمنيًا ماضيًا هو الطريقة الواضحة لتجنب الاتهام بأن هذا ينطوي على شكل إشكالي من أشكال إساءة فهم ما هو موجود الآن.

ومع ذلك، قد يشتكي مُنتقدو هذا النوع من الاقتراح من أنَّ التقرير يتعثر في عدِّه الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي متعلقة بالحاضر، وفي افتراض أنه يتطلب فعلًا معرفانيًا من التخيل و/ أو الاعتقاد من أجل ربط حلقة الاسترجاع ببعض الأحداث الماضية. وهناك اتهام ذو صلة موجّه إلى اقتراح التقرير أن الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي تتعلق بنوع الحدث، وليس بحدث ماض محدد. يُجادل البعض بأنه من خلال تعلق شخصٍ ما بحدث ماضٍ محدد، فإن الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي تمنح المرء وسيلة لإعادة فهم هذا الحدث الماضي - طريقة لإعادة فهم هذا الحدث الماضي الذي يمكن أن يفسر قدرة المرء على أن يبقى متصلًا معرفانيًا بذلك الحدث الفردي، وأن يحيل إليه إشاريًا بطريقة مميزة[8]. لكن يبدو من الصعب استيعاب هذا الاقتراح إذا كان المرء يرى أن (أ) الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي تتعلق بنوع حدث وليس بحدث ماضٍ محدد، و(ب) اعتقادات المرء حول أحداث محددة ماضية هي فقط التي تجعل من الممكن للمرء أن يربط معرفانيًا بين تلك الجوانب الحسية للاسترجاع وأحداث ماضية محددة.

إن هذه الاعتبارات ربما لا تصيب ما أسميته تقرير "إعادة الأداء" عن الاسترجاع الاستطرادي بأي ضرر. لكن إذا كان المرء متعاطفًا مع مثل هذه الشكاوى، فقد يعتقد أن مصدر خطأ التقرير يكمن في الطريقة الجدية جدًا التي يتعامل بها مع تعبير السفر الزمني الذهني. فهذا التقرير يقترح، في محاولته لتكييف هذه الاستعارة، أنه في الاسترجاع الاستطرادي يُمثِّل الحدث على أنه حاضر مؤقتًا. ويؤدي هذا الاقتراح بدوره إلى اقتراح أن الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي تتعلق بالحاضر، واقتراح أن الجوانب الحسية

---

(8) يمكن العثور على مقترحات مختلفة حول الطريقة التي يمكن أن يوفر بها الاسترجاع الاستطرادي شكلًا مميزًا من الاتصال المعرفاني بأحداث ماضية محددة في: McDowell، 1978، وCampbell، 2001، وHoerl، 2001، وMartin، 2001، وDebus، 2008. ولمناقشة الألغاز المرتبطة بطرق محددة لاستيعاب هذا الاقتراح بادعاء أن الحدث الماضي هو مكوّن تأسيسي لحلقة الاسترجاع، انظر: Martin، 2015.

للاسترجاع الاستطرادي تتعلق بنوع الحدث، وليس بحدث ماضٍ محدد. إن الطريقة الأوضح لتجنب مثل هذه النتائج هي التشكيك في الاستعارة. وبالفعل أعرب البعض عن شكوكية من هذا النوع. فمثلًا: كتب أليكس بيرن Alex Byrne ما يلي:

«إن الاستعارة المدهشة، "السفر الزمني الذهني"، مضللة. إذ لا يمتلك المسافرون عبر الزمن أي خبرة خاصة للماضي - فعندما يخرج الدكتور هُو Who من آلته الزمنية في العصر السيلوري، فإنه يختبر الأحداث الجارية في ذلك الوقت على أنها في الوقت الحاضر. ولكن في الاسترجاع الاستطرادي تظهر أحداث الماضي على أنها من الماضي» (2010: 25).

وعلى نفس المنوال، يقول موهان ماثين Mohan Matthen:

«من غير الدقيق من الجهة الفينومينولوجية ادعاء أن (كما دعا تولفنغ، ربما عرَضًا) تلك الذّاكرة...تعرض نفسها على أنها عن الحاضر...ولذلك يجب الرجوع إلى الماضي من خلال اعتقاد مصاحب. لكن هذا هو مضمون الافتراض القائل: إن الذّاكرة الاستطرادية تعرض نفسها بالطريقة ذاتها تمامًا التي تعرض بها نفسها الخبرة الأصلية. فمن جهة مهمة، الذّاكرة الاستطرادية لا تشبه "السفر الزمني الذهني" فإذا سافرتُ فعليًا إلى الوراء زمنيًا لتناول غداء الأمس، فلن تكون لدي فقط خبرة شعرتُ أنها عن الحاضر، وإنما ستكون خبرة عن الحاضر» (2010: 8).

فيما يلي سأجادل بأن هذه المخاوف المتعلقة بتقرير "إعادة الأداء" فيما يتعلق بالاسترجاع الاستطرادي يجب ألا تدفع المرء إلى رفض استعارة السفر الزمني الذهني، إذ لا يحتاج المرء إلى أن يتخلى عن وجهة نظر تقول: إن الاسترجاع الاستطرادي ليس أشبه بالسفر الزمني الذهني من التّفكير الحاضر حول الماضي؛ لأن هناك طريقة بديلة لفهم فكرة أن هناك اعتبارًا منفصلًا وفقه يُجعَل الحدث الماضي حاضرًا في الاسترجاع الاستطرادي. ويمكن لهذا البديل أن يستوعب

الاقتراح القائل: إن الاسترجاع الاستطرادي يرقى إلى شكل من أشكال السفر الزمني الذهني، ولكن يمكنه أن يكون كذلك دون الالتزام بتقرير إعادة الأداء وسماته الإشكالية.

سأقترح أنه لفهم الطريقة المميزة التي يُجعَل بها الماضي حاضرًا في الاسترجاع الاستطرادي، نحتاج أولًا إلى معالجة مسألة ذات صلة بشأن الخيال الإدراكي: نحتاج إلى فهم الطريقة المميزة التي يمكن بها للأشياء والأحداث الغائبة أن تكون حاضرة في الخيال الإدراكي، يقدم عمل سارتر، "التخيل Imaginary"، رؤى مهمة حول هذه المسألة بالذات. وسنطبق هذه المسألة بعد ذلك على تقرير تمثيل الوقت في الاسترجاع الاستطرادي. كما سنرى، يقدم هذا التقرير طريقة لاستيعاب الاقتراح القائل: إن الاسترجاع الاستطرادي يرقى إلى شكل من أشكال السفر الزمني الذهني، ولكن دون الالتزام برؤية "إعادة الأداء".

2. الغائب أصبح حاضرًا في الخيال الإدراكي:

في كتاب "التخيل" يقترح سارتر أن فعل التخيل الإدراكي لشيءٍ ما يمكن أن تكون له الكثير من القواسم المشتركة مع إدراك صورة شيءٍ ما - على سبيل المثال: خبرة النظر إلى صورة فوتوغرافية أو رسم كاريكاتوري لشخص تعرفه. وفق سارتر: «كل هذه الحالات المختلفة تعمل على جعل شيءٍ ما "حاضرًا"» (2005: 19). فالنظر إلى صورة بيير Pierre، وكذلك تخيل بيير في الخيال الحسي يمكن أن يساعد في جعل بيير "حاضرًا". ومع ذلك، في أي حالة يكون بيير غير موجود، ونحن نعرف أنه غير موجود. هذه النقطة الأخيرة مرتبطة بخاصية الخيال التي ناقشها سارتر في مقطع من كتابه بعنوان: "الوعي التخيلي يفترض موضوعه على أنه عدم". يقترح سارتر هنا أن «سمة الموضوع القصدي للوعي التخيلي هي أن الموضوع غير موجود ويُفترَض أنه كذلك» (2005: 13). ويذكر سارتر أن الخيال «يعرض موضوعه على أنه ليس موجودًا» - على أنه «غائب عن البداهة» (2005: 14).

إن السّؤال الذي يطرح نفسه هنا هو:

كيف لنا أن نفهم التوقع الذي وفقه يكون موضوع التخيل "حاضرًا" للشخص عندما يتخيله، مع التسليم بأن الشيء الذي يتخيله ليس حاضرًا حرفيًا، ويُعرَض على أنه "غير موجود"؟ فكر أولًا في خبرة النظر إلى صورة فوتوغرافية لصديقك. أنت ترى الصديق الغائب في شيءٍ موجود، ولكنه لا يُماهي صديقك - أي: الصورة الفوتوغرافية. قد يكون هناك توقع ما وفقه يُجعَل الموضوع الغائب (صديقك) "حاضرًا" من خلال النظر إلى الصورة ورؤية صديقك في الصورة. لكن في هذه الحالة، هناك موضوعان أنت على دراية بهما - الصورة الفوتوغرافية وصديقك. وموضوع منهما حاضر والآخر غائب. إذا أردنا أن نتابع عن كثب التشابه بين فعل التخيل الإدراكي لصديقك الغائب وخبرة النظر إلى صورة صديقك الغائب، فإننا نخاطر بتجسيم reifying الصور الذهنية كموضوعات للوعي في الخيال، وهذا الشيء هو الذي يحذر منه سارتر في قوله:

«سواء أكنتُ أدرك ذلك الكرسي أم أتخيله، فإن موضوع إدراكي وموضوع [تخيلي] متماهيان: إنه الكرسي ذو المقعدة القشّية الذي أجلس عليه. الأمر ببساطة هو أن الوعي يرتبط بنفس الكرسي بطريقتين مختلفتين» (2005: 7).

وعندما ناقش سارتر مفهوم الصورة الذهنية لبيير عندما يتخيل المرء بيير قال:

«الحق أن تعبير "الصورة الذهنية" مربك. سيكون من الأفضل أن نقول: "الوعي ببيير كما هو متخيَّل" أو "الوعي التخيلي ببيير"» (2005: 7).

«إن وعيي التخيلي ببيير ليس وعيًا لصورة بيير: لقد جرى الوصول إلى بيير مباشرة، وانتباهي ليس متجهًا إلى صورة، وإنما إلى موضوع» (2005: 7).

إذا اتبعنا سارتر في هذا الرفض لتجسيم الصور الذهنية، يمكننا تعديل سؤالنا

على النحو التالي. في حالة الخيال الإدراكي، كيف يمكننا استيعاب التوقع الذي وفقه يكون الموضوع المتخيَّل "حاضرًا" و"معروض على أنه غائب" دون تجسيم الصورة الذهنية وافتراض وجود موضوعين - على سبيل المثال: بيير و«تصوير محدد لبيير في الوعي» (2005: 6)؟

أعتقد أن حل هذا اللغز يكمن في شرح ما هو صحيح في اقتراح آخر قدمه سارتر. وهو اقتراح أن «زمن الموضوع كما هو متخيَّل هو غير واقعي» (2005: 129). يقترح سارتر أنه في الخيال الإدراكي، «هناك تغييب متطاول absenteeism للزمن وكذلك للمكان» (2005: 131). وهذا يتضمن إنكار أن «زمن تدفق الوعي بالصورة هو نفسه زمن الموضوع المتخيَّل» (2005: 129). يقول سارتر: إن زمن التخيل والزمن التخيلي «منفصلان جذريًا» (2005: 129). أعتقد أن سارتر يتجه إلى شيء مهم هنا، وما أعتقد أنه صحيح في اقتراح سارتر يمكن معالجته من خلال النظر في خاصيتين أخريين لفينومينولوجيا الخيال الإدراكي اللتين يشير إليهما سارتر:

الأولى: اقتراح سارتر أن الوعي التخيل يُمنح للمرء على أنه فعل "عفوي spontaneity"[9].

الثانية: هي اقتراحه أن هناك شيئًا منظوريًا في التخيل الإدراكي مرتبط بما هو منظوري في الإدراك[10]. الآن سأستكشف كل اقتراح من هذه الاقتراحات بشيءٍ من التفصيل، بدءًا من ادعاء "عفوية" الخيال.

1.2 "عفوية" الخيال:

كيف يمكن للمرء أن يبدأ في توصيف التمييز بين التقبلية receptivity والعفوية، إذا كان يعتقد أن الإدراك هو فعل تقبلي، في حين أن الخيال هو فعل عفوي؟

---

(9) Sartre، 2005، ص14.

(10) هذه إحدى سمات التخيل التي يشير إليها سارتر باسم «ظاهرة شبه المراقبة The Phenomenon of Quasi-Observation» (2005. pp8-11).

ينبغي للمرء ألا يجيب ببساطة: الإدراك تقبلي بقدر ما هو سلبي passive، حيث تعني كلمة "سلبي" أن الخبرة "تحدث بلا طلب"، و/ أو "لا تخضع للإرادة". وهذا لا يكفي لتجسيد نوع السلبية الذي يميز الملكة "التقبلية"؛ لأن أفعال التخيل الإدراكي يمكن أن تحدث بلا طلب وبلا فاعلية، وعلاوة على ذلك، يمكن للمرء ممارسة فاعليته على ملكته التقبلية. ومع ذلك، هناك اختلاف في الطريقة التي يمكننا ممارسة الفاعلية على كل من (الإدراك والخيال)، وهذا له علاقة بتوقع منفصل وفقه يكون الحدوث التقبلي سلبيًا. وهذا بدوره، كما أقترح، مرتبط بالفينومينولوجيا المميزة للحدوث التقبلي في تيار الوعي. باختصار اقتراحي هو ما يلي:

(1) هناك توقع ما وفقه تنعكس تقبلية الإدراك في فينومينولوجيته - وتحديدًا في جوانب فينومينولوجيته الزمنية.

(2) هذا التوقع له تعلق شديد بتوقع آخر وفقه، من وجهة نظر الشّخص، تكون القيود المميزة فعالة على الطريقة التي يمكن للشخص من خلالها ممارسة الفاعلية على هذا الجانب "التقبلي" للذهن. (3) القيود ذات الصلة تفقد فاعليتها عندما يتعلق الأمر بالفاعلية التي يمكننا ممارستها على العناصر الحسية لتيار الوعي، مثل: الخيال. سأشرح الآن هذه الادعاءات، بدءًا من الادعاء (1) - وهو اقتراح أن تقبلية الإدراك منعكسة في جوانب فينومينولوجيته الزمنية.

في حالة الإدراك، يبدو للمرء كما لو أن الموقع الزمني لخبرته الإدراكية يعتمد على الموقع الزمني لموضوع خبرة المرء أيًا ما كان. وهذا مرتبط بالنقطة التالية:

في الحالة العادية، في تفسير سبب حدوث الإدراك عندما يقع، يستشهد المرء بالموقع الزمني لموضوع الخبرة. قارن هنا بين ممارسة المرء قدرته على استرجاع الوقائع أو الأحداث الماضية، وتخيله للأشياء أو التّفكير فيها. في تفسير سبب حدوث هذه الأفعال الذهنية عند حدوثها، لا يستشهد المرء بالمواقع الزمنية للموضوعات القصدية للأفعال، ما لم يفسر المرء حدوث نوع محدد من

التّفكير القائم على الإدراك[11]. وبشكل عام، عندما نسأل لماذا تحدث حلقة ذهنية عندما تحدث، فإننا نستشهد في حالة الحدوث التقبلي بالموقع الزمني للموضوع القصدي، بخلاف حالة الحدوث غير التقبلي.

هناك توقع ما وفقه يبدو للمرء أن الموقع الزمني لإدراكه سلبيًا فيما يتعلق بالموقع الزمني لموضوع الإدراك. لذلك لا يقتصر الأمر على أنه في حالة الخبرة الإدراكية تحدث حلقة ذهنية بلا طلب؛ لأن هذا يمكن أن ينطبق أيضًا على الأفعال الذهنية الأخرى، بما في ذلك الأفعال المعرفانية الواعية، مثل: الأفكار الواعية، وكذلك أفعال التخيل الإدراكي. ما هو مميز في حالة الخبرة الإدراكية هو أنه من وجهة نظر الشّخص، يعتمد المسار الذي تتخذه خبرته على كيفية سير الأمور الآن مع موضوع الخبرة، ويتحدد المسار بهذه الكيفية. ثم هناك معنى مميز وفقه يُنظر إلى مثل هذه الأحداث الإدراكية على أنها تأثيرات سلبية علينا. في الحالة العادية، ما تقوم عليه الخبرة الإدراكية لموضوع ما هو موضوعها. ولا نجد نظيرًا لهذا في حالة النشاط الواعي الذي لا يكون إدراكيًا، أو لا يقوم على الإدراك، مثل: الخيل الواعي، أو الاسترجاع الواعي، أو التروي والتفكر الواعي[12].

دعونا ننتقل الآن إلى الادعاء (2). وهو الاقتراح القائل: إن الطريقة التي تنعكس بها تقبلية الإدراك في جوانب من فينومينولوجيته الزمنية متعلقة بالتوقع القائل: إنه، من وجهة نظر الشّخص، تكون القيود المميزة فعالة على الطريقة التي يمكن أن يمارس بها فاعليته على هذا الجانب "التقبلي" للذهن.

---

(11) في حالة الاسترجاع الاستطرادي، بالطبع سيكون الحدث المسترجَع أسبق من فعل الاسترجاع. ومع ذلك، فإن هذه الحقيقة لا تفسر في حد ذاتها سبب حدوث فعل الاسترجاع. فمثلًا: كوني استرجعتُ للتو حدثًا محددًا في طفولتي (بدلًا من: "استرجعتُ قبل خمس عشرة دقيقة حدثًا محددًا في طفولتي"، مثلًا) لا يمكن تفسيره بالاستناد إلى حقيقة أن الحدث الماضي الذي تذكرته كان أقدم من فعل التذكر.

(12) قارن مرة أخرى بحالة الاسترجاع الاستطرادي. عندما يحاول المرء أن يسترجع حدثًا ماضيًا ويصل ذهنيًا إلى بقعةٍ ما من الماضي، فإن هذا الحدث الماضي لا يمكن أن يبدأ ويستمر سببيًا، ومن ثم يحدد مسار بعض حلقات الاسترجاع التي حدثت. يرتبط هذا بحقيقة أنه إذا اختار المرء ذلك، فيمكنه أن يسترجع المراحل الزمنية المختلفة لتسلسل سابق للأحداث بترتيب يختلف عن الترتيب الذي حدثت به.

من وجهة نظر الذات، الطريقة الوحيدة التي يمكن للشخص من خلالها ممارسة الفاعلية على المسار الذي تتخذه خبرته الإدراكية تتمثل في ممارسة فاعلية تحقيق علاقة بموضوع الإدراك - من خلال بدء/ أو إبقاء علاقة بموضوع الخبرة - مثل: النظر إليه، أو مشاهدته، أو الانتباه إليه. وفي قيام الشّخص بذلك، يمارس الفاعلية على مسار خبرته الإدراكية من خلال تحديد أي أشياء وأي سمات وما إلى ذلك تؤثر فيه الآن - أي: من خلال تحديد الموضوعات التي تحدد الآن المسار الذي تتخذه خبرة الشّخص الإدراكية. من وجهة نظر الذات، يبدو كما لو أن القيد التالي يعمل على الطريقة التي يمكن أن يمارس بها فاعلية تحقيق هذه العلاقة: يعتمد الموقع الزمني لتحقيق العلاقة على الموقع الزمني للموضوع الذي يرتبط به المرء على هذا النحو. من وجهة نظر الذات، يمكن أن يكون متعلقًا على هذا النحو بما هو حاضر الآن (بالمعنى الزمني). إن هذا القيد هو قيد مميز على الطريقة التي يمكن بها ممارسة الفاعلية فيما يتعلق بالملكة التقبلية، ولا ينطبق على جوانب أخرى للذهن.

ننتقل إلى الادعاء (3). يمكننا أن نرى الآن أن هذا القيد غير فعال عندما يتعلق الأمر بالفاعلية التي يمكننا ممارستها على العناصر غير الإدراكية لتيار الوعي، مثل: التَّفكير، والتخيل، والاسترجاع الواعي. ففي حالة: التَّفكير، والتخيل، والاسترجاع الواعي، فإن المواقع الزمنية للأفعال الذهنية لا تُحدَّد بالمواقع الزمنية لموضوعاتها القصدية[13]. على سبيل المثال: المسار الذي يتخذه التَّفكير الواعي للمرء لا يُحدَّد بالموقع الزمني لما يفكر فيه المرء. إذ يمكن أن يتراوح تفكير المرء بين الماضي والمستقبل، واللازمن، فضلًا عن الحاضر.

(13) قد يُقترح أنه في حالة الاسترجاع الاستطرادي، عندما يسترجع المرء حدثًا ماضيًا، فإنه يبدأ علاقة "اطلاع" إبستيمية مع الحدث الماضي، وهكذا في الاسترجاع، يمارس المرء فاعلية تحقيق هذه العلاقة. ومع ذلك، حتى إذا قَبِل المرء هذا الاقتراح، فإن نقطة التضاد المهمة هي: في حالة الاسترجاع الاستطرادي لا تُحدَّد المواقع الزمنية للأفعال الذهنية التي تشارك في ممارسة تلك الفاعلية بالمواقع الزمنية للموضوعات القصدية لتلك الأفعال. انظر الحاشية الحادية عشرة والثانية عشرة.

باختصار، يُقترح الادعاء الفينومينولوجي التالي حول الإدراك، أو الإحساس، كملكة تقبلية: من وجهة نظر الذات، يقتصر مجال الإحساس على العناصر التي تقع ضمن حدود "الحاضر المؤقت" وهذا يقيد الطريقة التي يمكن بها للمرء أن يمارس الفاعلية على ملكته التقبلية، أما العفوية، فليست مقيدة كذلك. فهذا الصدد، تكون العفوية "حرة وتلقائية" على نحو يخالف ملكة الإحساس التقبلية.

أريد الآن الانتقال إلى اقتراح سارتر الذي مفاده أن هناك شيئًا منظوريًا في الخيال الإدراكي مرتبط بما هو منظوري في الإدراك. تركز مناقشات هذه الفكرة عادة على جوانب التمثيل المكاني، لكنني أعتقد أننا بحاجة أيضًا إلى الأخذ في الحسبان طبيعة المنظور الزمني في الإدراك ونظيره في الخيال الإدراكي. ومع ذلك، سيتطلب ذلك أولًا توضيح التوقع الذي وفقه ترتبط الخبرة الإدراكية بوجهة نظر زمنية.

2.2 المنظور الزمني في الدراية الإدراكية:

هناك توقع ما وفقه لا تبدو الخبرة الإدراكية منظورية زمنيًا بالطريقة التي تبدو بها بعض الخبرات الإدراكية منظورية مكانيًا - مثلًا: الطريقة التي تبدو بها الرؤية منظورية مكانيًا. ففي حالة الرؤية، فإن وجهة النظر المكانية التي توفرها خبرة المرء تبدو فينومينولوجيًا منظورية وفق التوقع التالي:

يبدو أنها تنطوي على إدراك x من y، حيث x و y موقعان مكانيان، وحيث تكون x لا تماهي y. أما وجهة النظر الزمنية التي يوفرها الإدراك، فلا تبدو فينومينولوجيًا منظورية بهذه الطريقة. وهذا يعني أنه لا يبدو أنها تنطوي على إدراك x من y، حيث x و y موقعان زمنيان، وحيث تكون x لا تماهي y. يبدو أن الخبرة الإدراكية تُظهر موضوعات للوعي لا تكون فورية. لذلك هناك توقعٌ ما وفقه يبدو أن الخبرة الإدراكية تمنح الإدراك الواعي لفترة زمنية. ومع ذلك، من الناحية الفينومينولوجية، لا يبدو الأمر كما لو أنها تمنح المرء وجهة نظر إدراكية

في تلك الفترة الزمنية من موقع زمني يختلف عن تلك الفترة الزمنية (مثلًا: من موقع زمني يقع ضمن تلك الفترة الزمنية). كيف إذًا يجب أن نفهم التوقع الذي مفاده أن الدراية الإدراكية للفترة الزمنية ذات الصلة تجلب معها، رغم ذلك، شيئًا يشبه المنظور الزمني؟

أقترح أن النقطتين الفينومينولوجيتين السلبيتين التاليتين يمكن قولهما بشأن الفترة الزمنية التي يبدو أن المرء يمنحها الدراية الواعية في الإدراك:

(1) لا يبدو أن حدود الفترة الزمنية تحدد للشخص حدود الزمن. هذا مرتبط بالادعاء الكانطي بأنه في الرؤية، تُعرَض المنطقة المكانية التي يبدو أنك على دراية بها كمنطقة فرعية لمنطقة مكانيةٍ ما، وبالمثل، تُعرَض الفترة الزمنية التي أنت على دراية واعية بها على أنها فترة زمنية فرعية لفترة زمنيةٍ ما.

(2) لا تحدد حدود الفترة الزمنية للشخص الحدود الزمنية لخبرته - أي: إن حدود الفترة الزمنية لا تحدد للشخص بداية ونهاية خبرته الإدراكية، فمثلًا: إذا كنتُ أشاهد باستمرار جسمًا يتحرك باستمرار على مدى فترة زمنية ممتدة، فإنه لا يبدو لي أن الجسم يتوقف عن الحركة على فترات فرعية من تلك الفترة الزمنية الممتدة، ولا يبدو لي أن خبرتي مع الجسم تتوقف عن الحدوث على فترات فرعية من تلك الفترة الزمنية الممتدة.

يمكننا أن نضيف إلى هذه الملاحظات السلبية حول الفينومينولوجيا الملاحظات التالية الأكثر إيجابية حول الفترة الزمنية التي يبدو أن المرء يُمنح فيها دراية واعية بها في الإدراك. هناك عدم تساوق asymmetry في التوجه النفسي للمرء تجاه ما يقع على جانبي حدود الفترة الزمنية المعنية. ويرقى عدم التساوق في التوجه النفسي تجاه ما يقع على كل من الجانبين من حدود الفترة الزمنية المعنية إلى توجه زمني متوتر إلى الماضي القريب والمستقبل القريب. وهذا يعني أن حدود الفترة الزمنية ذات الصلة تحدد للشخص المختبِر الحدود التي بين الماضي والمستقبل. ونتيجة لذلك، فإن كل ما يقع ضمن الفترة الزمنية يُعطى على أنه يقع ضمن فترة زمنية تتخلل بين الماضي والمستقبل. لذا فإن كل

ما يقع ضمن الفترة الزمنية يختبره الشّخص على أنه حاضر مؤقتًا، بقدر ما يُختبَر على أنه يقع ضمن فترة زمنية تتخلل بين ما يُعطى للمرء على أنه ماضٍ ومستقبلي. إن عدم التساوق في التوجه النفسي للفرد إزاء ما يقع على جانبي الفترة الزمنية - وهو عدم تساوق يشكّل توجهًا زمنيًا متوترًا نحو الماضي والمستقبل - يمدنا بمعنى ما لكون الدراية الإدراكية للفترة تجلب معها شيئًا يشبه المنظور الزمني(14).

الآن اسمحوا لي أن أعود إلى فكرة أن هناك شيئًا منظوريًا في الخيال الإدراكي مرتبط بما هو منظوري في الإدراك - بدءًا من بعض الادعاءات الأكثر شيوعًا بشأن التمثيل المكاني في الإدراك والخيال.

3.2 المنظور المكاني والمنظور الزمني في الخيال الإدراكي:

عندما يتخيل شخصٌ ما مشهدًا تخيلًا حسيًا، فإنه يتخيل عادة وجهة نظر مكانية للموضوعات التي داخل المشهد المتخيل، فمثلًا: في تخيل مجموعة من الموضوعات، قد يُتخيَّل موضوعٌ ما على أنه على اليسار، وموضوعات أخرى على أنها على اليمين، من وجهة نظر تخيلية. وأنا أعني بقولي أن وجهة النظر المكانية هي نفسها، وليس فقط مجموعة الموضوعات، متخيَّلة ما يلي. لا يُحدَّد المركز الأصلي لوجهة النظر المكانية التي يُتخيَّل بها الموضوعات على اليسار واليمين من خلال الموقع المكاني الفعلي والاتجاه الفعلي للشخص الذي يتخيل. فمثلًا: افترض أنك مستلقٍ على السرير على ظهرك ورأسك متجه نحو السقف،

(14) إن الاقتراح الذي وضعته للتو له صلات بجوانب تقرير هوسرل عن الوعي الزمني. إذ يستند هوسرل (1905) إلى التوجهات النفسية غير المتساوقة التي هي مؤقتة - في الحفظ والاستبقاء - في تقريره عن الطريقة التي يكون فيها "الآن" في الإدراك محور توجهات "الأطراف الزمنية" لـ "الآن". إذا لم يتعالَ transcend الوعيُ على "الآن"، فلن يكون هناك وعي للحاضر على هذا النحو. ويجد المرء أفكارًا مماثلة في مناقشة بريان أوشوغنسي Brian O'Shaughnessy للخبرة الزمنية، حيث يقترح أن هناك «وجودًا مشتركًا» للماضي والمستقبل في الحاضر المختبَر. وقال في أحد المواضع: «أغلق الماضي تمامًا، واحجز المستقبل بعيدًا، وستجد أنك تغطي الحاضر بالكليّة أيضًا» (O'Shaughnessy, 2000. ص62).

وافترض أنك، في هذه الوضعية، تغمض عينيك وتتخيل سلسلة من الجبال. وبالتالي، أنت لا تتخيل أن السلسلة الجبلية تشغل موقعًا مكانيًا بالنسبة لموقعك الفعلي، أي: في مكانٍ ما فوق الموقع المكاني الذي يشغله سريرك بالفعل. وإذا صادف أنك حرّكت رأسك وأنت تتخيل ذلك المشهد، فلن تتخيل تغييرًا في الموقع المكاني للمشهد الذي تتخيله. عندما تتخيل، فإن أي تغيير في موقعك المكاني الفعلي يتوافق مع عدم وجود تغيير في الموقع المكاني المتخيل للمشهد الذي تتخيله، ويتسق مع عدم وجود تغيير في الموقع المكاني لأصل وجهة النظر المتخيَّلة التي تُتخيَّل بها جوانب المشهد على أنها على اليسار وعلى اليمين. افترض أنك توقفت عن تخيل السلسلة الجبلية، وبدأت في تخيل شاطئ. في هذه الحالة، قد لا يكون هناك شيء يحدد العلاقات المكانية الممثلة بين هذه المشاهد المتخيلة - أي: السلسلة الجبلية والشاطئ - على الأقل إذا لم تحسم هذه المسألة بما تنويه في هذا التخيل.

يمكن تفسير هذه الجوانب للتمثيل المكاني في الخيال بالاقتراح التالي: في تخيل شيء أو حدث، يتخيل المرء (وبالتالي يمثّل) منظورًا إدراكيًا لهذا الشيء أو ذلك الحدث. لنفترض أننا نتفق مع سارتر في أن فعل التخيل هو فعل عفوي. ما أقترحه الآن هو ما يلي. عندما يتخيل المرء شيئًا ما، فإن فعل التخيل هذا هو فعل عفوي يمثل منظورًا إدراكيًا لهذا الشيء. لذلك فهو فعل عفوي يمثل منظورًا للشيء المقصود الذي يمنحه فعل التقبل؛ ونظرًا لأن فعل التخيل هو فعل عفوي، فإن موقعه الزمني لا يُحدَّد بالموقع الزمني لموضوعه المقصود (ولا يبدو للذات أنه يُحدَّد بموضوعه المقصود). لكن من خلال تمثيل منظورٍ ما للموضوع الذي يوفره فعل التقبل، فإنه يمثل منظورًا زمنيًا للموضوع يوفره فعل التقبل. وهذا يعني أنه يمثل منظورًا زمنيًا يعرض هذا الموضوع على أنه حاضر مؤقتًا.

نظرًا لأنَّ الموقع الزمني لفعل التخيل لا يُحدَّد بالموقع الزمني لموضوعه المقصود، فإنَّ الموقع الزمني للمنظور الإدراكي المُمثَّل لا يُحدَّد أيضًا بالموقع الزمني لفعل التخيل (وبالتالي، لا يلزم عرضه بالتزامن مع الموقع الزمني لفعل التخيل). لذلك في حالة الخيال، لا يُحدَّد الموقع الزمني الممثَّل للحاضر

المؤقت الممثَّل بالموقع الزمني لفعل التخيل (وبالتالي لا يلزم أن يُعرَض على أنه متزامن مع الموقع الزمني لفعل التخيل). وبأخذ كل هذا في الحسبان، نصل إلى الاقتراح التالي: فعل التخيل هو تمثيل لحاضر مؤقت، والموقع الزمني الممثَّل للحاضر المؤقت الممثَّل لا يُحدَّد بالموقع الزمني لفعل التخيل.

على سبيل المثال: عندما تتخيل صديقًا يمشي نحوك، فهناك توقع ما وفقه تُتخيَّل الأجزاء الزمنية المتعاقبة لقدومه على أنها حاضرة مؤقتًا - مثلًا: هو يسير نحو إشارة المرور، والآن يتوقف عند إشارة المرور، والآن هو يعبر الطريق، وما إلى ذلك. ومع ذلك، لا يُحدِّد الموقع الزمني لفعلك التخيلي موقعًا زمنيًا ممثَّلًا للحدث الذي تتخيله. وهذا يعني أنه عندما تتخيل صديقك يسير نحوك لا يلزم أن تتخيل أن قدومه يحدث في الوقت الفعلي لفعلك التخيلي. إذ غنك قد تتخيل لقاءً في المستقبل، أو يمكنك تخيل لقاء سابق كنت تتمناه، بل يمكن في الواقع ترك مسألة وقت الحدث المتخيل مفتوحة تمامًا.

لاحظ أن الأطروحة المقترحة لا تعني أن الموقع الزمني الممثَّل لموضوع قصده تخيل الشّخص يمكن تحديده بنيّات المرء في ذلك التخيل. يمكن للمرء أن يتخيل حدثًا مستقبليًا، وأن ينوي تخيل حدث سابق، أو ينوي تخيل حدث حالي. لكن النقطة الأساسية لأغراضنا هي: لا يُحدَّد الموقع الزمني الممثَّل للموضوع القصدي للتخيل بأي شيء مستقل عن نوايا المرء في هذا التخيل. وعلى وجه الخصوص، لا يُحدَّد بالموقع الزمني لفعل التخيل. هذا ما أعدّه صحيحًا في اقتراح سارتر أن «زمن الموضوع كما هو متخيَّل غير واقعي»، وما هو صحيح في اقتراحه أنه يجب علينا إنكار أن «زمن تدفق الوعي بالصورة هو نفسه زمن الموضوع المتخيَّل»[15]

نحن الآن في وضع يسمح لنا بتقديم إجابة على سؤال سارتر الذي طرحتُه سابقًا حول الطريقة التي يمكن بها جعل الغائب حاضرًا في الخيال الإدراكي:

---

(15) Sartre، 2005، ص129.

في حالة الخيال الإدراكي، كيف يمكننا استيعاب كل من "الحضور" و"الغياب" - التوقع الذي وفقه الموضوع "يُجعل حاضرًا" ومع ذلك "يُقدَّم على أنه غائب"، على أنه "ليس هناك" - دون تجسيم الصورة الذهنية وافتراض موضوعين؟

أولًا: تأمل وضعنا الآن الذي يسمح لنا بالحديث عن التوقع المنفصل الذي مفاده أنه في الخيال الإدراكي الموضوع القصدي "يُجعَل حاضرًا". يمثل الخيال منظورًا زمنيًا لموضوعه المقصود. إنه يمثل المنظور الزمني الذي يوفره فعل التقبل. وهذا المنظور الزمني الممثَّل هو منظور يعرض الموضوع القصدي للتخيل على أنه "حاضر مؤقتًا". وفي هذا الصدد، يوفر الخيال للمرء طريقة مميزة لجعل موضوعه القصدي "حاضرًا". الآن فكر في ما يمكننا قوله أيضًا عن التوقع الذي وفقه الموضوع القصدي "يُجعَل حاضرًا" في الخيال على الرغم من أنه يُقدَّم على أنه "غير موجود". إن الحاضر المؤقت الذي يُمثَّل في الخيال لا يُعرَض على أنه متزامن مع الحاضر الفعلي للمرء - أي: الزمن الفعلي لفعل التخيل الذي يقوم به المرء.

تعتمد هذه الإجابة على سؤال سارتر المتعلق بالطريقة التي يمكن بها جعل الغائب حاضرًا في الخيال الإدراكي على توضيح الطريقة التي يمكن بها أن يعمل الخيال الإدراكي على تمثيل "هنا والآن" التي لا تُعرَض للمرء على أنها الهُنا والآن الفعليان للمرء - أي: لا تُعرَض له على أنها الهُنا والآن الفعليان اللذان يحدَّدان بمكان وزمن فعل التخيل. يعتمد ذلك على فهم فكرة أن الخيال الإدراكي يقدم طريقة لتمثيل "هنا والآن غير مقيد بالموقع الزماني المكاني لفعل التمثيل الذهني. دعونا الآن نفكر في كيفية تطبيق هذا الاقتراح في فهم المفهوم القائل: إن الماضي "أصبح حاضرًا" في الاسترجاع الاستطرادي، وبطريقة يمكن أن تصوّر الاسترجاع الاستطرادي على أنه يقدم شكلًا من أشكال السفر الزمني الذهني.

3. السفر الزمني الذهني في الاسترجاع الاستطرادي:

إنَّ تقرير التخيل الإدراكي الذي وضعته يفسح المجال أمام إمكانية تقرير عن تمثيل الزمن في الاسترجاع الاستطرادي يمكن أن يستوعب فكرة أن هذه الأفعال الذهنية تنطوي على تمثيل حدث ماضٍ على أنه حاضر مؤقتًا، وبطريقة تتجنب وجهة نظر "إعادة الأداء" فيما يتعلق بالاسترجاع الاستطرادي. والاقتراح هو ما يلي. عندما يسترجع المرء استطراديًا حدثًا ماضيًا، فإن فعل الاسترجاع هو فعل عفوي يمثل منظورًا إدراكيًا لهذا الحدث الماضي - لذا فهو عفوي يمثل منظورًا للحدث الماضي الذي يوفره فعل التقبل[16]. ونظرًا لأن فعل الاسترجاع هو فعل عفوي، فإن موقعه الزمني لا يُحدَّد بالموقع الزمني لموضوعه القصدي (ولا يبدو للذات أنه يتحدد بموضوعه القصدي)، ولكن من خلال تمثيل منظور للموضوع القصدي يوفره فعل التقبل، فإنه يمثل منظورًا زمنيًا للموضوع القصدي الذي يوفره فعل التقبل. وهذا يعني أنه يمثل منظورًا زمنيًا يعرض الحدث الماضي على أنه حاضر مؤقتًا. لذا فإن فعل الاسترجاع ينطوي على تمثيل الحاضر المؤقت، والموقع الزمني الممثَّل لذلك الحاضر المؤقت لا يُحدَّد بالموقع الزمني لفعل الاسترجاع.

ما سبق لا يزال غير كافٍ لتمييز الاسترجاع الاستطرادي عن فعل تخيل حدث ماضٍ. ولذلك، بافتراض أننا نريد مراعاة هذا الاختلاف، ما الذي يمكن إضافته؟ أظن أنه يمكننا إيجاد طريقة لمراعاة اختلاف مهم بين الاسترجاع الاستطرادي وفعل تخيل حدث ماضٍ من خلال معالجة السّؤال التالي:

في حالة الاسترجاع الاستطرادي، ما الذي يحدد الموقع الزمني للحاضر المؤقت الممثَّل؟ في حالة الخيال الإدراكي، يُحدَّد الموقع الزمني للحاضر المؤقت الممثَّل، إن كان هناك مُحدِّد، بنوايا الشّخص في ذلك التخيل. لا شيء

(16) لاحظ أن قبول هذا القدْر لا يعني الالتزام بالادعاء الذي مفاده أن الاسترجاع الاستطرادي ينطوي بالضرورة على استرجاع خبرة إدراكية سابقة مر بها المرء. لكن لا محل هنا للنظر فيما إذا كانت هناك أسباب كافية لقبول هذا الادعاء الإضافي.

في فعل التخيل يحدد أن الحدث الممثَّل يقع في: حاضر الشّخص، أو ماضيه، أو مستقبله، بصرف النظر عن نياته في التخيل. أما حالة الاسترجاع الاستطرادي، فهي على النقيض من ذلك، إذ يمكننا تقديم المجموعة التالية من الادعاءات. يُحدَّد الموقع الزمني للحاضر المؤقت الممثَّل بالموقع الزمني للحدث الماضي الذي يُمثَّل، وما يحدد الموقع الزمني للحدث الماضي الذي يُمثَّل هو (أيًا ما كان) ما يحدد الحدث الماضي المحدد الذي يُمثَّل. وهذا لأن أحداثًا محددة، وليس موضوعات محددة، يمكن أن تستمر في الوجود في مواقع زمنية مختلفة. لذا فإن ما يحدد الموقع الزمني للحاضر المؤقت الممثل هو الذي يحدد الحدث الماضي المحدد الذي يُمثَّل. وفي حالة الاسترجاع الاستطرادي (على النقيض من الخيال)، فإن السّؤال عن حدث ماضٍ محدد يجرى تمثيله لا يُحدَّد بالنيات التخيلية للشخص في ذلك التمثيل. وإنما يُحدَّد بالأصل السببي للذاكرة.

في البداية اقترحتُ أن جزءًا من جاذبية الاستشهاد بمفهوم السفر الزمني الذهني هو الإشارة إلى أن طريقة تعلق ماضي المرء بمستقبله التي يوفرها الاسترجاع الاستطرادي والخيال تختلف اختلافًا كبيرًا عن مجرد الانشغال بأفكار زمنية عن أوقات سابقة أو لاحقة. إن التقرير الذي قدمته عن تمثيل الزمن في الخيال الإدراكي والاسترجاع الاستطرادي يراعي هذا الاختلاف. فوفقه، تسمح أفعال التخيل الإدراكي والاسترجاع الاستطرادي بأن يفلت من عقدة حاضره الفعلي بطريقة مميزة؛ لأنها توفر له طريقة مميزة لتمثيل الكيانات على أنها حاضرة مؤقتًا. في هذه الأفعال، لا يتقيد الموقع الزمني للحاضر المؤقت الممثَّل بالوقت الفعلي للتمثيل.

إن الطريقة التي يكيّف بها هذا التقريرُ مفهومَ السفر الزمني الذهني في الاسترجاع الاستطرادي تختلف في بعض المناحي المهمة عن الرأي القائل بـ: "إعادة الأداء" الذي عرضته في القسم الأول. تذكّر أنه وفق هذا الرأي، "إعادة الأداء"، فإن الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي تتعلق بالحاضر الفعلي للشخص - أي: إنها تتعلق بزمن الاسترجاع. وهذا الجانب من التقرير هو الذي دفعه إلى تقديم اقتراحه أن الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي تتعلق بنوع

الحدث، وليس بحدث ماضٍ محدد؛ لأن مؤيدي هذا الرأي سيرغبون على الأرجح في تجنب الالتزام بالادعاء الذي مفاده أن الاسترجاع الاستطرادي يسيء دائمًا تمثيل الموقع الزمني للحدث المسترجَع، وبالقول: إن الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي تتعلق بنوع الحدث، وليس بحدث ماضٍ محدد، يتجنبون هذا الالتزام. حسب "إعادة الأداء، قد يوفر توليد التخيل طريقة لمحاكاة نوع الخبرة الإدراكية التي مر به المرء سابقًا، لكن توليد التخيل والمحاكاة اللاحقة لهذا النوع من الخبرة الإدراكية لن يكون كافيًا لانتقال شخص زمنيًا من موقع زمني إلى آخر. إذًا حسب "إعادة الأداء"، فإنه في كل الحالات، يحتاج المرء من أجل انتقاله ذهنيًا من موقع زمني إلى آخر إلى إسقاط نفسه تخيليًا عبر الزمن من خلال تخيل أو افتراض أنه يشغل الموقع الزمني ذي الصلة عندما ينخرط المرء في أفعال التخيل الإدراكي.

على النقيض من ذلك، وفق التقرير البديل الذي أوجزته للتو، فإن الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي ليست مرتبطة بالحاضر الفعلي للشخص. فالحاضر المؤقت الممثَّل المرتبط بمثل هذه الحلقات التخيلية لا يتزامن مع زمن الاسترجاع. بدلًا من ذلك، يُحدَّد الموقع الزمني للحاضر المؤقت الممثَّل من خلال الموقع الزمني للحدث الماضي المحدد الذي يسترجعه المرء. ومن ثم، فإن هذا التقرير البديل للاسترجاع الاستطرادي يمكن أن يتكيف مع فكرة أن الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي تتعلق بالمواقع الزمنية الماضية، وليس بزمن الاسترجاع، ويمكن أن يتكيف مع فكرة أن الجوانب الحسية للاسترجاع الاستطرادي تتعلق بأحداث ماضية محددة، وليس بأنواع أحداث. ويمكنه أن يتكيف مع فكرة أن تلك الأحداث الماضية ومواقعها الزمنية "أصبح حاضرة مؤقتًا" لك في الاسترجاع الاستطرادي بطريقة تنقلك إلى موقعها الزمني، وليس نقل تلك الأحداث الماضية إلى موقعك الزمني الحالي وقت تذكرك. علاوة على ذلك، فإن الوسائل التي يتحقق بها ذلك لا تتطلب أي فعل معرفاني تخيلي أو افتراض من جانبك. في الواقع، يسمح التقرير الذي اقترحته للمرء بأن يسترجع استطراديًا حدثًا ماضيًا حتى لو كان غير متأكد مما إذا كان

يتذكر أي شيء حقًا. فحتى في هذا المثال، هناك توقع ما وفقه ينتقل الشّخص ذهنيًا إلى موقع ماضٍ سواء أظفر به أم لم يظفر به؛ لأن في فعل الاسترجاع الاستطرادي هذا، يُمثَّل حدث ماضٍ فعلي على أنه حاضر مؤقتًا، والحاضر المؤقت الذي يُمثَّل على هذا النحو هو الزمن الماضي الذي وقع فيه الحدث[17].

المراجع:

Broad, C. D. (1925). *The mind and its place in nature*. London: Routledge & Kegan Paul.

Byrne, A. (2010). Recollection, perception, imagination. *Philosophical Studies*, *148*(1), 15-26.

Campbell, J. (2001). Memory demonstratives. In C. Hoerl & T. McCormack (Eds.), *Time and Memory* (pp. 169-186). Oxford: Oxford University Press.

Debus, D. (2008). Experiencing the past: A relational account of recollective memory. *Dialectica*, *62*(4), 405-432.

Debus, D. (2014). "Mental Time Travel": Remembering the past, imagining the future, and the particularity of events. *Review of Philosophy and Psychology*, *5*(3), 333-350.

Hoerl, C. (2001). The phenomenology of episodic recall. In C. Hoerl & T. McCormack (Eds.), *Time and memory: Issues in philosophy and psychology* (pp. 315- 338). Oxford: Oxford University Press.

Hopkins, R. (2014). Episodic memory as representing the past to oneself. *Review of Philosophy and Psychology*, *5*(3), 313-331.

Hopkins, R. (Forthcoming). Imagining the past: On the nature of episodic memory. In F. Dorsch & F. Macpherson (Eds.), *Perceptual memory and perceptual imagination*. Oxford: Oxford University Press.

Husserl, E. (1905/1964). *The phenomenology of internal time-consciousness* (M.

Heidegger, Ed. & J. S. Churchill, Trans.). Bloomington, IN: Indiana University Press.

Martin, C. B., & Deutscher, M. (1966). Remembering. *Philosophical Review*, *75*, 161-196.

Martin, M. G. F. (2001). Out of the past: Episodic recall as retained acquaintance. In C. Hoerl & T. McCormack (Eds.), *Time and memory*. Oxford: Oxford University Press.

Martin, M. G. F. (2015). Old acquaintance: Russell, memory, and problems with acquaintance. *Analytic Philosophy*, *56*(1), March, 1-44.

Matthen, M. (2010). Is memory preservation? *Philosophical Studies*, *148*(1), 3-14.

McDowell, J. (1978). On the reality of the past. In A. Hookway & A. Pettit (Eds.), *Action and interpretation*. Cambridge & New York: Cambridge University Press.

---

(17) أنا ممتن جدًا لمحرري هذا الكتاب، ولحكمين مجهولين، ولبيل بروير Bill Brewer على تعليقاتهم المفيدة على مسودة سابقة لهذه الورقة.

Michaelian, K. (2016). *Mental time travel: Episodic memory and our knowledge of the personal past*. Cambridge, MA: MIT Press.

Mullally, S. L., & Maguire, E. A. (2014). "Memory, imagination, and predicting the future: A common brain mechanism? *The Neuroscientist*, *20*(3), 220-234.

O'Shaughnessy, B. (2000). *Consciousness and the world*. Oxford: Oxford University Press.

Russell, B. (1912). *The problems of philosophy* (G.N. Clark, Gilbert Murray and G. De Beer, Eds.). Home University Library. London: Williams & Norgate.

Russell, B. (1921). *The analysis of mind*. London: Allen and Unwin.

Russell, B. (1992). *Theory of knowledge the 1913 manuscript*. London: Routledge.

Sartre, J. P. (2005). *The imaginary: A phenomenological psychology of the imagination* (J. Webber, Trans.). London: Routledge. (originally L'Imaginaire 1940)

Schacter, D. L., Addis, D. R., & Buckner, R. L. (2007). Remembering the past to imagine the future: Theprospective brain. *Nature Reviews Neuroscience*, *8*, 657-661.

Schacter, D. L., Addis, D. R., & Buckner, R. L. (2008). Episodic simulation of future events: Concepts, data, and applications. *Annals of the New York Academy of Sciences*, *1124*(1), 39-60.

Shanton, K., & Goldman, A. (2010). Simulation theory. *WIREs Cognitive Science*, *1*(4), 527-538.

Suddendorf, T., & Corballis, M. C. (2007). The evolution of foresight: What is mental time travel, and is it unique to humans? *Behavioral and Brain Sciences*, *30*(3), 299-313.

Sutton, J. (2009). Remembering. In P. Robbins & M. Aydede (Eds.), *The Cambridge handbook of situated cognition* (pp. 217-235). Cambridge: Cambridge University Press.

Tulving, E. (2002). Episodic memory: From mind to brain. *Annual Review of Psychology*, *53*(1), 1-25.

الفصل السادس عشر

تذكر الخبرات الماضية:

الذَّاكرة الاستطرادية، والذَّاكرة الدلالية،

وعدم التساوق Asymmetry الإبستيمي

كريستوف هويرل Christoph Hoerl

يبدو أنَّ هناك طريقة مميزة يمكننا من خلالها تذكر الأحداث التي اختبرناها بأنفسنا، وهذه الطريقة تختلف عن القدرة على الاحتفاظ بالمعلومات حول الأحداث التي يمكن أن نحصل عليها أيضًا عندما لا نختبر الأحداث المعنية بأنفسنا، ولكن علمنا عنها للتو في بعض الأحداث الأخرى. حاول علماء النفس وأيضًا الفلاسفة على نحو متزايد فهم هذا الاختلاف من خلال فكرة وجود نوعين مختلفين من الذَّاكرة: الذَّاكرة الاستطرادية، والذَّاكرة الدلالية. ومع ذلك، لا يزال التمييز بين الذَّاكرة الاستطرادية والذَّاكرة الدلالية موضوعًا محل نزاع في كل من التخصصين، لدرجة أن هناك باحثين في كل منهما يشككون في فائدة التمييز بين المفهومين[1]. في هذا الفصل، أصف بإيجاز الاختلاف بين الذَّاكرة الاستطرادية والذَّاكرة الدلالية، وهذا الوصف يربط هذا الاختلاف بما يسمى أحيانًا: "عدم التساوق الإبستيمي" بين الماضي والمستقبل، أو "السهم الإبستيمي epistemic arrow" للزمن. واقتراحي هو أن الذَّاكرة الاستطرادية والذَّاكرة الدلالية يمثلان عدم التساوق الإبستيمي بطريقتين مختلفتين، ولأسباب

(1) ظهر التمييز الاستطرادي/ الدلالي على يد تولفنغ (1972)، ونقحه تولفنغ في عدد من الأعمال الأخرى (Tulving, 1985, 2002; Wheeler, Stuss, & Tulving، 1997). واقتُرحت طرق متنافسة لتقسيم مجال الذكريات، على سبيل المثال في: Bernecker (2010) و Rubin and Umanath (2015).

مختلفة بشكل أو بآخر، وأن الطريقة التي تمثل بها الذّاكرة الاستطرادية عدم التساوق الإبستيمي تتجلى في الشّخص المتذكّر على نحو لا ينطبق على الذّاكرة الدلالية.

سوف أبدأ عرضًا موجزًا لبعض الأعمال الحالية حول عدم التساوق الإبستيمي، قبل أن أنتقل إلى السّؤال المتعلق بالكيفية الدقيقة لتطبيق فكرة عدم التساوق الإبستيمي في حالة الذّاكرة، وما إذا كان يمكن تطبيقها في شكل مختلف بطريقةٍ ما لأنواع مختلفة من الذّاكرة. أعتقد أن الأسئلة الأخيرة هي محل اهتمام مستقل، وقد جرى تجاهلها إلى حدٍّ كبير حتى الآن في الأدبيات المتعلقة بعدم التساوق الإبستيمي[2]. ومع ذلك، كما سأحاول أن أبين، فإن التركيز عليها يمكن أن يساعد أيضًا في تسليط ضوء جديد على بعض التوصيفات الموجودة للفعل للتباين بين الذّاكرة الاستطرادية والذّاكرة الدلالية، على سبيل المثال: من خلال توفير مواد تجعل من المعقول أن الذّاكرة الاستطرادية تنطوي على احتفاظ بشكل مميز من أشكال الاتصال المعرفاني بالأحداث، فضلًا عن أنها موجهة للماضي بخلاف الذّاكرة الدلالية. إن هدفي الأساسي هو وضع جدول عمل في هذا المجال المهمل من البحث، وهذا هو السبب في أن بعض مزاعمي تظل برنامجية إلى حدٍّ ما في هذه المرحلة.

1. عدم التساوق الإبستيمي:

غالبًا ما يتحدث الفلاسفة الذين يعملون في مجال ميتافيزيقا الزمن عن عدد من اللاتساوقات المختلفة "أو الأسهم" التي يبدو أن الزمن يظهرها: تصبح الأحداث حاضرة على التوالي في اتجاه المستقبل، بدلًا من الماضي ("سهم الزمن")، أو أن الإنتروبيا تزداد بمرور الوقت في الاتجاه ذاته ("السهم

(2) الاستثناء هو هوجيت Huggett (يصدر قريبًا). يعالج هوجيت الأسئلة المتعلقة بارتباط الذّاكرة وعدم التساوق الإبستيمي داخل فلسفة الفيزياء، إلى حد كبير. وسيكون تركيزي الأساسي على الإبستمولوجيا.

الديناميكي الحراري")، أو أن الأسباب تسبق دائمًا آثارها ("السهم السببي").

إن السّؤال العام الذي يهتم به الفلاسفة عادة، في هذا السياق، هو كيف يمكن أن ترتبط هذه الأسهم ببعضها البعض، وعلى وجه الخصوص ما إذا كان بعضها قد يؤسس للبعض الآخر بطريقة تكشف عن لا تساوقات وهمية محددة، يبدو أن الزمن يُظهرها، بمعنى أنها لا ترجع في الواقع إلى الطبيعة الميتافيزيقية للزمن ذاته، وإنما إلى بعض السمات العرضية لكيفية ترتيب الأشياء في الزمن[3].

تتعلق إحدى اللاتساوقات التي ناقشها الفلاسفة أيضًا في هذا السياق بمعرفتنا بالماضي مقابل معرفتنا بالمستقبل، أو ما يسمى أحيانًا: "السهم الإبستيمي". من الواضح أن هناك معنى ما وفقه تختلف معرفتنا بالماضي عن معرفتنا بالمستقبل. ومع ذلك، كما يوضح الاقتباس التالي من ديفيد ألبرت David Albert، قد يكون من الصعب الحصول على تحديد أدق لماهية الاختلاف المعني:

«يختلف نوع وصولنا الإبستيمي إلى الماضي عن نوع وصولنا الإبستيمي إلى المستقبل. وهذا (بتعبير معتدل) لا يشك فيه أحد. ومع ذلك....هناك أدبيات هائلة حاليًا حول الصعوبة المزعومة لتحديد ماهية هذا الاختلاف بالضبط.

على سبيل المثال: غالبًا ما يشار إلى أن الاختلاف لا يكمن بالتأكيد في أن لدينا معرفة بالماضي بخلاف بالمستقبل. ففي النهاية، نحن لدينا معرفة بالمستقبل. فنحن نعرف مثلًا (ومعرفتنا هذه لا تقل يقينًا عن قدر كبير مما نعرفه عن الماضي) أن الشمس ستشرق غدًا.

وإذا قيل: إننا نعرف عن الماضي أكثر مما نعرف عن المستقبل، فإن

---

(3) حول أهمية هذا التمييز انظر: .(Price.1996, ch 1). وقد اقتُرحت طرق مختلفة لتفصيل هذا المشروع العام، مثل: Horwich (1987)، و Ismael (2016)، و Callender (2017)، وFernandes (2017).

هذا يبدو (وفق الطريقة المعتادة في الحديث) صحيحًا بدرجة كافية، ولكن (على وضعه هذا) ليس مفيدًا على نحو خاص - إذ يبدو أنه لا يمدنا بشيء على الإطلاق يمكننا أن نفكر فيه أكثر من ذلك، لا شيء (إن جاز التعبير) يمكننا أن نغرس أسناننا فيه.

في بعض الأحيان يتحول التركيز إلى الاختلاف بين الأساليب التي نعرف بها أمورًا عن الماضي والمستقبل. إذ يقال (على نحو أكثر تحديدًا): إنه يمكن أن يكون هناك ما يشبه سجلات الماضي فقط؛ ولكن دائما تقريبًا ما يُتبع ذلك على الفور بتأفف من المعنى الدقيق المراوغ لكلمة "سجل"، ونعود إلى الجهل مرة أخرى» (Albert, 2000، ص. 113).

سوف أناقش بعض المسائل المشار إليها في هذا المقطع بمزيد من التفصيل فيما يلي:

حاليًا، أريد فقط أن أذكر أن ما أُجري من معالجة حتى الآن من خلال المناقشة الفلسفية المتعلقة بعدم التساوق الإبستيمي قد أُجري حصريًا تقريبًا في سياق فلسفة العلم وميتافيزيقا الزمن، وليس في سياق الإبستمولوجيا ذاتها، وربما يرتبط ذلك بكون المناقشات الحالية لم تهتم بالأساس بالطريقة التي قد تظهر بها المعرفة أو الذَّاكرة ذاتها عدم تساوق زمني. وإنما كان التركيز الرئيس في النهاية، كما هو موضح في فقرة ألبرت، على الفكرة العامة القائلة: إنه يمكننا الحصول على سجلات الماضي، ولكن ليست هناك سجلات للمستقبل، حيث تُصوَّر هذه السجلات عادة على أنها أشياء يمكننا اكتساب المعرفة منها.

في سياق هذا الفصل، لا يوجد سوى مساحة لعرض موجز جدًا لشيء من العمل الجاري في هذا المجال. تتمثل إحدى نقاط البداية المفيدة في ملاحظة أن لدينا طرقًا لاكتشاف الأشياء في العالم لا تُظهر عدم تساوق ماضٍ/ مستقبلي. يمدنا شيطان لابلاس بمثال حي لكيف يمكن من حيث المبدأ، في ظل افتراض الحتمية، الاستدلال على كل من حالات العالم الماضية والمستقبلية من الحالة الحالية للعالم باستخدام القوانين الديناميكية. قد لا نمتلك معرفة الشيطان

الشاملة بالحالة الحالية للعالم أو قدراته الاستدلالية، وأيضًا قد لا يكون عالمنا محكومًا بحتمية صارمة، ومع ذلك، طالما أننا نتمسك بمنهج إجراء الاستدلالات عبر الزمن باستخدام القوانين الديناميكية، فليس من الواضح لماذا يجب أن تؤثر هذه العوامل بشكل مختلف في قدرتنا على القيام بذلك في الاتجاه المستقبلي والماضي، على التوالي.

إذًا الشيء الوحيد الذي يخرق التكافؤ بين الماضي والمستقبل ويُظهر عدم التساوق الإبستيمي هو أن هناك أيضًا طريقة منفصلة يمكننا بها الحصول على معرفة بالأحداث أو حالات الأمور غير الحالية، بخلاف تطبيق القوانين الديناميكية، لكن الأحداث وحالات الأمور الماضية فقط هي التي يمكن أن تمدنا هذه الطريقة المنفصلة بوصول إبستيمي إليها. هذا هو جوهر الفكرة القائلة بإمكانية وجود سجلات للماضي بخلاف المستقبل. ولاستخدام مثال نموذجي ناقشه رايشنباخ Reichenbach (1956)، يمكن لأثر قدم على الشاطئ أن يخبرنا بأن شخصًا ما مشي على هذا الشاطئ، ولكن لا يوجد شيء يمكن أن يخبرنا بطريقة مماثلة عن الأحداث المستقبلية[4].

إن محاولات تفسير وجود عدم التساوق الإبستيمي، المفهوم على هذا النحو، تربطه عادة بعدم تساوق آخر في الزمن: عدم التساوق الديناميكي الحراري. وهذا يكمن في حقيقة أن العالم، كما نختبره، يتميز بتدرج إنتروبي لاحق/ سابق. وكما توضح جيل نورث Jill North (2011, p. 313):

«إنَّ خبرتنا اليومية هي إلى حدٍّ كبير عمليات فيزيائية تحدث في اتجاه واحد فقط في الزمن، ففنجان القهوة الدافئ الذي يُترك في غرفة أكثر برودة، سيبرد في أثناء النهار، ولن يزداد دفئًا تدريجيًا. وصندوق الغاز المفتوح في أحد أركان الغرفة سوف يتمدد إلى حجم الغرفة، والغاز الذي بدأ في الانتشار لن ينكمش في زاوية واحدة صغيرة. والعصا الماصّة

(4) هذا المثال هو في الأصل من Schlick (1925).

المتروكة على الطاولة تتبدل إلى ركام فاسد ميؤوس منه، وللأسف الركام الفاسد لن يتصلب مرة أخرى ليعود عصا ماصة مرة أخرى».

إن كل عملية من هذه العمليات هي عملية انتقال من حالة إنتروبيا أقل إلى حالة إنتروبيا أعلى، ونجد هذه التحولات تحدث فقط في اتجاه واحد في الزمن، وليس في الاتجاه العكسي[5]. والمقصود على نحو تقريبي بأن الإنتروبيا تزيد هنا، كما يُعبَّر عن ذلك في بعض الأحيان، هو أن نظامًا في حالة يُظهر شكلًا محددًا من الترتيب (كل الدفء المتركز في فنجان القهوة، كل الغاز المحبوس في صندوق في ركن الغرفة، والماصة تحتل مكان صغير ومحدد على الطاولة) يتطور إلى نظام يُظهر ترتيبًا أقل من هذا النوع.

كيف يمكن ربط عدم التساوق الديناميكي الحراري بعدم التساوق الإبستيمي؟ فكّر مرة أخرى في مثال أثر القدم على الشاطئ: منطقة الشاطئ التي تحتوي أثر القدم هي نظام فيزيائي يُظهر، بحكم احتوائه على أثر القدم، حالة منخفضة (نسبيًا) من الإنتروبيا: الطريقة التي تتوزع بها حبيبات الرمل تنطوي على حدود مغلقة حادة نسبيًا بين منطقتين، المنطقة التي داخل أثر القدم والمنطقة التي خارجه. في ضوء ما قلناه للتو عن الطريقة التي تتطور بها مثل هذه الأنظمة بمرور الوقت، فإن هذا هو نوع من الحالة لا نتوقع ظهوره من تلقاء نفسه من حركات حبيبات الرمال على الشاطئ. وإذا تُرك أثر القدم على حاله، فإننا نتوقع أن يختفي بعد فترة، حيث تتطاير الرمال في مهب الريح، ولن نتوقع أبدًا أن نرى عكس هذه العملية. هذا ما يجعل أثر القدم الذي يُعد نوعًا محددًا من الترتيب الفيزيائي، قادر على العمل كسجل[6]. وما يسجله هو تفاعل بين

---

(5) ما يُفسر بدوره هذه الحقيقة لا يزال موضوع جدل كبير. هناك قصة إحصائية مباشرة إلى حدٍّ ما لا بد من إخبارنا بها حول سبب توقعنا لزيادة الإنتروبيا بمرور الوقت، أي: لماذا يجب أن نتوقع أن تتطور حالات الإنتروبيا المنخفضة إلى حالات إنتروبيا أعلى. وتكمن المشكلة في أن الإحصائيات ذات الصلة محايدة مؤقتًا: يجب أن تقودنا الاعتبارات ذاتها إلى اعتقاد أن الإنتروبيا تزداد في الاتجاه الماضي أيضًا. لذلك، هناك حاجة إلى تفسير ثانٍ لما يقدِّم عدم التساوق بين الماضي والمستقبل. انظر للمناقشة: Callender (2016).

(6) خلال هذه الورقة، سأستخدم تعبيرات مثل: 'هو سجل لـ' وأيضًا 'يتذكر' على أنها وقائعية،

تلك المنطقة من الشاطئ ونظام فيزيائي آخر، الذي هو نفسه يُظهر حالة منخفضة من الإنتروبي: إنسان يمشي على طول الشاطئ. هذا هو سجل أثر القدم، ولكن، بالنظر إلى اتجاه عدم التساوق الديناميكي الحراري، إن كان هذا هو ما يُسجَّل بأثر القدم، فلا بد أنه شيء يكمن في ماضي أثر القدم، وليس في مستقبله.

إن شيئًا كهذا يُقبَل على نطاق واسع في الكثير من الأدبيات الحالية، على الرغم من وجود عدد من الانتقادات التي تشير إلى أنه، على الأقل، بحاجة إلى تحسين من أجل أن يقدم تقريرًا دقيقًا، على سبيل المثال: مستوى المعرفة التفصيلية التي نعد أنفسنا نمتلكها عن الماضي، والطرق المتنوعة التي يمكننا بها استخلاص استنتاجات حول الماضي من الأدلة الحالية[7] لن أكرر هذه المجادلات الحالية فيما يلي، وإنما سينصب تركيزي على عد مختلف وفقه تظل هذه القصة، حتى لو كانت صحيحة، غير مكتملة. كما أريد أن أجادل، إنها تمدنا بتقرير عن نوع واحد فقط من الظواهر المرتبطة بعدم التساوق الإبستيمي، وبالأخص هو يهمل الجانب المعين من عدم التساوق الإبستيمي الذي يمكن القول: إنه أكثر ما نعرف عن كثب.

2. عدم التساوق الإبستيمي والذَّاكرة الدلالية:

جزء من هدفي في ربط التمييز بين الذَّاكرة الاستطرادية والذَّاكرة الدلالية بالمسألة العامة المتعلقة بعدم التساوق الإبستيمي للزمن هو تقديم تصنيف لأنواع عدة

أي: بِعَدِّها تتضمن الصدق (انظر أيضًا التركيز على المعرفة فيما يلي). سؤالي هو: بقدر ما تكون هذه الحالات سجلًا (صادقًا) لشيءٍ ما، أو تذكرًا (صادقًا) لشيءٍ ما، ما الذي يشكّل وجود شيء أو شخص في تلك الحالات؟ سأضع جانبًا وجود حالات أخرى غير صادقة قد لا نتمكن، في بعض الأحيان، من التمييز بينها وبين تلك الحالات الصادقة، وسأتجاوز أيضًا المجموعة المنفصلة من المسائل الفلسفية التي قد تثيرها.

(7) للاطلاع على بعض التحديات لهذه القصة، انظر مثلًا: Earman (1974) وHorwich (1987). ولمراجعة وفقها يوجد عدم تساوق أكثر أساسية يؤسس كلًا من عدم التساوق الإبستيمي والسهم الديناميكي الحراري، انظر: Albert (2000).

مختلفة من "السجلات"، وكلها تُظهر نوعًا من عدم تساوق الماضي/ المستقبل، لكن يقوم كل منها بذلك بشكل مختلف إلى حدٍّ ما[8]. أو هكذا سأجادل.

من الأسئلة التي يجب النظر فيها في هذا السياق هو: ما أوجه اختلاف الذكريات، بشكل عام، عن ظواهر مثل أثر القدم على الشاطئ. سأفترض أنه يمكن، عند مستوى محدد من التجريد، وصف الذكريات أيضًا على أنها سجلات، وقد يكون هناك أيضًا تفسير أساسي مشترك في نهاية المطاف، وربما من النوع الموضح في القسم السابق، لسبب كون أن الذكريات والأنواع الأخرى من السجلات تُظهر عدم تساوق ماضٍ/ مستقبل (يحب توضيح طبيعة عدم التساوق هذا توضيحيًا أكبر في حالة الذكريات، كما سيأتي). ومع ذلك، من الواضح أن هناك أيضًا معنى ما وفقه نتعامل مع ظواهر من نوعين مختلفين بشكلٍ ما:

إحدى السبل الواضحة التي تختلف بها الذكريات عن ظواهر أخرى، مثل: أثر القدم على الشاطئ هي أنَّ الأولى هي ذاتها حالات إبستيمية، فهي تُجسد أجزاء من المعرفة. أما الثانية، فهي على النقيض من ذلك، فهي عناصر يمكن من خلالها اكتساب أجزاء من المعرفة حول الماضي، ولكن القيام بذلك يتطلب أولًا أن يقوم الشّخص باستدلالٍ ما (على سبيل المثال: يستدل من وجود أثر القدم على الوجود السبق لشخصٍ آخر على الشاطئ). ومن طرق تفسير هذا الاختلاف الفكرة القائلة: إن الذكريات، في حين أنها تندرج تحت فئة

(8) كما يتضح من استخدامي للأقواس المتخوفة، لست سعيدًا تمامًا بهذا الاستخدام لكلمة "سجل". أحتاج إلى كلمة تُعمِّم على جميع الظواهر المختلفة التي تؤدي إلى عدم تناسق بين الماضي والمستقبل في وضعنا الإبستيمي، وقد اخترتُ كلمة: "سجلات"؛ لأنها مستخدمة بالفعل في الأدبيات الحالية حول عدم التساوق الإبستيمي. ومع ذلك، فإن جزءًا مهمًا أيضًا من حجتي هو أن هناك اختلافات جوهرية بين بعض هذه الظواهر التي أعدّها أيضًا مشار إليها بحقيقة أنه، مثلًا: ربما توصف آثار الأقدام على الشاطئ على نحو أفضل على أنها بقية trace، وأن الذكريات، حتى لو كان من الممكن وصفها كسجلات بمعنى ما، فهي ليست بالضرورة ذكريات عن الشيء الذي تكون الذكريات سجلًا له (كما سوف أشرح).

السجلات العامة، هي سجلات خاصة بالنشاط الإبستيمي، وبشكل أكثر تحديدًا، هي سجلات لتشكيل الحالة الإبستيمية ذاتها التي يتألف منها التذكر اللاحق للشخص، وتتألف ذاكرته على وجه التحديد من حقيقة أنها محفوظة[9]. وبقدر ما يصح عد عناصر مثل أثر القدم على الشاطئ على أنها سجلات، فإنها عادة سجلات لنشاط غير إبستيمي، على عكس الذكريات. وحتى لو وُصِفت بعض هذه العناصر، بمعنى ما، على أنها سجلات للنشاط الإبستيمي - ربما العُقدة التي أصنعها في وشاحي لتذكير نفسي بأمرٍ ما تتأهل كمثال على ذلك - فهي ليست ذاتها حالات إبستيمية تشكّلت من خلال هذا النشاط[10].

إنَّ حقيقة أنَّ الذكريات في حدِّ ذاتها تجسد معرفة، في حين أنَّ ظواهر مثل آثار الأقدام على الشاطئ هي مجرد عناصر يمكن من خلالها اكتساب المعرفة عن طريق الاستدلال، تشكّل فرقًا مهمًا بين الاثنين[11]. ومع ذلك، في حالة الذّاكرة الدلالية، هناك أيضًا بُعد مهم آخر للاختلاف عن حالة آثار الأقدام. لقد قلتُ: إن الذكريات الدلالية، مثلها مثل آثار الأقدام، هي سجلات، على الرغم

(9) لهذا السبب، فإن التحدث عن الذكريات كنوع من السجلات يتوافق مع ادعاء دوميت (1993، pp.420f) أن «الذّاكرة ليست مصدرًا، ولا أساسًا للمعرفة: إنها الاحتفاظ بالمعرفة المكتسبة سابقًا بأي وسيلة كانت». من المعقول اعتقاد أن الأشياء التي يمكن أن تكون سجلًا لشيءٍ ما يمكن أن تكون أيضًا، في الوقت ذاته، سجلًا لعددٍ من الأشياء الأخرى. لكن في حالة الذكرة، فإنَّ كونها سجلًا لحدث اكتساب المعرفة ذي الصلة هو ما يجعل الذّاكرة ذاكرة.

(10) هذا لا يستبعد أن حالات الأشياء خارج جسد الشّخص يمكن، في ظروف مناسبة، أن تشكّل جزءًا من الحالة الإبستيمية لذلك الشّخص. وأنا أنظر إلى مسألة ما إذا كان هذا ممكنًا لتلك الحالات، في ظل أي ظروف، على أنها قيد البحث في المناقشات المتعلقة بـ: "أطروحة العقل الممتد" (Clark & Chalmers، 1998).

(11) لقد ركزتُ بالخصوص على التباين بين هاتين الفئتين من الظواهر. وهناك فئة أخرى من السجلات أتركها جانبًا لأغراضي الحالية، وهي السجلات التي تتضمن وسائط تمثيلية، مثل: الكلمات المكتوبة، أو الصور. وهذه الفئة، مثلها مثل آثار الأقدام، ليست في حد ذاتها حالات إبستيمية (مع الاطلاع على الحاشية السابقة)، ولكن من نواحٍ أخرى قد يُعتقد أنها تشارك المزيد من السمات مع الذكريات. فمثلًا: لا يمكننا الحصول على معلومات حول الماضي من النصوص المكتوبة أو الصور فقط - فقد تخبرني تدوينة يومية بموعد في الأسبوع المقبل، وقد تُظهر الخريطة مسار سباق عدو سيُجرى الشهر المقبل. كما سأواصل المناقشة، بالمثل لا تقتصر الذّاكرة الدلالية على مجرد الاحتفاظ بمعرفة عن الماضي.

من أنها تختلف عن آثار الأقدام في كونها سجلات للنشاط الإبستيمي على وجه التحديد. وقلتُ أيضًا: إن الذكريات الدلالية تجسد معرفة (بدلًا من أن تكون بمثابة العناصر التي يمكن اشتقاق المعرفة منها). ومع ذلك، على نحو جوهري، فإن المعرفة التي تجسدها الذَّاكرة الدلالية ليست معرفة بالنشاط الإبستيمي التي هي سجلات له. فالمعرفة التي تجسدها مشتقة من هذا النشاط، لكنها ليست معرفة عن هذا النشاط.

يصبح هذا واضحًا على نحو خاص عندما نأخذ في حسباننا أنه لا تُوجد قيود فيما يتعلق بزمن الاعتقادات التي يمكن تخزينها في الذَّاكرة الدلالية. إذ يمكن لعالم الفلك الذي اكتشف أنه سيكون هناك خسوف للقمر الأسبوع المقبل أن يحتفظ بهذه المعرفة في الذَّاكرة الدلالية، لكن من الواضح أن ذاكرته ليست سجلًا لهذا الخسوف القمري الذي لا يزال سيحدث في المستقبل. وإنما هي سجل لنشاط العالِم في حساب تاريخ الخسوف. وبالمثل بالنسبة لذكريات الوقائع اللازمنية: بعد سنوات من الدراسة، قد يتذكر عالم الرياضيات مبرهنة كوشي-بيانو Cauchy-Peano theorem، لكن من الواضح أن ذاكرته ليست سجلًا للمبرهنة بالمعنى الذي يرتبط به هذا المصطلح بعدم التساوق الإبستيمي بين الماضي والمستقبل. وهذا يعني أنه في حالة الذكريات الدلالية ذات المحتوى الماضي، من المهم التمييز بين السّؤال المتعلق بما يُتذكَّر، أي: محتوى الذَّاكرة، وما تكون الذَّاكرة سجلًا له.

هناك أيضًا نتيجة مهمة لما سبق عندما يتعلق الأمر بتحديد المعنى الدقيق لكون الذَّاكرة الدلالية تُظهر عدم تساوق إبستيمي. على نحو جوهري، لا يوجد عدم تساوق مدمَج built-in بين الماضي والمستقبل في المعرفة التي يمكن أن تجسدها الذكريات الدلالية، فأي عدم تساوق مثل هذا هو عدم تساوق كمي في أحسن الأحوال - أي: يتعلق بكمية المعرفة المحتفظ بها التي تتعلق بالماضي والمستقبل، على التوالي - وأينما وُجد هذا اللاتساوق الكمي، فإنه يكون (باستثناء واحد سأصل إليه بعد قليل) موروثًا من عدم تساوق مرتبط بالنشاط الإبستيمي المحدد الذي تكون الذكريات الدلالية ذات الصلة سجلات له، لا أن

يُفسَّر بطبيعة الذَّاكرة الدلالية ذاتها. وبالتالي، لن يكون مفاجئًا، مثلًا، أن تحتوي الذَّاكرة الدلالية لعالِم آثار قدرًا كبيرًا من المعرفة حول الماضي؛ نظرًا لأن المنهج البحثي الأساسي الذي يتبعه في حياته المهنية يكمن في تفسير السجلات الأثرية التي هي أدلة على أحداث الماضي فقط، وليس أحداث المستقبل. وبطريقة مماثلة تمامًا، من المتوقع أن تحتوي الذَّاكرة الدلالية لعالِم يبرمج مسار الرحلة المستقبلية لمسبار فضائي بين-كوكبي على قدر كبير من المعرفة بالمستقبل، بسبب العديد من الحسابات التي أجراها لتحديد المدارات المستقبلية للكواكب التي سيواجهها المسبار في مهمته.

الاستثناء الوحيد الذي قد يستحق أن يُفرَد بالذكر هنا هو الذكريات الدلالية المتعلقة بالأحداث التي تستند في الواقع إلى خبراتنا السابقة عن هذه الأحداث. غالبًا ما يحتفظ مرضى فقدان الذكرة بمعلومات حول الأحداث التي وقعت لهم، على الرغم من أنهم غير قادرين على استرجاعها في الذَّاكرة الاستطرادية[12]، وفي حين أنه قد تُكتسب بعض هذه المعرفة، من خلال شهادة لاحقة مثلًا، لا يوجد سبب لاستبعاد أن بعضها قد يعود أيضًا إلى خبراتهم الخاصة للأحداث المعنية، ولو أن الشكل الوحيد الذي لا تزال متاحة به الآن هو شكل الذَّاكرة الدلالية.

في هذا النوع من الحالات، يتزامن في الواقع وقت الحدث الذي تُعنى به الذَّاكرة مع وقت النشاط الإبستيمي التي هي سجل له - وهذه السمة، كما سأقترح، تتقاسمها الذكريات الدلالية ذات هذا النوع المحدد من التاريخ مع الذكريات الاستطرادية. وبالطبع الذكريات الدلالية ذات هذا النوع المحدد من التاريخ تقتصر على نقل المعلومات حول الأحداث الماضية، بحكم طبيعتها هذه وبالنظر إلى عدم التساوق الزمني العام للسجلات. ومع ذلك، على نحو

(12) يمكن للمريض KC، مثلًا، أن يصف عددًا من جوانب حياته قبل وقوع الحادث الذي تسبب بفقدانه للذاكرة، على الرغم من أن هذا المريض يوصف بأنه فقد قدرة الاسترجاع الاستطرادي بالكلية. انظر: .Craver et al (2014).

جوهري، فإنه نظرًا لأن المعرفة المتعلقة بالأحداث ذات الصلة يُحتفَظ بها فقط في شكل ذكريات دلالية، فهناك معنى مهم وفقه لا يظهر عدم التساوق الإبستيمي في هذه الذكريات أكثر مما هو عليه في الذكريات الدلالية الأخرى المتعلقة بالأحداث الماضية. وعلى وجه التحديد، حقيقة أن وقت الحدث الذي تُعنى به الذَّاكرة يتزامن مع وقت النشاط الإبستيمي التي هي سجل له لا تتجلى كجزء من الذَّاكرة ذاتها. بهذا التوقع فقط، أريد أن أقول الآن: إن هناك فرقًا جوهريًا بين الذَّاكرة الدلالية والذَّاكرة الاستطرادية.

3. الذَّاكرة الاستطرادية وعدم التساوق الإبستيمي:

مثلما أنَّ العبارات الشاملة التي تفيد أننا نعرف عن الماضي أكثر مما نعرف عن المستقبل لا تساعد في محاولة تفسير عدم التساوق الإبستيمي (إن لم يكن زائفًا تمامًا)، هناك كذلك نوع آخر من العبارات الشاملة يُصرَّح به أحيانًا في هذا السياق، وهو أنه يمكننا تذكر الماضي وليس المستقبل، كما يجب أن يكون واضحًا مما قلته في القسم السابق، عندما يتعلق الأمر بالذكريات الدلالية، يمكن لمحتوياتها أن تتمدد بسهولة لتشمل المستقبل كما تشمل الماضي، أو حتى يمكن أن تتشمل على حقائق غير زمنية مثل حقائق الرياضيات. تُظهر الذكريات الدلالية عدم التساوق الإبستيمي، طالما أنها تندرج في التصنيف العام بِعَدِّها سجلات، لكن قيامها بذلك لا يظهر في المعرفة التي يمكن أن تجسدها، وإنما يتجلى في حيازة المعرفة التي تتألف منها الذكريات المعنية.

ومع ذلك، يمكن القول: إن هناك شكلًا واحدًا محدَّدًا من الذَّاكرة تنطبق عليه العبارة القائلة: إنه يمكننا تذكر الماضي لا المستقبل، وهذا ما يُشار إليه عادة باسم: "الذَّاكرة الاستطرادية". كتقريب أولي، الذَّاكرة الاستطرادية هي نوع الذَّاكرة الذي يسمح لنا بتذكر أحداث محددة بحد ذاتها، كما حدثت، بطريقة تختلف عن مجرد استرداد المعلومات المتعلقة بها من النوع الذي يمكن الإبقاء عليه أيضًا في الذَّاكرة الدلالية. وعلى النقيض من الذَّاكرة الدلالية، يبدو أن

المعرفة المحفوظة في الذَّاكرة الإبستيمية ذاتها التي تُظهر عدم تساوق زمني. إذ لا يمكننا تذكر الأحداث بهذه الطريقة المحددة إلا إذا كانت قد وقعت بالفعل. علاوة على ذلك، ليس مجرد حقيقة أنه يمكن أن تكون لدينا ذكريات استطرادية عن أحداث الماضي فقط، لا أحداث المستقبل، بل إن هذا واضح أيضًا للمتذكِّر. يبدو أن الاسترجاع الاستطرادي ذاته يتضمن دراية مميزة، من جانب الشّخص، بالأحداث التي تذكرها على أنها كاذبة في الماضي؛ بسبب نوع محدد تكونه تلك الأحداث من أنواع الحالات الذهنية[13].

كما يجب أن يكون واضحًا مما قيل حتى الآن، فإن هذه الطريقة المحددة التي تُظهر بها الذَّاكرة الاستطرادية عدم تساوق بين الماضي والمستقبل لا يمكن أن تنتج ببساطة من نوع عدم التساوق الإبستيمي الذي تُظهره الذَّاكرة الدلالية أيضًا. ويبدو أنه لا يمكن استنتاجها ببساطة من الطريقة المتضمنة في قدرتنا على تقديم استنتاجات حول الأحداث الماضية بناء على ظواهر مثل آثار الأقدام على الشاطئ. لذا علينا أن نبحث عن أسباب هذا النوع الأكثر تخصيصًا من عدم التساوق.

في موضع سابق، اقترحتُ توصيفًا عامًا للمعنى المميز الذي وفقه تكون

(13) هناك مقاربات محددة للذاكرة الاستطرادية تسمح بإمكانية الحالات التي يتذكر فيها الأشخاص في الواقع حدثًا ماضيًا، على الرغم من أنه لا يبدو لهم أنهم يمثلون حدثًا ماضيًا - الحصول الفعلي على ارتباط سببي بين الحالة الذهنية الحاضرة لهم وخبرة ماضية محددة من المفترض أنها تكفيهم لجعلها حالة من الاسترجاع الاستطرادي (على سبيل المثال: Martin and Deutscher، 1966). أنا أجادل ضد هذه الطريقة في تصور الذَّاكرة الاستطرادية في موضع آخر (انظر: Hoerl, 2014a). هناك موقف افتراض آخر قد يزعم فيه المرء أن الشّخص الذي يتذكر حدثًا في الذَّاكرة الاستطرادية لا يحتاج بالضرورة إلى التَّفكير في الحدث على أنه كاذب في الماضي، وهو موقف شخص يسافر إلى الماضي، لكنه يتذكر الأحداث من فترة في المستقبل قبل أن يدخل آلة الزمن. وكما أوضح ديفيد لويس David Lewis (1976)، فإن حالات السفر عبر الزمن تجبرنا على التمييز بين ما يسميه: "الزمن الشّخصي"، وما يسميه: "الزمن الخارجي"، وفي حين أنه من الصحيح أن المسافر عبر الزمن قد يفكر في بعض الأحداث الذي يتذكرها على أنها تقع في المستقبل فيما يتعلق بالزمن الخارجي، فإن هذا يتوافق مع التَّفكير في أنه، رغم ذلك، سيكون على دراية أيضًا بالكذب في الماضي فيما يتعلق بزمنه الشّخصي (أي: إن تلك الأحداث تنتمي إلى فترة في حياته عندما كان أصغر سنًا بيولوجيًا). أنا ممتن للحَكَم الذي حثني على توضيح هذه النقاط.

الذكريات سجلات، ووفقه ما يميز الذكريات هو أنها سجلات خاصة للنشاط الإبستيمي، وعلى نحو أكثر تحديدًا، هي سجلات لتشكيل الحالة الإبستيمية التي يتألف منها التذكر اللاحق للشخص، وتتألف ذاكرته تحديدًا من حقيقة أنها محفوظة. لكن في حالة الذكريات الدلالية، اقترحتُ أيضًا أنه في حين أنها سجلات للنشاط الإبستيمي، فإن المعرفة التي تجسدها ليست معرفة بهذا النشاط الإبستيمي، بل ما يُحتفَظ به في الذَّاكرة هو الحالة الإبستيمية التي تشكّلت في هذا النشاط، ويمكن أن تحتوي مجموعة متنوعة من المحتويات المختلفة، اعتمادًا على ماهية النشاط الإبستيمي ذي الصلة.

ما أريد الآن أن أقترحه هو ما يلي. بينما ما يُحتفَظ به في الذَّاكرة الاستطرادية هو، أيضًا، حالة إبستيمية تكون الذَّاكرة سجلًا لها، فإنه في الذَّاكرة الاستطرادية، تشكّل تلك الحالة الإبستيمية، في الوقت ذاته، معرفة بهذا النشاط الإبستيمي. وبالتالي، فإن امتلاك ذاكرة استطرادية هو امتلاك سجل للنشاط الإبستيمي الماضي وامتلاك معرفة بهذا النشاط الإبستيمي السابق، ويتزامن هذان الأمران في الذَّاكرة الاستطرادية وليس في الذَّاكرة الدلالية، حسب ما اقترحتُ أعلاه. علاوة على ذلك، فإن هذا يعني أنه في الذَّاكرة الاستطرادية يتجلى عدم التساوق الإبستيمي للشخص المتذكِّر، بخلاف حالة الذَّاكرة الدلالية.

في البداية، قد يبدو هذا التوصيف للذاكرة الاستطرادية متضاربًا مع التوصيف الأوّلي الذي قدمته في بداية هذا القسم، حيث وصفتها بأنها القدرة على تذكر أحداث ماضية محددة في حد ذاتها، أي: كما حدثت. لكني أعتقد أنه يمكن التوفيق بين التوصيفين، وفي الواقع يمكننا أن نرسم رابطًا تفسيريًا بينهما، إذا فكرنا في الذَّاكرة الاستطرادية على أنها تحافظ على معرفة الأحداث من خلال الحفاظ على معرفة خبراتنا بتلك الأحداث. وهذا يعني أن الذكريات الاستطرادية تجسد معرفة النشاط الإبستيمي الذي تشكلت هي ذاتها من خلاله بمعنى أكثر تحديدًا مفاده أن ما يُتذكَّر في الذَّاكرة الاستطرادية هو خبرة المرء لحدثٍ ما، وبفضل تذكر هذه الخبرة يتذكر الشّخص أيضًا الحدث ذاته بالطريقة المميزة التي ينطوي عليها الاسترجاع الاستطرادي.

هناك أنواع مماثلة من الاعتبارات تُصاغ أحيانًا بفكرة أن الذكريات الاستطرادية تخضع لـ "شرط الدراية السابقة" - وهو أننا لا نستطيع في الذَّاكرة الاستطرادية إلا أن نتذكر الأحداث التي اختبرناها بأنفسنا[14]. ومع ذلك، ليس من الواضح أن التقارير الحالية عن الذَّاكرة الاستطرادية يمكن أن تقدم تفسيرًا مرضيًا للطريقة المميزة التي ينطبق بها هذا الشرط في حالة الذَّاكرة الاستطرادية. على سبيل المثال: يبدو أن التفسير الذي يستند إلى العمليات السببية الكامنة وراء الذَّاكرة الاستطرادية لا يستطيع تقدير حقيقة أنه يبدو واضحًا لنا عن طريق الاستبطان أن الشرط ينطبق حق قدرها. وبالمثل، فإن مجرد إدخال هذه الدراية الاستبطانية في تعريف ماهية الذَّاكرة الاستطرادية (كما يقترح أوين Owens، 1996، على سبيل المثال) يبدو مخصصًا لغرض ad hoc. ما نحن بحاجة إليه هو تفسير كيف أن حقيقة أن الذَّاكرة الاستطرادية تتضمن بوضوح احتفاظًا بمعرفة الخبرات السابقة تجعل من الممكن وجود الدراية المميَّزة للأحداث التي يمكننا التمتع بها في الذَّاكرة الاستطرادية، بدلًا من أن تكون مجرد إضافة إليها.

أعتقد أنَّ المقاربة الواعدة أكثر لهذه المسألة هو التَّفكير تحديدًا في نوع المعرفة المتعلقة بخبرة الذَّاكرة الاستطرادية الذي يمكن القول، على نحو مميز: إنه يجب الحفاظ عليه. على وجه الخصوص، أريد أن أفكر في اقتراحٍ قدمه ماثيو سوتريو (2008) الذي ينص على أن الذَّاكرة الاستطرادية تتضمن الاحتفاظ بمعرفة خبراتنا السابقة على معنى أكثر تحديدًا مفاده: إن ما يُحتفظ به في الذَّاكرة الاستطرادية هو معرفة "كيف كان شعور what it was like" خبرة الحدث المتذكَّر. بعبارة أخرى: ما يُحتفظ به هو معرفة خاصة بالطابع الخبراتي للخبرة السابقة ذات الصلة[15].

---

(14) صاغ شوميكر Shoemaker (1970) مصطلح: "شرط الدراية السابقة"، على الرغم من أن الفكرة تعود على الأقل إلى لوك (1690) و[توماس] ريد (1785). للمناقشة، انظر أيضًا: Martin (2001).

(15) يجب تمييز هذا الادّعاء عن الادّعاء القائل: إن الحالة الذهنية الحالية للمتذكِّر يجب أن تشبه بدقة خبرته الماضية من جميع المناحي قبل أن يقال: إن لديه هذه المعرفة. على سبيل المثال: ليس من الواضح على الأقل أنه لا يمكن القول: إنه يتذكر شعور خبرة حدث محدد إذا تذكره من منظور

كيف يمكن للتفكير في الذّاكرة الاستطرادية على أنها احتفاظ للمعرفة الخاصة بشعور خبرة أحداث ماضية محددة أن يساعد أيضًا في توضيح فكرة أنها تتضمن طريقة مميزة للاحتفاظ بمعرفة الأحداث الماضية، فضلًا عن إظهار عدم التساوق الإبستيمي بالطريقة المميزة التي يتجلى بها للمتذكِّر نفسه؟ هنا أعتقد أنه قد يساعدنا الاعتماد على بعض الأفكار الموجودة في الأدبيات المتعلقة بالوعي بالمنزلة الخاصة للمعرفة التي بشأن الطابع الخبراتي للخبرة. من القضايا التي تُلاحَظ على نحو متكرر في هذه الأدبيات أنه يبدو أن هناك علاقة أساسية بين تلك المعرفة والخبرة المباشرة: الوسيلة الإبستيمية الوحيدة التي يمكننا بها معرفة الطابع الخبراتي للخبرة هي أن نمر بالخبرة بأنفسنا[16]. ويُعبَّر عن هذه النقطة أيضًا بالقول: إن هناك طريقة محددة تكون فيها الخبرة تحويلية إبستيميًا (epistemically transformative Paul، 2014): إنها تزودنا بمعرفة من نوعٍ لا نملك وسائل إبستيمية أخرى لاكتسابه - معرفة هي ذاتها توصف أحيانًا بمفردة "الخبرة"، كما في فكرة أن الخبرات من الممكن امتلاكها وتكديسها في مخزون من الخبرات.

تهتم الأدبيات الموجودة في هذا المجال في الغالب بمعرفة الطابع الخبراتي الواعي لأنواع الخبرة، والدور الذي تؤديه الخبرة ذاتها في هذه المعرفة، لكن ما أريد أن أقترحه هو أن النقاط الواردة في تلك الأدبيات لها أيضًا آثار مهمة على معرفتنا بالطابع الخبراتي الواعي للخبرات العينية token، على نحو يتيح لنا فهم المنزلة الخاصة للذاكرة الاستطرادية، إذا فُسِّرت على أنها احتفاظ بهذه المعرفة بالخصوص[17]. فكر في سيناريو من النوع الذي وصفه ألفرد آير A. J. Ayer، الذي يصف فيه شخصٌ ما حدثًا في ماضيك كان شاهدًا

"المراقب"، وليس من منظور "الميدان". انظر أيضًا McCarroll and Sutton (2017) بشأن المسائل ذات الصلة.

(16) تُعد مناقشة هذه النقطة بارزة بالخصوص في سياق العمل على ما يسمى: "فرضية القدرة ability hypothesis" التي بموجبها تتشكل المعرفة الظاهراتية في شكل محدد من المعرفة العملية (Lewis, 1990; Nemirow، 1990). لكني أعتقد أنه ينبغي النظر إلى هذا الأخير بِعَدِّه ادعاءً آخر، يهدف إلى تفسير سبب صحة هذه النقطة.

(17) لمناقشة مزيدة للأفكار المتصلة، انظر أيضًا: Hoerl (يصدر قريبًا).

عليه. في هذا النوع من الحالات، هناك احتمال أن تصدق الشّخص الآخر، وأنك قد تكون قادرًا على تصور الحدث بناءً على معرفتك العامة، ولكن دون أن تتذكره. في هذه الحالة، كما يشير آير، من الممكن أيضًا أن تبدأ فجأة في التذكر مرة أخرى:

«قد يكون التحول transformation غير مؤكَّد. يقول أحدهم: "أنا أتذكر الحدث تذكرًا خافتًا"؛ لأنه ما زال غير متأكد تمامًا مما إذا كان يتذكره أو لا...ولكن من المحتمل أيضًا أن يعود الحدث فجأة إلى المرء على نحو واضح تمامًا، فلا يكون لديه شك في أنه يتذكره» (Ayer, 1956، ص. 146؛ وانظر أيضًا Evans, 1982, p. 308; Campbell, 2001، ص. 173).

ما أقترحه هو أنه يمكننا أن نفهم هذا الموقف بِعَدِّه موقفًا يستعيد فيه الشّخص المعرفة المحتفظ بها لحلقة خبراتية محددة وطابعها الخبراتي الواعي مثل تلك الحلقة[18]. لماذا نعتقد أن القدرة على الاحتفاظ بالمعرفة التي من هذا النوع تشكّل فئة منفصلة ومميزة من الذَّاكرة؟ لاحظ أنه بسبب الذي الدور الذي لا غنى عنه الذي تؤديه الخبرة ذاتها في تزويدنا بتلك المعرفة في المقام الأول، فإنه عندما يسترد الموضوع تلك المعرفة، فإن مصدرها يكون، في الوقت ذاتها، واضحًا للشخص ذاته - إنها ليست معرفة يمكن أن تترك مصدرها مفتوحًا، مثل: المعرفة المستردة من الذَّاكرة الدلالية، وإنما هي معرفة لا يمكن للشخص أن يكتسبها إلا من خلال الخبرة ذاتها. وبفضل هذا يمكن القول: إن الذَّاكرة تتضمن شكلًا مميزًا من معرفة الخبرة السابقة المحددة للشخص، وتتضمن بالامتداد الحدث الذي كانت الخبرة تتعلق به، كما وقع. بعبارة أخرى، المعرفة المتعلقة بحدثٍ ماضٍ التي يُحتفَظ بها في الذَّاكرة الاستطرادية هي معرفة كيف أضافت مواجهتنا لهذا الحدث إلى مخزوننا من الخبرات، وبفضل هذا هي تشكّل معرفةَ هذا الحدث المحدد ذاته، وتحدد بوضوح موقعه في ماضينا.

---

(18) قارن هنا أيضًا بمناقشة مارتن ودويتشر (1966) لظاهرة: "الحث prompting".

وبالتالي، هناك طريقة محددة تُظهر بها الذَّاكرة الاستطرادية عدم تساوق إبستيمي، وهي لا تقوم فقط على حقيقة أن الذكريات الاستطرادية تندرج تحت: "السجل" كتوصيف عام، وإنما على شيء يتعلق تحديدًا بالمعرفة التي يُحتفظ بها في الذَّاكرة الاستطرادية، أي: حقيقة أن الذَّاكرة الاستطرادية هي احتفاظ بمعرفة شعور خبرة الحدث المتذكر الذي يُكتسب فقط من خلال الخبرة ذاتها[19]. بتعبير آخر: الطريقة المميزة التي تضعنا بها الذكريات الاستطرادية على اتصال بأحداث محددة وتحددها في الماضي مُتجذرة في حقيقة أنها ذاكرة للتحول الإبستيمي المحدد الذي مررنا به عندما اختبرنا الحدث واطّلَعنا على شعور خبرة هذا الشيء - وهو نوع من المعرفة لم نتمكن من اكتسابه إلا في تلك المناسبة. هذا هو السبب في أنه، في الذَّاكرة الاستطرادية، يتزامن وقت الحدث الذي تجسد الذَّاكرة معرفته مع وقت تسجيله تزامنًا شفافًا للشخص المتذكِّر نفسه.

4. في الختام: الذَّاكرة الاستطرادية والزمن:

لقد خططتُ توصيفًا للاختلاف بين الذَّاكرة الاستطرادية والذَّاكرة الدلالية استنادًا إلى فكرة أنه في حين أنَّ كليهما يمثل عدم تساوق إبستيمي للزمن، إلَّا أنَّ كلًا منهما يقوم بذلك بطريقة مختلفة بشكلٍ ما. علاوة على ذلك، فقد اقترحتُ أيضًا أنَّ كل من شكلي الذَّاكرة يمثلان عدم التساوق الإبستيمي بطريقةٍ تختلف عن حالة السجلات، مثل: آثار الأقدام على الشاطئ.

كما أشرتُ بالفعل في بداية هذا الفصل، فإن الاهتمام باللاتساوق الإبستيمي في الميتافيزيقا الحديثة وفلسفة العلم مدفوع بالأساس بمطمح تقديم تفسير لأصول هذا اللاتساوق (رُبما إلى جانب اللاتساوقات الأخرى في تفكيرنا عن الزمن التي قد تكون قائمة عليه) الذي يتوافق مع فكرة أنَّ قوانين الديناميكية

(19) إن القول: إن هذا يمثل معنى مميزًا وفقه تُظهر الذَّاكرة الاستطرادية عدم تساوق إبستيمي يتوافق أيضًا مع وجود أساس أعمق له في أي لا تساوق يؤسس السجلات اللاتساوقية العامة، مثل: عدم التساوق الديناميكي الحراري.

الأساسية التي تحكم كوننا متساوقة زمنيًا، كما تقترح الفيزياء الحالية[20] وعلى نحو أكثر تحديدًا، عادة ما يكون البرنامج الأساسي في هذا السياق هو الكشف عن ميل واسع الانتشار يبدو أنه لدينا نحو التَّفكير في اللاتساوقات الزمنية على أنها ناتجة عن الطبيعة الميتافيزيقية للزمن ذاته. إذا كان ما قلتُه في هذا الفصل يتماشى مع الخطوط الصحيحة، فربما يكون أيضًا قادرًا على المساهمة في هذا المشروع الكشفي بطريقة جديدة.

سأختم ببعض الملاحظات الموجزة حول هذه المسألة، ومن المُسلّم به أنها تخمينية أكثر مما قلته حتى الآن.

على عكس النظرة الرباعية الأبعاد التي اقترحتها الفيزياء الحديثة للنظر إلى الكون، فإن فهمنا اليومي للزمن يُصوّر الزمن على أنه مختلف تمامًا عن المكان. ومع ذلك، هناك العديد من الأبعاد التي يمكن فصلها لهذا الاختلاف المدرَك الذي هو جزء من السبب في أن التقارير الميتافيزيقية للزمن التي تختلف عن التصور رباعي الأبعاد تأتي بأشكال متنوعة، اعتمادًا على أبعاد الاختلاف التي تمنحها الأسبقية، مثل: مذهب الحاضرية، أو وجهة نظر "الكتلة المتنامية[21] growing block"، أو وجهة نظر "الضوء الموضعي المتحرك moving spotlight"[22]،[23]. باختصار، قد نحدد ثلاثة أبعاد للاختلاف على النحو التالي:

(20) على الأقل بشكل عام. يبدو أن هناك انهيارًا لعدم تباين الانعكاس الزمني الكامل في التفاعل بين بعض الجسيمات دون الذرية. لكن، حتى لو كان الأمر كذلك، فليس من الواضح أبدًا كيف يمكن لهذا أن يفسر وجود اللاتساوقات ذات الصلة على مستوى خبرتنا اليومية. انظر أيضًا: Wallace (2013).

(21) أو الكون المتنامي، وهي وجهة نظر تقول: إن الماضي والحاضر فقط موجودان، أما المستقبل، فغير موجود حتى الآن، لكنه يأتي بمرور الزمن حتى تزداد الكتلة شيئًا فشيئًا (المترجم).

(22) تحاول وجهة النظر هذه الجمع بين الأبدية (وجود كل الأوقات الماضية والحاضرة والمستقبلية) والسيرورة الموضوعية، ومن معاني السيرورة الموضوعية أن الحقائق المتعلقة بالزمن غير نسبية، فلو صح القول: إنَّ كل زمن حاضر بالنسبة لنفسه، فإن هناك زمنًا واحدًا فقط حاضر على نحو مطلق. لذلك يقال: إن رؤية "الضوء الموضعي المتحرك" تتقارب في بعض الجوانب مع "الحاضرية". وبطبيعة الحال هناك اعتراضات كثيرة عليها في كتب فلسفة الزمن وفي غيرها، منها مثلًا: أنها تتعارض مع النسبية الخاصة (المترجم).

(23) للاطلاع على نظرة عامة ومناقشة لهذه التقارير انظر، مثلًا: Miller (2013).

إنَّ اللحظة الحالية في الزمن استثنائية بشكلٍ ما، وإن هناك فرقًا جوهريًا بين الماضي والمستقبل، وإن هناك "ممرًا أو "تدفقًا" للزمن لا ينعكس.

ما أود أن أقترحه الآن، على خلفية المناقشة السابقة، هو أن عدم التساوق الإبستيمي قد يسهم فعليًا في تصورنا اليومي للزمن بطريقتين مختلفتين بشكلٍ ما، ومرتبطتين بمكونين مختلفين.

يمكن القول: إن عدم التساوق الإبستيمي الذي تظهره السجلات بشكل عام، أي: حقيقة أنه يمكننا الحصول على سجلات الماضي فقط وليس سجلات المستقبل، هو أحد مصادر فكرة أن الماضي يختلف جوهريًا عن المستقبل، قد تكون هناك حاجة إلى بعض العمل للتوضيح بالتفصيل كيف يؤدي ذلك المصدر بالضبط إلى ظهور هذه الفكرة، ولكن يبدو أن هناك معنى بدهي وفقه نميل إلى التَّفكير في سبب وجود سجلات للماضي وعدم وجود سجلات للمستقبل، وهذا المعنى يأتي من خلال أفكار مثل فكرة أن الماضي "ثابت"، أما المستقبل، فهو "مفتوح"، أو أن الماضي حقيقي بخلاف المستقبل.

ومع ذلك، للوصول إلى الطريقة الصحيحة التي نميل بها إلى التَّفكير في المستقبل على أنه "مفتوح"، وفي الماضي على أنه "ثابت"، يبدو أننا بحاجة أيضًا إلى الاستشهاد بفكرة منفصلة بشكلٍ ما، إن كان لها تعلق بذلك، وهي فكرة أن "مرور" أو "تدفق" الزمن بلا رجعة هو الذي يحول ما ينتمي أولًا إلى المستقبل المفتوح إلى شيء ينتمي بعد ذلك إلى الماضي الثابت. وهنا ربما يمكننا أن نرى دورًا منفصلًا تؤديه الذَّاكرة الاستطرادية بالخصوص في فهمنا اليومي للزمن[24].

في هذا الفصل، سعيتُ إلى التعرف على الطريقة المميزة التي تُظهر بها الذَّاكرة الاستطرادية عدم تساوق إبستيمي، فضلًا عن عدم التساوق الذي يأتي مع الذكريات التي تنتمي إلى السجلات كفئة عامة. وقد تتبعت هذه الطريقة المميزة

(24) للاطلاع على حجة ذات صلة، انظر أيضًا: (Hoerl 2014b).

التي تُظهر بها الذَّاكرة الاستطرادية عدم تساوق إبستيمي لأصل إلى النوع المحدد من المعرفة الذي يُحتفظ به في الذَّاكرة الاستطرادية، أي: معرفة كيف كان شعور خبرة الحدث المُتذكَّر - أو، كما عبّرتُ أعلاه، معرفة التحول الإبستيمي المحدد الذي يكمن في اختبار الحدث. وكما جادلتُ، فإن ما يميز هذا النوع من المعرفة هو أن الخبرة ذاتها فقط هي التي يمكن أن تزودنا به، وهو ما قد يفسر سبب أن المتذكِّر، في الذَّاكرة الاستطرادية، يكون جليًا له زمنُ الحدث الذي تجسد الذَّاكرة معرفته وزمن كونها سجلًا للتزامن.

أعتقد أن هذه الاعتبارات تتضمن الفكرة المتمثلة في شكل من أشكال عدم انعكاس الزمن بالنسبة لنا، من وجهة نظرنا الإبستيمية التي ترتبط بالخصوص بحقيقة أنه يمكننا الانخراط في الاسترجاع الاستطرادي. كي نكتسب معرفة بشعور اختبار حدث محدد، يجب أن ننتظر أولًا حتى نمر بهذه الخبرة، ثم يُحتفَظ بمعرفة كيف كان شعور الذَّاكرة الاستطرادية. وبهذا المعنى يكون هذا الوقت غير انعكاسي من وجهة نظرنا الإبستيمية، وهو ليس مجرد فكرة نطبقها في تفكيرنا في الماضي. إذ يمكن أن يؤدي أيضًا دورًا مهمًا في تفكيرنا في المستقبل. تبقى الخبرات معنا، وتحديد المستقبل هو جزئيًا تحديد الخبرات التي نرغب في الرجوع إليها[25]، [26].

---

(25) هذا موضوع مهم في Paul (2014، 2015). وانظر أيضًا Hoerl and McCormack (2016).

(26) العمل على هذا الفصل مدعوم بمنحة AH/P00217X/ 1. وأنا ممتن، من أجل التعليقات على النسخ السابقة، لباتريك بيرنز Patrick Burns، وأليسون فرنانديز Alison Fernandes، وتيريزا ماكورماك Teresa McCormack، وحكمين مجهولين، وممتن كذلك للحاضرين في الاجتماع السنوي للجمعية الأوروبية للفلسفة وعلم النفس لعام 2017، واجتماع الندوة البحثية: الذهن والفعل في ووريك Warwick Mind and Action.

المراجع :

Albert, D. Z. (2000). *Time and chance*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Ayer, A. J. (1956). *The problem of knowledge*. Harmondsworth: Penguin.

Bernecker, S. (2010). *Memory: A philosophical study*. Oxford: Oxford University Press.

Callender, C. (2016). Thermodynamic asymmetry in time. In E. N. Zalta (Ed.), *Stanford encyclopedia of philosophy* (Winter 2016 ed.). Retrieved from https://plato. stanford.edu/archives/win2016/entries/time-thermo/

Callender, C. (2017). *What makes time special*. Oxford: Oxford University Press.

Campbell, J. (2001). Memory demonstratives. In C. Hoerl & T. McCormack (Eds.), *Time and memory: Issues in philosophy and psychology* (pp. 169-186). Oxford: Oxford University Press.

Clark, A., & Chalmers, D. J. (1998). The extended mind. *Analysis, 58*(1), 7-19.

Craver, C. F., Kwan, D., Steindam, C., & Rosenbaum, R. S. (2014). Individuals with episodic amnesia are not stuck in time. *Neuropsychologia, 57*, 191-195.

Dummett, M. (1993). Testimony and memory. In *The seas of language* (pp. 411- 428). Oxford: Oxford University Press.

Earman, J. (1974). An attempt to add a little direction to "the problem of the direction of time." *Philosophy of Science, 41*(1), 15-47.

Evans, G. (1982). *The varieties of reference* (J. McDowell, Ed.). Oxford: Clarendon Press.

Fernandes, A. (2017). A deliberative approach to causation. *Philosophy and Phenomenological Research 95*(3), 686-708.

Hoerl, C. (2014a). Remembering events and remembering looks. *Review of Philosophy and Psychology, 5*(3), 351-372.

Hoerl, C. (2014b). Time and the domain of consciousness. *Annals of the New York Academy of Sciences, 1326*(Flow of Time), 90-96.

Hoerl, C. (Forthcoming). Episodic memory and theory of mind: A connection reconsidered. *Mind & Language*.

Hoerl, C., & McCormack, T. (2016). Making decisions about the future: Regret and the cognitive function of episodic memory. In K. Michaelian, S. Klein, & K. Szpunar (Eds.), *Seeing the future: Theoretical perspectives on future-oriented mental time travel* (pp. 241-266). Oxford: Oxford University Press.

Horwich, P. (1987). *Asymmetries in time: Problems in the philosophy of science*. Cambridge, MA: MIT press.

Huggett, N. (Forthcoming). Reading the past in the present. In B. Loewer, B. Weslake, & E. Winsberg (Eds.), *Time's arrow and the probability structure of the world*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Ismael, J. (2016). *How physics makes us free*. Oxford: Oxford University Press.

Lewis, D. (1976). The paradoxes of time travel. *American Philosophical Quarterly, 13*(2), 145-152.

Lewis, D. (1990). What experience teaches. In W. G. Lycan (Ed.), *Mind and cognition* (pp. 29-57). Oxford: Blackwell.

Locke, J. (1975/1690). *An essay concerning human understanding* (P. H. Nidditch, Ed.). Oxford: Clarendon Press.

Martin, C. B., & Deutscher, M. (1966). Remembering. *Philosophical Review, 75*, 161-196.

Martin, M. G. F. (2001). Out of the past: Episodic recall as retained acquaintance. In C. Hoerl & T. McCormack (Eds.), *Time and memory: Issues in philosophy and psychology* (pp. 257-284). Oxford: Oxford University Press.

McCarroll, C. J., & Sutton, J. (2017). Memory and perspective. In S. Bernecker & K. Michaelian (Eds.), *The Routledge handbook of philosophy of memory* (pp. 113- 126). Abingdon: Routledge.

Miller, K. (2013). Presentism, eternalism, and the growing block. In H. Dyke & A. Bardon (Eds.), *A companion to the philosophy of time* (pp. 345-364). Chichester, West Sussex: John Wiley & Sons, Ltd.

Nemirow, L. (1990). Physicalism and the cognitive role of acquaintance. In W. G. Lycan (Ed.), *Mind and cognition* (pp. 490-499). Oxford: Blackwell.

North, J. (2011). Time in thermodynamics. In C. Callender (Ed.), *The Oxford handbook of philosophy of time* (pp. 312-350). Oxford: Oxford University Press.

Owens, D. J. (1996). A Lockean theory of memory experience. *Philosophy and Phenomenological Research, 56*(2), 319-332.

Paul, L. A. (2014). *Transformative experience*. Oxford: Oxford University Press.

Paul, L. A. (2015). What you can't expect when you're expecting. *Res Philosophica, 92*(2), 1-23.

Price, H. (1996). *Time's arrow and Archimedes' point: New directions for the physics of time*. Oxford: Oxford University Press.

Reichenbach, H. (1956). *The direction of time* (M. Reichenbach, Ed.). Berkeley: University of California Press.

Reid, T. (2002/1785). *Essays on the intellectual powers of man* (D. Brookes & K. Haakonssen, Eds., The Edinburgh edition of Thomas Reid). Edinburgh: Edinburgh University Press.

Rubin, D. C., & Umanath, S. (2015). Event memory: A theory of memory for laboratory, autobiographical, and fictional events. *Psychological Review, 122*(1), 1-23.

Schlick, M. (1925). Naturphilosophie. In M. Dessoir (Ed.), *Die Philosophie in ihren Einzelgebieten: Lehrbuch der Philosophie* (pp. 397-492). Berlin: Ullstein.

Shoemaker, S. (1970). Persons and their pasts. *American Philosophical Quarterly, 7*(4), 269-285.

Soteriou, M. (2008). The epistemological role of episodic recollection. *Philosophy and Phenomenological Research, 77*(2), 472-492.

Tulving, E. (1972). Episodic and semantic memory. In E. Tulving & W. Donaldson (Eds.), *Organization of memory*. New York: Academic Press.

Tulving, E. (1985). *Elements of episodic memory*. Oxford: Oxford University Press.

Tulving, E. (2002). Episodic memory: From mind to brain. *Annual Reviews of Psychology, 53*, 1-25.

Wallace, D. (2013). The arrow of time in physics. In H. Dyke & A. Bardon (Eds.), *A companion to the philosophy of time* (pp. 262-281). Chichester, West Sussex: John Wiley & Sons, Ltd.

Wheeler, M. A., Stuss, D. T., & Tulving, E. (1997). Toward a theory of episodic memory: The frontal lobes and autonoetic consciousness. *Psychological Bulletin, 121*(3), 331-354.

الفصل السابع عشر

عن مظهر التذكُّر[1]

فابريس تيروني Fabrice Teroni

غالبًا ما يميز الفلاسفة وعلماء النفس الذَّاكرة الاستطرادية أو الشّخصية عن الذَّاكرة القضوية أو الدلالية.

هناك مسألة محل جدل تتعلق بدور "انطباعات" أو "مظاهر seemings" الذَّاكرة في ذلك النوع الأخير، إن كان لها دور.

وفق مجموعة متصلة من المقاربات، تؤدي المظاهر دورًا إبستيميًا أساسيًا فيما يتعلق بأحكام الذَّاكرة القضوية، فمثلًا: يبدو أنَّ ذاكرة المرء عن أنَّ قيصر قُتل تبرر حكم المرء بأنه قُتل[2].

حاجج البعض على نحو مقنع أن هذه المقاربات تقود إلى مشكلات لا يمكن التغلب عليها، وأن مظاهر الذَّاكرة ليست مناسبة تمامًا لأداء هذا الدور التبريري. ونتيجة لذلك، فإن العديد من التقارير المعاصرة عن الذَّاكرة القضوية تستغني عن هذه المظاهر بالكلية. هل فكرة أن مظاهر الذَّاكرة تؤدي دورًا رئيسًا في الذَّاكرة القضوية هي حقًا نتاجًا للتنظير السيئ؟

إن هدفي هو تسليط الضوء على هذه المسألة التي سأتعامل معها على النحو الآتي:

---

(1) أنا ممتن لسفين بيرنيكر لتعليقاته المفيدة على نسخة سابقة من هذه الورقة.

(2) هنا وفيما يلي، أستخدم مصطلح: "الحُكم"، في حين يفضل الآخرون استخدام الاعتقاد الحادث occurrent (في مقابل القضوي). اسمحوا لي أن أؤكد أنني لا أفكر في الحكم على أنه نشاط ذهني يقيّم تقييمًا نقديًا الأدلة المؤيدة والمعارضة لاقتراح محدد. إن الأحكام، بالمعنى المقصود، تحدث عندما نقبل أو نؤيد القضايا، ويمكن أن تكون سلبية تمامًا، كما هو الحال بالنسبة للعديد من الأحكام الإدراكية والذاكرية، مثلًا.

في القسم الأول: أقارن بين الذَّاكرة الاستطرادية والذَّاكرة القضوية لتوضيح طبيعة هذه الأخيرة. وفق التقرير الذي أقدمه، تكمن الذَّاكرة الاستطرادية في الاحتفاظ بمعرفة بالأشياء والأحداث، في حين تكمن الذَّاكرة القضوية في الاحتفاظ بمحتويات الفكر.

في القسم الثاني: أحول انتباهي إلى التباين بين محتويات الذَّاكرة القضوية والذَّاكرة القضوية كموقف attitude.

أنا أزعم أنهما يؤديان أدوارًا مختلفة. تستوفي محتويات الذَّاكرة شرط الدراية الماضية والشرط السببي، ويفسر موقف attitude التذكر سبب ميلنا لتأييد تلك المحتويات.

يقودني هذا التمييز إلى استكشاف موقف التذكر.

في القسم الثالث: أزعم أنَّ التقرير الأكثر جاذبية عن هذا الموقف يتعلق بمشاعر الألفة.

في القسم الرابع: أحول انتباهي إلى إبستمولوجيا الذَّاكرة الاستطرادية وأعيد النظر في الادعاء الذي مفاده: إن أحكام الذَّاكرة القضوية تبررها مظاهر الذَّاكرة. ومن خلال القيام بذلك، أزعم أن موقف التذكر يؤدي دورًا تفسيريًا حصريًا ولا يسهم في إبستمولوجيا أحكام الذَّاكرة القضوية.

وأختتم باستخلاص درس أعم فيما يتعلق بأدوار كل من المواقف والمحتويات:

1. الذَّاكرة القضوية في مقابل الذَّاكرة الاستطرادية:

اسمحوا لي أن أبدأ بتقديم نوع من الظواهر التي تندرج تحت عنوان: "الذَّاكرة القضوية"، وسأقوم بذلك من خلال مقارنة هذه الظواهر بما يحدث عندما نتذكر استطراديًا.

كثيرًا ما ننسب الذكريات إلى الأشخاص باستخدام فعل 'يتذكر' متبوعًا

بالتراكيب الاسمية، مثلما نقول: "تتذكر ماري لقاءها الأول مع حماتها"، أو "يتذكر جون المقطوعات الأولى من السمفونية"، وبالتالي، فإننا نعني (من بين معاني أخرى) أن ماري وجون قد تعرفا على الأحداث والأشياء التي يتذكرانها. وهذا ما يسمى أحيانًا بالذَّاكرة: "الشّخصية"، وأحيانًا "الاستطرادية"[3].

ما الذي يحدث عندما نتذكر استطراديًا؟

أولًا: يجب أن نكتسب معرفة بالأشياء أو الأحداث التي نتذكرها، حيث يكون التعارف الماضي إدراكيًا عادة - على سبيل المثال: رأت ماري حماتها.

ثانيًا: يُعلِم هذا التعارف الماضي الذَّاكرة بهذه الأشياء أو الأحداث.

إن الذَّاكرة الاستطرادية غنية فينومينولوجيًا: فهي تمثل، بالنسبة لماري، "كما لو" أنها كانت ولا زالت ترى حماتها، وبالنسبة لجون، "كما لو" أنه كان ولا يزال يسمع التمهيد الموسيقي للسيمفونية.

وهذا يعني أن الذَّاكرة هنا تكمن في تعارف محفوظ أو اتصال معرفاني (Byrne, 2010; Martin، 2001). ما سوف أسميه صور الذَّاكرة هو الذي يجعل المرء على دراية بالأحداث أو الأشياء ذات الصلة[4].

على النقيض من ذلك، تتجلى الذَّاكرة القضوية نموذجيًا (وليس حصريًا) في معرفة المرء بالحقائق التاريخية والرياضية[5]. فعندما يتذكر سام مقتل قيصر،

(3) إن توصيف الذَّاكرة الاستطرادية الذي أنا على وشك تقديمه سيكون مثيرًا للجدل حتمًا؛ نظرًا للمجادلات المختلفة حول ما يؤول إليه. سأترك هذه المسألة الاصطلاحية بالأساس جانبًا فيما يلي، لكن النقطة الوحيدة التي أود التأكيد عليها هي أن هناك اختلافًا جوهريًا بين الظواهر التي أصفها بأنها ذاكرة استطرادية وتلك التي أصفها بأنها ذاكرة قضوية. يناقش نايلور Naylor (2011) الاعتقادات التي تواجه تعريف الذَّاكرة الاستطرادية، ويدافع عن موقف يختلف عن الموقف الموضح هنا.

(4) إن كلمة "صور images" عليها انتقادات كثيرة. وهنا وفيما يلي أستخدم مصطلح "الصورة" فقط للتأكيد على أن تذكر شيءٍ ما يشبه إدراكه. للمناقشة انظر: Teroni (2017).

(5) بالنظر إلى الطريقة التي وصفتُ بها الذَّاكرة الاستطرادية، قد يتذكر المرء أن كذا وكذا حدث في ماضيه دون أن يُعَدّ هذا مثالًا على التذكر الاستطرادي. فيما يلي، أستخدم أمثلة للتذكر القضوي

أو تتذكر ماري أن الجذر لتربيعي للعدد 625 هو 25، فإننا نواجه حالات ذاكرة قضوية. باختصار، تكمن الذّاكرة القضوية في الاحتفاظ بالمحتويات القضوية. وبفضل هذا النوع من الذّاكرة، تظل المحتويات القضوية التي حكمنا بها أو كانت لدينا فقط متاحة للفكر، وعادة ما يجرى قبولها أو المصادقة عليها في أوقات لاحقة[6].

إذا كان هذا هو المستوى الذي ترقى إليه الذّاكرة القضوية، فلا شك أنها تختلف عن الذّاكرة الاستطرادية. وعلى وجه التحديد، لا تتضمن الذّاكرة القضوية صورة الذّاكرة.

فكر في حالة سام الذي احتفظ بالمحتوى الذي مفاده: إن قيصر قُتل، وهو على استعداد للمصادقة عليه:

أولًا: من الواضح أن سام ليس في وضع يسمح له بالانشغال بصورة ذاكرية من شأنها أن تجعله على دراية بمقتل قيصر. ففي النهاية، هو لم يتعرف على هذا الحدث - إدراكيًا أو بأي طريقة أخرى - وبالتالي، لا يمكن أن يكون له تعارف به محفوظ في شكل صورة ذاكرية (Mc-Grath, 2007; Teroni, 2017)[7].

ثانيًا: بينما يمكن القول: إن الذّاكرة القضوية تعود دائمًا إلى التعرف على حدث قديم، إلا أنها لا تفترض مسبقًا ذاكرة استطرادية لهذا الحدث، بل هي في الواقع لا تفترض أن المرء احتفظ بأي معلومات عن هذا الحدث. فمثلًا: قد يتذكر سام أن قيصر قُتل دون أن تكون لديه أدنى فكرة عن كيفية اكتسابه لهذه

للحقائق التاريخية والرياضية، لكن استنتاجاتي يجب أن تنطبق على أي حالة من حالات الذّاكرة الاستطرادية كما أصفها هنا.

(6) إن هذه المحتويات تُؤيِّد على نحو نموذجي فقط، إذ يمكن للمرء أن يتذكر أن p دون أن يحكم بأن p (مثلًا: عندما تكون لدى المرء أدلة متعارضة). وللاطلاع على دراسة متأنية لهذه الحالات انظر: Bernecker (2010, chap. 3).

(7) هذا لا يعني أن التخيلات الحسية لن تصاحب الذّاكرة الافتراضية أبدًا، إذ من الواضح أنها تصاحبها في بعض الأحيان. ومع ذلك، فإن هذه التخيلات الحسية غير ضرورية، لأنها لا تشكّل ذاكرة المرء للأحداث أو الأشياء ذات الصلة. انظر مثلًا: Martin، 2015.

المعلومات، فضلًا عن أن يكون في وضع يمكنه إعادة معايشة، مثلًا: خبرة الفصل الدراسي ذات الصلة.

ثالثًا: يصعب فهم فكرة أن الذَّاكرة القضوية تتضمن صورًا للذاكرة في كثير من حالات، كما في حالة ماري التي تتذكر أن الجذر التربيعي للعدد 625 هو 25.

آمل أن يكون ما سبق كافيًا لتجسيد الظواهر المألوفة جدًا التي أصفها بالذَّاكرة القضوية. فيما يلي، سأهتم حصرًا بهذا النوع من الذَّاكرة.

2. الذَّاكرة القضوية: المحتوى في مقابل الموقف Attitude:

سأبدأ استكشاف الذَّاكرة القضوية بالتمييز المهم الذي غالبًا ما يُغفَل عنه على نحو مدهش، بين محتويات الذَّاكرة والذَّاكرة كنمط mode أو موقف attitude (Locke, 1971, chap. 1; Matthen, 2010)[8]

لشرح ما هو جوهري، اسمحوا لي أن أبدأ بالإشارة إلى سمتين متميزتين للحالة النفسية قد تقودان إلى وصفها على أنها ذكرى. يمكن للمرء أن يصف حالة نفسية بأنها ذكرى أولًا؛ لأن محتواها يفي ببعض الاشتراطات. لقد ركزتْ المناقشات الأخيرة للذاكرة القضوية حصريًا تقريبًا على تحديد هذه الاشتراطات. وفي ضوء هدفي هنا، أقترح أن نتبنى التوصيف التقريبي التالي لمحتويات الذَّاكرة القضوية: يكون محتوى قضوي p محتوى ذاكري لـ S إذا، وفقط إذا (1) كان محتوى تمثيل سابق لـ S أن p، و(2) كان حدوثه في S مسبَّبًا على هذا التمثيل السابق[9].

---

(8) يُفسر الاستخدام الواسع للتعبير "الموقف القضوي" سبب تفضيلي لكلمة "الموقف" في سياق مناقشة الذَّاكرة القضوية.

(9) هناك ثلاث ملاحظات سليمة: أولًا: يجب أن نترك مجالًا لبعض التنوع بين محتوى التمثيل الماضي ومحتوى الذَّاكرة (مثلًا: Matthen، 2010) والتخفف من اشتراط الهوية الذي أستخدمه هنا (لتقرير مقنع عن استلزامات المحتوى، انظر: Bernecker, 2010, pp. 217-229). ثانيًا: يجب أن يتجنب المطلب السببي السلاسل السببية المنحرفة. ثالثًا: هناك مسألة إضافية، سأتجاوزها هنا، وهي ما إذا كانت المحتويات الصحيحة فقط يمكن أن توصف بأنها محتويات

إنَّ المحتوى الذي مفاده أن قيصر قُتل هو محتوى ذاكري لسام بموجب أن (1) سام قد حكم سابقًا بأن قيصر قد قُتل، و(2) أن هذا المحتوى متاح بالفعل لسام؛ لأنه حكم بهذا الحكم[10]. وبالتالي، قد لا يستحق المحتوى أن يُوصف بأنه محتوى ذاكري؛ لأن الشّخص لم يكن على درايةٍ سابقة به، أو لأن درايته السابقة، على الرغم من أنه كان على دراية به، لا تفسر الإتاحة الفعلية لذلك المحتوى[11].

لاحظ الآن أن التباين بين محتويات الذّاكرة والأنواع الأخرى من المحتويات مستقل عن ميل الشّخص إلى الحكم على محتويات الذّاكرة بأنها صحيحة. فمن جهة، قد يمتلك شخصٌ ما محتوى ذاكري دون أن يميل لتأييده - فحقيقة أنَّ المحتوى يفي بالاشتراطات السابقة لا تعني أن هناك ميلًا للحكم بصحته. عندما نستعيد أحداث الماضي، عادة ما نُصنف الموقف الذي لا يتماشى فيه محتوى ذاكري مع هذا الميل بالقول: إننا لم نعِ، في ذلك الوقت، ما كنا نتذكره. من جهة أخرى، قد نميل أيضًا إلى المصادقة على محتوى لا يستحق أن يوصف بأنه محتوى ذاكري، إما لأننا نظن ظنًا خاطئًا أنه يستحق هذا الوصف، وإما لأن لدينا أسبابًا أخرى للمصادقة عليه.

اسمحوا لي الآن أن أنتقل إلى السمة الثانية للحالة النفسية التي قد تدفع المرء إلى وصف هذه الحالة بأنها ذكرى. وهي الموقف attitude المحدد لدى الشّخص تجاه المحتوى.

ذاكرية. يستلزم الإقرار بهذه المسائل أن التوصيف الذي قدمته يجب أن يُنقَّح على نحو معتبر، لكنني أعتقد أن هذا لا يؤثر في حجتي.

(10) عندما أقول: إن محتوى ما هو محتوى ذاكري "للشخص"، فأنا لا أعني أنه كذلك "من منظوره". وإنما أعني فقط أن هذا المحتوى يؤدي الدور المناسب في نفسية هذا الشّخص. لا يلزم أن يكون استيفاء الاشتراطات المعنية شفافًا للشخص. ودعني أضف إلى ذلك أن شرط الدراية السابقة يقرّ ببساطة بما يصفه كامبل (1994) بأنه «الطابع التدريجي» للذاكرة. إن القول: إن الذّاكرة تفترض دراية مسبقة لا يعني أن الشّخص قد انتبه إلى هذه الدراية الماضية وقت حدوثها.

(11) هنا وفيما يلي سأسمي المحتويات التي تفي بهذه الاشتراطات "المحتويات الذاكرية". ولا تنبغي قراءة هذا على أنه يعني ضمنًا أن هذه المحتويات خاصة بالذّاكرة فقط.

إنَّ حقيقة وجود تمييز كهذا بين محتويات الذَّاكرة وموقف التذكر واضحة في ضوء تنوعهما الممكن على نحو مستقل، إذ يستهدف موقف التذكر أحيانًا محتويات ليست محتويات ذاكرية - في هذه الحالات، غالبًا ما نقول: إنَّ ما يبدو لنا أنه تذكر هو من نسج خيالنا. علاوة على ذلك، قد أقررنا بالفعل أن هذا الموقف attitude قد يكون غائبًا عندما يكون لدينا محتويات ذاكرية. فمحتوى الذَّاكرة شيء، وموقف التذكر شيء آخر.

كيف يجب أن نبدأ في توصيف موقف التذكر؟ على عكس ما قلته للتو بشأن محتويات الذَّاكرة: لا يمكننا فصل موقف التذكر عن ميل الشّخص لتأييد المحتوى الذي يستهدفه الموقف. وعلى عكس الشّخص الذي يمتلك محتوى أو يفترض أنه حقيقي، فإن الشّخص الذي يتذكر المحتوى يميل إلى المصادقة عليه، وسوف يصادق عليه إذا لم يكن لديه سبب للشك في أنه حقيقي أو أنه احتفظ به. وكما يذكر بيرغ Burge (1993: 465) عن حق، فإن الذَّاكرة القضوية ("الذَّاكرة الحفظية البحتة" باصطلاحه) تحافظ على المحتويات بقوة الحُكم، أي: إننا نميل لتأييد هذه المحتويات عندما نتذكر. ولهذا السبب، فإن وصف موقف التذكر هو تقرير عن ميل إلى تأييد بعض المحتويات، ذلك الميل الذي يفسر الدور الجوهري الذي تؤديه الذَّاكرة القضوية في معرفتنا. الآن، بما أن هذا الميل من الواضح أنه لا يقتصر على موقف التذكر، فهل من الممكن أن نقول ما يتجاوز ذلك قليلًا لتوضيح ما نسعى إليه؟

سأحاول القيام بذلك من خلال التركيز أولًا على شروط صحة الحالات الذهنية بشكل عام، ثم تطبيق هذه الفكرة على الذَّاكرة القضوية. فكر في الحالات النفسية التالية: الحكم بأن p، وتخمين أن p، وتذكر أن p. إن هذه المواقف تأخذ المحتوى ذاته، وهذا هو سبب تقاسمها لجزء مهم من شروط صحتها. لكن، حقيقة أن هذه المواقف مختلفة لها تأثير واضح في ظروف الصحة الخاصة بكل موقف[12]. على نحو تقريبي؛ لأن المرء يحكُم بأن الحالة

(12) في تفضيلي لمقاربة التباين هذه بين المحتوى والموقف، أتبع الاقتراحات التي قدمها، من بين

النفسية للحكم بأن p صحيحة إذا وفقط إذا كان المحتوى صحيحًا؛ ولأنَّ المرء يُخمّن أن حالة تخمين أن p صحيحة إذا، وفقط إذا كان المحتوى محتملًا؛ ولأن المرء يتذكر أن حالة تذكر أن p صحيحة إذا، وفقط إذا كان المحتوى هو محتوى تمثيل سابق يكون مسؤولًا سببيًا عن كونه متاحًا الآن. تعود هذه الاختلافات في شروط الصحة إلى مساهمة المواقف المختلفة.

في ضوء هذه الملاحظات، يمكننا أن نستنتج أن موقف التذكر يؤدي دورًا تفسيريًا مهمًا: فهو يفسر سبب ميلنا إلى المصادقة على بعض المحتويات تجاوبًا مع حقيقة أن هذه المحتويات متاحة لنا؛ لأنها مُثّلت سابقًا.

مهمتنا في القسم الثالث هي فحص ما يعنيه الموقف وما يعنيه التجاوب. لكن دعوني أولًا أن أوجز هذه المناقشة للتباين بين محتويات الذَّاكرة والذَّاكرة كموقف.

إن أي تقرير عن محتويات الذَّاكرة يجب أن يواصل مهمته من خلال شرط الدراية السابقة وشرط سببي. في المقابل، فإن أي تقرير عن موقف التذكر هو تقرير عن ميل مميز لتأييد بعض المحتويات.

3. التفسير: طبيعة الموقف Attitude:

يدور هذا القسم عن المسألة التالية. في الذَّاكرة القضوية، نحن نصادق عادة على كل ما نتذكره. إذا تذكّر سام أن قيصر قُتل، فعلى الأرجح أن سام (إن لم تكن لديه دليل معارض)، فسيصادق على ذلك كحقيقة، لقد توصلنا للتو إلى أن هذا هو سمة من سمات موقف التذكر، وفي ضوء أن أحد الجوانب المركزية لهذا الموقف هو الميل إلى تأييد المحتوى الذي يستهدفه، فكيف نفهمه؟ فيما

اقتراحات أخرى، كل من Crane (2003)، وRecanati (2007). وانظر أيضًا: Matthen (2010)، وDeonna and Teroni (2012, chap. 7)

يلي، لا أستكشف كل الخيارات المتاحة، وإنما سأركز على تقريرين مقنعين قبل تقديم تقريري المفضل[13]

إن جوهر التقرير الأول هو عد ميلنا لتأييد محتويات ذاكرية هو سمة أولية primitive وليس سمة أكثر قابلية للتفسير من الذّاكرة القضوية، على الأقل فيما يتعلق بمستوى الشّخص الأول (Goldman, 1993a)[14]. وهذا يعادل القول، من منظور الشّخص الأول، إنه يجد نفسه ببساطة يميل هذا الميل. فلا يوجد موقف ذاكري من شأنه أن يساعده في فهم كون هذا الميل متاحًا له. والتجاوب مع حقيقة أن المحتويات متاحة؛ لأنها مُثّلت سابقًا هو سمة من سمات العمليات تحت-الشّخصية، ولا تظهر على مستوى الشّخص الأول.

الآن، يجب ألا نتفاجأ من هذا الرفض القاطع لتفسير يوجد على مستوى الشّخص الأول لسبب ميلنا عادة لتأييد محتويات الذّاكرة. وهذا لأنه يبدو أن هناك فرقًا واضحًا بين نوعين مميزين من الحالات. يمكنك أن تكون على دراية بأنك تميل ببساطة إلى تأييد محتوى ما. وبدلًا من ذلك، يمكنك أن تكون على دراية بأنك تميل هذا الميل لأنه، كما نقول غالبًا، يبدو أنك تتذكر (مثلًا: Cullison، 2010).

في الحالة الأخيرة، يبدو أنَّ الإحالة إلى التذكر هي تفسير لتأييد المحتوى، لكن التقرير الأول لا يعترف بهذا[15]. لا أعني أنه يجب علينا دائمًا البحث عن تفسير من مستوى الشّخص الأول للميل لتأييد محتويات الذّاكرة.

---

(13) انتقدتُ بعض هذه الخيارات من منظور مختلف قليلًا في Teroni (2014).

(14) يعتقد غولدمان، وأنا أتفق معه، أن هذا نتيجة للأشكال الكلاسيكية المختلفة للوظيفية. يفضل العديد من المدافعين عن نظرية العلل الماضية التي ستتاح لنا فرصة مناقشتها في القسم الرابع، هذا التفسير لميلنا لتأييد محتويات الذّاكرة القضوية.

(15) في مواجهة الموقف الديالكتيكي ذاته فيما يتعلق بالإدراك، يفسر كامبل (1984) سبب فهم الإدراك على نحو خالص من خلال جعل الأحكام غير الاستدلالية غير مقنعة. إنه يقوم بذلك عن طريق لفت الانتباه إلى الفرق بين المدرِك القياسي الذي يحكم بما يراه وأعمى، لكنه عرّاف موثوق يجد نفسه يصدر الأحكام ذاتها التي تقفز في ذهنه. أود أن أصر على وجود اختلاف مماثل فيما يتعلق بالذّاكرة.

وإنما الاقتراح الأكثر تواضعًا هو أنه عادة تُظهر الذَّاكرة نفسها على مستوى الشّخص الأول كمصدر للميل لتأييد المحتوى[16] وهذا هو سبب كون التقرير الأول غير مقنع.

غالبًا ما نفسر سبب ميلنا لتأييد محتويات ذاكرية بالقول: إنه يبدو أننا نتذكر. ما هو التفسير الذي نقدمه عندما نقول ذلك؟ للإجابة على هذا السّؤال، اسمحوا لي أن أقول بضع كلمات عن تراكيب "المظهر look" التي تعمل بطرق متشابهة جدًا لـ "يبدو أنه يتذكر". يُلاحَظ في كثير من الأحيان أن تراكيب المظهر تصلح لقراءات مختلفة (Chisholm, 1957, chap. 4; Maund, 2003, chap. 7). فيمكننا أن نقرأ عبارة: "يبدو كما لو أن السماء تمطر" على أنها تعبّر عن اعتقاد أن المرء لديه أسباب وجيهة لاعتقاد أن السماء سوف تمطر. هذه هي القراءة الإبستيمية، فالعبارة "يبدو أنني أتذكر أن p" تُقرأ على أنها تعبّر عن اعتقادي أن لديَّ أسبابًا وجيهة لاعتقاد أن محتوى ما هو محتوى ذاكري. في ضوء التوصيف التقريبي الذي نستخدمه هنا، فإن هذا الاعتقاد هو اعتقاد أنني مثّلت محتوى سابقًا، وأن الحدث الماضي يفسر سبب توفر المحتوى لي الآن[17].

يستغل التقرير الثاني عن موقف التذكر القراءة الإبستيمية لـ "يبدو أنه يتذكر". ويزعم أنَّ الاعتقادات المتعلقة بالمحتويات تفسر ميلنا لتأييد محتويات ذاكرية.

بتعبير أدق، يُفهم موقف التذكر من خلال الدور الوظيفي الذي يفرّد individuate محتويات الذَّاكرة: يتألف هذا الموقف من اعتقاد الشّخص أن المحتوى الذي في ذهنه يؤدي هذا الدور بالفعل[18]. وأصبح الآن التجاوب مع حقيقة أن المحتويات مُثِّلت سابقًا سمة من سمات مستوى الشّخص الأول؛ لأنه

---

(16) أتفق هنا مع فرنر Werner (2013) في أن بعض النزعات للحُكم يمكن تفسيرها بفينومينولوجيا محددة.

(17) بالمناسبة، لاحظ أن التباين بين الذَّاكرة الاستطرادية والذَّاكرة القضوية يُعبَّر عنه أحيانًا بالقول: إن هذا النوع من الاعتقاد هو ما يميز الذَّاكرة الاستطرادية (Owens، 1996).

(18) ربما هذا الرأي مستوحى من بعض الملاحظات التي وضعها بيرنكير Bernecker (2010, pp.235-239). الذي لا يؤيد هذا الرأي صراحة.

يأخذ شكل هذا الاعتقاد. ومع ذلك، فإن هذا التقرير عن الميل لتأييد محتويات الذَّاكرة ليست جذابًا جدًا لثلاثة أسباب على الأقل:

أولًا: يعتمد هذا التقرير على افتراضات نفسية غير مقنعة. نحن بالتأكيد عرضة لاعتقاد أن المحتويات تؤدي دورًا وظيفيًا عندما يكون هناك مجال للشك وعندما تكون التفسيرات البديلة لتوفر هذه المحتويات بارزة لنا. للتوضيح، افترض أن ميشيل Michelle أخبرت صديقها سام بأنه يختلق أحيانًا حقائق تاريخية. قد يفكر سام في الأمر، ويستنتج أن المحتوى الذي مفاده أن قيصر قُتل متاح؛ لأنه تعلمه في مكانٍ ما، ونتيجة لذلك يُصادق عليه. ومع ذلك، من الصعب التوفيق بين ادعاء أنه يجب علينا تفسير كل أحكام الذَّاكرة بهذه الطريقة مع فوريتها النموذجية.

ثانيًا: فيما يتعلق بالاتصال المباشر، فإن التفسير فكراني intellectualistic بإفراط (Goldman, 1993a, 1993b). إذ إن الأطفال يصدرون أحكامًا ذاكرية قبل أن يفهموا طبيعة محتويات الذَّاكرة - ففهم العلاقات بين محتويات الفكر عبر الزمن هو في النهاية إنجاز معرفاني كبير، وهذا يمدنا بفرصة للعودة إلى الادعاء المطروح في القسم الثاني الذي وفقه تكون شروط الصحة المرتبطة بالماضي في الذَّاكرة هي نتيجة لموقف التذكر. أحد أسباب هذا الادعاء هو أن المواقف attitudes تؤدي دورًا قبل أن يكون لدى الأشخاص القدرة على فهم ماهيتهم. يثير التقرير قيد المناقشة قلقًا ما، على وجه التحديد؛ لأنه يرفض هذا الادعاء بأن يماهي بين موقف التذكر والاعتقادات المعقدة.

ثالثًا: التفسير دائري. إذ كيف يمكن أن يعتقد سام أنه حكم سابقًا بأن p، إن لم يكن ذلك من خلال تأييد محتويات الذَّاكرة القضوية الأخرى؟

لهذه الأسباب، فإن الاعتقادات المتعلقة بالدور الوظيفي الذي تؤديه محتويات الذَّاكرة لا يمكن أن تفسر الميل لتأييدها الذي يميز التذكر؛ لفهم هذا الموقف attitude، يجب أن ننظر في مكان آخر.

للتركيز على موقف التذكر، علينا أن نعود إلى التعبير "يبدو أنه يتذكر".

على غرار "يبدو هذا أحمر لي"، فإن التعبير "يبدو أنني أتذكر" يفسح المجال لقراءة فينومينولوجية، في مقابل قراءة إبستيمية. وعلى هذه القراءة، تشير هذه التعبيرات إلى خبرات محددة. إذ يشير "يبدو أحمر" إلى خبرة بصرية تثيرها الأسطح الحمراء، ويشير "يبدو أنه تذكر" إلى خبرة مميزة للذاكرة القضوية. الآن يصعب إنكار أن الخبرات غالبًا ما تصاحب أحكام الذَّاكرة - ولهذا السبب أشار العديد من الفلاسفة إلى انطباعات التذكر، أو الانطباعات الذاكرية، أو المظاهر (مثلًا: Audi, 1995; Pollock, 1974; Pollock & Cruz, 1999; Russell، 1921). لا تكمن المسألة الحقيقة في وجود هذه المظاهر، وإنما في طبيعتها ودورها (أو أدوارها) في الذَّاكرة القضوية.

فيما يتعلق بطبيعة هذه المظاهر، سأكتفي ببعض الملاحظات (انظر: Teroni، 2017):

أولًا: من المهم التأكيد على أن مظاهر الذَّاكرة تختلف عن صور الذَّاكرة المميزة للذاكرة الاستطرادية، إذ لا تشكّل مظاهر الذَّاكرة تعارفًا محتفظًا به بالأشياء أو الأحداث ذات الصلة، وهي أكثر فقرًا من الجهة الفينومينولوجية من صور الذَّاكرة، فإن مظهر تذكر أن قيصر قُتل لا يكون في حالة تشبه رؤية مقتله. وعلى نحو أكثر تحديدًا، لا تختلف هذه المظاهر كوظيفة لما يُسترجَع. إنها ليست سوى وضع وسم على المحتوى يقول: إنه محتوى ذاكري، ولا تختلف فيما بينهما سوى في الحدة[19].

ثانيًا: من بين المقاربات العديد لهذه المظاهر، هناك مقاربة جذابة تمامًا تزعم أنها تكمن في مشاعر الألفة. بالمعنى الفينومينولوجي، "ما يبدو أنه تذكر" محتوى هو شعور بانه مألوف[20] في السياق الحالي، هذا يعني أن محتويات

---

(19) لهذا السبب، كما يلاحظ أودي Audi (1995)، فإن الإصرار على فكرة أن أحكام الذَّاكرة القضوية تعود دائمًا إلى صور الذَّاكرة هو اتباع لقياس غير مناسب على الإدراك.

(20) أنا أفضّل مقاربة تعتمد على مشاعر الألفة وليست على مشاعر الماضوية لسببين لا يمكنني إلا ذكرهما سريعًا هنا: الأول: قد يكون من المعقول الاستشهاد بمشاعر الماضوية فيما يتعلق بالذَّاكرة الاستطرادية، لكن الأقل معقولية بكثير الاستشهاد بها فيما يتعلق بالذَّاكرة القضوية،

الذّاكرة القضوية عادة ما تكون مألوفة، وهذا هو السبب في أننا نميل إلى المصادقة عليها. وهذا يعادل تجاوب الشّخص لحقيقة أن المحتويات مُثِّلت سابقًا، وأنها موجودة بشكل مباشر على مستوى الشّخص الأول، لكننا نفسر الآن الميل لقبول محتويات الذّاكرة بطريقة غير فكرانية على نحو مفرط، ومتآخية مع حقيقة أننا عادة ما نؤيد محتويات الذّاكرة على الفور، وليس كنتيجة للتفكير. من المزايا الإضافية للتقرير الذي يعتمد على الشعور بالألفة أنه يفسر أخطاء العزو الذاتي التي ترجع إلى أوهام الألفة، وهذا يجعل التقرير جذابًا لموقف التذكر[21].

الآن بعد أن أصبح لدينا تصور أوضح لموقف التذكر، اسمحوا لي أن أؤكد إحدى النتائج المهمة المتمثلة في إبقاء المحتوى والموقف منفصلين عن بعضهما البعض، فيجب ألا يصاحب موقف التذكر محتويات ذاكرية، وهذه المحتويات قد يصادق عليها الشّخص لأسباب عديدة، لكن لاحظ أننا في وضع يسمح لنا بالقول: إنه عندما يُفسَّر الميل لتأييد هذه المحتويات بالشعور بالألفة، فإن موقف التذكر يؤدي دورًا تفسيريًا مميزًا على مستوى الشّخص الأول. وفقط عندما تظهر مشاعر الألفة نؤيد هذه المحتويات؛ لأنه (يبدو لنا) أننا نتذكرها[22].

اسمحوا لي أن ألخص هذا القسم: إن أفضل تفسير لسبب ميلنا عادة إلى تأييد محتويات الذّاكرة يأتي من مشاعر الألفة التي تميز موق التذكر. تتعلق المسألة التالية بالنتائج الإبستيمية للدور التفسيري لهذا الموقف.

فالموقف الذي يبدو للمرء في أنه يتذكر أن قيصر قُتل ليس موقفًا يشعر فيه بماضوية المحتوى. الثاني: كما يلاحظ بيرن Byrne، «بينما "الشعور بالألفة" مألوف، إلا أن المؤكد أن "الشعور بالماضوية" ليس كذلك» (Byrne، 2010).

(21) يشبه هذا الاستنتاج فكرة ماتين Matthen (2010) التي تقول: إن الشعور هو سمة لموقف التذكر بدلًا مما يُتذكَّر. ويختلف عن فكرة ماتين بقدر ما يُعد صراحة أن هذا الادعاء متعلق فقط بالذّاكرة الاستطرادية، مستندًا إلى "الشعور بالماضوية" الذي يقابله بـ: "الشعور بالماضية" المصاحب للإدراك.

(22) قد يستهدف موقف التذكر أيضًا المحتويات الإدراكية، كما هو الحال عندما نرى شيئًا ونشعر أنه مألوف. ومع ذلك، فإن مناقشة هذه المسألة لا محل لها هنا.

4. التبرير: المحتوى في مقابل الموقف:

في القسم السابق، قمنا باستخدام مظاهر الذّاكرة في تفسير سبب ميلنا عادة لتأييد محتويات الذّاكرة. وأنتقل الآن إلى مسألة إبستيمية مركزية تتعلق بالذّاكرة الإبستيمية. هل مظاهر الذّاكرة تبرر الأحكام التي نتخذها عندما نتذكر؟

سأبحث هذه المسألة بدراسة مقاربة واسعة الانتشار للذاكرة القضوية تجيب بالإيجاب على هذا السّؤال.

حسب هذه المقاربة، هناك تبرير مميز في الذّاكرة القضوية: مظاهر الذّاكرة التي تفسر عادة سبب حكمنا هي التي تبرر أيضًا تأييدنا للمحتويات التي صادف أننا استرجعناها[23]

إذا بدا لك أنك تتذكر مقتل قيصر، أي: إذا كان هذا المحتوى يبدو مألوفًا لك، فإن من المبرَّر لك الحكم بأنه قُتل (على سبيل المثال: Audi, 1995; Pollock, 1974; Pollock & Cruz، 1999). على الأقل، يكون هذا الحكم مبرر لك إذا كنتَ على دراية بأنه لا تُوجد أدلة مضادة، الأمر الذي قد تكون له علاقة بالمعلومات التي تشير إلى أن الحكم خاطئ أو أنك لم تكن لتعلم الواقعة ذات الصلة. وبهذا المعنى، فإن التبرير الذي توفره مشاعر الألفة قابل للمراجعة أو ابتدائي.

لماذا تشيع هذه المقاربة؟ يشكّل النهج الفكري التالي مصدرًا مهمًا للدافع. في العديد من حالات الذّاكرة القضوية، إن لم يكن معظمها، نفشل في تتبع علة (أو علل) حكمنا بأن p في الأصل. فمثلًا: من المحتمل أن يكون سام قد نسي سبب إقدامه على الحكم بمقتل قيصر، وبالتالي، فإن ادعاء أن هذه الأحكام الذاكرية غير مبررة من شأنه أن يولد شكلًا حقيقيًا من الشكوكية skepticism.

---

(23) فيما يلي، أهتم حصريًا بتبرير هذه الأحكام الذاكرية. ولستُ مهتمًا بما إذا كانت مظاهر الذّاكرة يمكن أن تبرر أحكامًا أخرى، مثل: حُكم أن المرء كان على دراية بالمحتوى، أو لأن المرء كان على دراية بالمحتوى، فإنه متاح الآن. أظن أن هذه المظاهر يمكن أن تبرر تلك الاعتقادات.

الآن، وفق مقاربة واسعة الانتشار، كل ما يسهم في تبرير الحكم يجب أن يكن قابلًا للوصول إليه من الشّخص الذي يصدر هذا الحكم - هذه هي الداخلانية internalism فيما يتعلق بالتبرير (Pappas، 2014). وبقدر ما يتفق المرء مع الداخلانية، فإن الخطوة المعقولة في إبستمولوجيا الذّاكرة القضوية تكمن في تجنب الشكوكية من خلال ادعاء أن مظاهر الذّاكرة - الحالات الخبراتية التي يمكننا الوصول إليها عندما نسترجع المحتويات - تبرر تأييدنا لتلك المحتويات[24].

يجب أن يبدو تفسير تبرير أحكام الذّاكرة القضوية من خلال مظاهر الذّاكرة مقنعًا تمامًا - وفي الحقيقة هو أقنع العديد من الفلاسفة. لكن هذا التقرير يواجه تحديًا خطيرًا بقدر ما يتبين أن مظاهر الذّاكرة غير كافية لتبرير أحكام الذّاكرة القضوية (Annis, 1980; Naylor، 1982). لنفترض أن مايكل Michael أقدم على الحكم بأن قيصر مات في فراشه على أساس علل reasons وهمية. بعد سنوات، ينشغل ذهنه بفكرة أن قيصر مات في سريره، وهكذا يبدو أنه يتذكر أن الواقعة كانت على هذا النحو، ولا يكون على دراية بأي دليل مضاد لهذا الحكم. سوف يقيّم التقرير قيد المناقشة حكم مايكل الذاكري بأن قيصر مات على سريره بأنه مبرر. وهذا ادعاء لدينا كل الأسباب لتجنبه: فلا يمكن للذاكرة أن تعمل كمصدر إبستيمي بهذه الطريقة[25]. ففي النهاية، بسبب كون مايكل حكم حكمه هذا على أساس أسباب خيالية، فإن حكمه غير مبرر عندما أصدره للمرة الأولى. وحقيقة أن المحتوى يبدو الآن مألوفًا من المؤكد أنها لا يمكن أن تحول هذا الحكم غير المبرر إلى حكم مبرر. ومع ذلك، فإن هذا التقرير على وضعه هذا ملتزم

(24) بالطبع لا يعني هذا أن الاستناد إلى مظاهر الذّاكرة هو الخيار الوحيد للداخلانيين (انظر: Teroni، 2014). ومع ذلك، فقد فضّلوا بشكل عام هذه المقاربة لتبرير الذّاكرة.

(25) تؤكد لاكي Lackey (2005) أن الذّاكرة يمكن أن تولّد مبررًا جديدًا. ومع ذلك، وفقها، فإن المواقف التي تقوم فيها الذّاكرة بذلك تختلف تمامًا عن تلك التي أناقشها الآن وأكثر تعقيدًا منها، كما أن الموقف الذي تفضله لا يمكن بأي حال إنقاذ تقرير مظاهر الذّاكرة. علاوة على ذلك، فإن أنواع المواقف التي تستند إليها لاكي لدعم ادعائها قد تفشل في دعمه، كما يجادل سينور Senor (2007). وانظر أيضًا Teroni (2014).

بالقول: إن تبرير أحكام الذّاكرة القضوية منفصل تمامًا عن الأسباب السابقة للحكم. وهذا غير مقبول. وكما يقول الشعار: «المدخلات معيبة، إذًا المخرجات معيبة garbage in, garbage out» (Jackson، 2011).

إن هذا يوازي الاستنتاج الأعم الذي توصل إليه بعض الفلاسفة فيما يتعلق بالدور التبريري للمظاهر: بعض المظاهر فقط هي التي تبرر، وليس جميعها[26]. على وجه التحديد، إذا كان للمظهر مسبِّبات aetiology إشكالية، فلا يمكن أن يبرر للشخص أن يؤيد المحتوى الذي يبدو صحيحًا بالنسبة له (Bergman, 2013; Jackson, 2011; Markie، 2013). في الذّاكرة القضوية، تحتل المسبِّبات بالطبع مركز الصدارة؛ لأن الشعور بالألفة ينشأ في موقفٍ يكون فيه الشّخص قد حكم بالفعل لعلل جيدة أو سيئة[27]. إن اعتماد المظهر على موقف ماضٍ يُكتسب فيه الاعتقاد هو ما يجعله غير جذاب للادعاء القائل: إن المصادقة على محتوى؛ لأنه يبدو مألوفًا كافية للتبرير. إن الذّاكرة ليست مصدرًا مستقلًا للتبرير، وإنما يمكنها فقط نقله (McGrath, 2007; Naylor, 1982; Teroni, 2014)[28]. ولا تُولّد مظاهر الذّاكرة نوعًا جديدًا من التبرير، وهذه الملاحظة تتناغم مع حقيقة أن الاحتفاظ باعتقادٍ ما وإظهاره لا يتعلقان بتأسيسه على أدلة جديدة.

يمكن تعزيز هذا الاستنتاج إذا ذكّرنا أنفسنا بطبيعة هذه المظاهر. إن سبب الشعور بالألفة تجاه المحتويات يعود على نحو موثوق إلى حقيقة أن هذه المحتويات قد كانت في ذهن الشّخص. لذلك، قد تبرر هذه المشاعر الحكمَ بأن تلك المحتويات كانت في ذهنه، لكن لا يمكنها تبرر تأييدنا لها، فحقيقة أن

---

(26) انظر تاكر Tucker (2013) للاطلاع على مقدمة مفيدة لذلك الجدل.

(27) هذا مجرد تبسيط؛ لأن الانطباع قد ينشأ في موقف كان للمرء أن يصدر حكمًا فيه، لكنه لم يقم بذلك. في رأيي، هذا لا يؤثر في النقاط التي أريد أن أوضحها هنا.

(28) يميز تولي Tooley (2013) بين المظاهر الأساسية والمظاهر المشتقة، وذلك في مناقشته للمذهب المحافظ ظاهراتيًا phenomenal conservatism الذي يمكن فهمه لأغراضنا الحالية على أنه ادعاء أن كل المظاهر سواء أكانت ذاكرية أم غير ذلك، توفر تبريرًا ابتدائيًا. يهدف تمييز تولي إلى قصر المذهب المحافظ ظاهراتيًا على المظاهر التي لا تعتمد على الأنشطة المعرفانية السابقة للشخص، وهو يقوم بذلك لأسباب ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتلك المعروضة هنا.

المحتوى كان في الذهن بالفعل ليست سببًا للاعتقاد بأنه صحيح.

اسمحوا لي أن أبرز ثلاثة جوانب للاستنتاج الذي توصلنا إليه حتى الآن، وهو الاستنتاج الذي مفاده: إن مشاعر الألفة لا يمكنها تبرير تأييدنا للمحتويات التي تستهدفها:

أولًا: يتعارض هذا الاستنتاج مع شيء يمكن أن نسميه "الداخلانية الحاضرية present-tense internalism"، أي: ادعاء أن كل العوامل المتصلة بتبرير الحكم يمكن أن يصل إليها الشّخص في الوقت الذي يصدر فيه هذا الحكم ((eroni، 2014). ومع ذلك، فإن الاستنتاج يتوافق مع الأشكال الألطف للداخلانية، على سبيل المثال: تلك التي وفقها يجب أن تكون هذه العوامل قابلة للوصول إليها في وقتٍ ما في الماضي (في وقت اكتساب الاعتقاد، مثلًا)[29].

ثانيًا: إن هذا الادعاء يقتصر على الشعور بالألفة، ولا يُقصد به أن يُحمَل على خبرات أخرى قد تكون لدينا عندما نتذكر. في القسم الأول، ميّزنا الذّاكرة الاستطرادية عن الذّاكرة القضوية بالقول: إن صور الذّاكرة هي سمة للأولى وليس للأخيرة. فعندما نتذكر استطراديًا، يبدو الأمر كما لو أننا ندرك الأحداث أو الأشياء ذات الصلة مرة أخرى. لا شيء قلته هنا يناقض فكرة أن صور الذّاكرة تشكّل شكلًا أصليًا من التبرير - قد نضطر إلى تبني تقارير مميزة عن تبرير الذّاكرة القضوية والاستطرادية (Teroni، 2014). وعلى نحو أخص، هناك فرق مهم بين الذّاكرة القضوية والذّاكرة الاستطرادية. فعندما، وفقد عندما، نتذكر

(29) قد يظن المرء أن الاستناد إلى اشتراطات خارجية للمظهر الذاكري تتعارض مع جوهر الداخلانية (Hanna، 2011). لكن هذا الظن محل شك. فمثلًا: الفكرة القائلة بوجود علاقة وثيقة بين التبرير ومسؤولية الشّخص عن اعتقاداته التي غالبًا ما تؤكد الداخلانية لا تدعم الداخلانية الحاضرية. ففي النهاية، نحن مسؤولون عن العواقب البعيدة لأفعالنا الخاطئة. هذا هو السبب في أنه من المدهش أن قائلين بالداخلانية مثل هومر Huemer (2007) لم يقدموا قط شرطًا تسببيًا aetiological من أجل تمييز المظاهر ذات الصلة. وللاطلاع على مقاربة هومر التي تعتمد التمييز بين التبني المُبرَّر والاحتفاظ المبرَّر، انظر: Huemer (1999).

استطراديًا، يكون صانع حقيقة truth-maker الأحكام التي نتخذها واضحًا لنا. فمثلًا: نحكم بأن صديقة ارتدت فستانًا أصفر في حفلة؛ لأننا نتذكرها عندما كانت ترتدي الفستان. وقد تكون لهذا عواقب إبستيمية (Conee, 2013; Hoerl, 2001; Teroni، 2014).

ثالثًا: وهو الأهم، الاستنتاج القائل: إن مشاعر الألفة ليست كافية للتبرير يُترك دورها الإبستيمي الدقيق بلا تحديد.

إليكم كيف أعتقد أنه يجب علينا الشروع في تحديد هذا الدور. إذا أصررنا على المسائل التسبّبية aetiological في إبستمولوجيا الذّاكرة القضوية، فإن النتيجة النهائية هي أننا مبررون في تأييد محتوى الذّاكرة؛ لأنه يبدو مألوفًا فقط إذا كانت لدينا علل وجيهة لإصدار الحكم في الأصل[30]. هذا هو مدى الاعتماد الإبستيمي للذاكرة. الآن، هناك خياران في هذه المرحلة:

الأول: هو القول: إن الحكم الذي نتخذه عندما نتذكر يبرره الشعور بالألفة بشرط أن تكون له المسببات الصحيحة، وهذا يعادل القول: إن العلل التي دفعتنا لإصدار الحكم في الأصل - عللنا الماضية، كما قد نقول: لا تؤدي أي دور إبستيمي عندما نتذكر.

الثاني: هو القول: إن الحكم مبرَّر بهذه العلل الماضية، وأظن أنه ينبغي أن نفضل الخيار الثاني. وإليكم السبب.

وفق الخيار الأول، تؤدي مشاعر الألفة دورًا إبستيميًا فقط عندما تُصفَّى باعتبارات تكون عادة خارج نطاق معرفة المرء عندما يتذكر. ومع ذلك، إذا سلّمنا بهذا القدر، فإنه من الصعب أن نرى لِمَ يجب علينا أن ننكر أن العلل

---

(30) اسمحوا لي أنْ أؤكد مرة أخرى أنني مهتم بالدور الإبستيمي لمشاعر الألفة، وبالتالي، في ضوء الادعاءات السابقة، أنا مهتم بمساهمة موقف التذكر في التبرير. لا أدعي أن تأييد محتوى ذاكري لا يمكن تبريره بشيء يكون المرء على دراية به عندما يخطر بباله هذا المحتوى. ومع ذلك، أريد ان أصر على أنه في مثل هذه الحالات المرء لا يصدر حكمًا لأنه يتذكر.

الماضية تؤدي دورًا إبستيميًا في وقت الذّاكرة. فبمجرد أن نقبل أن تأييد المحتوى له ما يبرره (أو ليس له) بِعَدِّه وظيفة للعلل الماضية للشخص، فلماذا لا نتبنى بالكامل فكرة أنَّ الاحتفاظ باعتقاد مبرر لا يتعلق بالاستناد إلى أدلة جديدة؟

دعوني أؤكد أنَّ الخيار المعني يجب ألا يحظى بأي دعم من حقيقة أن مشاعر الألفة تؤدي دورًا تفسيريًا.

في القسم الثالث، سلّمنا بأن هذه المشاعر تفسر ميلنا لتأييد المحتويات ذات الصلة. تُحدث المظاهر الذاكرية فرقًا نفسيًا، وتسهم في جعل الحكم معقولًا من منظور الشّخص. هذا هو السبب في إصراري على أنه يجب علينا التمييز بين الميل البسيط إلى تأييد محتوى والميل لتأييده؛ لأنه يبدو أننا نتذكر. والمسألة الحالية هي ما إذا كانت المظاهر الذاكرية تؤدي دورًا إبستيميًا فضلًا عن ذلك[31].

بمجرد التمييز بين المسائل التفسيرية والمسائل الإبستيمية، يصعب دعم الادعاء الذي مفاده: إن مشاعر الألفة تبرر تأييد المحتويات التي تستهدفها. افترض أن سام قد اكتسب اعتقادًا مفاده: إن قيصر قُتل؛ لأن سام حضر محاضرة عن الإمبراطورية معك قبل عشر سنوات. وافترض أيضًا أنه الآن يصدر هذا الحكم؛ لأنه حضر هذه المحاضرة. وأنا أسلّم بأن حكمه، حدسيًا، مبرَّر - بشرط عدم وجود أدلة مضادة بالطبع. ومع ذلك، فإنَّ غياب الشعور بالألفة ليس من بين هذه الأدلة المضادة. إذا علمتَ أنه لا يوجد شعور بالألفة يرافق استرجاع سام لذلك المحتوى، فلن تراجع تقييمك لحكمه[32]. ومن ثم، فإنَّ الأحكام

(31) يؤكد حسن Hasan (2013) التمييز بين الأدوار النفسية والإبستيمية للمظاهر، ويجعل برغمان Bergman (2013) هذا التمييز بين جعل الأمر معقولًا making intelligible والتبرير.

(32) ربما هذا يقود أحد المتعاطفين مع الخيار قيد المناقشة إلى التمييز بين تبرير أحكام الذّاكرة القضوية التي تتطلب المظاهر، وبين الظروف التي تشكّل فيها هذه الأحكام معرفة (Audi، 1995). وهذا القول قد يعادل، في هذه المنطقة على الأقل، أنه يمكن أن يكون هناك معرفة بلا مبرر. لن أناقش هذه الفكرة هنا؛ لأنها ليست ذات صلة بالمسائل التي أرغب في التطرق إليها.

المستندة إلى العلل الماضية - الأحكام التي أصدرها المرء؛ لأن لديه هذه العلل - مبررة في غياب مشاعر الألفة[33].

وهذا يشير إلى أن إسناد دور تبريري لهذه المشاعر ينم عن خلط بين تفسير لماذا نحكم أحيانًا على أساس التجاوب مع مثّلناه سابقًا (الذي يتجسد في الشعور بألفة المحتوى) وما يبرر هذا الحكم (العلل الماضية). بعبارة أخرى: الدفاع عن الخيار محل النقاش هو خلط بين موقف التذكر - الذي يفسر فقط سبب إصدار الأحكام الذاكرية - والاشتراطات المفروضة على المحتويات التي تجعل محتويات الذّاكرة (مبرَّرة)، أي: الاشتراطات التي تحدد ما حدث في وقت اكتساب الاعتقاد، وكذلك العلاقة بين ما حدث في ذلك الوقت وما يحدث في وقت التذكر.

إن هذه الاعتبارات تدفعنا إلى اختيار الخيار الثاني المميز سابقًا الذي يوصف غالبًا بـ: "نظرية العلل الماضية (Annis, 1980; Bernecker, 2010; Naylor، 1982). ووفق هذه النظرية، فإنه بقدر ما لا تُواجَه العلل الماضية بأدلة ماضية في هذه الأثناء، فإنها تبرر المصادقة على المحتوى ذاته في وقت التذكر. فإذا كانت علة سام للحكم بمقتل قيصر هي أنه سمع معلِّمًا يقول ذلك، فإن هذه العلة تبرر حكم سام الذاكري بأن قيصر قد قُتل[34]، شريطة أن سام، مثلًا، لم يصادف معلومات تشير إلى أن المُعلِّم أفّاق. تتجنب نظرية العلل الماضية المخاوف المرتبطة بالادعاء القائل: إن مظهر تذكر محتوى يبرر تأييد هذا المحتوى. بالطبع ستكون هناك حاجة إلى العديد من التنقيحات من أجل تطوير

---

(33) وبالروح ذاتها يكتب كوني Conee (2013): «غياب الأدلة المضادة يكفي لاعتقاد قائم على الدليل الذي يحث على الميل».

(34) في ضوء الملاحظات الواردة في الفقرة السابقة، ينبغي للمرء أن يصر على أن العلل الماضية تبرر الأحكام الذاكرية فقط إذا كانت هذه الأحكام تعتمد عليها سببيًا. فمثلًا: يجب أن يحكم سام بأن قيصر قد قُتل؛ لأنه سمع معلّمه يقوم ذلك. هذه العلاقة الأساسية هي إضافة طبيعية لنظرية العلل الماضية. تحدث العلاقة السببية المعنية على نحو مستقل عن وصول الشّخص إلى العلة الماضية، بل، بشكل أعم، عن أي عملية نفسية تحدث في وقت الذكرى.

تقرير كامل عن تبرير الذَّاكرة القضوية وفق النهج الذي أوصت به نظرية العلل الماضية[35]. لكن هذه التنقيحات لا تهمني هنا.

ما أريد التأكيد عليه هو أن نظرية العلل الماضية، في حد ذاتها، لا تفسر سبب إصدارنا للأحكام الذاكرية، فالعلل الماضية للحكم بأن p قد تبرر لنا إصدار الحكم ذاته في وقتٍ لاحق، لكنها لا تفسر سبب ميلنا لإصدار هذا الحكم عندما نتذكر. في ضوء التمييز بين المسائل التفسيرية والمسائل التبريرية فيما يتعلق بالذَّاكرة القضوية، يمكننا أن نستنتج أن نظرية العلل الماضية يجب أن تظل قابلة لمجموعة متنوعة من التفسيرات حول سبب إصدار أحكام الذَّاكرة القضوية، وتحديدًا تفسيرات مستوى الشّخص الأول من خلال مشاعر الألفة.

لقد توصلنا إلى الاستنتاج التالي:

في ضوء أن مشاعر الألفة ليست تبريرية، فإن المقاربة الأكثر جاذبية لتبرير أحكام الذَّاكرة القضوية هي نسخة من نظرية العلل الماضية. وبالاستعانة بهذه النظرية، قمنا بفصل تفسير مستوى الشّخص لسبب كوننا نصدر أحكامًا ذاكرية (أي: بسبب موقف تذكر جلي فينومينولوجيًا) عن ما يبرر هذه الأحكام (الذي يتعلق بمسببات محتويات الذَّاكرة).

5. استنتاج: تعميم الدرْس:

سأقوم الآن بجمع وتعميم استنتاجات القسم الرابع (مشاعر الألفة تفسر سبب تأييدنا لمحتويات الذَّاكرة) والقسم الخامس (هذه المشاعر غير تبريرية).

تحمل هذه الاستنتاجات درسًا أعم: نادرًا ما يكون امتلاك موقف attitude تجاه محتوى محدد علة لتأييده؛ لأن مشاعر الألفة، كما أقترح، تميز الذَّاكرة بأنها موقف لا يصلح لتبرير المحتويات التي تستهدفها. فلماذا؟

---

(35) للاطلاع على نسخ معقدة من هذه النظرية، انظر: Naylor (1971، 1982)، وBernecker (2010).

بشكل عام، لا يحمل ظهور موقفٍ ما attitude، أي: دلالة فيما يتعلق بما إذا كان لدينا ما يبرر تأييد محتوى هذا الموقف. فكر في هذه الحالات، "لماذا تظن think أن p صحيح؟ - لأنني أعتقد believe أن p". "لماذا تعتقد أن r خطيرة؟ - لأنني خائف منها". "لماذا تظن أن p صحيحة؟ - لأنه يبدو لي أنني أتذكر أن p". من الإنصاف القول: إن الإحالة إلى أي موقف من هذه المواقف ليست إجابة جيدة لهذه الأسئلة الإبستيمية.

لقد أوضحتُ حقيقة أن المواقف لا تحتاج إلى تبرير الأحكام التي نميل إليها بالاعتقاد، والخوف، والتذكر. وهذه المواقف لا يمكن أن تبرر الأحكام ذات الصلة للسبب ذاته. والسبب هو أن الاعتقاد، وامتلاك عاطفة، والتذكر كلها أمور تستند، حتى وإن كان ذلك بطرق مختلفة، إلى حالات نفسية أخرى. قد يعتمد الاعتقاد على اعتقادات أخرى، أو على الإدراك، أو على الاستبطان. فلكي يخاف المرء من كلب، يجب أن يكون على دراية به على نحو مستقل عن عاطفته، من خلال إدراكه للكلب مثلًا (Deonna & Teroni، 2012).

وسيكون الخوف في هذه الحالة قائمًا على خبرة إدراكية. وبالمثل، فإن الشّخص الذي يتذكر المحتوى يجب أن يكون قد فكر فيه سابقًا، فالتذكر بهذا المعنى (المختلف) يعتمد على الحالات الذهنية الماضية.

إن هذه العلاقة الأساسية لها النتيجة التالية. من أجل تقييم ما إذا كانت الأحكام التي نصدرها؛ لأن لدينا تلك المواقف مبررة، يجب أن نوجه انتباهنا إلى الحالات التي تستند إليها. من الواضح أن الاعتقاد هو ميل لتأييد محتوى. لكن لتقييم ما إذا كان تأييد هذا المحتوى له ما يبرره، يجب أن نوجه انتباهنا إلى أي شيء يقوم عليه هذا الاعتقاد. فالحكم بأن الكلب خطير الذي يميل المرء إلى إصداره؛ لأنه يخاف من منه، يكون له ما يبرره فقط إذا كانت الخبرة الإدراكية التي يعتمد عليها الخوف تفي ببعض الاشتراطات - على سبيل المثال: إذا كانت تمثّل قدوم كلب يزمجر، والانتباه إلى حقيقة أن خوف المرء يقوم على خبرة إدراكية عن هذا المحتوى يفسر سبب امتلاك المرء لمبرر للحكم بأن

الكلب خطير. وبالمثل، يجب أن نقيّم تبرير الحكم الذي نميل إلى إصداره عندما يبدو أننا نتذكر كوظيفة للحالة الذهنية الماضية التي تستند إليها الذّاكرة؛ ونظرًا لأن هذا الحُكم عادة ما يكون حكمًا ماضيًا، فإن تبرير الحكم الذاكري يعتمد على تبرير حُكم سابق، وبالتالي، على علل إصداره.

إن مواقف attitudes الاعتقاد، والخوف، والتذكر لا تبرر الأحكام ذات الصلة. ومع ذلك، إذا كانت حجتي ناجحة، فلا تزال هناك حاجة إلى المواقف لتفسير ميولنا لتأييد المحتويات ذات الصلة. مثلما أنه ربما لم يكن المرء يميل إلى الحكم بأن الكلب خطير إذا لم يكن يخافه، وربما لم يكن يميل إلى الحكم بأن قيصر قُتل إذا كان يبدو أنه لا يتذكر هذه الواقعة. يمكن أن تتخذ هذه التفسيرات العديد من الأشكال المختلفة. في حالة العواطف، يبدو أنه يمكن القول باطمئنان: إن التفسير يقع على مستوى الشّخص الأول.

إن العواطف بارزة فينومينولوجيًا، وعادة ما نكون في وضع يسمح لنا بمعرفة أننا نميل إلى إصدار أحكام؛ لأن لدينا عاطفة. لقد جادلتُ بأن تفسير ميلنا إلى تأييد المحتويات التي يستهدفها موقف التذكر هو من الطبيعة ذاتها، ويتباين هذان التفسيران مع تفسير سبب تأييدنا للمحتويات التي نعتقدها؛ لأن الاعتقاد ليس موقفًا بارزًا فينومينولوجيًا.

المراجع:

Annis, D. (1980). Memory and Justification. *Philosophy and Phenomenological Research*, *40*, 324-333.

Audi, R. (1995). Memorial justification. *Philosophical Topics*, *23*(1), 31-45. Bergmann, M. (2013). Externalist justification and the role of seemings. *Philosophical Studies*, *166*(1), 163-184.

Bernecker, S. (2010). *Memory: A philosophical study*. New York: Oxford University Press.

Burge, T. (1993). Content preservation. *The Philosophical Review*, *102*(4), 457-488.

Byrne. A. (2010). Recollection, perception, imagination. *Philosophical Studies*, *148*(1), 15-26.

Campbell, J. (1994). *Past, space and self*. Cambridge, MA: MIT Press.

Campbell, K. (1984). *Body and mind*. Notre Dame: University of Notre Dame Press.

Chisholm, R. (1957). *Perceiving*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Conee, E. (2013). Seeming evidence. In C. Tucker (Ed.), *Seemings and justification: New essays on dogmatism and phenomenal conservatism* (pp. 52-68). New York: Oxford University Press.

Crane, T. (2003). The intentional structure of consciousness. In A. Jokic & Q. Smith (Eds.), *Consciousness: New philosophical perspectives* (pp. 33-56). New York: Oxford University Press.

Cullison, A. (2010). What are seemings? *Ratio*, *23*(3), 260-274.

Deonna, J., & Teroni, F. (2012). *The emotions. A philosophical introduction*. New York: Routledge.

Goldman, A. (1993a). The psychology of folk psychology. *Behavioral and Brain Sciences*, *16*(1), 15-28.

Goldman, A. (1993b). Consciousness, folk psychology, and cognitive science. *Consciousness and Cognition*, *2*(4), 364-382.

Hanna, N. (2011). Against phenomenal conservatism. *Acta Analytica*, *26*(3), 213-221.

Hasan, A. (2013). Phenomenal conservatism, classical foundationalism, and internalist justification. *Philosophical Studies*, *162*(2), 119-141.

Hoerl, C. (2001). The phenomenology of episodic recall. In C. Hoerl & T. McCormack (Eds.), *Time and memory* (pp. 315-335). New York: Oxford University Press.

Huemer, M. (1999). The problem of memory knowledge. *Pacific Philosophical Quarterly*, *80*(4), 346-357.

Huemer, M. (2007). Compassionate phenomenal conservatism. *Philosophy and Phenomenological Research*, *74*(1), 30-55.

Jackson, J. (2011). Appearances, rationality, and justified belief. *Philosophy and Phenomenological Research*, *82*(3), 564-593.

Lackey, J. (2005). Memory as a generative epistemic source. *Philosophy and Phenomenological Research*, *70*(3), 636-658.

Locke, D. (1971). *Memory*. New York: Doubleday & Co.

Markie, P. (2013). Searching for true dogmatism. In C. Tucker (Ed.), *Seemings and justification: New essays on dogmatism and phenomenal conservatism* (pp. 248- 269). New York: Oxford University Press.

Martin, M. (2001). Out of the past: Episodic recall as retained acquaintance. In C. Hoerl & T. McCormack (Eds.), *Time and memory* (pp. 257-284). New York: Oxford University Press.

Martin, M. (2015). Old acquaintance: Russell, memory, and the problems with acquaintance. *Analytic Philosophy*, *56*(1), 1-44.

Matthen, M. (2010). Is memory preservation? *Philosophical Studies*, *148*(1), 3-14.

Maund, B. (2003). *Perception*. Montreal: McGill-Queen's University Press.

McGrath, M. (2007). Memory and epistemic conservatism. *Synthese*, *157*(1), 1-24.

Naylor, A. (1971). B remembers *p* from time *t*. *The Journal of Philosophy*, *68*, 29-41.

Naylor, A. (1982). Defeasibility and memory knowledge. *Mind*, *91*, 432-437.

Naylor, A. (2011). Remembering-that: Episodic vs. semantic. *Philosophical Psychology*, *24*(3), 317-322.

Owens, D. (1996). A Lockean theory of memory experience. *Philosophy and Phenomenological Research*, *56*(2), 319-332.

Pappas, G. (2014). Internalist vs. externalist conceptions of epistemic justification. In E. N. Zalta (Ed.), *The Stanford encyclopaedia of philosophy* (Fall 2014 ed.).

Retrieved from https://plato.stanford.edu/archives/fall2014/entries/justep-intext/

Pollock, J. (1974). *Knowledge and justification*. Princeton: Princeton University Press.

Pollock, J., & Cruz, J. (1999). *Contemporary theories of knowledge*. Lanham: Rowman and Littlefield.

Recanati, F. (2007). *Perspectival thought: A plea for moderate relativism*. New York: Oxford University Press.

Russell, B. (1921/1995). *The analysis of mind*. London: Routledge.

Senor, T. (2007). Preserving preservationism: A reply to Lackey. *Philosophy and Phenomenological Research*, *74*(1), 199-208.

Teroni, F. (2014). The epistemological disunity of memory. In A. Reboul (Ed.), *Mind, values and metaphysics: Philosophical papers dedicated to Kevin Mulligan* (Vol. 2, pp. 183-202). Dordrecht: Springer.

Teroni, F. (2017). The phenomenology of memory. In S. Bernecker & K. Michaelian (Eds.), *The Routledge handbook of philosophy of memory* (pp. 21-33). New York: Routledge.

Tooley, M. (2013). Michael Huemer and the principle of phenomenal conservatism. In C. Tucker (Ed.), *Seemings and justification: New essays on dogmatism and phenomenal conservatism* (pp. 306-327). New York: Oxford University Press.

Tucker, C. (2013). An introduction. In C. Tucker (Ed.), *Seemings and justification: New essays on dogmatism and phenomenal conservatism* (pp. 1-29). New York: Oxford University Press.

Werner, P. (2013). Seemings: Still dispositions to believe. *Synthese*, *191*(8), 1-14.





منشورات نادي الكتاب

على أن الفلاسفة قد ناقشوا الذاكرة منذ العصور القديمة، إلا أن العقد الأخير شهد قفزة نوعية جعلَت من فلسفة الذاكرة حقلًا فريدًا قائمًا. يتتبع هذا الكتاب الاتجاهات البحثية الحديثة في هذا الحقل، مبيناً إياها في سبعة عشر فصلًا؛ بدءاً من تطوير نظريات جديدة للتذكر والنسيان، وتحليل الظواهر ومحتوى الذاكرة، ومناقشة قضايا الأخلاق وإبستمولوجيا التذكر، وانتهاء باستكشاف العلاقة بين الذاكرة والعاطفة.

كتبَت فصول هذا الكتاب مجموعة من أبرز الباحثين عالميًا في فلسفة الذاكرة وتقاطعاتها؛ وعليه فإن هذه الفصول تقدم مجتمعة رؤية شاملة لحاضر هذا الحقل البحثي الناشئ، إلى جانب الخطوط العريضة لمستقبله القريب.

